الجمهوريّة الجزائرية الدّيمقراطيّة الشّعبيّة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية قسنطينة

كلية: أصول الدين

قسم: الكتاب والسنة

الرقم التسلسلي: 180 /ن.ت.ب/2015

رقم التسجيل: 02/د ط3/أ د/ت ع ق/15

أثر ترتيب النزول في تفسير القرآن الكريم

التفسير الحديث لمحمد عزة دروزة أنموذجا– دراسة نقدية–

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه ل م د

تخصص التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالبة:

خديجة بوجمعة

إشراف الأستاذ الدكتور:

الجمعي شبايكي

أعضاء المناقشة	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
د/عميراوي رياض	أستاذ	جامعة الأمير عبد القادر –قسنطينة–	رئيسا
أد/ الجمعي شبايكي	أستاذ	جامعة الأمير عبد القادر –قسنطينة–	مشرفا ومقررا
د/عبد الغاني عيساني	أستاذ	جامعة الأمير عبد القادر–قسنطينة–	عضوا
أد/عبد الرحمن معاشي	أستاذ	جامعة الحاج لخضر باتنة 01	عضوا
د/فريدة سكيو	أستاذ	جامعة الحاج لخضر باتنة 01	عضوا
د/ محمد لقريز	أستاذ	جامعة محمد بوضياف المسيلة	عضوا

السّنة الجامعيّة : 1445هـ / 2022– 2023م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر وتقدير

- أحمد الله وأشكره أولا وآخرا على أن وفقني لإنجاز هذا البحث.
- أشكر أستاذي فضيلة الدكتور الجمعي شبايكي على إشرافه على هذا البحث، وجديته، وجميل صبره وحسن رعايته وتوجيهه.
- أشكر الأساتذة الأفاضل الذين تكرموا بمناقشة هذا البحث.
- والشكر موصول لجامعة الأمير عبد القادر التي منحتني شرف الانتساب إليها ممثلة بكلية أصول الدين قسم الكتاب والسنة.

داعية المولى عز وجل أن يكتب عمل الجميع في ميزان حسناتهم يوم القيامة إنه سميع قريب.

فجزى الله الجميع خير الجزاء.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إهداء

إلى:

- والديّ الكريمين رحمهما الله
- زوجي الصبور، الذي يسر لي طريق العلم.
- وفلذتي كبدي: سارة وياسر اللذين وقفا بجانبي وشجعاني على مواصلة المشوار، وحفيدتي قرتي عيني: أريج وبدور.
- وأختي فظيلة التي أبت إلا مشاركتي الفرحة يوم المناقشة رغم ظروفها الصحية.
- جميع الأساتذة الذين كان لهم الفضل في تعليمي وتأديبي.
- طلبة العلم في الدراسات الإسلامية، وجميع الدعاة إلى الله.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحمد لله الذي أنزل القرآن، هدى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان، وقيّض له من جهابذة العلماء الأفذاذ من يفسره في كل عصر وزمان، والصلاة والسلام على سيد ولد عدنان وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان. وبعد:

ينفد المداد ولا يفي مهما كتب أهل المحابر، عن أشرف الكلام، وأحسنه، وأصدقه، وأعظمه بركة وفضلا، كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

وقد مضى أكثر من أربعة عشر قرنا على تاريخ نزول هذا الكتاب الإلهي، بحيث أثمرت تراكما معرفيا كبيرا في حقول الدراسات القرآنية المتعددة، وكان من أبرزها حقل التفسير الذي لا زال يشهد توسعا وتنوعا من عصر التنزيل إلى يومنا هذا.

فتنوعت كتب التفسير وتعددت مسالكها وطرقها، حتى أضحت دراسة مناهجها أمرا ضروريا لمعرفة الطرق التي أنتجت هذه التفاسير، والوقوف على مسالك مؤلفيها ومنطلقاتهم التي أسسّوا عليها كتبهم، وتمييز تلك المصنفات والمفاضلة بينها، بما يحقق سبل تطوير علم التفسير والدراسات القرآنية.

ومن هذا المنطلق، وبظهور تفاسير معاصرة اتخذت من ترتيب نزول السّور طريقا لتفسير كتاب الله، خلافا للمتعارف عليه في المدوّنة التّفسيرية، ونظرا لجدّة هذا المسلك، وكون كتاب "التفسير الحديث" لمحمد عزة دروزة أول تفسير ضمن التفاسير التي انتهجت هذا المسلك، أحببت في هذه الدراسة أن أسلّط الضوء على أثر ترتيب النزول في التفسير من خلال تفسير دروزة معرجة على باقي المؤلفات، كخطوة ضمن مشروع علمي، وضعه قسم الكتاب والسنة بين يدي طلبة العلم، حتّى يتسنّى لهم أن يرشفوا من رحيق القرآن الكريم مختلفاً ألوانه، ويمحصوا بين طرق فهمه وتفسيره.

وعليه عزمت على الكتابة في هذا البحث والذي وسمته:

أثر ترتيب النزول في تفسير القرآن الكريم

التفسير الحديث لمحمد عزة دروزة أنموذجا– دراسة نقدية–

فالله أسأل أن أكون قد وفقت في اختيار العنوان، وأن يجنبني الزلل والخطأ، وأن يحقق به ما رجوت من الإفادة والنفع.

أولا: إشكالية البحث:

بعد أن تنامت فكرة فهم القرآن الكريم بحسب ترتيب النزول، حيث دعا علماء ومفكرون مسلمون وغير مسلمين إلى ضرورة إعادة تفسير القرآن بحسب تاريخ نزوله، وبعد بروز موجة التصدي لهذه الفكرة من قبل بعض الدارسين في حقل التفسير وعلومه، استدعى هذا الجدل وجود دراسة قيمية موضوعية محايدة للنبش والحفر في أصول هذه الفكرة وتبيان آثارها، بعيدا عن التعصب والأحكام القبلية، خاصة إذا كانت هذه الفكرة نابعة من شخصية إسلامية بارزة مثل "محمد عزة دروزة" في كتابه (التفسير الحديث).

ومن ثم فقد تمثّل سؤال الإشكالية في مايلي:

ما جدوى تفسير القرآن الكريم على ترتيب النزول؟ وما هي الآثار المترتبة عن هذه الفكرة نظريا وعمليا من خلال دراسة التفسير الحديث لمحمد عزة دروزة ؟

وتتفرع عن هذا الإشكال الرئيس تساؤلات أخرى منها:

1) ماهي دوافع دروزة ومن حذا حذوه في اعتماد ترتيب النزول طريقا لتفسير القرآن؟
2) ما المنهج المعتمد لتحقيق هذه الفكرة ؟ وهل التزم بها عند التطبيق؟
3) ما مدى تأثير الترتيب النزولي على عملية الفهم والتفسير؟
4) هل تحققت أهداف الفكرة عمليا؟
5) هل توجد مآخذ على فكرة تفسير القرآن حسب النزول؟

ثانيا: أهمية الموضوع وأسباب اختياره: وتمثلت في:

1. رغبتي في إثراء مخزوني المعرفي التخصصي في تفسير القرآن وعلومه.
2. اهتمامي الكبير بما يستجد في ميدان تفسير القرآن الكريم وعلومه.
3. حاولة استكمال الجهود العلمية في مجال الانتصار للقرآن الكريم.
4. المساهمة في تجلية أحد طرق التفسير في العصر الحديث، ومعرفة ماله وما عليه.

ثالثا: أهداف البحث

تتجلى أهداف هذه الدراسة في:

- الوقوف على ملامح "فهم القرآن حسب ترتيب النزول"، والكشف عن أهميته وجذوره.
- الوقوف على مدى أصالة، وصحة، وعلمية المنهج المتبع في تفسير القرآن حسب ترتيب النزول في تفسير دروزة وغيره ممن سلكوا هذا الطريق.
- تسليط الضوء على أثر توظيف ترتيب النزول في العملية التفسيرية من خلال تلك المؤلفات.
- المفاضلة بين مصنفات التفسير حتى يتسنى لطالب العلم بناء خارطة طلبِ فنِّ التفسير بوضوحٍ منهجيّ محكمٍ.

رابعا: الدراسات السابقة

من خلال البحث توصلت إلى أن الدراسات السابقة في هذا موضوع هي:

1) رسالة دكتوراه بعنوان:"تفاسير القرآن الكريم حسب ترتيب النزول، دراسة وتقويم"، من إعداد الطالب طه محمد فارس، وإشراف الأستاذ نور الدين عتر، جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان، سنة 2007، وهو بحث جاد مستفيض، جمع فيه صاحبه المؤلفات الأربعة التي اتخذت من ترتيب النزول طريقا للتفسير، وفصّل في مناهجها ثم أجرى موازنة بينها من حيث ترتيب النزول والدوافع والأسباب، وكان هدفه من البحث تأصيل مسألة "ترتيب النزول"، حيث قام بدراسة الروايات الواردة في ترتيب النزول والحكم عليها وذكر أقوال وآراء العلماء الباحثين المتخصصين فيها، للتعرف على مدى جواز هذا العمل والجديد الذي قدمه في مجال الدراسة وفهم القرآن، والمآخذ التي تؤخذ عليه، وأثر هذا المنهج على علوم القرآن، ولا شك أني أفدت منه كثيرا، خاصة في التنقيب عن جذور فكرة ترتيب النزول، وكذلك جداول ترتيبات السور حسب النزول، إلّا أنّ بحثي هذا قد تفرّد بالكشف عن أثر ترتيب النزول في فهم وتفسير القرآن الكريم، دون التطرق لجوانب أخرى تصرفه عن هدفه، وتضخم حجمه، وهو محدد بدراسة أحد تلك المؤلفات.

2) رسالة دكتوراه بعنوان:"عيون الأقاويل في إبطال دعوى ترتيب القرآن وتفسيره على حسب

ترتيب النزول"، لعبد الرحمن نصر أحمد نصار، بإشراف د.خيري أحمد الفقي، قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر، سنة 2015. وهو بحث نفيس، انصب جهد صاحبه على دحض شبهة إعادة ترتيب القرآن الكريم وفق زمن نزول آيه وسوره، وبيان ما يترتب عليها من مخاطر، وحشد لأجل ذلك شواهد من أقوال وآراء العلماء والدارسين المتخصصين في الدراسات القرآنية، واقتصرت دراسته على مؤلفين فقط هما: التفسير الحديث لمحمد عزة دروزة، ومعارج التفكر ودقائق التدبر لحبنكة الميداني حيث ناقش الدوافع والمنهج والمآخذ، وخلص إلى نتيجة مفادها استحالة إعادة ترتيب القرآن وفق ترتيب النزول، وأنها دعوى لا تستند إلى دليل شرعي أو دليل عقلي، وأنها تفتح باب الطعن في حفظ القرآن الكريم، أما دراستي فارتكزت على بيان أثر ترتيب النزول في تفسير القرآن ولم أتطرق إلى شبهة إعادة ترتيب المصحف الشريف، وقد استفدت منه آراء وأقوال العلماء والمتخصصين في موضوع البحث.

3)مقال بعنوان: "التفاسير حسب ترتيب النزول، في الميزان" لمصطفى مسلم، بحث متميز، مقدم في أحد المؤتمرات بالرياض، سنة 1432هـ-2015م، وهي دراسة قيمة، وقف فيها الباحث على دوافع أصحاب التفاسير المؤلفة حسب ترتيب النزول (عبد القادر ملا حويش، محمد عزة دروزة، عبد الرحمن حسن حبنكة)، وناقشها ليتوصل إلى نتائج منها: أن هذا المنهج لم يحقق لهم ما أرادوه، وأن مبرراتهم في سلوكه ما هي إلا ادعاءات لا وجود لها في تفاسيرهم، بل نجم عنه محاذير منها: مخالفة إجماع الأمة، القضاء على جهود العلماء في علم المناسبات، تمهيد الطريق للمستشرقين وغيرهم لإعادة ترتيب آيات وسور المصحف وفق النزول، ودعا في النهاية ورثة المؤلفين إلى إعادة النظر في تلك المؤلفات. وعلى صغر حجم هذا البحث إلا أنه كان المرجع الأول الذي تمكنت من خلاله تشكيل تصور عام لموضوع دراستي.

4)مقال"ترتيب النزول وأثره في تفسير القرآن الكريم" لإحسان طه ياسين، نشر بمجلة الأطروحة للعلوم الإنسانية، العدد الثامن، 1438هـ-2017م، ركز على ضرورة معرفة ترتيب النزول للمفسر، من خلال ذكر فوائده ذيلها بنماذج، وخلص إلى نتيجة مفادها أنه لا فائدة كبيرة ترجى من ذكر ترتيب نزول السورة في مقدمة السورة، بل العبرة والفائدة أن يراعي المفسر ذلك عند تفسيره، وهو ما أراد تأكيده من رتب تفسيره حسب ترتيب النزول، وبحثي هذا جاء ليكشف إن كان قد تحقق لأصحاب هذه التفاسير ما أرادوه أم لا.

5)مقال "تفسير القرآن الكريم على ترتيب النزول (منبعه وفوائده) لمحمد مجلي أحمد ربابعة، نشر بمجلة دراسات الشريعة والقانون، المجلد 37، العدد 1، سنة 2010، وهو بحث قيم تناول دراسة الروايات والآثار التي وردت في ترتيب سور القرآن حسب نزولها الأول فالأول، والحكم عليها سندا ومتنا، ثم ناقش الفوائد التي ذكرها أصحاب التفاسير المؤلفه وفق ترتيب النزول، ليصل إلى إثبات عدم صحة ما روي وبالتالي عدم صحة الاعتماد عليها في تفسير كتاب الله عز وجل.وبحثي هذا يؤكد ما ذهب إليه كاتب المقال، وأزيد عليه بالدراسة التطبيقية على تلك التفاسير، وقد استفدت منه الدراسة الحديثيه للمرويات.

6)مقال:"التفسير المعاصر للقرآن الكريم وفق مرويات النزول عرض ونقد" بقلم إبراهيم رحماني، نشر بمجلة الشهاب، عدد 2 (جمادى الأول 1437هـ/مارس 2016م، مقال جيد في صميم أطروحتي، حيث عرض جهود التفسير المعاصر للقرآن الكريم وفق مرويات النزول، وصولا إلى نقد هذا المنهج في التفسير، والتحذير من مغابّه.

7)مقال:"آراء العلماء في الترتيب المصحفي وحقيقة دعوى إعادة ترتيب المصحف حسب النزول" بقلم د.عميراوي رياض، نشر بمجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، المجلد 27، العدد 3 ديسمبر 2013م)،

وأما ما تعلق بمنهج دروزة في تفسيره، فأذكر مايلي:

1) رسالة دكتوراه بعنوان: "محمد عزة دروزة وتفسير القرآن الكريم" لفريد مصطفى سليمان، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، مصر، سنة 1402هـ-1982م، قام فيها الباحث بدراسة شخصية المؤلف، وبيان منهجه والأفكار الخاصة التي طرحها في تفسيره، ومناقشة هذه الأفكار.

2) رسالة دكتوراه بعنوان: "جهود محمد عزة دروزة في تفسيره المسمى الحديث"، من إعداد حسن عبد الرحمن أحمد السلوادي، كلية الآداب جامعة عين شمس، مصر، سنة 1984.

3) رسالة ماجستير:"التفسير الحديث للأستاذ محمد عزة دروزة"، للطالب عبد الحكيم محمد أنيس، جامعة بغداد العلوم الإسلامية، سنة: 1993.

4) رسالة ماجستير:"التفسير المقاصدي عند محمد عزة دروزة من خلال كتابه التفسير

الحديث"، للطالبة خيراني إيمان، إشراف د.حدة سابق، تخصص الاتجاهات المعاصرة في التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة، سنة: 1436-1437هـ/2015-2016م.

وأشير هنا أني لم أتمكن من الحصول عليها وهي غير متاحة على مواقع الشبكة العنكبوتية، باستثناء الأخيرة الموجودة بمكتبة الجامعة.

هذا إضافة إلى دراسات أخرى في موضوع ترتيب النزول عموما، ودراسات فكرية واستشراقية كان لها صلة بالموضوع المدروس، أذكر منها:

1) أطروحة دكتوراه "أثر ترتيب نزول القرآن الكريم في البناء العقائدي والسلوك الحضاري للأمة الإسلامية، للطالب علي عدلاوي، تخصص عقيدة، جامعة أبو بكر بلقايد، سنة: 1433-1434هـ/2012-2013م.

2) كتاب:"القرآن الكريم بين ترتيب المصحف وترتيب النزول" دراسة منهجية نقدية في الترتيب المصحفي والتاريخي للقرآن، للدكتور سعيد بوعصاب، من منشورات مركز الدراسات القرآنية التابعة للرابطة المحمدية للعلماء بالمغرب، ط1: 1438هـ/2017م

3) مقال:"القرآن الكريم بين ترتيب النزول وترتيب التلاوة"، لصلاح روّاي، مجلة داسات عربية وإسلامية بمصر، المجلد 2000، العدد 21(31 ديسمبر 2000).

4) مقال:"ترتيب النزول وموقف الطاهر بن عاشور منه جمع ودراسة"، لشافي سلطان محمد العجمي، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، المجلد 32، العدد 108(31مارس 2017) جامعة الكويت مجلس النشر العلمي.

5) مقال:"النقد الفني لمشروع ترتيب القرآن الكريم حسب نزوله" لمحمد عبد الله دراز، كتبه ردّا على دعوى إعادة ترتيب المصحف التي جاءت في الرسالة المعنونة" رتبوا القرآن الكريم كما أنزل" ليوسف راشد، مجلة الأزهر المجلد الثاني والعشرون، محرم 1375هـ، العدد 1.

خامسا: أهم مصادر ومراجع البحث:

عدت في هذه الدراسة إلى مصادر ومراجع متعددة في مجال الدراسة، وهي مرتبة على قدر صلتها بموضوع دراستي:

1) **كتب التفسير المؤلفة حسب تريب النزول،** وفي مقدمتها: التفسير الحديث لمحمد عزة دروزة.

2) **كتب التفسير:** وأذكر منها: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير الطبري، تفسير القرآن العظيم لابن كثير الدمشقي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي وغيرها.

3) **كتب علوم القرآن:** استعنت بكتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي والإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي ومناهل العرفان في علوم القرآن لعبد العظيم الزرقاني وغيرها.

4) **كتب فكرية واستشراقية:** وأخص بالذكر منها:

-"الفكر الإسلامي" لمحمد أركون، ترجمة وتعليق هشام صالح.

-"مفهوم النص دراسة في علوم القرآن" لنصر حامد أبو زيد.

-"تاريخ القرآن" لتيودور نولدكه.

سادسا: منهج البحث:

تقوم دراستي أساسا على المنهج التحليلي النقدي حيث يتم جَمْعُ ومناقشة وتحليل النصوص للكشف عن مدى نجاعة التفسير حسب ترتيب النزول، وكذا الاعتناء بتمييز التفسير من حيث المنهج المتبع في فهم الآية وتفسيرها من قبل أصحاب التفاسير حسب ترتيب النزول، وبيان جدواه، بالفحص الدقيق لمتن التفسير، ووضع مسوغات هذا المسلك على محك النظر.

سابعا: طريقتي في البحث: ألخّصها فيما يلي:

- **القرآن الكريم:**

اعتمدت في كتابة الآيات القرآنية على مصحف المدينة المنورة برواية حفص عن عاصم، وأتبعت الآية برقمها مع اسم السورة تجنّبا لزيادة حجم الهامش.

- **الأحاديث النبوية وآثار السلف:**

قمت بتخريج الأحاديث النبوية الشريفة، والآثار المستعان بها في الأطروحة، فإن كان الحديث أو الأثر في الصحيحين أو في أحدهما، أكتفي بذكر ذلك مبينة موضعه في الكتابين؛ من حيث الكتاب، والباب، ورقم الحديث، وإن كان في غيرهما خرَّجته كما تقدم، مبينا الحكم عليه من حيث القبول وعدمه، أما معلومات النشر والطبع فأرجأت ذكرها إلى فهرس المصادر والمراجع تجنيا لتضخيم الهامش.

- **عزو الأقوال في الهامش:**

عزوت الأقوال إلى أصحابها في الهامش بذكر: اسم الكتاب، ثم اسم المؤلِّف (مقتصرة على الاسم الثلاثي مع الكنية واسم الشهرة إن وجدا)، ثم المحقِّق، ثم معلومات الطباعة والنشر مع مكانها وتاريخها، فإن تعذر وجود الطبعة نوّهت على ذلك بالرمز (دط)، أو تعذر وجود تاريخ الطبع أشرت إلى ذلك بالرمز (دت). ثم أذكر في الأخير الجزء والصفحة، فإذا ما أعيد النّقل من الكتاب مصدرا كان أو مرجعا، اكتفيت بذكر اسم الكتاب مختصرا واسم المؤلف بحسب ما اشتهرا به، دون اتباعه عبارة "مصدر سابق" أو "مرجع سابق"، وفي حالة ذكر الكتاب لأول مرة ثم إعادة ذكره في الصفحة ذاتها مع فاصل من المصادر فإني أخصص العبارة بالتعريف فأقول المصدر السابق أو المرجع السابق. فإن كان ذكر الكتاب متتاليا ولم أفصل بكتب أخرى قلت: المصدر أو المرجع نفسه.

– **ترجمة الأعلام:** عزفت عن ترجمة الأعلام الواردة أسماؤهم في البحث لشهرة جلّهم، ولكثرة المذكورين وتفاديا لإثقال الهامش، واكتفيت فقط بالإشارة إلى سنة الوفاة بالنسبة إلى الأعلام المتقدمين.

– اكتفيت بذكر موضع الشاهد من الأقوال المنقولة، ووضعته بين علامتي تنصيص ، وقد لا أذكر اسم القائل في المتن–محافظة على تسلسل الأفكار– وأشير إليه في الهامش.

- عند حذف جزء من النص المنقول، أضع مكانه نقاطا (...)

- عند نقل نص بالتلخيص أو بالمفهوم أكتب في الهامش كلمة: (ينظر).

- قمت بتوضيح بعض المصطلحات أو المفاهيم التي قد يشكل فهمها وذلك في الهامش.

- استغنيت عن وضع فهرس الأعلام تجنبا للتضخيم.

ثامنا: صعوبات البحث: تمثلت

أولا: في مشقة الوصول إلى بعض المصادر الأكاديمية المتواجدة في المكتبات الجامعية ببعض الدول العربية، إذ لم أستفد من أي منحة قصيرة أو طويلة المدى طوال مدة البحث.

ثانيا: صعوبة الاستفادة من المادة العلمية المتعلقة بالفكر الاستشراقي لقلة الترجمات العربية لمؤلفاتهم.

ثالثا: ظروفي الصحية وواجباتي الأسرية التي أعاقتني كثيرا عن البحث.

تاسعا: خطة البحث:

هذا وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة كما يلي:

- مقدمة: تحدثت فيها عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره وإشكالية البحث، والأهداف المرجوة منه، كما أشرت إلى الدراسات السابقة، ثم ذكرت المنهج المعتمد في البحث، والصعوبات التي واجهتني، وأنهيتها بذكر خطة البحث.

- مدخل الدراسة: وعنونته بـ: "مسائل متعلقة بترتيب النزول" تناولت فيه أبرز المسائل وأكثرها ارتباطا بموضوع البحث: كتنزلات القرآن الكريم، وتنجيمه، وترتيبه المصحفي، وأهم الآثار الواردة في ترتيب سوره زمنيا حسب النزول، وذلك بعد تحديد مفهوم ترتيب النزول.

- الفصل الأول موسوم بـ:"فهم القرآن حسب ترتيب النزول في الفكر الحديث"، وقد تضمن ثلاثة مباحث، تطرقت في الأول إلى معنى "فهم القرآن حسب النزول" وأهميته وجذوره، يليه المبحث الثاني، الذي خصصته لبيان علاقة أسباب النزول بترتيب النزول، ثم أتبعته بالمبحث الثالث والمتضمن لمواقف فكرية حديثة حول فهم القرآن حسب ترتيب النزول.

- أما الفصل الثاني، المعنون بـ:"تفسير القرآن حسب ترتيب النزول عند المفسرين المحدثين"، فقد اشتمل على ثلاثة مباحث اختص كل مبحث بدراسة أحد التفاسير المؤلفة وفق ترتيب النزول وهم على

الترتيب: تفسير بيان المعاني على حسب ترتيب النزول لعبد القادر ملا حويش، وتفسير معارج التفكر ودقائق التدبر لعبد الرحمن حبنكة الميداني، وتفسير فهم القرآن الحكيم التفسير الواضح حسب ترتيب النزول لمحمد عابد الجابري، ركزت فيها على بيان منهج المؤلف في ترتيب النزول، وأثره في تفسيره.

- وفي الفصل الثالث: تحت عنوان:"أثر ترتيب النزول في التفسير من خلال التفسير الحديث لدروزة" جاءت الدراسة التطبيقية للبحث، من خلال ثلاثة مباحث، تناولت في المبحث الأول نبذة موجزة عن المؤلف، ومنهجه العام في تفسيره، ثم اتبعته بمبحث ثان حول منهجه في ترتيب النزول، أما المبحث الثالث ذكرت فيه أثر ترتيب النزول في تفسير دروزة، والذي يبرز من خلال تتبع وتحليل نماذج من تفسيره، وفي النهاية أشرت إلى النقد الموجه لطريقة "التفسير حسب ترتيب النزول" وذلك بسرد أقوال الباحثين في هذا المجال والتعليق عليها.

وختمت البحث بخاتمة جمعت أهم النتائج المتوصل إليها، ثم الفهارس التالية:

أولاً :فهرس الآيات القرآنية.

ثانيًا :فهرس الأحاديث النبوية والآثار التي سيقت في ثنايا البحث.

ثالثا: فهرس المصادر والمراجع.

رابعا: الفهرس التفصيلي العام للبحث (فهرس الموضوعات)

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أتقدم بوافر الامتنان وجزيل الشكر إلى مشرفي الفاضل على دعمه وجهوده في إتمام هذه الرسالة، فله مني تحية تقدير واحترام، راجية أن يكون هذا البحث حلقة تضاف إلى باقي سلسلة الدراسات القرآنية، وأسأل الله –جل وعلا– الأجر والثواب، وأبرأ إليه – سبحانه– من كل نقص وتقصير.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، والحمد لله رب العالمين.

مدخل:

المسائل المتعلقة بترتيب النزول

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ابتداء وقبل التطرق إلى مضامين الفصل الأول المتعلق بفهم القرآن حسب ترتيب النزول، لابدّ من الإشارة أولا إلى بعض المسائل التي لها صلة مباشرة بعلم نزول القرآن الكريم، وهي كثيرة ومتشعّبة، لذا يفضل الاقتصار على بعضها مما يساهم في تجلية موضوع البحث.

أولا: مفهوم النزول

1-النزول لغة: النزول في اللغة يطلق على معنيين، المعنى الأول: هو الانحطاط من علو إلى سفل[1]، والمعنى الثاني: الحلول[2] في مكان معين، يقال فلان نزل في مكان كذا يعني حل فيه.

2- نزول القرآن في الاصطلاح: يراد به: " نزول جبريل عليه السلام بكلام الله عز وجل على النبي ﷺ وإسماعه إياه "كما سمعه من الله سبحانه وتعالى[3].

وبالمطابقة بين التعريفين يظهر أن مسألة نزول القرآن الكريم ينطبق عليها المعنى الأول، والقرآن ينزل به جبريل عليه السلام من عند الله عز وجل على قلب النبي ﷺ كما جاء في آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[النحل: 102]

واختيار مادة النزول وما تصرف منها للكلام عن مصدر القرآن الكريم فيه تشريف وتكريم لهذا الكتاب، وبيان علوّ منزلته كما قال تعالى: ﴿ حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤ ﴾ [الزخرف: 1-4] فالنزول لا يكون إلا من علوّ[4].

وقد ورد لفظ "نزل" بتصريفاتها المختلفة: مئتان وثلاثة وأربعون مرة في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴾[الإنسان: 23].

---

[1]- المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، أبي القاسم الحسن بن محمد، مكتبة نزار مصطفى الباز، مادة "نزل" ص488.

[2]- مختار الصحاح، الرازي، محمد بن أبي بكر، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط: 1999م مادة: نزل، ص576.

[3]- المنتقى في علوم القرآن، طه عابدين، دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل، السعودية، ط2، 1429هـ، 70/2 .

[4]-نزول القرآن الكريم، الشايع، محمد بن عبد الرحمن، مكتبة الملك فهد، الرياض، السعودية، ط: 1418هـ-1997م، ص4.

وقوله: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [السجدة: 2].

3-الفرق بين "نزّل" و"أنزل":

مما له علاقة بمسألة النزول، مسألة (نزّل وأنزل)، هل نزّل وأنزل بمعنى واحد، أم بمعنيين؟ هذه مسألة تطرح في كتب علوم القرآن الكريم، ويذكرها المفسرون عند قول الله عز وجل في أول سورة (آل عمران): ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ ﴾[آل عمران: 2، 3]، فعبر عن القرآن الذي هو الكتاب بـ "نزّل"، وعبر عن التوراة والإنجيل بـ" أنزل"، قال بعض المفسرين بالتغاير بين نزّل وأنزل، وذكروا الفرق بينهما، فنزّل هو صيغة مبالغة، على سبيل التكثير، والتنجيم، لأن القرآن نزل في ثلاث وعشرين سنة، بينما عبر ب" أنزل"عن التوراة والإنجيل لأنهما نزلا جملة واحدة، ففرقوا بين المعنيين، وممن ذهب إلى هذا القول كل من الأصفهاني[1](ت: 502هـ)، والزمخشري[2](ت: 538هـ)، وابن الزبير الغرناطي[3](ت: 708هـ)، وغيرهم.

وفي هذه المسألة قول آخر ذهب إليه ثلة من أهل العلم، منهم ابن عاشور (1296-1494هـ)[4]، حيث اعتبر اللفظين "نزّل وأنزل" مترادفين، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ﴾[الفرقان: 32]، فعبر عن الجملة الواحدة بلفظ نزّل، وهذا دليل يرد القول بالتفريق.

أيضًا مما يردّ القول الأول أن لفظ نزّل من الألفاظ غير المتعدية، واللفظ غير المتعدي لا يبالغ فيه بصيغة نزّل، ولا يصح أن يطلق عليه أنه من باب المبالغة، فلا يفرق به بين نزّل وأنزل، ويعضد هذا الرأي

---

[1]- ينظر: المفردات، الأصفهاني، ص489.

[2]-ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3: 1407هـ، 336/1.

[3]- ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، ابن الزبير الغرناطي، أحمد بن إبراهيم، أبو جعفر، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص76.

[4]- التحرير والتنوير، ابن عاشور محمد الطاهر، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، د.ط، 19/19.

كون الآية لها قراءتان، أنزل ونزّل، تأكيدا على أن نزّل وأنزل بمعنى واحد، وأنه لا فرق بين المعنيين[1].

وأضاف ابن باديس رأي ثالث في المسألة، ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢ ﴾ [الفرقان 1-2]حيث اعتبر نزّل المضاعف أبلغ في المعنى من أنزل، لأنه قد يفيد القوة في نزول واحد كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾[الفرقان 32] وعلل ذلك بأن تنزيل الجملة أقوى من إنزال التفصيل.[2]

ولعل القول الثاني هو أرجح الأقوال، وهو الأقرب للصواب، والذي تدل عليه الأدلة.

ثانيا: تنزلات القرآن الكريم:

1-أقوال العلماء في تنزّلات القرآن الكريم

من المسائل أيضًا التي تتعلق بالتنزيل، مسألة مهمة وهي: كم مرة نزل القرآن الكريم، لاسيما وقد وردت آيات في هذا الشأن ظاهرها التعارض:

فقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ [القدر: 1]، و﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾ [الدخان: 3]، و﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾[البقرة: 185]، تدل على أن القرآن نزل في شهر رمضان وفي ليلة القدر.

وجاءت آيات أخرى تدل على أن القرآن لم ينزل مرة واحدة وإنما نزل عدة مرات، ومن الأدلة على هذا، قول الله جل وعلا: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾[الإسراء: 106]، في قراءة جاءت: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾[الإسراء: 106]

---

[1]- ينظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط: 1420، 168/1.

[2]- ينظر: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ابن باديسن، عبد الحميد محمد الصنهاجي، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1: 1416هـ-1995م، 153/1.

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾ [الفرقان: 32]، يعني إنا نزلناه منجما في أوقات مختلفة لنثبت فؤادك يا محمد.

وقوله تعالى: ﴿ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ٢٢ ﴾ [سورة البروج 21-22]

وقوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥ ﴾[الشعراء: 193-195]

فهذه الآيات كما ذكر أهل العلم ظاهرها التعارض[1]، هذا التعارض أو هذا الظاهر أشكل على أحد التابعين، واسمه عطية بن الأسود، حيث جاء إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وطرح عليه هذا الإشكال، فعنِ ابنِ عبَّاسٍ أنَّهُ سألَهُ عطيَّةُ بنُ الأسوَدِ، فقال: وقعَ في قَلبي الشَّكُّ: قولُ اللَّهِ تعالى: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ ﴾[البقرة: 185] وقولُهُ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ ﴾ [الدخان: 03] وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ [القدر: 01] وقَد أُنزِلَ في شوَّالَ، وفي ذي القِعدَةِ، وفي ذي الحِجَّةِ، وفي المحرَّمِ، وصفَرَ، وشهرِ رَبيعٍ ؟ فقالَ ابنُ عبَّاسٍ: إنه أُنْزِلَ في رمضانَ في ليلةِ القدرِ وفي ليلةٍ مباركَةٍ جملةً واحدةً، ثمَّ أُنْزِلَ على مواقعِ النُّجومِ تَرتيلًا في الشُّهورِ والأيَّامِ"[2].

وبعد نظر أهل العلم في هذه الآيات والآثار الواردة عن الصحابة رضي الله عنهم في هذه المسألة، اختلفوا على أقوال ذكرت بأدلتها في تصانيفهم[3]، وملخصها كالآتي[4]:

1- أن للقرآن تنزلين، نزول جملة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا في ليلة القدر المباركة من شهر رمضان الكريم، ونزول منجم على الرسول ﷺ.

---

[1]- ينظر: تاريخ نزول القرآن، محمد رأفت سعيد، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط1: 1422هـ-2002م، ص37. ونزول القرآن الكريم وتاريخه وما يتعلق به، محمد عمر حويه، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، د.ط، د.ت، ص14.

[2]- عمدة التفسير عن الحافظ بن كثير، اختصار وتحقيق: أحمد شاكر، دار التراث، د.ط، د.ت، ص203-204، والحديث رواه الطبراني في المعجم الكبير، والبيهقي في الأسماء والصفات وهو حديث ضعيف، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره ، رقم 1650، 310/1.

[3]- ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، بدر الدين محمد بن بهاء، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1: 1428هـ/2007م، 228/1، والإتقان في علوم القرآن، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، تح: طه عبد الرؤوف سعد، مصر القاهرة، المكتبة التوفيقية، ط1، د.ت، ص 146-155، ومناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، محمد عبد العظيم، لبنان، بيروت، المكتبة العصرية، ط: 1429هـ/2008م، 44/1-46.

[4]- ينظر: نزول القرآن الكريم، الشايع، ص15-40.

2-أن للقرآن نزولا واحدا هو النزول المنجم على النبي ﷺ.

3-أنه أنزل إلى السماء الدنيا في عشرين ليلة قَدرٍ في كل ليلة قَدرٍ ينزل ما يقدِّر الله إنزالَه في كل السنة ثم نزل بعد ذلك على النبي ﷺ منجما مدة بعثته.

4-أن القرآن نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ وأن الحفظة نجمته على جبريل في عشرين ليلة، وأن جبريل نجمه على النبي ﷺ في عشرين سنة.

والقول الأول هو الراجح عند أكثر أهل العلم، قال الزركشي في البرهان: " والقول الأول أشهر وأصح، وإليه ذهب الأكثرون "[1].

2-نزول القرآن منجما والحكمة منه:

نزل القرآن الكريم على النبي ﷺ، منجما في مدة بعثته، ولذلك فوائد وحكم، ذكر الزركشي(ت:794هـ) والسيوطي(ت: 911هـ) منها فائدتين[2] هما:

✓ تثبيت فؤاد الرسول ﷺ: قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾ [الفرقان: 32]

✓ تيسير حفظه وفهمه: قال تعالى: ﴿ وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴾ [الإسراء: 106].

وزاد الزرقاني(ت:1367هـ)[3] فوائد أخرى منها:

✓ التدرج في تربية هذه الأمة الناشئة علما وعملا.

✓ مسايرة الحوادث والطوارئ، وبيان حكم الله فيها، وتصحيح الأغلاط في حينها، وكشف أحوال المنافقين.

✓ الإرشاد إلى مصدر القرآن الكريم: وأنه كلام الله وحده، فرغم نزوله مفرقا الا أن لا تكاد تجد بين

---

[1]-البرهان، الزركشي، ص132.

[2]-البرهان، الزركشي، ص134، الإتقان، السيوطي، 130/1.

[3]- مناهل العرفان، الزرقاني، 58/1-65.

أجزائه تفكك ولاتخادل..وجاء آخره مساوقا لأوله وبدا أوله مواتيالآخره.

وأردف أحد الباحثين[1] الإضافات الآتية:

- ✓ التحدي والإعجاز: حيث أن مدة نزوله منجما دليلا قويا على عجز الناس عن الاتيان مثله.
- ✓ التدرج في التشريع: رحمة بالناس وأدعى لامتثالهم، وأقوم لتربيتهم، فلو نزلت الأحكام جملة لشق عليهم، ولما اذعنوا له، بل لأعرضوا عنه.

ورد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "...إنما نزل من القرآن أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيئ لا تشربوا الخمر، لقالوا لا ندع الخمر أبدا، ولو نزل لا تزنوا، لقالوا لاندع الزنى أبدا.."[2]

ثالثا: ترتيب القرآن الكريم

ترتيب القرآن أو تأليف[3] القرآن كما كان يسمى في المصنفات القديمه، يراد به جمع وترتيب آيات السورة الواحدة، وطريقة ترتيب السور في المصحف.[4]

وجاء هذا الاستعمال على لسان زيد بن ثابت في قوله: "كنا عند رسول الله ﷺ نؤلّف القرآن من الرقاع" وقال البيهقي معلقا عليه أنه قصد جمع الآيات المتفرقة في سورها بإشارة من النبي ﷺ[5].

ومعلوم أن القرآن الكريم كتب في مصحف واحد في عهد أبي بكر الصديق، ورتّبت سوره على غير ترتيب نزولها، فابتدأ بالفاتحة التي لم تكن أول مانزل، ثم سورة البقرة التي اتفق على نزولها في المدينة المنورة، بينما وضعت "اقرأ" وهي أول مانزل في الحزب الأخير من القرآن، وهكذا لم يلتزم بترتيب النزول،

---

[1]- ينظر: نزول القرآن الكريم، الشايع، ص45-46.

[2]-صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، ح(4993). 185/6.

[3]-كلمة (تأليف) مصدر للفعل ألّف، يقال في اللغة: ألّفت بينهم، إذا جمعت بينهم بعد تفرق، وألّفت الشيء تأليفا، إذا وصلت بعضه ببعض، ومنه تأليف الكتب. لسان العرب، لان منظور، جمال الدين محمد، دار صادر بيروت، لبنان، ط1: 1997م، باب الألف، 360/10.

[4]- فتح الباري، ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، رتبه: محمد فؤاد عبد الباقي، صححه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط: 1379هـ، 9/ 39.

[5]- دلائل النبوة، البيهقي، أحمد بن الحسين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1405هـ، 147/7.

فكان بذلك ترتيبان للقرآن الكريم، ترتيب وفق نزول القرآن منجما طيلة ثلاث وعشرين سنة، وترتيب مصحفي مخالفا له.

عن ابن سيرين، قال: قلتُ لعكرمة: ألَّفوه كما أنزل؛ الأوَّلَ فالأوَّلَ؟ فقال عكرمة: لو اجتمع الإنس والجن على أن يؤلفوه ذلك التأليف ما استطاعوا"[1].

والسؤال الذي يطرح نفسه: هل هذا الترتيب توقيفي أم اجتهادي؟وما الحكمة من ترتيب المصحف على غير ترتيب نزوله؟ وهل يمكن معرفة ترتيب النزول؟ هذا ما سنتطرق له في المباحث الموالية.

1-ترتيب الآيات وحكم الالتزام به:

ترافدت الآثار المروية عن النبي ﷺوصحابته الكرام -رضي الله عنهم- على أن ترتيب الآيات في السور توقيفي، فقد كان للنبي كتبة للوحي، يأمرهم بكتابة ما نزل من الآيات ويدلّهم على موضعه من السورة.

والأحاديث في إثبات ذلك كثيرة جداً تفوق حد التواتر، إلا أننا سنذكر بعضا منها:

1-أخرج البخاري عن عبد الله بن الزبير قال: قلت لعثمان: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾ [البقرة: 234] قد نسختها الآية الأخرى، فلم تكتبها أو تدعها؟ قال: " يا ابن أخي لا أغيرّ شيئاً منه من مكانه".[2]

2-وأخرج الإمام أحمد عن عثمان بن أبي العاص قال: "كنت عند رسول الله ﷺ جالسا إذ شَخَص ببصره ثم صوَّبه، حتى كاد أن يلزقه بالأرض، قال: ثم شخص ببصره فقال:" أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ "[النحل: 90] إلى آخرها"[3].

3-وروى مسلم عن عمر بن الخطاب ضي الله عنه قال: ".. ما راجعت الرسول ﷺ في شيء ما

---

[1]-فضائل القرآن، ابن الضريس، محمد بن أيوب، تح: غزوة بدير، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1: 1408هـ-1987م، ص35.

[2]-أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا)، ح(4530)، 29/6.

[3] - أخرجه أحمد في مسنده، مسند الشاميين، حديث عثمان بن أبي العاص عن النبي، ح (17918)، 441/29، وحسن إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب التفسير، باب سورة النحل، ح(11120)، 48/7.

راجعته في الكلالة، حتى طعن بإصبعه في صدري، وقال:"يا عمر ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء.."[1].

هذا وقد انعقد إجماع أهل العلم على توقيفية ترتيب الآيات في سورها، منهم الزركشي(ت: 794هـ)، والسيوطي(ت: 911هـ) والباقلاني(ت: 403هـ) وغيرهم.

قال الزركشي(ت: 794هـ) في البرهان:

"وأما ما يتعلق بترتيبه، فأما الآيات في كل سورة ووضع البسملة أوائلها فترتيبها توقيفي بلا شك، ولا خلاف فيه، ولهذا لا يجوز تعكيسها"[2]

وقال أبو جعفر بن الزبير(ت:708هـ) في مناسباته: "ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه ﷺ وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين"[3]

قال السيوطي(ت: 911هـ) في الإتقان:

"الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة في ذلك"[4].

وهذه الأدلة واضحة كل الوضوح ومؤكدة كل التأكيد أن ترتيب الآيات توقيفي، ولا مجال للاجتهاد في ذلك، بل لا يتصور الاجتهاد في مجال ترتيب الآيات لوضوح النصوص المؤكدة للتوقيف، وهذاما جعلني أوجز القول فيه.

وبناء على ماتقدم حرّم العلماء مخالفة ترتيب الآيات في سورها، منهم القاضي أبو بكر الباقلاني(ت: 403هـ) حيث قال:"..واتفقت الأمة على وجوب ترتيب الآيات وحظر تقديم بعضها على بعض، وتغييرها في الكتابة، والتلاوة وغير ذلك."[5]

وابن كثير(ت: 774هـ) بقوله بعدما ذكر أدلة توقيفية ترتيب الآيات:" ..ولهذا ليس لأحد أن يقرأ القرآن إلا مرتبا آياته، فإن نكسه أخطأ خطأ كبيرًا، وأما ترتيب السور فمستحب، اقتداء بعثمان – رضى الله عنه، والأولى إذا قرأ أن يقرأ متواليا."[6]

---

[1] –أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفرائض، باب ميراث الكلالة، ح(1617)، 1236/3.

[2]–البرهان، الزركشي، 148/1.

[3]– البرهان في تناسب سور القرآن، الثقفي، أحمد بن ابراهيم بن الزبير، تح: سعيد بن جمعة الفلاح، تونس، دار ابن الجوزية، ط1: 1428هـ، ص49.

[4]– الاتقان، السيوطي، 178/1.

[5]–الانتصار للقرآن، الباقلاني، القاضي أبي بكر ابن الطيب 403هـ، الأردن عمان، دار الفتح ولبنان، بيروت، دارابن حزم، ط1: 1422هـ/2001م، 281/1.

[6]– فضائل القرآن، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، مكتبة ابن تيمية، ط1: 1416 ، ص73.

وابن عثيمين الذي ذكر في تفسيره أن ترتيب الآيات بحيث تكون كل آية في موضعها من السورة، ثابت بالنص والإجماع، وهو واجب على القول الراجح وتحرم مخالفته ولا يجوز أن يقرأ: مالك يوم الدين الرحمن الرحيم بدلاً من: (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)[1]

2-ترتيب السور في المصحف وحكم الالتزام به:

ترتيب السور على ماهي عليه في المصحف اليوم، له ارتباط بمباحث جمع القرآن في عهد النبي وعهد الخليفتين أبي بكر وعثمان-رضي الله عنهما- فالقرآن الكريم لم يجمع في عهد النبي ﷺ في مصحف واحد لئلا يفضي إلى تغييره كل مرة، فلهذا تأخر جمعه إلى أن كمل نزول القرآن بموته ﷺ فجمعه أبي بكر الصديق بعده، ثم نسخ عثمان رضي الله عنهما المصاحف التي بعث بها إلى الأمصار. ولايتسع المجال هنا لبسط القول في جمع القرآن[2]، فما يهمنا هنا هو الوقوف على ترتيب السور في المصحف، هل هو توقيفي، أي رتّبت سوره بوحي من الله، وبأمر من الرسول، فلا يجوز تجاوزه والعدول عنه، أم هو اجتهادي، من قبل الصحابة، فلا يلزم الالتزام به، ويمكن العدول عنه إلى ترتيب النزول؟

اختلف العلماء القدامى والمعاصرين في ترتيب سور القرآن اختلافا كبيرا، وتعددت آراؤهم، وذلك بسبب ما ورد من روايات مأثورة، احتج بها كل فريق على ما ذهب إليه في ترتيب القرآن من حيث هو توقيفي أو اجتهادي.

و يمكن حصر آراء العلماء في ثلاثة أقوال وهي كالآتي:

القول الأول: أنه بتوقيف من النبي ﷺ

القول الثاني: أنه باجتهاد الصحابة رضي الله عنهم

القول الثالث: أن بعضه توقيفي وبعضه اجتهادي

---

[1]-تفسير الفاتحة والبقرة، العثيمين، محمد بن صالح بن محمد، ، دار ابن الجوزية ، المملكة العربية السعودية ، ط1: 1423هـ، ص21

[2]- ينظر: البرهان للزركشي، والإتقان للسيوطي، ومباحث في علوم القرآن لمناع القطان، وغيرها من كتب علوم القرآن.

وقد ناقش أهل العلم أدلة كل فريق، والخلاف ما زال قائما إلى يومنا هذا، ولم يحسم بعد، فمنهم من انتهى بالقول بتوقيف الترتيب كمساعد الطيار في كتابه: المحرر في علوم القرآن، ومنهم من انتهى بالقول بالاجتهاد كالجديع في كتابه مقدمات أساسية في علوم القرآن.

– القائلين بالتوقيف وأدلتهم:

ذهب فريق من المحققين إلى القول بأن القرآن كان مرتب السور، كما كان مرتب الآيات على هذا الترتيب الذي بين أيدينا اليوم، منهم: الكرماني، وأبو بكر الأنباري، أبو جعفر النحاس، وغيرهم.

–وهذه بعض أقوالهم:

قال الكِرْماني (ت: 280هـ): " ترتيب السور هكذا هو عند الله تعالى في اللوح المحفوظ"[1].

وقال أبو بكر بن الأنباري (ت328هـ): " أنزل القرآن كله إلى سماء الدنيا، ثم فرِّق في بضعٍ وعشرين، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث، والآية جوابًا لمستخبر، ويقف جبريلُ النبيَّ على موضع السورة والآية، فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف، كله عن النبي، فمن قَدَّم سورة أو أخَّرَها، فقد أفسد نظم الآيات"[2].

وقال أبو جعفر النحاس (ت: 338هـ):"فهذا تأليف من لفظ رسول الله ﷺ وهذا أصل من أصول المسلمين لا يسعهم جهله لأن تأليف القرآن من إعجازه ولو كان التأليف عن غير الله جل وعز ورول الله ﷺ لسُوعد بعض الملحدين على طعنهم".[3]

ومما استدل من ذهب إلى التوقيف بما يلي:

1– ما رواه مسلم بسنده عن أبي أُمامة الباهليرضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرؤوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما،

---

[1]– البرهان، الزركشي، ص150.

[2]– ينظر: البرهان، الزركشي، ص150، والإتقان، السيوطي، 183/1.

[3]– الناسخ والمنسوخ، النحاس، أبوجعفر أحمد بن محمد النحوي، تح: محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح، الكويت، ط1: 1408، ص482.

اقرؤوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة"[1].

2-و ما ورد عن ابن مسعود ﷺ، قال: "بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء هن من العِتاق الأُول، وهن من تِلادِي".[2]

3-وماروى أبو داود الطيالسي وغيره بأسانيدهم عن عبد الله بن أوس بن حذيفة، وكان في وفد ثقيف الذين وفدوا على رسول الله، وفيه: سألت أصحاب رسول الله كيف يحزبون القرآن؟ قالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة وحزب المفصل" [3].

4- ما رواه الإمام أحمد بسنده عن واثلة بن الأسقع ﷺ أن النبي ﷺ قال:"أعطيت مكان التوراة السبع وأعطيت مكان الزبور المئين وأعطيت مكان الإنجيل المثاني وفضلت بالمفصل"[4].

5- قال السيوطي: "ومِمَّا يدل على أنه توقيفي كون الحواميم رتبت ولاءً، وكذا الطواسين، ولم ترتب المسبحات ولاءً، بل فصل بين سورها، وفصل بين (طسم) الشعراء و(طسم) القصص بـ (طس) مع أنها أقصر منهما، ولو كان الترتيب اجتهاديًّا لذكرت المسبحات ولاءً، وأُخِّرت (طس) عن القصص.

6-عدم ترتيبه على النُّزول، بحيث يقدم المكي على المدني[5].

7- التناسب بين السورة وما قبها وما بعدها إلى حدّ الجزم بإعجاز هذا الترتيب، وفي ذلك يقول الزركشي: " وإذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها، ثم هو يخفى تارة ويظهر أخرى، كافتتاح سورة الأنعام بالحمد، فإنه مناسب لختام سورة المائدة من فصل القضاء كما قال تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الزمر: 75] "[6].

---

[1]- أخرجه مسلم في صحيحه، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، ح: (252)، 553/1.

[2]- أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، ح: 4994، 185/6. ومعنى (العتاق الأول) أي من قديم ما نزل، وقوله: (هم من تلادي) أي من قديم ما قنيت وحفظت، والتالد في اللغة: قديم المال والمتاع، ينظر: فضائل القرآن لابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي، مكتبة ابن تيمية، ط1: 1416هـ ص146.

[3]- مسند أبي داود، باب تحزيب القرآن، ح(1108)، 55/2، والمعجم الكبير للطبراني، كتاب عمرو بن أوس، ح(87)، 41/17.

[4]-مسند أحمد، حديث واثلة بن الأسقع، ح(16982)، 188/28.

[5]-المحرر في علوم القرآن، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبين ط2: 1429هـ-2008م، ص199.

[6]-البرهان، الزركشي، 151/1.

8-إجماع الصحابة على مصحف عثمان واحراق ما سواها، دون مخالفة أحد منهم دليل على أن اجماعهم لم يتم الا لِكوْن ترتيب السور كان بإرشاد من النبي ﷺ [1].

القائلون بالاجتهاد وأدلتهم:

وممَّن ذهب هذا المذهب الإمام مالكٌ (ت: 179هـ)، والقاضي أبو بكر الباقلاني(ت: 403هـ)، وابن تيمية (ت: 728هـ)، وابن فارس (ت: 395هـ)، وابن كثير (ت: 774هـ) وغيرهم.

يقول الباقلاني (ت: 403):"..فكذلك لو كان منه ﷺ توقيف على ترتيب سور القرآن لنُقِل ذلك عنه، وعُرف من دينه، ولم يُختَلف في تأليف السور في المصاحف الاختلاف الذي قدّمناه، فوجب بذلك أنه لا توقيف من الرسولﷺ على ترتيب تأليف سور القرآن".[2]

وقال الزركشي (ت:794هـ): "قال ابن فارسٍ في كتاب المسائل الخمس: "جمع القرآن على ضربين: أحدهما: تأليف السور، كتقديم السبع الطُّوال، وتعقيبها بالْمئين، فهذا الضرب هو الذي تولاه الصحابة" [3].

وقال ابن كثير (ت:774هـ):"وأما ترتيب السور فمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان -رضى الله عنه"[4].

وقال ابن تيمية (ت:728هـ):"..كما أن ترتِيب السور لم يكن واجبا عليهم منصوصا بل مُفوَّضا إلى اجتهادهم"[5].

أما ما استدل به القائلون بالاجتهاد، مايلي:

1- ما رواه يزيد الفارسي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "قلت لعثمان ﷺ ما حملكم أن عمدتم إلى براءة وهي من المئين وإلى الأنفال وهي من المثاني، فقرنتم بينها، ولم تجعلوا بينهما سطراً فيه

---

[1]- مناهل العرفان، الزرقاني، 321/1.

[2]- الانتصار للقرآن، الباقلاني، 281/1.

[3]-البرهان، 258/1-259.

[4]- فضائل القرآن، ابن كثير، ص73.

[5]-الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد، دار الكتب العلمية، ط1: 1408-1987م، 419/4.

بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتموها في السبع الطوال ما حملكم على ذلك؟ فقال عثمان ﷺ: إن رسول الله ﷺ كان مما ينْزل عليه من السور التي يذكر فيها كذا وكذا، فإذا أنزلت عليه الآيات يقول: ضعوا هذه الآيات في موضع كذا وكذا، فإذا نزلت عليه السورة يقول ضعوا هذه في موضع كذا وكذا، وكانت الأنفال أول ما أنزل عليه بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً، وكانت قصتها تشبه قصتها فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين أمرها، فظننت أنها منها، من أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أجعل بينهما سطراً فيه بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتها في السبع الطوال" [1].

2- وماثبت أن رسول الله ﷺ قدم سورة النساء على آل عمران في قراءة الصلاة، فعن حذيفة ﷺ قال: "أتيت النبي ﷺ في ليلة من رمضان فقام يصلي فلما كبر قال: الله أكبر ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة، ثم قرأ البقرة ثم النساء ثم آل عمران، لا يمر بآية تخويف إلا وقف عندها".[2]

3- وحديث عائشة رضي الله عنها إذ جاءها عراقيّ، فقال: أي الكفن خير؟ قالت: "ويحك وما يضرك؟ قال: يا أم المؤمنين أريني مصحفك، قالت: ولم، قال: لعلي أؤلف القرآن عليه فإنه يقرأ غير مؤلف، قالت: "وما يضرك أيه قرأت قبلُ، إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل أول شيئ لا تشربوا الخمر، لقالوا لا ندع الخمر أبدا، ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنا أبدا، لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر)، وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده، قال فأخرجت له المصحف[3]".

4- أن مصاحف الصحابة تخالف مصحف عثمان ﷺ في ترتيب السور، فمن ذلك أن مصحف أُبَيِّ بن كعب قدمت فيه النساء على آل عمران، ثم تلت آل عمران سورة الأنعام، ثم الأعراف ثم المائدة...ومصحف ابن مسعود كان مبدوءا بالبقرة، ثم النساء، ثم آل عمران، ثم الأعراف، ثم الأنعام ... الخ ما فيهما من خلاف مصاحفنا اليوم، وروي أن مصحف علي كان مرتبًا على النزول، فأوله

---

[1]- مسند أحمد، مسند عثمان بن عفان، ح(399)، 332/1-334، وأبو داود برقم (786) 208/1، والترمذي في سننه برقم(3086) والبيهقي برقم (2376) 63/2، والحاكم في المستدرك برقم(2915) وقال صحيح على شرط الشيخين.

[2]- أخرجه أحمد برقم(23399) 406/38، وصححه الألباني في إرواء الغليل (2/41).

[3]-أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، ح(4993) 185/6.

سورة العلق، ثم المدثر، ثم ق، ثم المزمل ثم تبت، ثم التكوير، وهكذا إلى آخر المكي والمدني[1].

القول الثالث: أن ترتيب بعض السور كان بتوقيف من النبي ﷺ وعلم ذلك في حياته، وأن ترتيب بعض السور كان باجتهاد من الصحابة رضي الله عنهم.

واستدلوا على ذلك بورود أحاديث تفيد ترتيب بعض السور، كالأدلة التي احتج بِها القائلون بالتوقيف، وحديث ابن عباس عن عثمان السابق، الذي يفيد أنه اجتهادي.

قال السيوطي (ت: 911هـ): "والذي ينشرح له الصدر ما ذهب إليه البيهقي، وهو أن جميع السور ترتيبها توقيفي، إلا براءة والأنفال"[2].

الخلاصة:

خلاصة القول في المسألة هو أن ترتيب السور توقيفي، ليس لأحد فيه اجتهاد، ذلك لقوة ووضوح أدلة هذا المذهب، وقد "سئل ربيعة الرأي: لم قُدِّمت البقرة وآل عمران، وقد نزل قبلهما بضعٌ وثمانون سورة بمكة، وإنَّما أنزلتا بالمدينة؟ فقال: قُدِّمتا، وأُلِّف القرآن على علم ممن ألَّفه به، ومن كان معه فيه، واجتماعهم على علمهم بذلك، فهذا مِمَّا يُنْتَهى إليه، ولا يُسْأل عنه"[3].

وسواء كان هذا التوقيف بقول مباشر من النبيﷺ، أو باتباع فعله، وهو ماذهب إليه ابن الزبير(ت: 708هـ) في البرهان، بعدما ذكر الخلاف في المسألة، حيث قال: " فكيف مادار الأمر فمنه ﷺ عرف ترتيب السور، وعلى ما سمعوه منه بنوا جليل ذلك النظر، فإذا إنما الخلاف هل ذلك بتوقيف قولي أو بمجرد استناد فعلي، بحيث بقي لهم فيه مجال للنظر؟ فهذا موضع الخلاف"[4].

فالقائلين بالإجتهاد لم ينفوا أن يكون الصحابة رضي الله عنهم قد تعلموه من قراءة النبي ﷺوما يعضد هذا المسلك ضعف أدلة القول بالاجتهاد، كما سنبينه فيما يلي:

---

[1]-ينظر: الاتقان، السيوطي، 183/1.

[2]- نفسه، 185/1، ودلائل النبوة للبيهقي، 152/7.

[3]- الإتقان، السيوطي، 179/1.

[4]- البرهان في ترتيب سور القرآن، الغرناطي، أبي جعفر بن الزبير، تح: محمد شعباني، ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط: 1410-1990، ص183.

1- ضعف حديث ابن عباس في سؤاله عثمان رضي الله عنهما سندا ومتنا:

فهذا الأثر أخرجه ابن حبان والحاكم وأبو داود والترمذي والنسائي والبيهقي وأحمد والطبراني في الأوسط والطحاوي وابن جرير، وهذا الجانب من المسألة قد بسط أهل العلم من أئمة الحديث البحث فيه، فحصروا طرق الأثر ونقدوها وبينوا درجتها، وملخص كلامهم أن ابن حبان والحاكم حكما بصحته، وحسنة الترمذي وابن حجر، وممن صححه من المعاصرين عبد الله الجديع في كتابه "مقدمات أساسية"، وانتصر له بقوة وأطال فيه، وذلك في بحثه في ترتيب الآيات والسور، وممن ضعفه من المعاصرين أحمد شاكر[1] والأرناؤوط والألباني.

ومن صح عندهم الحديث قالوا أن جميع القرآن ترتيبه توقيفي ماعدا الأنفال وبراءة، أو أن بعضه كان مرتبا في عهده ﷺ وبعضه لم يكن مرتب.

وقد ذكر السيوطي (ت911هـ) أن البيهقي(ت:458هـ) قال في المدخل:"كان القرآن على عهد النبي مرتباً سوره وآياته على هذا الترتيب إلا الأنفال وبراءة لحديث عثمان السابق".[2]

وفي السياق نفسه، ذكر ابن عطية(ت: 542هـ) أن كثيراً من السور كان قد عُلِمَ ترتيبها في حياته كالسبع الطوال والحواميم والمفصل، وإن ما سوى ذلك يمكن أن يكون قد فوض الأمر فيه إلى الأمة بعده[3].

وعليه فإنه إذا كان النبي ﷺ قد علّم الصحابة ترتيب أكثر السور، ألا يحتمل أن يكون قد علمهم ترتيب جميع السور؟

وعلق مساعد الطيار على متن حديث ابن عباس في سؤاله عثمان رضي الله عنهما، أن فيه إشكال من جهات، منها[4]:

أ- أنه مما اتُّفق عليه عدم نزول البسملة مع سورة براءة، وقد علل العلماء ذلك بتعليلات غير التعليل الوارد في الأثر[5].

---

[1]- ينظر: تعليق أحمد شاكر على الحديث رقم 399، في مسند أحمد، 332/1-334.

[2] -الإتقان، السيوطي، 218/1.

[3]- المحرر الوجيز، ابن عطية، 54/1.

[4]-ينظر: المحرر في علوم القرآن، مساعد الطيار، مركز الدراسات والمعلومات بمعهد الإمام الشاطبي، ط2: 1429هـ-2008م، ص201.

[5]- ينظر: البرهان، للزركشي، 263/2.

ب- أن سورة الأنفال ليست أول ما نزل في المدينة، فهي نزلت بعد غزوة بدر، فلا يتصور أن يخفى هذا على عثمان ﷺ وهو من علماء القرآن.

إضافة إلى ذلك فالحديث فيه تشكيك-كما بين أحمد شاكر- في معرفة سور القرآن الثابتة بالتواتر القطعي، قراءة وسماعا وكتابة في المصحف، لذا حكم عليه بأنه حديث لاأصل له لمنافاته لدلالة الكتاب القطعية، والسنة المتواترة، والإجماع القطعي[1].

وبهذا تبين أن هذا الحديث يحمل دلالات تقدح في سلامة القرآن من التغيير، كتصرف عثمان في ترتيب السور، وإثبات البسملة ونفيها، ووفاة النبي ﷺ وعدم تبيينه في هذه المسألة الجليلة، الأمر الذي يرجح تضعيفه على تصحيحه لقطع السبيل عن الطاعنين في كتاب الله، والله أعلم.

2- أما استدلالهم بقراءة النبي ﷺ في صلاته بالبقرة ثم النساء ثم آل عمران فهو من بيان جواز القراءة على غير ترتيبها، وقد نص على ذلك السيوطي بقوله: "ولاينبغي أن يستدل بقراءته ﷺ سورا ولاء على أن ترتيبها كذلك، وحينئذ فلا يرد حديث قراءته النساء قبل آل عمران، لأن ترتيب السور في القراءة ليس واجب، فلعله فعل ذلك لبيان الجواز"[2].

3- أما حديث يوسف بن ماهك عن عَائِشَةَ -رَضِي الله عَنْهَا- فيرد عليه بأن هذا العراقي إنَّما سأل عن ترتيب السور، وكان هذا قبل أن يبعث عثمان ﷺ إلى الآفاق بالمصاحف الأئمة المؤلفة على هذا الترتيب المشهور اليوم، وقبل الالزام به.[3]

4-أمامن يحتج بكون المسألة اجتهادية باختلاف مصاحف الصحابة، مصحف أُبي، ومصحف ابن مسعود، ومصحف علي رضي الله تعالى عنهم..فردّ عليه بأن هذا كان قبل الإجماع على مصحف عثمان رضي الله تعالى عنه، حيث كان كل صحابي يكتب لنفسه ولم يلزم أحدا بما كتب، لذلك وجد فيها المنسوخ وبعض التأويلات..وأما بعد ما وضع المصحف ورتبه عثمان على ما هو معلوم ومتقرر من ترتيب النبي ﷺ كلهم رجعوا ورتبوا مصاحفهم على مصحف عثمان رضي الله تعالى عنه، ولم يعلم له

---

[1]-ينظر: تعليق أحمد شاكر على الحديث رقم:(399) في مسند أحمد.

[2]-الإتقان، السيوطي، 186/1.

[3]- ينظر: فضائل القرآن لابن كثير، ص142.

مخالف[1]، بدليل أنه أحرق باقي الصحف على مرأى ومسمع من الصحابة ولم يعترض منهم أحد.[2]

ومما يؤكد ذلك أن تلك المصاحف المنسوبة للصحابة، إما مفقودة كمصحف علي، وإما مختلفة فيما بينها كالمصاحف المنسوبة لعبد الله ابن مسعود[3].

5-أما الذين يرون بالتفصيل، أي أن ترتيب بعضه توقيفي وبعضه اجتهادي فيلاحظ أنهم لاينكرون التوقيف، وان اختلفوا في مقدار ما كان ترتيبه بالاجتهاد[4]، وهذا ما جعل الزركشي (ت794هـ) يذهب إلى إن الخلاف بين الفريقين لفظيٌّ، فقال:"والخلاف يرجع إلى اللفظ؛ لأن القائل بالثاني يقول: إنه رمز إليهم بذلك لعلمهم بأسباب نزوله ومواقع كلماته، ولهذا قال مالك: إنما ألَّفوا القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبي ﷺ؛ مع قوله بأن ترتيب السور باجتهاد منهم، فآل الخلاف إلى أنه هل هو بتوقيف قولي أو بمجرد استناد فعلي، وبحيث بقي لهم فيه مجال للنظر؟" [5].

3-حكم مخالفة ترتيب المصحف:

إن هذا الترتيب الذي نجده في المصاحف، مبدوءا بسورة الفاتحة، ومختتما بسورة الناس، قد تم كما في العهد النبوي وفي الصدر الأول من الإسلام، ومضت الأمة على الالتزام بالعمل به هذه القرون المتطاولة من الزمان فصار العمل به والوقوف عنده لازما لا يجوز التحوّل عنه أو المصير إلى غيره، بل لا يجوز ذلك حتى لو كان مستند هذا الترتيب اجتهاد الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين[6].

أما تلاوة القرآن في الصلاة، وتعليم سوره في المساجد أو دور العلم، فيجوز فيهما مخالفة هذا الترتيب؛ قال أبو الحسن بن بطّال: "ولا يعلم أن أحدا قال: إن ترتيب ذلك واجب في الصلاة، وفي قراءة القرآن ودرسه، وأنه لا يحل لأحد أن يتلقن الكهف قبل البقرة، ولا الحج قبل الكهف، ألا ترى قول عائشة رضي الله عنها للذي سألها: لا يضرّك أيّة قرأت قبل، وقد كان النبيّ ﷺ يقرأ في الصلاة

---

[1]- إلا ما كان من عبد الله ابن مسعود الذي روي أنه رفض إحراق مصحفه حين وصل المصحف المرسل إلى الكوفة من المدينة، ثم رضي وتابع إجماع الصحابة، ينظر كتاب السنن للترمذي، 266/5، وكتاب المصاحف، لابن أبي داود، ص17-18.

[2]-ينظر: إتقان البرهان في علوم القرآن، فضل عباس، ص456-457.

[3]- ينظر: الفهرست، ابن النديم، محمد بن إسحاق، بن الوراق، دارالمعرفة بيروت، لبنان، ط2: 1417هـ-1997م، ص44.

[4]- المحرر، مساعد الطيار، ص200.

[5]- البرهان، للزركشي، 257/2.

[6]- ينظر المدخل في تفسير القرآن وعلومه، عدنان محمد زرزور، ص140، وعلوم القرآن، نور الدين عتر، ص45.

السورة في ركعة، ثم يقرأ في ركعة أخرى بغير السورة التي تليها"[1].

أما النهي عن التنكيس الوارد في حديث ابن مسعود، فالمراد به قراءة السورة من آخرها إلى أولها، وهذا ما بينه ابن بطال بقوله: "وأما ما روي عن ابن مسعود وابن عمر أنهما كرها أن يقرأ القرآن منكوسا، وقالا: ذلك منكوس القلب! فإنما عنيا بذلك من يقرأ السورة- الواحدة- منكوسة، ويبتدئ من آخرها إلى أولها، لأن ذلك حرام محظور... وفيه إفساد للسورة ومخالفة لما قصد بها".[2]

وذهب بعضهم إلى استحباب قراءة ترتيب السور في القراءة كما هي في المصحف، قال ابن قدامة (ت: 620هـ) في المغني:" والمستحب أن يقرأ في الركعة الثانية بسورة بعد السورة التي قرأها في الركعة الأولى في النظم، لأن ذلك هو المنقول عن النبيّ ﷺ.[3]

وقَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ (ت: 544هـ):"والذي نقوله إن ترتيب السور ليس بواجب في الكتابة ولا في الصلاة ولا في الدرس ولا في التلقين والتعليم وأنه لم يكن من النبي ﷺ في ذلك نصّ ولا حدّ تحرم مخالفته..ولا خلاف أنه يجوز للمصلي أن يقرأ في الركعة الثانية سورة قبل التي قرأها في الأولى وإنما يكره ذلك في ركعة ولمن يتلو في غير صلاة"[4].

هذا وإن في ترتيب آيات وسور القرآن الكريم على ماهي عليه في المصحف الشريف، حكم وفوائد لا تعدّ ولاتحصى، قد يظهر بعضها ويخفى بعضها الآخر، لاسيما أنه في غاية الإحكام والاتساق، بل هو وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم، وفي ذلك ألف ابن الزبير الثقفي (ت: 708هـ)كتابه: "البرهان في تناسب سور القرآن"، والبقاعي (ت: 885هـ)كتابه "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور".

---

[1]- شرح صحيح البخاري، باب تاليف القرآن، ابن بطال، ابو الحسن علي بن خلف، تح: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد الرياض السعودية، ط2: 1423هـ-2003م، 239/10.

[2]- الجامع لاحكام القرآنن القرطبي، ابو عبد الله محمد بن احمد، تحقيق: أحمد البرادني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة ط2: 1384هـ-1964، 61/1.

[3]- المغني، ابن قدامة المقدسي، موفق الدين عبد الله بن أحمد، مكتبة القاهرة، د.ط، 1388هـ-1968م، 356/1.

[4]-المنهاج شرح صحيح مسلم، النووي، أبوزكريا محي الدين يحي بن شرف، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2: 1392هـ، 62-61/6.

4- الترتيب الزمني لنزول القرآن الكريم

يعد ترتيب النزول من مسائل علوم القرآن التي لا يمكن معرفتها إلا عن طريق النقل ولا مجال فيها للاجتهاد، لذلك وجب البحث والتنقيب عن الروايات والآثار الواردة في ترتيب السور، ودراستها سندا ومتنا، ليعلم حقيقتها، وإن كان يمكن الإعتماد عليها في تفسير القرآن أم لا، وقد ذكرت في كتب علوم القرآن بطولها، وحيث لايمكننا سردها جميعها خشية الإطالة، اخترنا ذكر الأثر الذي رواه الزهري (ت: 182هـ) باعتباره الأقدم، ومقارنته بما ورد عن ابن الضريس (ت: 294هـ)، وما ورد عن البيهقي (ت: 458هـ)، واختيار هذه الآثار الثلاثة لكونها المصادر الرئيسة لمن جاء بعدهم.

الأثر الذي أورده الزهري (ت: 124هـ):

حدثنا إبراهيم بن الحسين، حدثنا أبو يزيد الهذلي، ثنا الوليد بن محمد الموقّري قال: حدثنا محمد بن مسلم الزهريّ قال: هذا كتاب تنزيل القرآن، وما شاء الله أن يعلم الناس ما أنزل بمكة وما أنزل منه بالمدينة.

فأول ما أنزل الله بمكّة: اقرأ باسم ربك الذي خلق (96)، ثم سورة نون (68)، ثم يا أيها المزمّل (73)، ثم يا أيها المدثر (74)، ثم سورة تبت يدا أبي لهب (111)، ثم إذا الشمس كورت (81)، ثم سورة سبّح اسم ربّك (87)، ثم سورة والليل إذا يغشى (92)، ثم سورة والفجر (89)، ثم سورة والضحى (93).ثم سورة ألم نشرح (94).ثم سورة والعاديات (100).ثم سورة والعصر (103).ثم سورة إنّا أعطيناك الكوثر (108).ثم سورة ألهاكم التكاثر (102).ثم سورة أرأيت (107).ثم سورة قل يا أيّها الكافرون (109).ثم سورة الفيل (105) 19 - ثم سورة الفلق (113).ثم سورة الناس (114).ثم سورة الإخلاص (112).ثم سورة والنجم (53).ثم سورة عبس (80).ثم سورة إنّا أنزلناه (97).ثم سورة والشمس وضحاها (91)ثم سورة البروج (85).ثم سورة والتين والزيتون

ثم سورة القارعة (101).ثم سورة لا أقسم بيوم القيامة (75).ثم سورة والمرسلات (77).ثم سورة قاف والقرآن.

ثم سورة لا أقسم بهذا البلد (90).ثم سورة الطارق (86).ثم سورة صاد (38).ثم سورة المص (7).ثم سورة الجن (72).ثم سورة يس (36).ثم سورة الفرقان (25).ثم سورة فاطر (35).ثم سورة

كهيعص (19).ثم سورة طه (20) ثم سورة الواقعة (56).ثم سورة الشعراء (26).ثم سورة النمل (27).ثم سورة القصص (28).ثم سورة بني إسرائيل (17).ثم سورة يونس (10).ثم سورة هود (11).ثم سورة يوسف (12).ثم سورة الحجر (15).ثم سورة الأنعام (6).ثم سورة والصافات (37).ثم سورة لقمان (31).ثم سورة سبأ (34).ثم سورة الزّمر (39).ثم سورة حم المؤمن (40).ثم حم السجدة (41).ثم حم عسق (42).ثم حم الدخان ثم حم الدخان (44) (44).ثم حم الجاثية (45).ثم حم الأحقاف (46).ثم والذاريات (51).ثم الغاشية (88).ثم سورة الكهف (81).ثم النحل (16).ثم سورة نوح (71).ثم سورة إبراهيم (14).ثم سورة الأنبياء (21).ثم سورة المؤمنون (23).ثم سورة تنزيل السجدة (32).ثم سورة الطور (52).ثم سورة الملك (67).ثم سورة الحاقّة (69).ثم سورة سأل سائ.ثم سورة عم يتساءلون (78).ثم سورة النازعات (79).ثم سورة الانفطار (82).ثم سورة الانشقاق (84).

ثم سورة العنكبوت (29).ثم سورة المطففين (83).ثم يأتي ما أنزل بالمدينة: فعدد ما أنزل بمكة خمس (1) وثمانون سورة، وعدد ما أنزل بالمدينة تسع وعشرون سورة، وهي هذه: فأول ما أنزل بالمدينة الفاتحة (1).ثم سورة البقرة (2).ثم سورة الأنفال (8).ثم سورة آل عمران (3).ثم سورة الأحزاب (3) (33).ثم سورة الممتحنة (60).ثم سورة النساء (4).ثم سورة إذا زلزلت (99).ثم سورة الحديد (57).ثم سورة محمد ﷺ (47).ثم سورة الرعد (13).ثم سورة الرحمن (55).ثم سورة هل أتى على الإنسان (76).ثم سورة الطلاق (65).ثم سورة لم يكن (98).ثم سورة الحشر (59).ثم سورة النصر (110).ثم سورة النور (24)ثم سورة الحج (22).ثم سورة إذا جاءك المنافقون (63).ثم سورة المجادلة (58)ثم سورة الحجرات (49).ثم سورة التحريم (66).ثم سورة الجمعة (62)ثم سورة التغابن (64).ثم سورة الصف (61).ثم سورة الفتح (48).ثم سورة المائدة (5).ثم سورة التوبة (9) وهي آخر ما نزل من القرآن[1].

بالنظر والمقارنة بين الروايات الثلاث الواردة في ترتيب النزول، يمكن تسجيل الملاحظات التالية:

- أن الاختلاف بينها واضح.

[1]-الناسخ والمنسوخ، وتنزيل القرآن بمكة والمدينة، الزهري، محمد بن مسلم بن عبد الله بن شِهَاب، تح: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، ط3، 1418 هـ - 1998 م، ص37، وذكر المحقق أن الأرقام تدل على الترتيب المصحفي للسور.

-أن في بعضها إسقاط لبعض السور من الترتيب.

-وجود توافق في الترتيب بينها من العلق إلى التين 27سورة ما عدا العصر والعاديات، ثم يختلف ترتيب باقي السور المكية، فمثلا نأخد ثلاثة سور من 38 إلى40

الترتيب في رواية الزهري	الترتيب في رواية ابن الضريس	الترتيب في رواية البيهقي
الفرقان	الأعراف	الجن
فاطر	الجن	يس
مريم	يس	الفرقان

- ونلاحظ أن آخر السور المكية يختلف من رواية إلى أخرى، فعند الزهري "المطففين" وعند ابن الضريس " النازعات، وعند البيهقي" العنكبوت.

-أما ترتيب السور المدنية، فأول ما نلاحظه: إسقاط سورة الفاتحة من ترتيبي ابن الضريس والبيهقي، واختلفوا في أول مانزل بعد الهجرة، فنجد الفاتحة عند الزهري، والبقرة عند ابن الضريس، والمطففين عند البيهقي.

-كما نلاحظ توافق ترتيب باقي السور المدنية بين الزهري وابن الضريس، أما ترتيب البيهقي مختلف اختلافا كبيرا عن سابقيه، فالمائدة مثلا جعلها البيهقي في أوائل ما نزل بالمدينة (المرتبة السادسة) في حين جعلها الزهري وابن الضريس في أواخر ما نزل (ما قبل الأخيرة).

وقد ذهب بعض المحققين[1]، إلى تضعيف جميع الروايات سندا ومتنا بعد الدراسة الوافية الشافية لأسانيدها ومتونها.

وسأوجز فيما يلي ما توصلوا إليه طلبا للاختصار:

- أما الرواية المسندة لعلي[2]، وهي الاسناد الوحيد المتصل من روايات ترتيب النزول، فهي

[1] - ينظر: تفسير القرآن الكريم على ترتيب النزول، محمد ربابعة، 255-261، وترتيب نزول القرآن، لمحمد علي الحسن، ص35-48.

[2]- ينظر: مقدمتان في علوم القرآن، ت: آرثر جفري، ص13-14.

ضعيفة جدا، لجهالة حال من دون جعفر بن محمد، وجرح جعفر بن محمد ومحمد بن جعفر، وضعف علي بن جذعان، وتنص الرواية أن الفاتحة أول شيئ نزل، وأن سورة النجم آخر ما نزل من القرآن وهو مخالف للنقل والعقل معا، كما نقص منه سورتا الصف والمسد، أما مصحف علي المزعوم فمفقود ولم يعثر عليه.

-أما الروايات الموقوفة على ابن عباس رضي الله عنهما[1]، فجميعها لا يقبل، لما فيها من المتهمين بالكذب والمجاهيل، وهو ما يجعل رواياتهم أقرب إلى الوضع والملاحظ على المتون، أن ترتيب السور في كل رواية يختلف عن الأخرى، مع اسقاط الفاتحة من بعضها والصف من بعضها الآخر، كما تبين الفرق بين الترتيب الواردة عنه رواية، والوارد عنه في مصحفه، المستوفي لجميع السور.

- أنه لم يصح شيئ في ترتيب سور القرآن حسب تاريخ نزولها، عن النبي، ولا عن الصحابة، وعليه فلا يقبل ما نسب إليهم.

[1]- ينظر: الإتقان، السيوطي، 39/1، ومقدمتان في علوم القرآن، ص8-10، ودلائل النبوة، الأصفهاني، 144/7.

الفصل الأول:

فهم القرآن الكريم حسب ترتيب النزول في الفكر الحديث

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: فهم القرآن الكريم حسب ترتيب النزول: مفهومه، أهميته، جذوره

المبحث الثاني: ارتباط ترتيب النزول بأسباب النزول

المبحث الثالث: مواقف فكرية حديثة حول فهم القرآن الكريم حسب ترتيب النزول

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: فهم القرآن الكريم حسب ترتيب النزول: مفهومه، أهميته، جذوره

لا شك أن فهم القرآن الكريم هو المقصود الإلهي من تنزيل القرآن الكريم، إذ لا سبيل لإدراك مراده والكشف عن مقاصده إلا بفهمه، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[ص: 29] فالله جل وعلا ذكر في هذه الآية الكريمة "أن من حِكم إنزاله أن يتدبّر الناس آيه، أي يتفهموها، ويتعقلوها، ويمعنوا النظر فيها، حتى يفهموا ما فيها من أنواع الهدى"[1].

ويؤكد الزركشي (ت: 794هـ) هذا المعنى بقوله: "القرآن كله لم ينزله مُنزله تعالى إلا ليُفهمه، ويُعلم ويُفهم، ولذلك خاطب به أولي الألباب الذين يعقلون، والذين يعلمون، والذين يفقهون، والذين يتفكرون.."[2].

وقد صرفت من أجل تلك الغاية السامية جهود كبيرة، منذ القرن الأول الهجري إلى يوم الناس هذا، أنتجت تراثا ضخما من المؤلفات في تفسير القرآن الكريم، والعلوم المتعلقة به، والمعينة على فهمه، وعلى هذا النهج سارت الأمة طيلة قرون، وقد سلك علماء التفسير سبلا شتى، واتجاهات مختلفة، لفهم القرآن الكريم، إلا أنهم مع اختلاف مناهجهم، واتجاهاتهم، اتفقوا على اعتماد الترتيب المصحفي للسور، وقد اقتفى آخرهم أثر أولهم، حتى جاء العصر الحاضر، حيث ظهر من الباحثين من نهج نهجا مخالفا لما كان عليه سلف الأمة وخلفها، فاعتمدوا ترتيب نزول سور القرآن الكريم طريقا لفهم آياته.

فما المراد بفهم القرآن حسب ترتيب النزول؟ وماأهميته؟ ومتى نشأت هذه الفكرة؟ هذا المبحث إجابة عن هذه الأسئلة.

المطلب الأول: مفهوم "فهم القرآن حسب ترتيب النزول":

لم يظهر تعريف أو استعمال لمصطلح"فهم القرآن حسب ترتيب النزول" عند القدامى من علماء القرآن، إلا أن توظيف مفهومه كان حاضرا في كتاباتهم، وذلك من خلال العناية بعلم نزول القرآن الذي شمل مسائل عديدة من بينها: ترتيب القرآن، والمكي والمدني، وأسباب النزول..وغيرها مما هو مبيّن في

---

[1]- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1415هـ-1995م، 344/6.

[2]- ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط1: 1376هـ-1957م، 145/2.

مصنفات علوم القرآن.

إلا أنه من الممكن الوصول إلى المراد من "فهم القرآن حسب ترتيب النزول" من خلال تعريف المصطلحات الثلاث (الفهم، الترتيب، النزول)، أما "الفهم"فيعرف بأنه: "العلم بالشيء"[1]وفرق بعضهم بين الفهم والعلم، فقيل: الفهم: تصور المعنى من لفظ المخاطب، وقيل: إدراك خفي، دقيق، فهو أخص من العلم، لأن العلم نفس الإدراك سواء كان خفيا أو جليا، ولهذا قال سبحانه في قصة داود وسليمان عليهما السلام: " ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما "خص الفهم بسليمان، وعمم العلم لداود وسليمان"[2].

وجاء في اللسان لابن منظور: "الفهم: معرفتك الشيئ بالقلب، فَهِمَه فَهْماً وفَهَماً وفَهامة: عَلِمَه..وفهمت الشيئ: عَقَلتُه وعرفته"[3].

ويقول الراغب (ت: 502هـ): "الْفَهْمُ: هيئة للإنسان بها يتحقّق معاني ما يحسن، يقال: فَهِمْتُ كذا، وقوله: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾[الأنبياء: 79]، وذلك إمّا بأن جعل الله له من فضل قوّة الفهم ما أدرك به ذلك، وإمّا بأن ألقى ذلك في روعه، أو بأن أوحى إليه وخصّه به"[4].

وهنا سؤال يطرح: هل المراد بفهم القرآن الكريم تفسيره؟ والجواب أن "الفهم أعم من التفسير، ذلك لأن فهم الآيات من دون تفسيرها أمر ممكن، بيد أن عملية التفسير دون الفهم غير ممكنة"[5]، والتفسير كما عرفه العلماء هو"علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على محمد ﷺ، وبيان معانيه،

---

[1]- مجمل اللغة لابن فارس، أحمد بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2: 1406هـ-1986م، باب الفاء والواو وما يثلثهما، 707/1.

[2]- معجم الفروق اللغوية، أبو هلال بن عد الله بن سهل بن سعيد بن يحي بن مهران العسكري، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي، ط1: 1412هـ، 414/1.

[3] - لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين، دار صادر، بيروت، ط3: 1414هـ، باب الفاء، 459/12.

[4]- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط1: 1412هـ، 646/1.

[5]- منهج السيد محمد باقر الصدر في فهم القرآن، أحمد الأزرقي، مركز الشهيدين الصدريين للدراسات والبحوث، ط1: 1429هـ/2008م، ص183.

واستخراج أحكامه وحكمه"[1].

وأما "الترتيب" و"النزول" فسبق تعريفهما في المدخل.

ومن حيثيات التعاريف السابقة يمكن القول إن المراد ب"فهم القرآن حسب ترتيب النزول كمنهج هو: الاستعانة بترتيب النزول لمعرفة مراد الله عز وجل من الآيات، وذلك بأن يتناول المفسر آيات وسور القرآن الكريم حسب ترتيبها الزمني الذي نزلت فيه، خلافا لما كان معهودا في التفاسير السابقة التي اعتمدت الترتيب المصحفي لسور القرآن الكريم، بحيث يبدأ المفسر تفسيره، بسورة العلق، أولى السور نزولا، ثم المدثر، ثم المزمل..إلى آخر السور المكية، ثم سورة البقرة، فالأنفال... إلى آخر السور المدنية، مشيرا إلى ترتيب الآيات التي ترجح لديه زمن نزولها، وهذا ما عناه أحد الدارسين حين عدّه اصطلاحا إجرائيا، وليس مصطلحا فنيا يتداوله أهل العلم، فعرفه بقوله: "إن تفسير القرآن حسب ترتيب النزول يقصد به تناول سور القرآن الكريم وآياته بالبيان والشرح والتوضيح حسب نزولها، لا حسب ترتيبها في المصحف كما هو بين أيدينا".[2]

وعليه يمكن تقسيم منهج تفسير القرآن حسب ترتيب النزول إلى قسمين:

القسم الأول: تفسير الآيات حسب ترتيب نزولها: وهذا اللون من التفسير مرفوض جملة وتفصيلا، باعتبار أن ترتيب الآيات حسب النزول أمر في غاية الاستحالة، نظرا لعدم وجود آثار صحيحة تدل على تاريخ نزول كل آية، وإن كان ترتيب الآيات حسب النزول هو المنهج الذي يمكنه أن يساعد على فهم مراد الله تعالى بشكل أوضح، خاصة إذا علمنا أن السورة لم تنزل دفعة واحدة بل منجمة، وبعضها نزل في فترات متباعدة، وبعضها تخللتها آيات من سور أخرى، وأشير هنا أني لم أقف على محاولة في هذا الصدد إلا ما ذكر عن محاولة الإيراني "بازركان مهدي" في كتابه: "التفسير المتدبر للقرآن الكريم على حسب النزول"، ولكن سرعان ما بان عوار هذا الكتاب، وسجلت عليه مآخذ، منها أنه اعتمد الاحصاء والاحتمالات، عن طريق حساب عدد كلمات كل آية وكل سورة، ومن ثم

---

[1]-البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 13/1.

[2]- ينظر: منهج التعامل مع النص القرآني حسب ترتيب النزول، قراءة في كتاب الجابري، سليمان محمد الداقور، بحث مقدم في مؤتمر" التعامل مع النصوص الشرعية الكتاب والسنة"، الجامعة الأردنية، كلية الشريعة، بتاريخ: 4-2008/11/6، ص4.

تحديد ترتيبها النزولي[1].

والقسم الآخر: تفسير السور حسب نزولها دون إحداث تغيير في ترتيب آيات السورة، وهذا اللون من التفسير هو موضوع بحثنا.

ونظرا لجدة هذه الطريقة في التفسير، حاول بعض المعاصرين من العلماء والمفكرين إبراز فائدة ترتيب القرآن حسب النزول في فهم القرآن الكريم، وهو ما سنفصله في المطلب الموالي.

المطلب الثاني: أهمية فهم القرآن حسب ترتيب نزوله

لما ظهرت قضية فهم القرآن حسب ترتيب النزول في العصر الحديث، وأثيرت حولها إشكالات عديدة، والتي كان من بينها السؤال عن سبب اهتمام بعض المعاصرين به وعدولهم عن الترتيب المصحفي، وهو من أهم الأسئلة حضورا في الساحة الفكرية، راح بعض الدارسين يبحثون عن أهمية فهم القرآن حسب ترتيب النزول، ومن ذلك قول أحدهم بوجود عناصر تاريخية لصيقة بالقرآن الكريم ومؤثرة في فهم نصوصه، وقصد بها شأن نزول الآيات وأسباب نزولها، ومكيها ومدنيها، إضافة إلى البيئة العامة لنزول القرآن الكريم.[2]

والملاحظ أن أغلب كتب علوم القرآن قد تطرقت إلى موضوع "ترتيب النزول" ضمن مسائل المكي والمدني، وأول ما نزل، وآخر ما نزل، وأسباب النزول، وترتيب السور في المصحف..وغيرها من المسائل، والملاحظ أن فوائد معرفة ترتيب النزول هي نفسها فوائد علم المكي والمدني، وفوائد نزول القرآن الكريم منجما، وقد أفاض أهل العلم في هذه المسألة وكفونا مؤنة البحث عنها.[3]

---

[1] – ينظر: مقال: ترتيب القرآن الكريم بحسب النزول، محمد علي لسان فشاركي، وسمية ذو القدرنيا، مجلة العلوم الإنسانية، 2007، العدد 14(2) 83-93، جاء فيه ذكر كتاب "التفسير المتدبر للقرآن الكريم بحسب النزول" بازكان مهدي، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، طهران، 1370ش

[2] –ينظر:أساسيات المنهج والخطاب في درس القرآن وتفسيره، مصطفوي، محمد، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط1: 2009، ص98.

[3] – ينظر على سبيل المثال: المدخل إلى علوم القرآن، محمد فاروق النبهان، دار عالم القرآن، حلب، ط1: 1426هـ-2005م، ص94.

وتجدر الإشارة هاهنا أنه كثير ما يستشهد في هذا السياق بقول الشاطبي (ت790هـ)، الذي أشار فيه إلى منزلة المتأخر من المتقدم في النزول، حيث قال: "المدني من السور ينبغي أن يكون منزّلا في الفهم على المكي، وكذلك المكي بعضه مع البعض، والمدني بعضه مع بعض، على حسب ترتيبه في التنزيل، وإلاّ لم يصح، والدليل على ذلك أن معنى الخطاب المدني في الغالب مبني على متقدّمه، دلّ على ذلك الاستقراء، وذلك إنما يكون ببيان مجمل، أو تخصيص عموم، أوتقييد مطلق، أوتفصيل ما لم يفصل، أو تكميل ما لم يظهر تكميله."[1]

وكذلك حديث ابن عباس، حين سأله عمر –رضي الله عنهما– عن سبب اختلاف الأمة، فقال: "يا أمير المؤمنين، إنا أنزل علينا القرآن فقرأناه، وعلمنا فيم نزل، وإن سيكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن ولا يدرون فيم نزل، فيكون لهم فيه رأي، فإذا كان لهم فيه رأي اختلفوا، فإذا اختلفوا اقتتلوا".[2]

وعليه يمكن تحديد بعض فوائد فهم القرآن وفق الترتيب الزمني للآي والسور فيما يلي:

أولا: معرفة الترتيب الزمني للآيات من شروط معرفة الناسخ والمنسوخ:

إن الترتيب الزمني للآيات يعرف به المتقدم من المتأخر، الذي يعتبر أحد شروط معرفة الناسخ والمنسوخ، ولا شك أن علم النسخ من أساسات علوم التفسير، ومن العلوم التي لا يقوم إلا بها، كما أنه لا يمكن معرفة الأحكام الشرعية الاستنباطية، وتفسير تعارض النصوص إلا بمعرفته.

"ومن آثار السلف الدالة على بناء النسخ على المكي والمدني ما رواه القاسم بن أبي بزة عن سعيد بن جبير قال: "قلت لابن عباس: أَلِمَنْ قتل مؤمناً متعمداً من توبة؟ قال: لا، قال: فتلوت عليه هذه الآية التي في الفرقان: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾

---

[1]–الموافقات، الشاطبي، إبراهيم بن موسى، تحقيق: عبيدة مشهور، دار ابن عفان، ط1: 1417هـ–1997م، 256/4.

[2]– أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص102، وسعيد بن منصور في التفسير من سننه، باب فضائل القرآن، برقم(42)، 176/1، والبيهقي في شعب الإيمان، باب فصل في ترك التفسير بالظن، رقم(2086)، 542/3. والأثر صححه لغيره سعد محقق "التفسير من سنن سعيد بن منصور"، 176/1–180.

[الفرقان: 68] إلى آخر الآية، قال: هذه آية مكية نسختها آية مدنية:﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا ﴾[النساء: 93]"[1].

وقد أكد على ذلك غير واحد من العلماء، نورد فيما يلي طائفة من أقوالهم:

وقال مَكِّيُّ بنُ أبي طالبٍ القَيْسِيُّ (ت: 437هـ):"ويجب أن تعلم المكيّ من السور من المدني؛ فذلك مما يقوي ويفهم معرفة الناسخ والمنسوخ"[2]، ويقول أيضا: "ومن ذلك أن تعلم أن المدني من الآي ينسخ المدني الذي نزل قبله وينسخ المكي؛ لأنه نزل قبل المدني، وهذان الأصلان عليهما كل الناسخ والمنسوخ..ولا يجوز أن ينسخ المكي المدني؛ لأن الآية لا يجوز أن تنسخ ما لم ينزل بعد، والمكي نزل قبل المدني..ويجوز أن ينسخ المكيّ المكيّ الذي نزل قبله كما جاز أن ينسخ المدنيّ المدنيّ الذي نزل قبله"[3]، وقال ابنُ حَزْمٍ الأَنْدَلُسِيُّ (ت: 456هـ) في بيان شروط النسخ"..ومنها: أن يكون الناسخ متراخيا عن المنسوخ "[4]

ويقول الغزاليّ (ت: 505هـ): "اعلم أنه إذا تناقض نصان فالناسخ هو المتأخر، ولا يعرف تأخره بدليل العقل، ولا بقياس الشرع، بل بمجرد النقل، وذلك بطرق"وذكر منها: أن يذكر الراوي التاريخ مثل أن يقول: سمعت عام الخندق، أوعام الفتح وكان المنسوخ معلوما قبله [5].

وقَالَ ابْنُ الجَوْزِيِّ (ت: 597هـ):"والشّرط الثّاني: أن يكون الحكم المنسوخ ثابتًا قبل ثبوت حكم النّاسخ فذلك يقع بطريقين:

أحدهما: من جهة النّطق كقوله تعالى﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾[الأنفال:

---

[1]- أخرجه مسلم، كتاب التفسير، ح(3023) 2318/4، وللعلماء في توبة القاتل خلاف معروف، لكن المراد هنا المثال، للمزيد ينظر: البيان والتحصيل لأبي الوليد بن رشد، تح: محمد حجي وآخرين، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط2: 1408هـ-1988م، 479/15-482.

[2]- الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، لمكي بن أبي طالب، تحقيق: د. أحمد حسن فرحات، ص 114-115، وينظر: المحرر في علوم القرآن، مساعد الطيار، ص116.

[3]- الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، المرجع نفسه، ص113.

[4]- الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، تح: عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1: 1406هـ-1986م، ص7.

[5]- المستصفى، الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكت العلمية، ط1: 1413هـ-1993م، ص103.

66] وقوله:﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ﴾[البقرة:187]. ومثل قول النّبيّ ﷺ:" نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها" [1].

والثّاني: أن يعلم بطريق التّاريخ، وهو أن ينقل (بالرّواية) بأن يكون الحكم الأوّل ثبوته متقدّمًا على الآخر فمتى ورد الحكمان مختلفين على وجهٍ لا يمكن العمل بأحدهما إلا بترك الآخر، ولم يثبت تقديم أحدهما على صاحبه بأحد الطّريقين امتنع ادّعاء النّسخ في أحدهما" [2].

من خلال هذا النزر اليسير من أقوال أهل العلم تبين ما لزمن النزول، وترتيب السور والآيات زمنيا، من أهمية في معرفة المتقدم من المتأخر في النزول، الذي يعتبر شرطا أساسيا في معرفة الناسخ والمنسوخ.

ثانيا: معرفة ترتيب النزول قاعدة من قواعد الترجيح في التفسير:

يستأنس بمعرفة ترتيب الآيات والسور حسب نزولها في الترجيح بين الأقوال الواردة في معنى الآية وفقا للقاعدة: "إذا ثبت تاريخ نزول الآية والسورة فهو مرجّح لما وافقه من أوجه التفسير"[3] وتعدّ هذه القاعدة من أهم قواعد الترجيح عند الكثير من أهل العلم، كابن جرير، وابن عطية، والقرطبي وغيرهم. ولتوضيح القاعدة نسوق بعض الأمثلة:

1- فسر بعضهم الإثم في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ ﴾ [الأعراف: 33] بأنها الخمر واحتج بقول الشاعر: "شربت الإثم حتى ضلّ عقلي"[4]، قال ابن عطية (ت: 592هـ): "وَالْإِثْمَ أيضا: لفظه عام لجميع الأفعال والأقوال التي يتعلق بمرتكبها إثم، هذا قول الجمهور، وقال بعض الناس: هي الخمر واحتج على ذلك بقول الشاعر: "شربت الإثم حتى طار

---

[1] – رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب "استئذان النبي ربه في زيارة قبر أمه" رقم(977) 672/2.

[2]–نواسخ القرآن، ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، تح: محمد أشرف علي المليباري، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط2: 1423هـ/2003م، ص186.

[3]– للتفصيل في القاعدة ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين، الحربي، حسين علي، دار القاسم، الرياض، ط1: 1417هـ-1996م، ص258-270.

[4]– ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: 510هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1: 1420 هـ، 189/2.

عقلي"، قال القاضي أبو محمد: وهذا قول مردود لأن هذه السورة مكية ولم تعن الشريعة لتحريم الخمر إلا بالمدينة بعد أحد لأن جماعة من الصحابة اصطحبوها يوم أحد وماتوا شهداء، وهي في أجوافهم، وأيضا فبيت الشعر يقال إنه مصنوع مختلق، وإن صح فهو على حذف مضاف، وكأن ظاهر القرآن على هذا القول أن تحريم الخمر من قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾ [البقرة: 219] وهو في هذه الآية قد حرم، فيأتي من هذا أن الخمر إثم والإثم محرم فالخمر محرمة"[1]، واستبعد هذا المعنى لما يترتب عليه من معان غير مرادة، فقال: " ولكن لا يصح هذا لأن قوله فِيهِما إِثْمٌ لفظ محتمل أن يراد به أنه يلحق الخمر من فساد العقل والافتراء وقتل النفس وغير ذلك آثام فكأنه قال في الخمر هذه الآثام أي هي بسببها ومعها وهذه الأشياء محرمة لا محالة، وخرجت الخمر من التحريم على هذا ولم يترتب القياس الذي ذهب إليه قائل ما ذكرناه، ويعضد هذا أنّا وجدنا الصحابة يشربون الخمر بعد نزول قوله قُلْ فِيهِما إِثْمٌ وفي بعض الأحاديث فتركها قوم للإثم الذي فيها وشربها قوم للمنافع، وإنما حرمت الخمر بظواهر القرآن ونصوص الأحاديث وإجماع الأمة[2]".

2-ادعى الاثنا عشرية أن قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[الشورى:23] نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين، وهذه القاعدة ترد هذا القول لأن عليا لم يتزوج فاطمة إلا في المحرم من السنة الثانية للهجرة، وولد الحسن في الثالثة والحسين في الرابعة، وهذه السورة مكية فكيف تكون نزلت فيهم، وقد ذكر ابن جرير الأقوال الواردة في الآية، ثم رجح "أولى الأقوال في ذلك بالصواب، وأشبهها بظاهر التنزيل.

قول من قال: معناه: قل لا أسألكم عليه أجرا يا معشر قريش، إلا أن تودّوني في قرابتي منكم، وتصلوا الرحم التي بيني وبينكم"[3]. ويعضد هذا ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه سئل عن

---

[1]- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1422هـ، 395/2، وينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، تح: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1: 1418هـ، 26/3.

[2]- المحرر الوجيز، المرجع نفسه، 395/2.

[3]- جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري ، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1: 1420 هـ - 2000 م، 530/21..

قوله: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: 23] فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد ﷺ، فقال ابن عباس: عجلت إن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش، إلا كان له فيهم قرابة، فقال: "إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة"[1].

1- معرفة السياق الزماني والمكاني اللذين أنزلت فيهما الآية:

يؤكد بعض الباحثين على أهمية ما أسموه بالسياق الزمني للآيات، أو سياق التنزيل، ويعنون به سياق الآية بين الآيات بحسب ترتيب نزولها، مبينين ضرورة "عرض اللفظ في القرآن على موقعه، لفهم معناه، ودفع المعاني غير المرادة.."[2] وفي هذا الصدد يقول الزركشي: "قد تنزل الآيات على أسباب خاصة وتوضع ككل واحدة منها مع ما يناسبها من الآي، رعاية لنظم القرآن وحسب السياق فذلك الذي وضعت الآية النازلة على سبب خاص للمناسبة إذ كان مسوقا لما نزل في معنى يدخل تحت ذلك اللفظ العام"[3].

ويشتمل السياق الزماني والمكاني كذلك زمن النزول، ومكانه، وحال المخاطب، وبيئته، وقد أشار إلى هذا عبد الرحمن حسن حبنكة حين وضع قواعده لتدبر القرآن: "يُعدُّ منهَجُ اعتمادِ السّياقِ قاعدَةً في الفَهم؛ وهي النّظرُ في بيئَةِ نُزولِ النّصِّ البَشريّةِ الزَّمانيّةِ والمكانيّةِ والنّفسيّةِ والفكريّةِ، الفَرديّةِ والاجْتماعيّةِ، ويَعتمدُ التّدبُّرُ الأمثلُ على تصوُّرِ العصرِ الإسلاميّ الأوّلِ وواقِعِ حالِ المَنَزَّلِ عليْهِم ومَفاهيمهم التي كانَت سائدةً بينَهُم، وتصوُّرِ الحالةِ النّفسيّةِ والفكريّةِ والاجْتماعيّةِ التي كانوا عليْها حينَ نزولِ الآياتِ، ثُمّ تَصوُّرِ السّياقَيْن الزّماني والمكانيّ اللّذَيْن أنزِلَت فيهِما الآياتُ"[4].

وقد أدرك أهل العلم قديما، أهمية إعمال السياق والقرائن في فهم النصوص الشرعية، فهذا ابن دقيق العيد(ت: 702هـ) يقول: "أما السياق والقرائن فإنها الدالة على مراد المتكلم من كلامه، وهي

---

[1]- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب"إلا المودة في القربى"الشورى، ح(4818)، 129/6.

[2]-منهج السياق في فهم النص، عبد الرحمن بودرع، كتاب الأمة، اصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، العدد 111، محرم 1427، السنة السادسة والعشرون، ص29-30.

[3]- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ص5.

[4]- ينظر التفصيل في "قواعد التّدبُّر الأمثَل لكِتابِ الله عَزّ وجلّ، عبْد الرّحْمن حَسَن حَبنّكَة الميدانِيّ، دار القَلَم، دِمَشق، الدّار الشّامية، ط.4: 1430هـ-2009، ص53.

المرشدة إلى بيان المجملات"[1]، وما ترتيب النزول، وأسباب النزول، والمكي والمدني، إلا إعلام بالحال والمناسبة التي نزلت فيها الآيات الكريمة، فهي كاشفة لمعاني القرآن، معينة على بيان مقاصده، وصحة دلالته، وتفهّم أسرار بلاغته[2].

2- الكشف عن مقاصد السور:

إن مما يعين المتدبر لكتاب الله على كشف مقاصد السور القرآنية[3]: تتبع المراحل التي نزلت خلالها آيات السورة، وتتبع أسباب نزول، وفي هذا الصدد يقول مصطفى مسلم: "من المسالك التي تعين على إبراز الغرض المحوري في السورة معرفة الفترة الزمنية التي نزلت فيها معظم آيات السورة، فمن المعلوم أن السور المكية عرضت أسس العقيدة الإسلامية، في حين عرضت السور المدنية لبناء المجتمع الاسلامي، وتفصيل التشريع في شؤون الحياة، لذلك تميزت ببيان الأحكام التشريعية"[4].

ويوضح عبد العظيم المطعني(ت: 1429هـ) هذا المعنى عند حديثه عن قصار السور، بقوله إن "الغالب في الآيات القصار أن سورها مكية النزول، وللقرآن في مكة مجال غير مجاله في المدينة، فالقرآن المكي كان يهدف إلى محاربة الضلال في العقيدة والسلوك فجاء بموضوعات تخدم هذا الغرض من التبشير والإنذار، والترغيب والترهيب، لذلك كانت آياته قصيرة العبارة حادة سريعة الإيقاع عنيفة الوقع، وفي المدينة كان مجاله التشريع وإرساء قواعد المجتمع الإنساني من حيث العبادات والمعاملات والأخلاق الإنسانية فاتجهت سوره وآياته إلى الطول والاستقصاء"[5].

ويضيف للتدليل على فكرته: "والدعوة إلى الإسلام في بدء أمرها كانت لا تطلب من الناس وقوفاً طويلاً لتأملها فساقت لهم الإرشاد والتوجيه الإلهي في سورة وآيات قصار لسهولة فهمها وسرعة استيعابها. لأنه كان بصدد تربية أمة خالية من أسس التربية القويمة فخاطبتهم بأوضح العبارات وأوجز

---

[1]-إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد، مطبعة السنة المحمدية، د.ط، ود.ت، 21/2، وفتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل، دار المعرفة بيروت، 1379، 184/4.

[2]-علوم القرآن عند الشاطبي من خلال كتابه الموافقات، محمد سالم أبو عاصي، دار البصائر، القاهرة، ط1: 1426هـ-2005م، ص58

[3]-اختلف الدارسون في التعبير عن مقاصد السور منها: نظام السورة، الوحدة الموضوعية، محور السورة، نسق السورة.

[4]- مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، ط4: 1426هـ-2005م،ص43.

[5]- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، المطعني، مكتبة وهبة، ط1: 1413هـ-1992م، ص 242/1-244.

المعاني كما يُفعل الآن في تربية النشء حيث يتدرج معهم المربي.."[1].

ومن هنا يمكن استنباط مقصود السورة من خلال معرفة زمن نزولها، وملاحظة خصائص القسم الذي تنتمي إليه سواء كان مكيا أو مدنيا.

ومن أمثلة ذلك:

-مقاصد سورة الأنعام وربطها بفترة نزولها: "نزلت سورة الأنعام في السنة الرابعة من البعثة المحمّديّة، أي عقب أمر النبي ﷺأن يصدع بالدعوة ويعلنها للناس بعد أن أسرّ بها ثلاث سنين، وتميّزت الفترة التي نزلت فيها سورة الأنعام بقسوة المشركين وعنفهم في مقاومة الدعوة الإسلامية وإنكارها، فقد بدأت الدعوة سرّا، ثم جهر النبي ﷺ بدعوته في مكة. ونزلت سورة الأنعام بعد الجهر بالدعوة بسنة واحدة، فاستعرضت الأدلة على توحيد الله وقدرته ثم ساقت أدلة المشركين وشبههم فأبطلتها وفندتها"[2].

3- ترتيب النزول مهم في فهم القصة القرآنية وبيان تكامل أجزائها:

يعد سيد قطب(ت: 1966هـ)[3]من أوائل المفسرين الذين أشاروا إلى ضرورة العناية بترتيب النزول في تفسير القصص القرآني، حيث يقول:"..هناك ما يشبه أن يكون نظاما مقررا في عرض الحلقات المكررة من القصة الواحدة —يتضح حين تقرأ بحسب ترتيب نزولها- فمعظم القصص يبدأ بإشارة مقتضبة، ثم تطول هذه الإشارات شيئا فشيئا، ثم تعرض حلقات كبيرة تكون في مجموعها جسم القصة"[4].

وفي السياق نفسه يقول فضل عباس(ت:2011م): "إن الطريقة المثلى لتذوق تذوقا صحيحا مواقع النجوم للقصة القرآنية، أن ندرسها من حيث ترتيب النزول، بحيث ندرس النجوم التي نزلت واحدا تلو الآخر"[5].

فإذا جمعت أجزاء القصة ورتبت حسب النزول، ظهر تسلسلا عجيبا وتكاملا بديعا لأجزاء

---

[1]- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، المطعني، 244/1.

[2]- الموسوعة القرآنية، خصائص السور، جعفر شرف الدين، تح: عبد العزيز بن عثمان التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الاسلامية، بيروت، ط1: 140هـ، 3/4.

[3]-ينظر: منهج التعامل مع النص القرآني، سليمان الداقور، ص9.

[4] -التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط17: 2004م، ص 156.

[5] - قصص القرآن الكريم، فضل حسن عباس، دار النفائس، الأردن، ط3: 1430هـ-2010م، ص82.

القصة المتفرقة في السور، وهذا يشكل لدى القارئ الفهم الصحيح، والتصور الجلي لأحداث القصة ومغزاها.

وحسبنا في هذا المقام مثال يوضح ما نحن بصدده، لأن الأمثلة أكثر من أن يستوعبها البحث:

قصة آدم عليه السلام: إن قصة آدم عليه السلام وردت أحداثها في سبع سور، وهي حسب ترتيبها الزمني: سورة ص، الأعراف، طه، الإسراء، الحجر، الكهف، والبقرة.

و ترتيب نصوص القصة حسب نزولها كما يأتي: [1]

1. سورة ص: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾.

2. سورة الأعراف: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا

[1]-اعتمدت ترتيب الزركشي في البرهان، ص114-115، وقواعد التدبر الأمثل، حبنكة الميداني، ص: 178-184.

مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

3. سورة طه: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾

4. سورة الإسراء: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾.

5. سورة الحجر: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا

سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾

6. سورة الكهف: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾

7. سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ بالنظر في هذه النصوص القرآنية مرتبة حسب النزول، يمكن ملاحظة تكامل نصوص القصة واشتمال كل موضع على جديد، ولفهم هذا المبدأ، نتتبع عناصر قصة آدم في مواضعها السبع

حسب ترتيب النزول:

أولا: أول سورة تتحدث عن قصة آدم هي سورة "ص"، جاء فيها إخبار الله تعالى الملائكة أنه سيخلق بشرا من طين، فإذا سوّاه ونفخ فيه من روحه، فعليهم أن يسجدوا له إكراما وتحية، فامتثلت الملائكة إلا إبليس استكبر عن أمر ربّه وكان من الكافرين، فسأله ربّه عن سبب امتناعه من السجود، فأجاب إبليس أنّه خير من آدم عليه السلام، لأنه مخلوق من النار وآدم مخلوق من طين، والنار في زعمه أشرف من الطين، فكان عقابه الاخراج من الجنّة، والطرد والابعاد من رحمة الله.

فطلب اللعين تأخيره إلى يوم البعث، وأقسم بعزة الله على إغواء بني آدم باستثناء المخلصين، فأقسم الحق بذاته أنه سيملأ جهنم من إبليس وأتباعه. [1]

ثانيا: إضافات سورة "الأعراف "على سورة "ص": أما الجديد الذي ورد في سورة الاعراف التي تلت هذه السورة فتمثل في:

-أمر الله آدم أن يسكن الجنة هو وزوجه ويتمتعا بكل نعيم فيها إلا شجرة واحدة حرمّها عليهما.

-وسوسة الشيطان لهما، وأسلوب خداعه لهما.

-ذوق الشجرة وما ترتّب عليها، ونداء الله لهما وتذكيره لهما بنصائحه.

-ندم آدم وحواء على ما فعلا واستغفارهما الله.

-أمر الله لهم بالهبوط إلى الأرض مع تحقق العداوة بينهم واستقرارهم فيها الى حين معلوم.

-تحذير بني آدم من كيد الشيطان وفتنته.

ثالثا: إضافات سورة "طه "على سورتي: "ص "و"الأعراف":

-بيان نصح الله لآدم وتحذيره له من الشيطان.

---

[1]-ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2: 1418 هـ، 234/23.

-بيان النعم التي ينعم بها آدم وزوجه في الجنة.

-ترقب هدى الله –بعد الأمر بالهبوط- وبيان مصير من اتبّع هذا الهدى ومصير من أعرض عنه.

رابعا: إضافات سورة "الاسراء" على سابقاتها:

-تفصيل لمداخل الشيطان وأساليب غوايته لبني آدم.

-بيان حفظ الله لأوليّائه المتوكلين عليه.

خامسا: إضافات سورة الحجر" على سابقاتها:

-بيان أصل خلق البشر من صلصال من حمإ مسنون.

سادسا: الجديد في سورة الكهف:

-بيان أن إبليس أصله من الجن لا من الملائكة كما فهمه بعض المفسرين، من قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[البقرة: 34]

-الإنكار على من يتّخد إبليس وذريّته أولياء من دون الله، وهو لهم عدو.

سابعا: الجديد في القصة في العهد المدني: سورة البقرة هي آخر السور التي ذكرت فيها قصة آدم، أجملت ما تفرق من قصة، وزادت على سابقاتها من السور بأمرين:

-إخبار الله الملائكة بجعل آدم خليفة في الأرض.

-تعليم آدم الأسماء كلها.

ومن هذا التطواف بين السور السبع التي ذكرت قصة آدم عليه السلام، يتبين أن ترتيب النصوص القرآنية حسب نزولها يحقق تكاملا لأحداث هذه القصة بما يشهد لأهمية النظر في ترتيب النزول للنصوص القرآنية، وهو ما أشار إليه حبنكة الميداني بقوله: "تحقيق الإعجاز التكاملي في رواية القصة، بصيغ قليلة وكثيرة في مناسبات متعددات، وفي سور متباعدات أزمان التنزيل، دون تعرض لإختلاف بينها، بل تتكامل تكاملا عجيبا، يكشفه التدبر المتأني العميق ومثل هذا لا يكون من بشر،

فهو كلام الله حقا وصدقا، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا" [1].

4-إبراز معان جديدة في تفسير الآيات:

يجد المفسر لكتاب الله، بتتبع نزول الآيات والسور في القرآن، مجالا ليسطر لطائف تفسيرية لم يسبق إليها، ويدلل بذلك على كونه كلام الله الذي لا تنقضي عطاءاته.

من أمثلة ذلك ما سجله البقاعي(ت: 885هـ) في نظمه : "ولما كانت آية(68) الأنعام : مكية اقتصر فيها على مجرد الإعراض وقطع المجالسة لعدم التمكن من الإنكار بغير القلب، وأما هذه الآية(الآية 140 من سورة النساء) فمدنية فالتغيير عند إنزالها باللسان واليد ممكن لكل مسلم، فالمجالس من غير نكير راض، فلهذا علل بقوله: ﴿إنكم إذاً﴾ أي إذا قعدتم معهم وهم يفعلون ذلك ﴿مثلهم﴾ أي في الكفر لأن مجالسة المظهر للإيماء المصرح بالكفران دالة على أن إظهاره لما أظهر نفاق، وأنه راض بما يصرح به هذا الكافر والرضى بالكفر كفر، فاشتد حسن ختم الآية بجمع الفريقين في جهنم بقوله مستأنفاً لجواب السؤال عما تكون به المماثلة: ﴿إن الله﴾أي الذي أحاط علمه فتمت قدرته ﴿جامع﴾"[2] .

وقال عند حديثه عن سورة الغاشية:

"ولما كانت هذه السورة مكية من أوائل ما أنزل، وكان مأموراً إذ ذاك بالصفح قال: ﴿إنما أنت مذكر ﴾ أي لا مقاتل قاهر قاسر لهم على التذكر والرجوع، فلا عليك إن لم ينظروا ولم يتذكروا لأنه ما عليك إلا البلاغ، ولذلك قال ﴿لست﴾ وأشار إلى القهر بأداة الاستعلاء فقال: ﴿عليهم﴾ أي خاصة ﴿بمصيطر ﴾ أي بمتسلط، وأما غيرهم فسنسلطك عليهم عن قريب"[3]

وجملة القول: إن الوقوف على ترتيب النزول من أدوات الفهم التي لا يستغنى عنها في تفسير كتاب الله، فهو طريق من طرق معرفة الناسخ والمنسوخ، وقاعدة من قواعد الترجيح في التفسير، كما أنه من عناصر السياق الزماني والمكاني للآيات الذي لا يمكن إغفاله عند تفسيرها، ثم هو وسيلة للكشف عن مقاصد السور، وفهم القصص القرآني، وإبراز معان جديدة لآيات القرآن الكريم.

---

[1]-قواعد التدبر الأمثل، حبنكة الميداني، ص70.

[2]- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن بن علي بن أبي بكر، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 438/5-439.

[3]-نظم الدرر، البقاعي، 19/18.

ولكن متى ظهرت هذه الفكرة ومن هم أول من اهتم بها، ثم كيف تطورت حتى صارت منهجا للتفسير؟ هذا ما سنتطرق له في المبحث الموالي.

المطلب الثالث: جذور فكرة "فهم القرآن حسب ترتيب النزول":

بعد إيضاح المراد بفهم القرآن حسب ترتيب النزول، والكشف عن أهميته في تفسير كتاب الله، يجدر بنا البحث عن جدور هذه الفكرة، أي متى ظهرت الفكرة ؟ ومن الداعين إليها؟ وهل طبقت أم بقيت مجرد فكرة لا غير؟

بداية يجب أن نفرق بين "دعوى ترتيب القرآن حسب النزول"[1] وبين "فهم القرآن حسب ترتيب النزول"، من حيث جدور الفكرة والغاية المرجوة منها.

أما فكرة " ترتيب القرآن حسب النزول"التي لم تحظ بالقبول، رغم حرص الداعين إليها، على اختلاف انتماءاتهم، في عصرنا الحاضر، فقيل إنها خرجت من رحم الشيعة[2]، ولعل ما يؤكد ذلك وجود طائفة من أحاديث الشيعة وأهل السنة تفيد أنّ عليا ﷺ، كان أول من جمع القرآن، حيث اعتزل الناس بعد وفاة رسول الله لجمع القرآن الكريم، وكان موقفه هذا بأمر الرسول.. وأنه أوّل مصحف في الإسلام جمع فيه القرآن الكريم، يتميز بكونه رُتّب على ترتيب النزول، كما اشتمل على شروح وتفاسير لمواضع من الآيات مع بيان أسباب ومواقع النزول[3]،من تلك الروايات ماذكره ابن النديم (ت: 438هـ) في فهرسه، أن عليا ﷺ كتب مصحفا على ترتيب النزول: قال بن المنادي حدثني الحسن بن العباس قال أخبرت عن عبد الرحمن بن أبي حماد عن الحكم بن ظهير السدوسي عن عبد خير عن علي عليه السلام انه رآى من الناس طيرة عند وفاة النبي ﷺ فأقسم أنه لا يضع عن ظهره رداؤه حتى يجمع

---

[1]- ناقش هذه الدعوى العديد من الباحثين، منهم: سعيد بوعصاب في كتابه: "القرآن الكريم بين ترتيب المصحف وترتيب النزول"دراسة منهجية نقدية في الترتيب المصحفي والتاريخي للقرآن، الرابطة المحمدية، المملكة المغربية، ط1: 1438هـ-017م، ص99-110، وعبد الرحمن نصر أحمد نصار في كتابه (أصل هذا الكتاب أطروحة دكتوراه) عيون الأقاويل في إبطال دعوى ترتيب القرآن وتفسيره على حسب التنزيل، دار الإمام الرازي، ط1: 1437هـ-2016م، ص 145-277.

[2]- أشار إلى ذلك الباقلاني في الانتصار، ينظر: الانتصار للقرآن، الباقلاني، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، تح: محمد عصام القضاة، دار الفتح، عَمَّان، دار ابن حزم، بيروت، ط1: 1422 هـ - 2001 م، 115/1. وينظر: تفاسير القرآن الكريم حسب ترتيب النزول، دراسة وتقويم، أطروحة دكتوراه، طه محمد فارس، جامعة أم درمان بالسودان، ص13.

[3]- ينظر: حقائق هامة حول القرآن، العاملي، جعفر مرتضى العاملي، دار الصفوة بيروت لبنان، ط2: 1413هـ-1992م، ص153-158.

القرآن فجلس في بيته ثلاثة أيام حتى جمع القرآن فهو أول مصحف جمع فيه القرآن من قلبه وكان المصحف عند أهل جعفر ورأيت أنا في زماننا عند أبي يعلى حمزة الحسني رحمه الله مصحفا قد سقط منه أوراق بخط علي بن أبي طالب يتوارثه بنو حسن على مر الزمان وهذا ترتيب السور من ذلك المصحف"[1].

وعليه فإن مصحف علي –حسب رواياتهم–تميز بعدّة أمور:

منها: أن عليا رضي الله عنه رتّبه على ترتيب النزول.

ومنها: أنه دوّن فيه التأويل والتفسير كما أملاه رسول الله ﷺ، وأسباب نزول الآيات.

ومنها: أنه بيّن فيه المحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، بالإضافة إلى ما ذكر من إثبات أسماء أهل الحقّ وأهل الباطل والمنافقين في المناسبات التي نزلت الآيات فيها.

وقد تصدى أهل العلم من القدامى والمعاصرين، لبيان زيف هذا المصحف المنسوب لعلي ﷺ، وأنها فرية لا دليل عليها ولا أساس لها من الصحة[2].

ثم تلقف الفكرة بعض المستشرقين، وبعض مفكري العرب، وكان لهم دور في نشأتها وتطورها، نرجئ الحديث عن ذلك في مبحث لاحق.

أما فكرة"فهم القرآن حسب ترتيب النزول" فنجد لها جذورا عند المفسرين القدامى، كما نجد لها امتدادا في كتب التفسير الحديثة كتفسير الطاهر بن عاشور، وتفسير قطب، وتفسير المودودي، لكن لم يظهر تفسيرا كاملا مرتب السور حسب النزول إلا في عصرنا مع ظهور "التفسير الحديث" لمحمد عزة دروزة سنة 1963م، ثم تلاه أربعة مؤلفات على المنهج نفسه، وهي: "بيان المعاني" لعبد القادر ملا حويش العاني سنة 1964م، وتفسير القرآن المرتب منهج لليسر التربوي لأسعد أحمد علي

---

[1]– ينظر: الفهرست، ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي الشيعي، تح: إبراهيم روضان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2: 1417هـ-1997م، ص46، وقد ذكر مصحف علي في "تاريخ القرآن" للزنجاني، أبي عبد الله، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، مؤسسة الحلبي، ص47-49.

[2]– ينظر بعض ردود أهل العلم في المطلب الأول، المبحث الثالث من الفصل الأول، ص69-71.

سنة1979م[1]، و"معارج التفكر ودقائق التدبر" لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني سنة 2000م، و"تفسير محمد عابد الجابري سنة2008م.

وعليه يمكن تقسيم المعتنين بهذا المسلك قبل ظهور التفاسير الخمسة الآنفة الذكر إلى قسمين:

القسم الأول: عناية قدامى المفسرين وعلماء القرآن بفهم القرآن حسب ترتيب النزول

إن المتصفح لتفاسير العلماء القديمة، يجد أن الترتيب النزولي للآي والسور قد صاحب الترتيب المصحفي للسور، حتى أصبحا عنصرين متلازمين، لأن كلا منهما يدعم الآخر، فلا يستغنى عنهما معا.

كما أن جل كلام الباحثين [2] في ترتيب النزول كان ضمن حديثهم عن المكي والمدني، وهو ما أشار إليه مناع القطان بقوله "وقد عني العلماء بتحقيقه عناية فائقة، فتتبعوا القرآن آية آية، وسورة سورة، لترتيبها وفق نزولها، مراعين في ذلك الزمان والمكان والخطاب، لا يكتفون بزمن النزول ولا بمكان النزول بل يجمعون بين الزمان والمكان والخطاب.."[3].

نستشف من ذلك أن قضية "فهم القرآن حسب ترتيب النزول" لم تكن حاضرة في الدرس القرآني بشكل مباشر، لكن من خلال التتبع والبحث، يمكن القول أنه لم يخلو تفسير من إشارات إليها، بشكل أو بآخر، وفيما يلي نستعرض بعض هذه الإشارات في كتب التفسير القديمة:

- قول الرازي (ت: 606هـ) في تفسيره:"والتقدم في التلاوة لا يمنع التأخر في النزول، إذ ليس ترتيب المصحف على ترتيب النزول، وإنما ترتيب التلاوة في المصاحف هو ترتيب جبريل بأمر من الله تعالى"[4].

-وقول النسفي (ت: 710هـ) بعد تفسيره لقوله تعالى"﴿ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ

---

[1]- لم أتطرق لهذا التفسير لتعذر الحصول عليه.

[2]- من أهم من بحث في علم المكي والمدني: فضل حسن عباس في كتابه: إتقان البرهان في علوم القرآن، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط1: 1997م، وأحمد عباس البدوي في رسالته للدكتوراه" أهم خصائص السور والآيات المكية ومقاصدها"، جامعة أم القرى، السعودية، سنة: 1440-1441هـ/1980-1981م.

[3]- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة وهبة، القاهرة مصر، ط11: 2000م، ص48.

[4]- مفاتيح الغيب، الرازي، فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط3: 1420 هـ، 468/6.

﴿فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[النساء: 16]: "أن الحسن قال: أول ما نزل من حد الزنا الأذى ثم الحبس ثم الجلد أو الرجم فكان ترتيب النزول على خلاف ترتيب التلاوة.."[1].

-ونجد ابن جزيّ (ت: 741هـ) يوظف ترتيب النزول في مناسبة الآية لما قبلها، فيقول مثلا عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾[القيامة: 18] أي إذا قرأه جبريل، فاجعل قراءة جبريل قراءة الله لأنها من عنده، ومعنى اتبع قرآنه اسمع قراءته واتبعها بذهنك لتحفظها، وقيل: اتبع القرآن في الأوامر والنواهي ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾[القيامة: 19] أي علينا أن نبينه لك ونجعلك تحفظه، وقيل: علينا أن نبين معانيه وأحكامه، فإن قيل: ما مناسبة قوله: (لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ) الآية لما قبلها فالجواب أنه لعله نزل معه في حين واحد فجعل على ترتيب النزول"[2].

-وفي نظم الدرر نجد إشارات إلى أهمية ترتيب النزول عند حديث المؤلف عن ترتيب المصحف معتبرا إياه من أوجه إعجاز القرآن الكريم حيث قال:"نزل إليك وهو في جلالة النظم وجزالة القول وحلاوة السبك وقوة التركيب ورصانة الوضع وحكيم المعاني وإحكام المباني في أعلى ذرى الإعجاز، وجعل إنزاله تدريجاً بحسب المصالح مطابقاً مطابقة أعجزت الخلائق عن أن يأتوا بمثلها، ثم نظمه على غير ترتيب النزول نظماً أعجز الخلق عن أن يدركوا جميع المراد من بحور معانيه وحكيم مبانيه، فكله إعجاز على ما له من إطناب وإيجاز"[3].

وجاء عن الفيروزآبادي (ت: 817هـ) قوله: "اعلم أَن نزول آيات القرآن، وأَسبابَه، وترتيب نزول السُّور المكِّية، والمدنِيَّة، من أَشرف علوم القرآن..أَمَّا ترتيب نزول السُوَر فاعتمدنا على ما نقله الماورديّ

---

[1]- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين ، تح: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1: 1419 هـ - 1998 م، 341/1.

[2]- التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، الكلبي الغرناطي، تح: عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، 434/2.

[3]- نظم الدرر، البقاعي، مرجع سابق، 94/16.

وأَبو القاسم النِّيسابوريّ في تفسيرهما".ثم ذكر لائحة بترتيب السور المكية والمدنية"[1].

القسم الثاني: عناية المفسرين المحدثين بفهم القرآن الكريم حسب ترتيب النزول

أما من المحدثين، فقد اعتنى به العديد منهم، مثل الطاهر بن عاشور(ت: 1393هـ-1973م) في تفسيره[2]، حيث يذكر ترتيب كل سورة عند بداية تفسيرها، ولم يقدم ترتيبا خاصا به إنما اكتفى باعتماد ترتيب جابر والترجيح بين الروايات الواردة، وذكر بعض الباحثين أن أول من أشار إلى التفسير حسب ترتيب النزول هو سيد قطب في كتابه الظلال، وأن منهجه في كتابه "مشاهد القيامة في القرآن" أنه يعرض هذه المشاهد وفق ترتيب النزول[3].

وفي السياق نفسه نبه مصطفى مسلم، وغيره من المهتمين بالدراسات القرآنية، إلى ضرورة اعتماد ترتيب النزول في دراسة القصص القرآني، والدراسات الموضوعية[4].

كما كان للشاهد البوشيخي مساهمة في ظهور هذا النوع من التفسير، حيث بدأ اهتمامه بترتيب النزول منذ أكثر من ثلاثين سنة–حسب ما صرح به في محاظرته الثانية في سلسلة"الهدى المنهاجي في القرآن الكريم"، وذكر أن هذه الطريقة في فهم القرآن الكريم، ظهرت على استحياء في العصر الحاضر على يد دروزة، وتبعه ناس آخرهم حبنكة، وعلل ظهوره بحاجة الأمة إلى العودة إلى التجربة الأم.[5]

ومن المفسرين من كانت له عناية بما اصطلح عليه ب "بيئة نزول السور والآيات"، منهم رشيد رضا الذي اعتبر الأحداث والوقائع الفكرية والاجتماعية والسياسية التي عاصرت بيئة النزول، من أهم القرائن التي ينبغي الاهتمام بها في سياق تدبرها وتطبيقها في الواقع[6]

---

[1]– بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، اتح: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، د.ط، د.ت، 98/1-100.

[2]–التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، 79/1.

[3]–ينظر: منهج التعامل مع النص القرآني، سليمان الداقور، ص6.

[4]– ينظر: التصوير الفني في القرآن الكريم لسيد قطب، والمدخل إلى التفسير الموضوعي لعبد الستار فتح الله سعيد، ومباحث في التفسير الموضوعي لمصطفى مسلم، وقصص القرآن لفضل حسن عباس.

[5]- ينظر: محاضرات الشاهد البوشيخي "الهدى المنهاجي"، مؤسسة البحوث والدراسات العلمية مبدع https://www.mobdii.com/

[6]–المنار، رشيد رضا، الهيئة المصرية للكتاب، د.ط، 1990، 3/1.

كما كان للمودودي بالغ الاهتمام ببيان زمن نزول السورة ومكانها من حيث كونها مكية، أو مدنية، من ذلك قوله عن سورة الحجرات: "يبحث مضامين هذه السورة ثلاث واقعات هامة، الأولى: غزوة الأحزاب التي وقعت في شوال من السنة الخامسة للهجرة، والثانية: غزوة بني قريظة التي وقعت في ذي القعدة من نفس العام، والثالثة: حادثة زواج النبي من السيدة زينب بنت جحش-رضي الله عنها- الذي تم في ذي القعدة من العام المذكور أيضا، ومن هذه الوقائع التاريخية يتحدد زمن نزول هذه السورة على وجه اليقين"[1].

ويرى دعاة المنهج الأدبي في التفسير أن ترتيب آيات القرآن الكريم حسب تاريخ نزولها أمر ضروري للتفسير وخطوة لا بد منها قبل الإقدام عليه، ولفهد الرومي[2] في هذا الصدد ملاحظتان:

الأولى: أن لا أحد ينكر ما لمعرفة ترتيب النزول من أهمية بالغة في التفسير، لكن عدم اتفاق السلف والخلف على ترتيب معين لنزول آيات القرآن الكريم، والاكتفاء بمعرفة المتقدم والمتأخر من الآيات والسور، فإن بناء المنهج الأدبي على أساس عُلِمَ يقينا فَقْدُه أمر يحتاج إلى إعادة نظر.

الثانية: لاحظ أن لا أحدًا من دعاة المنهج البياني أو الأدبي في التفسير قدم محاولة لهذا الترتيب، أو أحال إلى ترتيب معين لا في القديم ولا في الحديث، ليقرر أن الجهود فيه مهما توافرت فإنها تفتقد السند والأدلة التي تأخذ بيدها إلى الصواب وإلا كانت كجهود من ينفخ في رماد، وقد سبق بيان ضعف سند الآثار الواردة في ترتيب النزول في مدخل الدراسة.

وتجدر الإشارة هنا إلى ظهور دراسات قرآنية وظفت ترتيب النزول، منها" الكليات القرآنية حسب ترتيب سورها في النزول" لأحمد الريسوني، والمراد بالكليات القواعد والأحكام العامة التي تنطبق على مجالات وأبواب متعددة وعلى جزئيات غير منحصرة، هذه الدراسة اعتنت باستخراج النصوص الكلية القرآنية من خلال جرد شامل للقرآن الكريم كله، ثم التركيز- بصفة خاصة- على الكليات ذات المضامين والمقتضيات التشريعية والعملية والمنهجية، دون غيرها من الكليات العقدية والكونية والسننية.. ولتسهيل الدراسة والمقارنة قام بترتيب هذه الكليات حسب ترتيب سورها في النزول، مع استحضار ما

---

[1]- تفهيم القرآن، المودودي، تعريب أحمد إدريس، د.ط، د.ت، ص7 .

[2]- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد، المملكة العربية السعودية، ط1: 1407هـ- 1986م، 976/3.

في ترتيب النزول لبعض السور والآيات من الاختلافات[1].

وعليه يتبين مما سبق أنّ كلا الفريقين من مفسري وعلماء القرآن، القدامى منهم والمحدثين، نظر إلى زاوية من زوايا تاريخ النزول، وفاته الإحاطة بترتيب النزول، فخرجت كتابات كل منهم عن الموضوع، مجتزأة ومبتورة غير جامعة، وهو إن دلّ فإنّما يدلّ على أنّ أيّاً من الفريقين لم يهتد إلى الترتيب الزمني الصحيح الذي يوثق به.

خلاصة المبحث:

– فهم القرآن حسب ترتيب النزول، منهج جديد في تفسير القرآن الكريم، يقوم على تناول سور القرآن مرتبة وفق زمن نزولها، خلافا لما درج عليه المفسرون من الالتزام بالترتيب المصحفي.

– الوقوف على ترتيب النزول من أهم الآليات للكشف عن مقاصد السور، والناسخ والمنسوخ، وفهم القصص القرآني، وهو قاعدة من قواعد الترجيح بين أقوال المفسرين عند الإختلاف، كما أنه أحد عناصر السياق، ووسيلة لاستنباط اللطائف التفسيرية.

– الاهتمام بفهم القرآن حسب ترتيب النزول ظهر مبكرا من خلال الاهتمام بأسباب النزول، والمكي والمدني، وتنجيم القرآن، والاعتناء بأول ما نزل وآخر مانزلّ، والليلي والنهاري..وتبلور مع ظهور التفسير الموضوعي لآيات القرآن الكريم، الذي انتهى، في العصر الحديث، بظهور تفاسير كاملة على ترتيب النزول.

[1] – ينظر: بحث منشور على موقع الأستاذ أحمد الريسوني، بتاريخ 16أفريل 2019، http: //raissouni.net/1057.

المبحث الثاني: ارتباط ترتيب النزول بأسباب النزول

يعتبر بحث أسباب النزول في القرآن الكريم من أهم أبحاث علوم القرآن قديماً وحديثاً، وهو مورد نقاش وأخذ ورد بين العلماء، وقد ارتبط هذا العلم بمباحث عديدة من علوم القرآن وأصول التفسير، ومن هنا كان من الضروري أن أتناول هذا البحث لبيان علاقة أسباب النزول بترتيب النزول، والوقوف على الاشكاليات المثارة حوله أيضاً، ومن ثم التركيز على الكشف عن أوجه الارتباط بين أسباب النزول وترتيب النزول.

المطلب الأول: أهمية أسباب النزول في التفسير:

إن العلم بأسباب النزول له أهمية خاصة لتفسير كلام الله جل وعلا، فمعرفة الزمان والمكان وأحوال النزول لها أثر في فهم المعنى، كما أن"الجهل بأسباب النزول موقع في الشبه والاشكالات ومورد النصوص الظاهرة مورد الإجمال حتى يقع الاختلاف، وذلك مظنة وقوع النزاع"[1]، ولذا نص العلماء على وجوب تعلمه للمفسر، يقول الواحدي (ت:468هـ): "..فآل الأمر بنا إلى إفادة المبتدئين المتسترين بعلوم الكتاب، إبانة ما أنزل فيه من الأسباب، إذ هي أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأولى ما تصرف العناية إليها، لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها، دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها"[2].

أما الدهلوي (ت: 1176هـ) فيرى أن في قول الواحدي مبالغة، لأن الغالب في تفسير الآي لا يعتمد على أسباب النزول، وفي ذلك يقول إن "الإحاطة بجميع روايات أسباب النزول ليست من شروط المفسر، وإن اعتبار معرفتها شرطا من شروط التفسير خطأ بين، والاعتقاد بأن تدبر كتاب الله – تعالى – يتوقف على الإحاطة بها واستحضارها تفويت لحظ النفس من كتاب الله وحرمان من إدراك روحه وجوهره"[3]. وإن كان البعض[4] لا يوافقه إلا أن في كلامه جانب من الصحة، ذلك أن أسباب النزول

---

[1]-ينظر: الموافقات، الشاطبي، 146/4.

[2]- ينظر: أسباب النزول، الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد، تحقيق: عصام بن محسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، ط2: 1412هـ-1992م، ص16.

[3]- الفوز الكبير في أصول التفسير، ولي الله الدهلوي، أحمد بن عبد الرحيم، عربه من الفارسية: سلمان الحسيني الندوي، دار الصحوة، القاهرة، ط2: 1407هـ-1986م، 105/1.

[4]- ينظر: مقدمة كتاب العجاب في بيان الأسباب، ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، تحقيق عبد الحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي، د.ط، د.ت، 99/1.

ليست على مرتبة واحدة في الأهمية، فبعضها لا يستغنى عنه كبيان المبهمات مثلا، أو بيان مجمل أو مشتبه..أما أسباب النزول المتمثلة في الحوادث التي كانت سببا في نزول آيات الأحكام والتشريعات، فهذه يمكن فهم الآيات بدونها[1].

ومع اختلاف الآراء حول مدى أهمية أسباب النزول في فهم كلام الله عزوجل، إلا أن أهل العلم مجمعون على أن أسباب النزول تساعد المفسر في الوصول إلى مراد الله من الآية التي ثبت نزولها لسبب، يقول ابن تيمية (ت: 728هـ) إن "معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، لأن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب"[2] وجهل الناس بأسباب النزول كثيرًا ما يوقعهم في اللبس والإبهام، فيفهمون الآيات على غير وجهها، ولا يصيبون الحكمة الإلهية من تنزيلها، كما حدث لمروان بن الحكم حين توهم أن قوله تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[آل عمران: 188] ولا تحسبن..العذاب. وعيد للمؤمنين، فقال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل: لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعون! فقال ابن عباس: وما لكم ولهذه! إنما دعا النبي ﷺ يهود، فسألهم عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم، وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم، ثم قرأ ابن عباس: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ ﴾[آل عمران: 187] وإذ أخذ..لتبيننه حتى قوله:﴿ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ ﴾[آل عمران: 188] يفرحون..يفعلوا فلم يزل الإشكال إلا بمعرفة سبب النزول"[3].

ولعل هذا ما يفسر وجود الكمّ الكبير من روايات أسباب النزول، في كتب التفسير القديمة منها والحديثة على حدّ سواء، وكثرة المؤلفات التي اعتنت بأسباب النزول رواية ودراية.[4]

ومما يجدر الإشارة إليه أن تأكيد العلماء على ضرورة العلم بأسباب النزول، لا يعني ما قصده

---

[1]- فقد قسم الطاهر بن عاشور أسباب النزول إلى خمسة أقسام، ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، 1/47-50.

[2]- ينظر: مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، الطبعة: 1490هـ-1980م، ص16.

[3]- مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم الملايين، ط24: 2000، ص130.

[4]- لمعرفة ما ألف في أسباب النزول رواية ودراية يرجع إلى العجاب في بيان الأسباب، ابن حجر العسقلاني، 1/80-92.

العشماوي حين قصر فهم القرآن الكريم على معرفة أسباب النزول حيث يقول: "إنه إذا لم يفسر بأسباب نزوله فإنه يؤدي إلى إسلام آخر غير الإسلام الذي قصد إليه القرآن ودعا إليه النبي ﷺ فإذا حصل ولم يصل المسلمون جميعا إلى أسباب تنزيل يقصرون الآيات عليها، فإن عليهم أن لا يرهقوا الألفاظ بمعاني لم يقصدها التنزيل"[1]، وهذه مجرد دعوى، أرسلها العشماوي دون إثباتها بالدليل، فكانت الدعوى ساقطة لا قيمة لها ولا اعتبار.

وقد فصّل أهل العلم في فوائد العلم بأسباب النزول، وهي مبسوطة في مظانها[2]، لا حاجة لإعادتها هاهنا، لأن ما يهمنا هو البحث عن فائدة علم أسباب النزول في معرفة ترتيب النزول، فهل يمكن إضافتها كفائدة جديدة ؟ وهل يمكن القول أن علم أسباب النزول وترتيب النزول مرتبطان ببعضهما؟ هذا ما سنبحثه في المطلب الموالي.

المطلب الثاني: أهمية العلم بأسباب النزول في ترتيب السور حسب النزول:

يعرف سبب النزول بأنه: "ما نزل فيه قرآن وقت وقوعه"[3]، أو"ما نزلت الآية أو الآيات أيام وقوعه متضمنة له أو مبينة لحكمه"[4]، أو كما عرفه الزرقاني بأنه" ما نزلت الآية، أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه[5]".

وحيث لا يمكن في هذه العجالة ذكر الاختلاف الواقع بين العلماء حول تحديد مفهوم سبب النزول، سأكتفي بهذه التعريفات للنظر في ارتباطها بترتيب النزول، وذلك من خلال نقطتين:

الأولى: أثر أسباب النزول في ترتيب النزول، والثانية: أثر ترتيب النزول في أسباب النزول.

---

[1]- العقل في الإسلام، العشماوي محمد سعيد، مؤسسة الانتشار العربي، إصدار: 2004م، ص40.

[2]- ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ص34-35، والإتقان في علوم القرآن، السيوطي، أبو الفضل عبد الرحمن جلال الدين، تح: طه عبد الرءوف سعد، المكتبة التوفيقية، القاهرة مصر، د.ط، د.ت، 1/95-97، ومباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق سوريا، ط1: 1434هـ-2013م، ص72-75.

[3]- ينظر: الإتقان، السيوطي، 1/94.

[4]- ينظر: إتقان البرهان، فضل عباس، 1/253.

[5]- مناهل العرفان، الزرقاني، ص105.

أولا: أثر أسباب النزول في ترتيب النزول: ويظهر في نقاط عديدة منها:

1-معرفة ترتيب النزول:

إن القاسم المشترك بين أسباب النزول وترتيب النزول هو عنصر الزمن أو الوقت، فمن يجل النظر في التعريفان السابقة يجد بوضوح أن أسباب النزول تدله على الظرف الزماني والظرف المكاني لنزول الآية، وإذا عرف سبب نزول الآية عرف وقت نزولها، وبالتالي إمكان تحديد ترتيبها الزمني ضمن باقي الآيات، والسور على وجه التقريب لا الجزم.

وفي ذلك يقول مساعد الطيار عند حديثه عن علاقة المكي والمدني بأسباب النزول: "يظهر الارتباط الوثيق بينهما فيما إذا صح نزول آية في حدث مكي أو في حدث مدني، فإن سبب النزول يدل على المكي والمدني من هذه الجهة، مع ملاحظة أن بعض ما يُحكى في الأسباب قد يكون من باب التفسير، وليس من باب الأسباب الصريحة، وفي هذه الحالة يمكن تفسير الآية المكية بحدث مدني، ولا يكون هذا التفسير دليلا على مدنية الآية" [1].

وفي السياق نفسه يقول: عبد الرّحمن حبنّكة "لذلك لا يصحّ اعتماد جميع ما ذكره المفسّرون على أنّه من أسباب النّزول، واعتباره أساسًا لتحديد معاني، إلاّ أن يثبت بسند صحيح، ولا يتنافى مع تاريخ نزول النّصّ أو يكون منسجمًا مع دلالات النّصّ الواضحة..."[2].

وليظهر هذا الارتباط جليا نمثل له بسورة الصف التي نزلت كاملة، وقد اختلف أهل العلم في مكيتها أو مدنيتها، قال الدانيّ (ت: 444هـ): "مدنية، هذا قول قتادة وقال ابن عباس ومجاهد وعطاء مكية"[3]، وقال ابن الجوزيّ (ت: 597هـ): "..وفيها قولان: أحدهما مدنية قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة والجمهور، والثاني: مكية قاله ابن يسار"[4]، وممن نص على مكيتها الزجاج (ت:

---

[1]- المحرر في علوم القرآن، مساعد بن سليمان الطيار، ص100.

[2]- قواعد التّدبّر الأمثل، عبد الرّحمن حبنكة الميداني، ص98.

[3]- البيان في عدّ آي القرآن، الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو، تح: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ط1: 1414هـ-1994م، 245/1.

[4]- زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1: 142هـ، 276/4.

311هـ) في معاني القرآن[1]، وممن نص على مدنيتها: السيوطي (ت:911هـ) في الدر المنثور[2]، وغيرهم[3].

أما الذين قالوا بمدنيتها، فمنهم من عضد قوله استنادا إلى موضوعات السورة، كابن عطية (ت: 546هـ) الذي قال في المحرر الوجيز:"وهي مدنية في قول الجمهور، وقال مكي عن ابن عباس والمهدوي وعطاء ومجاهد إنها مكية، والأول أصح لأن معاني السورة تعضده ويشبه أن يكون فيها المكي والمدني"[4]، ومنهم من عضد قوله بسبب نزول السورة كالشوكانيّ (ت:1250هـ) الذي قال في الفتح القدير: "وهي مدنية كما قال الماورديّ.. وأخرج ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة الصف بالمدينة، وأخرج ابن مردويه عن الزّبير مثله، وأخرج النحاس عن ابن عباس قال: "نزلت سورة الصف بمكة" ولعل هذا لا يصحّ عنه، ويؤكد أنها مدنية ما أخرجه أحمد عن عبد الله بن سلام قال: "تذاكرنا أيكم يأتي رسول الله ﷺ فيسأله: أي الأعمال أي الأعمال أحبّ إلى الله؟ فلم يقم أحد منّا، فأرسل رسول الله ﷺ إلينا رجلا فجمعنا، فقرأ علينا هذه السّورة (يعني سورة الصف كلها).."[5]، والرأي نفسه ذهب إليه الطاهر بن عاشور (ت:1393هـ) حيث قال: "وهي مدنية عند الجمهور كما يشهد لذلك حديث عبد الله بن سلام.."[6].

والرواية الأصح والأقوى لسبب نزول سورة الصف، من تلك التي ذكرها الشوكاني هي الرواية التي

---

[1]- معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، غبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق، تحقيق: عبد العزيز عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1: 1408هـ-1988م، 163/5.

[2]- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت، 145/8.

[3]- ينظر: جمال القراء وكمال الإقراء، للسخاوي، أبو الحسن علي بن محمد، ، تحقيق: مروان العطية ومحسن خرابة، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ط1: 1418هـ-1997م، 18/1، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1: 1418هـ، 208/5، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري، العينيّ، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط، 337/19، وغيرهم.

[4]- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1422هـ، 291/28

[5]- الفتح القدير، الشوكانيّ، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (ت: 1250هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1: 1414 هـ، 291/5.

[6]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، 172/28.

أوردها الواحدي في كتابه وهي كالآتي:

عن عبد الله بن سلام ﷺ، قال: قعدنا نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا، فقلنا، لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله، لعملناه، فأنزل الله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾[الصف: 1-4] قال عبد الله بن سلام: فقرأها علينا رسول الله ﷺ"[1].

ومما سبق يتبين كيف وظف سبب النزول في تحديد مكية أو مدنية بعض السور المختلف فيها، ولا شك أنها أولى خطوات الترتيب الزمني للسور، ومعلوم أن لمعرفة المكي والمدني طريقان: سماعي وقياسي، فالسماعي يكون من خلال روايات أسباب النزول، وما ورد عن الصحابة في ذلك، أما القياسي فيكون من خلال الضوابط والقواعد التي ذكرها العلماء للمكي والمدني بالنظر في سمات كل منهما.

إلا أن هذه الفائدة محدودة، جدا إذا علمنا أن القرآن النازل لأسباب قليل بالمقارنة مع القرآن الذي نزل ابتداء بدون سبب وهذا مقرر عند أهل العلم، ذكر أبو شهبة (ت: 1403هـ) أن القرآن الكريم ينقسم من حيث سبب النزول وعدمه إلى قسمين[2]:

القسم الأول: ما نزل ابتداء من غير سبق سبب نزول خاص، وهو كثير في القرآن الكريم، وذلك مثل الآيات التي اشتملت على الأحكام والآداب، التي قصد بها ابتداء هداية الخلق، وإرشادهم إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة.

والقسم الثاني: ما نزل مرتبطا بسبب من الأسباب الخاصة، كأن تقع حادثة أو يوجه سؤال للنبي

---

[1]- أسباب النزول، الواحدي، ص453، الحديث أخرجه الدارمي في سننه، 120/2، رقم1395، والترمذي في جامعه، 412/5، رقم 3309، وأبو يعلى في المسند، 487/13، رقم 7499، وابن حبان في صحيحه، 404/10، رقم 3594، وغيرهم، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وكذا صححه الألباني في صحيح الترمذي، ينظر: الاستيعاب في بيان الأسباب، سليم بن عبد الهلالي، ومحمد بن موسى آل نصر، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1: 1425هـ، 399/3،401.

[2] – المدخل لدراسة القرآن الكريم، أبو شهبة، محمد بن محمد بن سويلم، مكتبة السنة، القاهرة، ط2: 1423هـ-2003م، 132/1 .

ﷺ، فينزل القرآن بتبيان ما يتصل بهذه الحادثة، أو بجواب هذا السؤال، وهذا ما يعرف بسبب النزول.

وقد يعترض على ما تقدم، بالقول أنه ليس كل سبب نزول متفق زمنيا مع نزول الآية، وهذا أمر وارد، ويمثل لذلك بالحديث الآتي:

عن أبيّ بن كعب، قال: لما كان يوم أحد أصيب (وفي رواية: قتل) من الأنصار أربعة وستون رجلا، ومن المهاجرين ستة منهم حمزة، فمثلوا بهم، فقالت الأنصار: لئن أصبناهم يوما مثل هذا عن المشركين لنُربِينّ عليهم، قال: فلماكان يوم فتح مكة، قال رجل: لاتعرف قريش بعد اليوم، فنادى مناد: إن رسول الله أمن الأسود والأبيض إلا فلانا وفلانا، فأنزل الله—تبارك وتعالى-: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧﴾[النحل: 126-127] فقال رجل: لا قريش بعد اليوم، فقال رسول الله ﷺ: "كفوا عن القوم إلا أربعة"، وفي رواية: "نصبر ولا نعاقب"[1].

يظهر-لأول وهلة- أن هناك تعارض بين زمن نزول الآية وسبب نزولها، فسورة النحل مكية[2] والحادثة المذكورة في الحديث وقعت يوم الفتح، وهذا لا يستقيم، خاصة وأن الحديث حسن، ولكن بالرجوع إلى أقوال العلماء ينجلي هذا الإشكال، ذكر السيوطي(ت: 911هـ) أن سورة النحل نزلت بمكة سوى ثلاث آيات من آخرها[3]، ويقول ابن عاشور(ت: 1393هـ) : "وهي مكّيّةٌ في قول الجمهور وهو عن ابن عبّاسٍ وابن الزّبير، وقيل: إلّا ثلاث آياتٍ نزلت بالمدينة منصرف النّبي ﷺ من غزوة أحدٍ، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾[سورة النّحل: 126] إلى آخر السّورة.

قيل: نزلت في نسخ عزم النّبي ﷺ على أن يمثّل بسبعين من المشركين إن أظفره اللّه بهم مكافأةً

---

[1]-أخرجه الترمذي برقم (3129) 5/299-300، والنسائي في التفسير برقم(299) 1/640-641، الحديث حسن: ينظر: الاستيعاب في بيان الأسباب، سليم بن عبد الهلالي ومحمد بن موسى آل نصر، 2/340-431.

[2] – ينظر: جامع البيان، ابن جرير الطبري، 14/158، ومعالم التنزيل، للبغوي، أبو محمد الحسن بن مسعود، تح: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الرياض، 1409هـ، 5/7، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1: 1420هـ-2000م، 4/555، وغيرها.

[3]– ينظر: الدر المنثور، السيوطي، 9/5.

على تمثيلهم بحمزة"[1].

ومن هنا يتبين أن الآية مدنية، وبالتالي لا يوجد تعارض بين سبب النزول وزمن نزول الآية.

2-بيان زيف ترتيب بعض الآيات عند المفسرين:

ومن أوجه ارتباط أسباب النزول بترتيب النزول-أيضا- أنه يبين زيف ترتيب بعض الآيات عند المفسرين، من ذلك ترتيب آيات التحدي، فقد ورد في كتاب الله تبارك وتعالى أكبر تحدٍّ للعرب وهم أهل اللغة والفصاحة أن يأتوا بمثل هذا القرآن فقال الله عز وجل: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[الإسراء: 88].

ثم تحداهم بعد أن عجزوا عن الإتيان بمثله بأن يأتوا بعشر سور من مثله كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [سورة هود: 13].

ثم تحداهم بأن ياتوا بسورة واحدة مثله، كما قال سبحانه: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[سورة يونس: 38].

وهذا الترتيب المنطقي الذي يذهب إليه بعض المفسرين[2] لايتفق مع زمن نزول تلك الآيات، فالمفسرون يذكرون أن التحدي كان أولاً بالإتيان بمثل القرآن كله ثم بعشر سور ثم بسورة من مثله. غير أن ترتيب نزول الآيات لا يساعد على ذلك، ولعل "الذين قالوا بذلك القول كان اجتهادا منهم، لكونه متفقا مع الترتيب المعقول، ومتوافق-أيضا- مع طبيعة التحدي، ونظام المعارضة والمغالبة الذي يبدأ من الصعب إلى السهل"[3].

---

[1]- التحرير والتنوير، ابن عاشور، 14/93-94.

[2]- منهم: الفخر الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب، 17/155، والزركشي في البرهان، 2/110، ومناع القطان في مباحث في علوم القرآن، ص259 وغيرهم.

[3]- ينظر: آيات التحدي في القرآن الكريم، الدلالة والإيحاء، عبد العزيز بن صالح العمار، اصدار الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، الرياض، د.ت، د.ط، ص19.

وقد ذهب إلى هذا القول ثلة من أهل العلم، منهم صاحب الظلال حيث قال: ".. أن هذا يحتاج إلى ما يثبته، وليس في أسباب النزول ما يثبت أن آية يونس كانت بعد آية هود، والترتيب التحكمي في مثل هذا لا يجوز"[1].

ويقول صاحب المنار: "وهذا ترتيب معقول لو ساعد عليه تاريخ النزول"[2]، ويقول في موضع آخر: "وإنني أجزم بعد التأمل في جميع آيات التحدي وتاريخ نزول سورها أنها لم يكن مراعى بها الترتيب التأريخي في مخاطبة المشركين كما زعم جمهور المفسرين، بل ذكر كل منها بمناسبة سياق سورته"[3]. ويضيف سيد قطب "أن التحدي كان يلاحظ حالة القائلين وظروف القول، فيقول مرة: ائتوا بمثل هذا القرآن. أو ائتوا بسورة، أو بعشر سور، دون ترتيب زمني، لأن الغرض كان هو التحدي في ذاته بالنسبة لأي شيء من هذا القرآن، كله أو بعضه أو سورة منه على السواء، فالتحدي كان بنوع هذا القرآن لا بمقداره، والعجز كان عن النوع لا عن المقدار، وعندئذ يستوي الكل والبعض والسورة.. ولا يلزم ترتيب.. ونحن اليوم لا نملك تحديد الملابسات التي لم يذكرها لنا القرآن"[4].

وسواء كانت آيات التحدي مراعية لسياق السور الواردة فيها، أو مراعية لحالة القائلين، فإنه ما يهمنا هنا هو بطلان ترتيب آيات التحدي على النحو الذي ذهب إليه جمهور المفسرين، لعدم وجود أسباب نزول تثبت ذلك الترتيب.

تلك نماذج من تأثير أسباب النزول في ترتيب النزول، فما هو يا ترى تأثير ترتيب النزول في أسباب النزول؟

ثانيا: أثر ترتيب النزول في أسباب النزول:

يعد الدارسين المكي والمدني هو "الحكم والميزان الذي توزن به روايات أسباب النزول، وليس العكس، وذلك لإمكانية الحكم على الآية بكونها مكية أو مدنية من غير طريق أسباب النزول..بينما

---

[1]- الأساس في التفسير، سعيد حوّى، دار السلام، القاهرة، ط1: 1405هـ-1985م، 2542/5.

[2]- المنار، محمد رشيد رضا، 161/1 .

[3]- المرجع نفسه، 194/1.

[4]- ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ص1862.

أسباب النزول لا طريق لمعرفتها إلا من خلال الروايات"[1].

وتبين الدراسات الحديثية أن للمكي والمدني أهمية في تمحيص روايات أسباب النزول، حيث "يظهر النقد الحديثي لأسباب النزول من منظور المكي والمدني بيان ضعف الرواية تارة، وتارة في الترجيح بين رواياتها الصحيحة، وتارة ببيان وهم الراوي في التعبير عن التلاوة بلفظ صريح في سبب النزول، وتارة ببيان إدراج سبب النزول في الرواية، وتارة ببيان النسخ المدعي، وتارة ببيان انقطاع السند"[2] تزامن نزول الآية مع وقوع الحدث أو السؤال.

وهذا لايعني ما يدعيه بعض المشككين في أسباب النزول، من أنه يمكن معرفة أسباب النزول من خلال ترتيب نزولها، حيث يقول أحدهم:"..وقد أثيرت في هذا السياق مشكلة ترتيب السور خاصة وأن الترتيب السائد لم يعتدّ بترتيب النزول، فضلا عن ندرة القرائن اللغوية النصية الصريحة المحددة لزمن نزول الآيات ومناسباتها، وقد مثلت هذه الندرة عائقا تقنيا في الإهتداء إلى سبب النزول".[3]

وهذا القول مردود على صاحبه، إذ لا طريق لمعرفة أسباب النزول إلا النقل، وقد حذر أهل العلم من الخوض فيه، يقول الواحدي (ت: 468هـ): "ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب وبحثوا عن علمها وجدوا في الطلاب وقد ورد الشرع بالوعيد للجاهل ذي العثار في هذا العلم بالنار"[4] وذكر حديث رسول اللهﷺ: " اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم فإنه من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ومن كذب على القرآن من غير علم علم فليتبوأ مقعده من النار"[5] مشيرا إلى الباعث على تأليفه هو جرأة الجهال على الكلام فيه إفكا وكذبا[6].

بعد أن تأكد لدينا من خلال ما تقدم أن لأسباب النزول ارتباط بترتيب النزول، فإنه يحسن

---

[1]- النقد الحديثي لروايات أسباب نزول القرآن الكريم من منظور المكي والمدني، حسام خالد محمد السقار، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، المجلد الثالث والعشرون، العدد الأول، يناير 2015م، ص247.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص 248.

[3]- "في ما بين أسباب النزول والنزعة التاريخية، تطابق أو تلبيس"، لخضر سباعي، مجلة مقاربات فلسفية، جامعة عبد الرحمن ابن خلدون، تيارت، العدد الخامس (1) 9.9، ص202.

[4] - أسباب النزول، الواحدي، ص5.

[5]- مسند أحمد، باب مسند عبد الله بن عباس، ح(2675)، 197/3.

[6]- أسباب النزول، المرجع السابق، ص5.

الوقوف على ما يثار حولها من إشكالات عديدة طرحت ولا تزال تطرح على الساحة الفكرية المعاصرة، وهذا يحيلنا إلى المطلب الموالي.

المطلب الثالث: إشكالات حول أسباب النزول:

إن المستقرئ لما كتب في أسباب النزول، يقف على جملة من الإشكالات التي تواجه الباحث، وقد تفطن أهل العلم لهذه المعضلات، منهم مثلا ولي الله الدهلوي، حيث كتب تحت عنوان "صعوبة موضوع أسباب النزول": "ومن المواضيع الصعبة أيضاً معرفة أسباب النزول، ووجه الصعوبة في هذا الباب كذلك اختلاف المتقدمين والمتأخرين فيها"[1].

ويقول فضل عباس: "مبحث أسباب النزول ذو خطر حقا، وخطره ليس فيها كتبه الأقدمون فحسب، بل فيما عرض إليه المحدثون من العلمانيين، ودعاة الحداثة"[2].

ولست بسبيل بسط جميع الإشكالات المثارة حول علم أسباب النزول، لأنه ما من إشكال متعلق بهذا الباب إلا وقد طرح وعولج، وإنما يعنيني منها التنبيه إلى أمسّها صلة بموضوع البحث، وأكثرها إثارة للجدل في الدراسات الحديثة، لذا سنستعرض بإيجاز بعضها في النقاط التالية:

أولا: عدم تحري الصحة في أسباب النزول وإهمال توثيق الأسانيد:

وهذا الأمر ليس جديدا، بل وجد من القدامى من نبه إليه، من ذلك ما ذكره السيوطي (ت: 911هـ) في الإتقان بعد ذكره جماعة ممن يذكرون التفسير بالأسانيد كابن جرير الطبري (ت: 310هـ) وابن أبي حاتم (ت: 327هـ) وغيرهما: "..ثم ألف في التفسير خلائق فاختصروا الأسانيد ونقلوا الأقوال تترى فدخل من هنا الدخيل والتبس الصحيح بالعليل ثم صار كل من يسنح له قول يورده ومن يخطر بباله شيئ يعتمده ثم ينقل ذلك عنه من يجيئ بعده ظانا أن له أصلا غير ملتفت إلى تحرير ما ورد عن السلف الصالح ومن يرجع إليهم في التفسير.."[3].

والعلماء يؤكدون على لزوم معرفة صحة الرواية عن رسول الله ﷺ أو عن الصحابة رضي الله

---

[1]- الفوز الكبير في أصول التفسير، ولي الله الدهلوي، 95/1.

[2]- ينظر: إتقان البرهان، فضل عباس، ص250.

[3]- الإتقان، السيوطي، 190/2.

عنهم، في العلم بسبب النزول، يقول الواحدي (ت: 468هـ):" لا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها وجدوا في الطلب" ويأتي السيوطي ليجلي هذا المعنى بقوله:"..وما كان منه عن صحابي فهو مسند مرفوع، إذ قول الصحابي فيما لا دخل للإجتهاد مرفوع، أو التابعي فمرسل، وشرط قبولهما صحة السند.."[1] وهذا هو نهج علماء السلف، فقد كانوا يتورعون عن أن يقولوا شيئا في ذلك دون تثبت.

من أمثلة الروايات الضعيفة، ما روي في تفسير قوله –سبحانه وتعالى–: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ﴾[هود: 5] قال أبو السعود(ت: 982هـ) عند تفسير هذه الآية: "روي عن بن عباس –رضي الله عنهما– أنها نزلت في الأخنس بن شريق، وكان رجلًا حلوَ المنطق حسنَ السياق للحديث، يُظْهِرُ لرسول الله ﷺ المحبة، ويضمر في قلبه الحقد والبغضاء"[2]، "هذا السبب ذكره الواحدي عن الكلبي بدون إسناد، والكلبي هذا متهم بالكذب من علماء الجرح والتعديل، قال أبو النضر: الكلبي تركه يحي بن معين، وابن مهدي، ثم قال البخاري: قال علي: حدثنا يحي عن سفيان، قال لي الكلبي: كل ما حدثتك عن أبي صالح، فهو كذب. انظر: (ميزان الاعتدال) للذهبي، وذكره أيضًا ابن الجوزي في (الموضوعات) في تفسيره (زاد المسير) وبيَّن أنه حديث ضعيف، وقال: رواه أبو صالح عن ابن عباس –رضي الله عنهما– ومعلوم: أن طريق أبي صالح عن ابن عباس من أوهى الطرق، وقال الحافظ ابن حجر: إن ما ذكره أبو السعود سبب في نزول الآية، وفي أنها نزلت في المنافقين بعيدٌ جدًّا عن الصواب؛ لأن الآية مكيةٌ، والنفاق إنما حدثَ بالمدينةِ، فكيف يتسنَّى القول: بأنها نزلت بالمنافقين، هذا ما أورده البعض"[3].

وقد انتقد دروزة تعامل المفسرين مع أسباب النزول، في الفصل الرابع من مقدمة تفسيره الذي خصصه للتعليق على كتب التفسير ومناهجها، حيث قال:"إن هناك روايات كثيرة في أسباب النزول ومناسباته، وقد حشرت في كثير من كتب التفسير التي كتبت في مختلف الأدوار، لا تثبت على النقد

---

[1]- التحبير في علم التفسير، السيوطي، جلال الدين عب الرحمن، تحقيق: فتحي عبد القادر فريد، دار العلوم الرياض، السعودية، ط1، 1402-1982م، ص 86.

[2]–إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط، دت، 185/4.

[3]–ينظر: الدخيل في التفسير، مناهج جامعة المدينة العالمية، جامعة المدينة العالمية، 367/1.

والتحميص طويلًا..حتى إن الناقد البصير ليرى في كثير من هذه الروايات أثر ما كان من القرون الإسلامية الثلاثة من خلافات سياسية ومذهبية وعنصرية وفقهية وكلامية قوي البروز، وحتى ليقع في نفسه إن كثيرًا منها منحول أو مدسوس أو محرف عن سوء نية وقصد تشويش وتشويه ودعاية ونكاية وحجاج وتشهير، أو قصد تأييد رأي أو شيعة على شيعة.."[1].

ورغم وجاهة هذا الكلام إلا أن دروزة وقع فيما أنكره على غيره، وسنوضح ذلك في حينه.

والمقابل فإنه وجد من المعاصرين من طعن في روايات أسباب النزول، مستندا إلى الروايات الضعيفة المبثوثة في كتب التفسير، مدعيا أنها من تأليف المفسرين ليس إلا، منهم بسام الجمل الذي لم يألو جهدا في محاولة إثبات مزاعمه في هذا المجال.

نسوق فيما يلي أمثلة مما كتبه في كتابه "أسباب النزول":

يقول: "إن المفسرين القدامى تتبعوا الآيات التي يفهم منها إلقاء سؤال على الرسول أو استفتاؤه في أمر معين، وصنعوا لها أخبارا جاعلين أبطالها من الصحابة المعروفين ومتخدين من الرسول شاهد اثبات على صحة ما رووه من أسباب نزول"[2]

ويقول في موضع آخر: "استغل المفسرون وعلماء القرآن تعدد أسلوبي الأمر والنهي في القرآن لحبك أسباب نزول الآيات مما يقتضي بالضرورة وجودها في الواقع التاريخي"[3]

ومن الأمثلة التي استدل بها على كلامه، ما رواه الواحدي في سبب نزول قوله تعلى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾[القيامة: 3] أنها نزلت في عدي بن ربيعة، وذلك أنه أتى النبي ﷺ فقال: حدثني عن يوم القيامة متى يكون وكيف يكون أمرها وحالها؟ فأخبره النبي ﷺ بذلك، فقال: لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك يا محمد ولم أؤمن به، أو يجمع الله هذه العظام، فأنزل الله تعالى هذه الآية[4].

---

[1]- التفسير الحديث، دروزة، محمد عزة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1: 1383 هـ، 205/1.

[2]- أسباب النزول علما من العلوم، بسام الجمل، المؤسسة العربية للتحديث الفكري، والمركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1: 2005، ص180.

[3]- أسباب النزول علما من العلوم، بسام الجمل، ص181.

[4]- أسباب نزول القرآن، الواحدي، 448/1.

ولا يتورع في دعواه أن هذه الروايات من صنع المفسرين[1] وعلماء القرآن، وأصحاب الفرق[2]، مستغلا بذلك الروايات الضعيفة المبثوثة في كتب التفسير وعلوم القرآن[3].

وهذا ادعاء يصادم جهود علماء الحديث في جمع وتمحيص الروايات ويناقض إجماعهم على أن "أسباب النزول فيها روايات صحيحة نقلت إلينا من ثقات ودونت فيما بعد في كتب السنن والصحاح وبعضها الآخر بقي ضمن السير والمغازي فدون معها وكثير من هذه الأسباب نقل إلينا بواسطة الثقات، العدول، الضابطين، عن الصحابة رضوان الله عليهم" ف"تتبع علماء القرآن للروايات الباطلة وردهم لها ودعوتهم لتنقية كتب التفسير منها، لا يدل إلا على حرصهم على الدقة في الرواية والصحة في النقل، كما يدل على أن تكوّن هذا العلم وتشكله كان نتيجة جهد جهيد عمله السابقون في ملاحقة الروايات التي يعتقد أنها تهتم بواقع التنزيل وترسم حالة الناس في زمنه" [4].

ثانيا: دعوى أن لكل آية سبب نزول:

حذر العديد من أهل العلم من مغبة الاستكثار منّ أسباب النزول دون تمحيص، خشية أن يظن القارئ أن لكل آية من كتاب الله جل وعلا سبب نزول، يقول الطاهر بن عاشور: "..ولكني لا أعذر أساطين المفسرين الذين تلقفوا الروايات الضعيفة فأثبتوها في كتبهم ولم ينبهوا على مراتبها قوة وضعفا، حتى أوهموا كثيرا من الناس أن القرآن لا تنزل آياته إلا لأجل حوادث تدعو إليها، وبئس هذا الوهم فإن القرآن جاء هاديا إلى ما به صلاح الأمة في أصناف الصلاح فلا يتوقف نزوله على حدوث الحوادث الداعية إلى تشريع الأحكام "[5].

---

[1]- من المفسرين الذين ذكروا هذه الرواية: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم ، تح: أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1: 1422هـ-2002م، 82/10، ومعالم التنزيل، البغوي، 182/5، والجمع لأحكام القرآن، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2: 1384هـ-1964م، 93/19، التحرير والتنوير 339/29، والتفسير الحديث لدروزة 190/2 وغيرها.

[2]- ينظر: أسباب النزول علما من العلوم، بسام الجمل، ص59.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص184-185.

[4]- شبهات الحداثيين حول أسباب النزول، بسام الجمل نموذجا، أحمدي الشيخ التجاني، مجلة معهد الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد 12، ذو الحجة 1437هـ، ص178.

[5]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، 42/1.

وفعلا ظهر –في العصر الحديث– من يزعم أن آيات القرآن كلها أو أكثرها نزلت لأسباب، إلى درجة أن جعل بعضهم كلام الله مجرد استجابة لكلام البشر[1].

يقول أحدهم: " كل آيات القرآن نزلت على الأسباب أي لأسباب تقتضيها سواء تضمنت حكما شرعيا أم قاعدة أصولية أم نظما أخلاقية، ومن قرأ القرآن بغير هذا الفهم لا يدرك حقيقة معناه وما قصدت إليه آياته"[2].

ويعد نصر حامد أبو زيد من الذين صرحوا بهذه الدعوى، حيث جعل "علم أسباب النزول من أهمّ العلوم الدالّة والكاشفة عن علاقة النصّ بالواقع وجدله"[3]ويقول: "إن الحقائق الإمبريقية المعطاة عن النص تؤكد أنه نزل منجما على بضع وعشرين سنة، وتؤكد أن كل آية أو مجموعة من الآيات نزلت لسبب معين استوجب إنزالها، وأن الآيات التي نزلت ابتداء قليلة جدا"[4].

نلاحظ أن كلام نصر أبو زيد اشتمل على حقيقة وشبهة، أما الحقيقة فهي أن القرآن الكريم نزل منجما، وهذا لا يختلف فيه اثنان، أما الشبهة فهي ادعاءه أن الجزء الأكبر من آيات القرآن نزل عنده سبب خاص، وأن الآيات التي نزلت ابتداء قليلة جدا.

فدعواه أنه مطلع على ما أسماه بالحقائق الإمبريقية–مستخلصة من دراسات واقعية وميدانية وتطبيقية– وأنها تؤكد هذا الادعاء، مخالف للمشهور عند أهل العلم، وقد ثبت لدى المحققين أن ما روي له أسباب نزول من آيات القرآن البالغ عددها 6236 آية في العد الكوفي، لا يعدو 472 آية، أي 7.5 بالمائة من آيات القرآن الكريم، ومعنى ذلك أن أكثر من 90 بالمائة من آيات القرآن قد نزلت ابتداء دون سبب نزول[5].

لم يقف أبو زيد عند هذا الحدّ بل ادعى أنه يمكن اكتشاف أسباب النزول من النص القرآني

---

[1]– ينظر: هموم الفكر والوطن، حسن حنفي، دار قباء، القاهرة، ط1، 1990، 26/1.

[2]– ينظر: جوهر الإسلام، العشماوي، محمد سعيد، مكتبة مدبولي الصغير، القاهرة، ط4: 1416هـ–1996م، ص128.

[3]– مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، نصر حامد أبو أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط1: 2014م،ص96.

[4]– المرجع نفسه، ص109.

[5]– ينظر: رد محمد عمارة على افتراءات العشماوي في كتابه: سقوط الغلو العلماني، دار الشروق، القاهرة، ط2: 1422هـ–2002م، ص254–261. للاطلاع على عد الآي ينظر: الفرائد الحسان في عد آي القرآن لعبد الفتاح القاضي، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، ط1: 1404هـ، ص25–26.

نفسه، فيقول: "هذه الأسباب كما يمكن الوصول إليها من خارج النص، يمكن كذلك الوصول إليها من داخل النص"[1] ويدعي أنه اكتشف طريقا للوصول إلى أسباب النزول لم يسبق إليها ولم ينتبه إليها القدماء[2]، فهل عنده دليل على دعواه؟ إن خير رد لهذه الدعوى هو خلو كتاباته من تطبيقات تدعم رأيه.

إن خطورة دعوى "لكل أية سبب نزول" تكمن في ربط القرآن الكريم بزمن ومكان نزوله، وبالتالي عدم تعديه لأزمنة وأمكنة أخرى، أي عدم صلاحيته لكل زمان ومكان، وهذا من مآلات القول بتاريخية القرآن الكريم، وهو ما سنميط عنه اللثام في المطلب الموالي.

ثالثا: ربط أسباب النزول بالتاريخية:

نشأت فكرة التاريخية" historicisme"أو التاريخانية[3] في البيئة الغربية، فهي نظرية غريبة بالمولد والمنشأ، وجهت إلى تمحيص الوقائع التاريخية ونقدها، وحملت أبعادا جديدة لتصبح قضية تفسيرية وتأويلية، ساعد على ذلك التناقض المنهجي لمدلولات الكتاب المقدس (التوراة والإنجيل) بين نص وآخر داخل الكتاب نفسه، أو تناقضه مع العلم والواقع المعاصر، ورغبة المجتمع الأوربي المتجه للإلحاد في عدم تجاوز ذلك الكتاب بالكلية والتمسك بشيئ من مصداقيته وموضوعيته عن طريق تاريخية الحقيقة والمدلول ونسبيتهما وارتباطهما بالزمان والمكان[4].

ثم استورد هذا المفهوم من قبل أرباب الفكر الحداثي، وأسقطوه على التراث الإسلامي والقرآن الكريم خاصة، ظنا منهم أنه السبيل الوحيد للتخلص من قيود الماضي، والالتحاق بركب الحضارة الغربية المعاصرة، وفي هذا المعنى يقول هاشم صالح: "ما دام العرب عاجزين عن تفكيك الانغلاقات التراثية المزمنة المهيمنة عليهم مئات السنين فإنهم سوف يظلون مقيدين بالسلاسل والأغلال، وفك هذه السلاسل له ثمن غال، ألا وهو نزع القداسة الإلهية عن التراث، لكي يبدو على حقيقته داخل التاريخ،

---

[1] – مفهوم النص، نصر حامد أبو زيد، ص111.

[2] – المرجع نفسه.

[3] –حاول بعض المفكرين التمييز بينهما إلا أن مؤداهما واحد، للتفصيل يرجع إلى: "الفكر الإسلامي قراءة علمية، مركز الإنماء القومي، المركز العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط2، 1996، ص116.

[4] – ينظر: القراءة الحداثية المعاصرة للقرآن الكريم في المغرب العربي وأثر الاستشراق فيها"محمد أركون" أنموذجا، عمر زهير علي، دار العصماء، دمشق، سوريا، ط1: 1439هـ/2017م، ص: 283-285.

وكنتائج للتاريخ، وهذا ما فعله الأروبيون وأدى إلى انطلاقهم وتفوقهم على شعوب الأرض قاطبة"[1].

والمتتبع لمصطلح "التاريخية"[2] يجد اختلاف مفهومه من مفكر لآخر، وحيث لا يمكننا حصرها في هذا البحث، نكتفي بإيراد بعضها.

يقدم لنا أركون وهو أحد المنظرين للتاريخية، مفهوم هذا المصطلح وأصوله الحقيقية، فيقول: "إن مصطلح التاريخية يتعلق بصياغة علمية مستخدمة، خصوصاً من قبل الفلاسفة الوجوديين للتحدث عن الامتياز الخاص الذي يمتلكه الإنسان في إنتاج سلسلة من الأحداث، والمؤسسات والأشياء الثقافية، التي تشكل بمجموعها مصير البشرية، ويعرفها آلان تورين بصفتها المقدرة التي يتمتع بها كل مجتمع في إنتاج حقله الاجتماعي والثقافي الخاص به ووسطه التاريخي الخاص به أيضاً"[3].

ويوضح أركون مراده من مصطلح التاريخية بقوله: "والمقصود بالتاريخية هنا التحوّل والتغيّر، أي تحوّل القيم وتغيّرها بتغيّر العصور والأزمان، أمّا الإيمان فيبقى، ولكن يتخّذ تجليات مختلفة ومتحولة أيضا"[4] وتعني: "ربط القرآن بسياق نزوله الزمني اجتماعيا، وثقافيا ربطا يتضمن معنى النسبيّة والتأطر بذلك السياق الزمني"[5].

ومن هنا، نستشف أن تاريخية النص تتضمن نفي الخلود عن معاني وأحكام النصوص الدينية، والادعاء بأنها نسبية، لاءمت زمان نزولها، فلما تطور الواقع، طويت صفحاتها مع طي صفحات التاريخ،"والنص —من هذا المنظور– لا يعدو أن يكون نتاجا للظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي أسهمت في تشكيله، مما يجعله عارضا في تأثيره، محصورا في بيئة نشأته، غير منفك عن دواعي تشكله"[6].

---

[1]–ينظر: الانسداد التاريخي لماذا فشل مشروع التنوير في العالم العربي، هاشم صالح، دارالساقي، بيروت، ط1: 2007م، ص264.

[2]– للاستزادة ينظر: العلمانيون والقرآن الكريم"تاريخية النص"، الطعان، أحمد إدريس، مكتبة ودار ابن حزم، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1: 1428هـ-2007م، ص 332-351.

[3]–الفكر الاسلامي، أركون، ص116.

[4]– من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي، أكون، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت لبنان، ط1: 1991، ص26-27.

[5]–ينظر: الفكر الإسلامي، أركون، ص20، و" النص، السلطة، الحقيقة"، نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1: 1995، ص139.

[6]–النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر، قطب الريسوني، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط1: 1431هـ-2010م، ص 209-210.

وقد شخص المفكر طه عبد الرحمن المفهوم الدقيق "للتاريخية" أو: ما يسميها "بالأرخنة"، أنها وصل النصوص بسياقها التاريخي وبظروفها، والغاية من ذلك صرف الأحكام التي جاءت في النصوص الدينية، أي صرف ما اصطلح على تسميته ب"الحُكمية" أي صلاحية الأحكام لزمان آخر غير الزمان الذي ولدت فيه[1].

أما نصر حامد أبو زيد فقد استخدم في دراسته الأولى مصطلح" المنتج الثقافي"، لينتقل إلى التأسيس لمفهوم التاريخية، مستندا إلى النص القرآني وعلومه أولا، والبعد اللغوي والفلسفي المعتزلي ثانيا.[2]

يقول نصر: "..ألوهية مصدر النص لا تنفي واقعية محتواه ولا تنفي من ثم انتماءه إلى ثقافة البشر"[3].

ويؤكد هذا المعنى قوله: " الواقع إذن هو الأصل ولا سبيل لإهداره، ومن الواقع تكوّن النص، ومن لغته وثقافته صيغت مفاهيمه"[4].

وقد نتج عن القول بتاريخية النص القرآني مخاطر جسيمة، لعل أخطرها أمران:

الأول: تمييع النص القرآني، والتملص من أحكامه، بحجة عدم مناسبتها للعصر الحاضر إذ حسب رأيهم "لا ضرورةَ للتَّقيُّد بالنُّصوص الشَّرعيَّة التي أوحيت إلى محمد رسول الله في كلِّ ما يتعلَّق بالمتاع والشَّهوات؛ ففي كلِّ مرَّة نرى في هذه النُّصوص تشريعًا لا يتناسب مع الواقع، ويعرقل مسيرة النُّمُوّ والتَّقَدُّم والرفاهية، فما علينا إلا أن نميل عنه"[5].

والآخر: اعتبار أسباب النزول دليلا على تاريخية القرآن، فدعاة التاريخية يصرحون في كتاباتهم أن أسباب النزول هي أهم ما يستندون إليه، من ذلك ما قاله نصر حامد: "يعتبر علم "أسباب النزول"من أهم العلوم الدالة والكاشفة عن علاقة النص بالواقع وجدله معه"[6] "فإن علم أسباب النزول يزودنا من

---

[1]-ينظر: الحوار أفقا للفكر، طه عبد الرحمن، الشبكة العربية للأبحاث، بيروت، ط2: 2014، ص89.

[2]-لمزيد من التوسع: يرجى العودة إلى "النص، السلطة، الحقيقة"، نصر حامد أبو زيد، ص 67-89.

[3]-مفهوم النص، نصر حامد أبو زيد، ص24.

[4]-نقد الخطاب الديني، نصر حامد أبو زيد، سينا للنشر، القاهرة، مصر، ط2: 1994، ص130.

[5]- الكتاب والقرآن، شحرور، ص445.

[6]- مفهوم النص، نصر حامد أبو زيد، ص97.

خلال الحقائق التي يطرحها علينا بمادة جديدة ترى النص استجابة للواقع تأييدا أو رفضا وتؤكد علاقة "الحوار" و"الجدل" بين النص والواقع"[1].

وقول حسن حنفي: "الحديث عن واقعية الإسلام إنما نشأ من هذا الموضوع وهو أسباب النزول، أسبقية الواقع على الفكر، وأولوية الحادثة على الآية، المجتمع أولا والوحي ثانيا، الناس أولا والقرآن ثانيا، الحياة أولا والفكر ثانيا"[2].

ويكفي لتهافت هذه الشبهة، ما قرره العلماء في هذا الشأن من أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، "وهذه القاعدة نافعة جداً، بمراعاتها يحصل للعبد خير كثير وعلم غزير، وبإهمالها وعدم ملاحظتها يفوته علم كثير، ويقع الغلط والارتباك الخطير، وهذا الأصل اتفق عليه المحققون من أهل الأصول وغيرهم، فمتى راعيت القاعدة حق الرعاية وعرفت أن ما قاله المفسرون من أسباب النزول إنما هو على سبيل المثال لتوضيح الألفاظ، وليست معاني الألفاظ والآيات مقصورةً عليها، فقولهم: نزلت في كذا وكذا، معناه: أن هذا مما يدخل فيها، ومن جملة ما يراد بها، فإن القرآن -كما تقدم -إنما نزل لهداية أول الأمة وآخرها، حيث تكون وأنى تكون"[3].

ثم "إن هذه الأسباب التي يتحدثون عنها مجرد أمارات صاحبت التنزيل، والواقع المنزل فيه مجرد لحظة زائلة وليس ثابتا، بخلاف الخطاب القرآني فهو باق وإن زال ذلك الواقع وزال ذلك الزمن، فهو كائن في ذلك الزمان وخارج عنه"[4].

وقد تفطن دروزة إلى هذه الاشكالية فقال في تفسير سورة البقرة: "ومع ما في الآيات من خصوصية زمنية واحتوائها صورة للمنافقين في عهد النبي ﷺ، فإن في إطلاق الخطاب وتعميمه، تلقينا عاما، مستمر المدى بتقبيح الأخلاق، والمواقف والأقوال المنسوبة للمنافقين، والتي تبدر من بعض الناس في كل زمان ومكان"[5]

---

[1]- المرجع نفسه.

[2]- ينظر: هموم الفكر والوطن، حسن حنفي، دار قباء، القاهرة، ط1، 1996، 20/1.

[3]- القواعد الحسان لتفسير القرآن، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، مكتبة الرشد، الرياض، ط1: 1420هـ-1999م، ص11.

[4]- ينظر: شبهات الحداثيين حول أسباب النزول، بسام الجمل نموذجا، أحمدي الشيخ التجاني، مجلة معهد الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد الثاني والعشرون، ذو الحجة 1437، ص202.

[5]- التفسير الحديث، دروزة، 135/6.

خلاصة المبحث:

- أن من فوائد أسباب النزول: تحديد الترتيب الزمني لبعض الآيات والسور، وإن كانت محدودة جدا.
- أن "المكي والمدني" و"أسباب النزول"، علمان بينهما صلات وروابط وثيقة، فكلاهما أخد طابعا زمنيا، فأسباب النزول هي الأحداث والتساؤلات والإشكالات التي تحدث وتنزل الآيات مبينة لها أيام وقوعها، والمكي والمدني يبين زمن نزول الآية أو السورة.
- أن من أبرز الإشكالات المثارة حول أسباب النزول المرتبط بمسألة ترتيب النزول هو القول بتاريخية النص القرآني.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث: مواقف فكرية حديثة حول فهم القرآن الكريم حسب ترتيب النزول

تعد قضية فهم القرآن الكريم من أبرز الإشكالات، التي تتردد في الأوساط الفكرية المعاصرة، مما يدل على خطورة قضية فهم القرآن الكريم، خاصة وقد خاض غمار التفسير في الوقت المعاصر، ممن فقد كل آلة التفسير التي بينها أهل التفسير.

تعامل المسلمون عبر تاريخهم الطويل مع القرآن الكريم، باعتباره كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا يحتمل الارتياب، كما أنه في الوقت ذاته كتاب هداية، والمصدر الأوّل للتشريع والأحكام، والرسالة الخالدة للعالمين إلى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾[البقرة: 1-2].

ولقد عرف المسلمون خلال التاريخ توجهات فكرية[1]عديدة، سلكت غير هذا المسلكَ كالمعتزلة والخوارج والفرق الباطنيَّة وبعض المتصوِّفة وغيرهم.

وفي العصر الحديث، تعالت صيحات تدعو إلى إعادة النظر في فهم القرآن الكريم بما يتناسب العصر، حيث يزعم أحدهم أنه: "من الحقائق التي يجب التسليم بها أن القرآن الشريف يجب أن يعاد النظر في فهم تعاليمه وتطبيقها من عصر إلى عصر، بل من جيل إلى جيل، وعلى هذا لا بدّ من ظهور تفاسير جديدة متمشية مع روح العصر وتقدم العلم، يؤلفها المطلعون الواعون من المفكرين"[2].

ويقول آخر منكرا على المفسرين من علماء السلف ومن حذا حذوهم ممن جاء بعدهم إلى يومنا هذا، يقول: "..إن التفسير كان مكونا من مكونات منظومة كاملة يشد بعضها بعضا ولا يمكن سحب أحد عناصرها منها من دون أن يهز البناء برمته، وهو ما يفسر المقاومة الشديدة التي يبديها أصحاب الثقافة التقليدية كلما ظهر موقف لا ينسجم وتلك المنظومة، وجهلا منهم بصبغتها التاريخية وبارتباطها

---

[1]- نسبت المواقف إلى الفكر "لأنها جاءت من ذلك المصدر وهو الفكر أي أنها لم تستند في وجودها على الوحي الإلهي أصلا أو استعانت به وبما توصل إليه الفكر من نتائج جاءته إما عن طريق الوحي أو التجارب أو أقوال من سبق أو أفعالهم، وقد تكون تلك النتائج صحيحة وقد تكون خاطئة في نفس الأمر..وإذا أطلق لفظ الفكر فإن المراد به هو ما يصدر عن العقل من شتى المفاهيم والمبتكرات الدينية أو الدنيوية"، ينظر: المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، م ع س، ط1: 1427هـ-2006م، 42/1.

[2]- ثورة الإسلام، أحمد زكي أبو شادي، ص35.

بأوضاع وقيم بعيدة عن أوضاع المسلم المعاصر وقيمه وهو ما يشرع في الآن ذاته لتفسير قرآني جديد يأخذ مكتسبات العلوم الإنسانية بعين الاعتبار ويباشر على غير الأسس التي التزم بها المتمسكون بهذه المنظومة التي أصبحت اليوم عبئا ثقيلا يرزح تحت كلكلة الفكر الإسلامي"[1].

ويعد هذا الطرح من أهم خصائص الفكر الحداثي[2]، الذي يتبنى المناهج الغربية في تأويل القرآن الكريم، وقبل التعرض لهذا الفكر يحسن أن نبدأ بالفكر الاستشراقي، باعتباره الأسبق، ومنه استقى الفكر الحداثي جلّ مبادئه، وقبل هذا وذاك أتطرق في عجالة إلى الفكر الشيعي، باعتباره أول من ألمح إلى ترتيب النزول كما سبقت الإشارة إليه.

المطلب الأول: فهم القرآن حسب ترتيب النزول في الفكر الشيعي:

سيقتصر البحث على أشهر فرقة من فرق الشيعة، وأكثرها انتشاراً في العالم، وإليها ينتمي أكثر الشيعة في إيران والعراق وباكستان وغيرها، وهي "الإثني عشرية" [3].

ويأتي هذا المطلب للكشف عن موقفهم من ترتيب نزول الآي وأثره في فهمهم لكلام الله تبارك وتعالى.

أولا: ترتيب النزول عند الشيعة:

يقر علماء الشيعة بتوقيفية ترتيب الآيات في سورها ولايخالفون في ذلك أهل السنة، أما ترتيب السور، فيرون أنه تم بإجتهاد الصحابة، بعد وفاة النبي، فهذا الطباطبائي يصرح أن تأليف القرآن وجمعه

---

[1]- الإسلام بين الرسالة والتاريخ، الشرقي، عبد المجيد، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط2: 2008م، ص175-176.

[2]- تعريف الحداثة لغة: من حَدَثَ، وهي نقيض القدم، والحدوث كون الشيء بعد أن لم يكن، والحداثة أول الأمر وابتداؤه، وتعني كذلك الشباب وأول العمر (الفيروزآبادي، ص167). والحداثة اصطلاحاً: مذهب فكري أدبي علماني، بني على أفكار وعقائد غربية خالصة مثل الماركسية والوجودية والفرويدية والداروينية، وأفاد من المذاهب الفلسفية والأدبية التي سبقته مثل السريالية والرمزية... وغيرها. وتهدف الحداثة إلى إلغاء مصادر الدين ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط4: 1420 هـ، 867/2.

[3] - ينظر: فرق معاصرة، غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، ط4: 2001م، 349/1.

مصحفا واحدا إنما كان بعدما قبض النبي بلا إشكال ويؤكد أن ترتيب السور على ماهو عليه الآن شيء حصل بفعل الصحابة وعن اجتهاد منهم[1].

أما ترتب النزول فيعتقد الشيعة-كما ذكر آنفا- أن أول من جمع ورتب القرآن بعد وفاة النبي وبوصية منه، هو علي بن أبي طالب، والذي كان وفق ترتيب النزول، كما اشتمل على جملة من علوم القرآن الكريم، مثل: المحكم والمتشابه والمنسوخ والناسخ وتفسير الآيات وتأويلها.[2]

جاء الحديث عن هذا المصحف المزعوم في أول كتاب وضعه الشيعة، وأنه قد جاءت بعض الروايات عنه عند أهل السنة ولكنها كما قال ابن حجر لا تصح، ولكن ما في كتب الشيعة صورة أخرى، وقد اهتم بإشاعة هذه الفكرة الكليني، في كتابه الكافي وعقد لها باباً خاصاً بعنوان: "باب أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة عليهم السلام" وذكر فيه ست روايات لهم، منها ما رواه عن جابر الجعفي إنه سمع أبا جعفر يقول: "ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما نزله الله تعالى إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده"[3].

وبينت المصادر الشيعية أن عليا احتفظ بمصحفه لنفسه وأهل بيته ولم يظهره لأحد، حفاظاً على وحدة الأُمة، ولم يحرق هذا المصحف كما حرقت باقي مصاحف الصحابة بأمر من الخليفة عثمان[4].

ويستشهدون بعدد من الرويات الموضوعة، لا يسع المقام لذكرها، منها:

-ما ذكره صاحب تفسير البرهان: أن عليا قال: "ما نزلت آية على رسول الله ﷺ إلا اقرأنيها وأملاها عليّ، فأكتبها بخطي، وعلّمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها، ودعا

---

[1]- تفسير الميزان، الطباطبائي، محمد حسن، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، دط، دت، 124/12 و78/3-79.

[2]-ينظر: تاريخ القرآن، الأبياري، إبراهيم، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط3: 1411هـ-1991م، ص 85، والفهرست، ابن النديم، ص47-48.

[3]-ينظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ناصر عبد الله بن علي القفاري، د.نشر، ط1: 1414هـ، 261/1، وأصول الكافي، الكليني، 288/1.

[4]- كتاب المصاحف، السجستاني، أبو بكر بن أبي داود عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني ،تح: محمد بن عبده، الفاروق الحديثة ، مصر ، القاهرة، ط1: 1423هـ - 2002، ص 11 - 14، والكامل في التاريخ، ابن الإثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، تح عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1: 1417هـ-1997م، 55/3.

الله لي أن يعلمني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله، ولا علماً أملاه عليّ فكتبته منذ دعا لي ما دعا"[1].

أما مصير هذا المصحف فتفيد رواياتهم بأن عليا سلّمه للأئمة من بعده وهم يتداولونه الواحد بعد الآخر لا يُرونه لأحد، وفي بعض النصوص أنّه محفوظ عند الإمام الحجّة المنتظر حسب زعمهم[2].

وهذا وهم لا حقيقة له، ولا دليل عليه، إذ ما الداعي لاختفائه، ولم لم يظهر إلى الآن؟ أم أن هدفهم من جمع هذه المفتريات هو محاولة لإقناع المتشككين والحائرين من بني قومهم فحسب[3].

أما دعوى عدم إحراق مصحف علي، فيجاب عليها بما ثبت من أحاديث في الباب، منها حديث البخاري:

ما رواه أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ، قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّأْمِ فِي فَتْحِ أَرْمِينِيَةَ، وَأَذْرَبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ العِرَاقِ، فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلاَفُهُمْ فِي القِرَاءَةِ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، أَدْرِكْ هَذِهِ الأُمَّةَ، قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الكِتَابِ اخْتِلاَفَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ: "أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي المَصَاحِفِ، ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ"، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدَ بْنَ العَاصِ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِي المَصَاحِفِ "، وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ القُرَشِيِّينَ الثَّلاَثَةِ: "إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ القُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ" فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي المَصَاحِفِ، رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ القُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ، أَنْ يُحْرَقَ"[4].

وهذا الحديث دليل على عدم وجود المصحف المزعوم إذ "الأصل في هذه المصاحف الموجودة قبل

---

[1]- تفسير البرهان، السيد هاشم، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1427هـ-2006م16/1 ح 14.

[2]-ينظر: المناقب مناقب الإمام علي، الخوارزمي، الموفق بن أحمد بن محمد المكي، تح: مالك المحمودي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المشرفة، ط2: 1414هـ، 40/1 . 41، والاحتجاج، الطبرسي، أبي منصور أحمد بن علي، نشر الشريف الرضى، ط1: 1380هـ: 82، وبحار الأنوار، المجلسي، محمد باقر، مطبعة وزارة الإرشاد الإسلامي، ط1: 1365(هـ.ش): 51/92 ح18.

[3]-ينظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، القفاري، 260/1.

[4]-صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، رقم(4987)، 183/6.

المصاحف العثمانية هو الاتلاف، إما بالحرق أو الخرق، امتثالا لأمر الخليفة الراشد عثمان ﷺ، فمحال أن تتمثل الأمة أمره باتباع المصاحف التي أرسلها ثم لا تتمثل أمره باتلاف ما سواها"[1]، ودعوى خصوصية مصحف علي بترتيب النزول لا وجود لها في الحقيقة، بدليل اضطرابهم في كيفية ترتيب هذا المصحف المزعوم، فالترتيب عند المتقدمين منهم مختلف جدا[2].

أضف إلى ذلك، تصريحات بعض الدارسين من الشيعة أنفسهم وفي مقدمتهم: الموسوي الذي وضح أن كل ما قيل وذكر في الكتب الشيعية عن مصحف الإمام علي ليس أكثر من إضفاء هالة من الغلو على شخصية الإمام علي، بغية إثبات أن الإمام علياً أحق بخلافة الرسول من غيره، ولكنهم في الحقيقة كما ذكر قد أساءوا إلى الإمام عندما ادعوا أنه يخفي أحكاماً إلهية فيها حدوده وحلاله وحرامه وكل ما تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة[3].

وكنتيجة لهذه الافتراءات، لوحظ غفلة الشيعة عن القرآن الكريم وعدم العناية به كما اعتنى به أهل السنة، إلى الحدّ الذي وصفه موسى جار الله وقد عاش بين الشيعة فترة من الزمن: "لم أر بين علماء الشيعة ولا بين أولاد الشيعة لا في العراق ولا في إيران من يحفظ القرآن ولا من يقيم القرآن بعض الإقامة بلسانه ولا من يعرف وجوه القرآن الأدائية، ما السبب في ذلك؟ هل هذا أثر من آثار عقيدة الشيعة في القرآن الكريم، إثر انتظار الشيعة مصحف علي الذي غاب بيد قائم آل محمد"[4].

أما هادي معرفة فقد حاول تقديم لائحة بترتيب السور حسب النزول، في كتابة التمهيد، معتمدا على رواية ابن عباس التي أوردها الزركشي، ورواية جابر بن زيد وغيره، إضافة إلى ما جاء في الفهرست وتاريخ اليعقوبي، التي وصفها بالروايات المتفق عليها، وأن رواتها ثقات، اعترف بها أئمّة الفنّ[5].

ويجاب على تلك المحاولات أن الآثار الواردة في ترتيب النزول كلها ضعيفة، وقد سبق بيان ذلك في مدخل البحث، أما ابن النديم فلم يذكر ترتيبا للسور حسب النزول، ناهيك عما احتواه الكتاب من

---

[1] – المصاحف المنسوبة للصحابة ورد الشبهات المثارة حولها، محمد بن عبد الرحمن الطاسان، دار التدمرية، د.ط، 2012م، ص102.

[2] –ينظر: المصاحف المنسوبة للصحابة، الطاسان، ص566.

[3]– الشيعة والتصحيح، الصراع بين الشيعة والتشيع، موسى الموسوي، د.ط، 1408هـ-1988م، 1/134-136.

[4] الوشيعة في نقد عقائد الشيعة، جار الله موسى، مكتبة الخانجي، د.ط، 1935م، ص 37.

[5]–ينظر: التمهيد في علوم القرآن، محمد هادي معرفة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، د.ط، 1432هـ-2011م، ص 167-178.

افتراءات وعجائب، وقد قال عنه ابن حجر: "هو غير موثوق به ومصنفه المذكور ينادي على من صنفه بالإعتزال والزيغ"[1].

وأما ما جاء في تاريخ اليعقوبي، فقد تعقبها المحققون، من أبرزهم-حسب اطلاعي- محمد بن عبد الرحمن الطاسان في رسالته " المصاحف المنسوبة للصحابة ورد الشبهات المثارة حولها" حيث قام بدراسة حقيقة المصاحف المنسوبة للصحابة، ودحض الشبهات المثارة حوله، كما قام بدراسة أسانيد تراتيب السور وبين حكمها، وما يهمنا في هذا الكتاب: دراسته حول مصحف علي وترتيب النزول التي أوردها الشيعة في كتبهم، وأخص بالذكر كل من رواية اليعقوبي في ترتيب مصحف علي[2]، وما أورده الشهرستاني في مقدمة تفسيره[3].

وخلاصة كلامه فيهما: أن اليعقوبي مؤرخ شيعي إمامي، ذكر الخبر بصيغة التضعيف (روى بعضهم)، وأن ما ذكره مخالف لما يدعيه الشيعة من أنه مرتب حسب النزول[4].

أما ما أورده الطبرسي، فيقول أحد كتابهم: " فقد روى ترتيب نزول الآيات المكية والمدنية بأربعة طرق[5]، هذه الطرق الأربعة كلها ضعاف ؛ لما وقع في طريقها من رجال العامة المجاهيل ومن لم يثبت وثاقته، إضافة إلى اختلافها عددا وترتيبا، فتحصل أن مقتضى التحقيق عدم الاعتداد والاعتبار بشيء من المرويات في ترتيب نزول سور القرآن وإنما المتبع في ذلك النصوص المعتبرة الصادرة عن أهل البيت عليهم السلام. فكل مورد ثبت يجب الأخذ به، وإلا فلا[6].

بعدما تأكد لدينا من خلال ما تقدم، أن لا وجود لمصحف علي المرتب حسب النزول، وأن لوائح الترتيب لا أصل لها، فإن السؤال المطروح: هل اعتنى مفسروا الشيعة بترتيب النزول في فهم القرآن الكريم؟

---

[1]- لسان الميزان، ابن حجر، أبو الفضل بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني، تح: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، ط1: 2002م، 72/5.

[2]-تاريخ القرآن، اليعقوبي، 152/2-154

[3]-مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار، الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، إحياء كتاب، 1997م، 28/1.

[4]- ينظر: المصاحف المنسوبة للصحابة، الطاسان، ص106-108.

[5]- تراجع الروايات في: تفسير مجمع البيان، ج9-10، ص 405

[6] -ينظر: دروس تمهيدية في القواعد التفسيرية، علي أكبر السيفي المازندراني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، ط1: 1428(هـ.ق)، 108/2-110.

ثانيا: أثر ترتيب النزول في تفاسير الشيعة:

رغم احتفاء الشيعة بمصحف علي المزعوم –كما مر معنا– وأنه جمع القرآن كما أنزل، أي كما أنزل ترتيباً وتأويلاً وتفسيراً، فإننا لم نعثر لهم على تفسير رتب حسب النزول، فكل تفاسيرهم القديمة والحديثة مرتبة حسب المصحف، وذلك يضطرنا للبحث عن تعاملهم مع ترتيب النزول ومايتعلق به من مباحث كالمكي والمدني وأسباب النزول، في ثنايا تفاسيرهم للقرآن الكريم، لمعرفة مدى عنايتهم بها وتوظيفهم لها في فهم آيات القرآن، وإن مما يصعب هذه المهمة ما نلمسه في تفاسير الشيعة من ضلالات وغرائب، لاعتبارهم أن للقرآن ظاهرا وباطنا.

يقر الشيعة بضرورة العناية بالمباحث المتعلقة بنزول القرآن، كترتيب النزول، والمكي والمدني وأساب النزول، ويؤكدون على أهميتها في فهم مراد الله من الآيات، إلا أنهم ونظرا لاعتبارات عقدية، يغفلونها بدعوى تناقضها وعدم صحة الكثير منها، ويقصرون على الروايات الواردة عن أئمتهم الاثني عشرية والمحصورة في كتبهم[1].

وفي هذا السياق يقول صاحب الميزان:

"وللعلم بمكية السور ومدنيتها ثمّ ترتيب نزولها أثر هام في الأبحاث المتعلقة بالدعوة النبوية وسيرها الروحي والسياسي والمدني في زمنه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم وتحليل سيرته الشريفة والروايات– كما ترى– لا تصلح أن تنهض حجة معتمدا عليها في إثبات شيء من ذلك على أن فيما بينها من التعارض ما يسقطها عن الاعتبار. فالطريق المتعين لهذا الغرض هو التدبر في سياق الآيات، والاستمداد بما يتحصل من القرائن والأمارات الداخلية والخارجية، وعلى ذلك نجري في هذا الكتاب واللّه المستعان"[2].

وعليه يستشف من استطلاع بعض تفاسير الشيعة، أن توظيف ترتيب النزول كان محدودا ظهر من خلال تعرضهم للمكي والمدني من الآيات والسور على اعتبار أنها دالة على الزمان والمكان المعين

---

[1]– ذكر صاحب كتاب أصول مذهب الشيعة الإمامية، أن عدد كتبهم المعتمدة ثمانية تراجع للاستزادة: ص428–431.

[2]– ينظر: الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، محمد حسين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان، ط1: 1417هـ–1997م، 226/13.

على فهم المعنى المراد من الآية، ولمعاينة ذلك أسرد بعض النماذج:

النموذج الأول من كتاب التمهيد لهادي معرفة:

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾[الأنبياء: 44]، حيث فهم بعض المفسرين أنّ المقصود من نقصان الأرض من أطرافها هو سيطرة المسلمين عليها والغلبة على أهلها[1]. ولكن، انطلاقاً من اعتبارات زمانية ومكانية، من كون السورة مكية، وعدم الاستثناء في الآية، لا يرجح أن يكون هذا المعنى مقصوداً من الآية[2].

النموذج الثاني من تفسيري الطبرسي والطباطبائي:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[المائدة: 67]

"فإنّ فهم هذه الآية منوط بالعامل الزمانيّ والمكانيّ، حيث اختلف المفسّرون في تحديد المقصود من قوله تعالى: ﴿مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾بين قائل إنّه عبارة عن الجهاد والقتال مع المشركين، وقائل إنّه عبارة عن سبّ الأصنام، وما إلى ذلك من آراء، ولكنّ المقصود يتّضح بعد تحديد زمان الآية ومكانها، حيث تواترت الروايات بشأن نزول هذه الآية في حجّة الوداع وفي منطقة الغدير. فلا معنى لسبّ الأصنام في السنة العاشرة وبعد فتح مكة والقضاء على المشركين، كما لا معنى لأن تكون الآية بصدد بيان القتال معهم[3].

النموذج الثالث من مؤلفاتهم في علوم القرآن:

تفسير قوله تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[الشورى: 23]، "وهي سورة مكّيّة، والآية المباركة – حسب المتواتر من الأخبار– نزلت في أهل البيت عليهم السلام، وهم: الإمام عليّ عليه السلام، والسيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام، والإمامان الحسن والحسين عليهما السلام. فربّما

---

[1]– ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 42/17، والبحر المحيط، 6/ 293.

[2] –ينظر: التمهيد في علوم القرآن، معرفة، 221/1.

[3] –ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، 3/ 382–383، والميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، 6/ 42–53.

يتوهّم البعض ويستبعد نزولها في حقّ أهل البيت عليهم السلام، بحجّة أنّ السورة مكّيّة، وأنّ الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام لم يولدا في مكّة، بل في المدينة بعد هجرة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إليها. ولكنّ هذا التوهُّم سرعان ما يرتفع إذا عرفنا أنّ الآية الثالثة والعشرين من سورة الشورى مدنيّة، وليست مكّية، وأنّ كون السورة مكّيّة لا يعني ضرورة كون جميع آياتها مكّيّاً، فكم من سورة مكّيّة ضمّت بين آياتها آيات مدنيّة، وبالعكس. وسورة الشورى، وإنْ كانت مكيّة، ولكنّ بعض آياتها مدنيّ، ومنه هذه الآية المباركة"[1].

خلاصة المطلب:

1) بطلان دعوى الشيعة بوجود مصحف علي المرتب حسب النزول.
2) لم يؤلف الشيعة تفسيرا حسب النزول.
3) عناية الشيعة بترتيب النزول في تفاسيرهم كان محدودا، تجلى في توظيف المكي والمدني وأسباب النزول في مجال ضيق.

المطلب الثاني: فهم القرآن حسب ترتيب النزول في الفكر الاستشراقي:

من المعلوم أن للمستشرقين[2] عناية كبيرة بالقرآن الكريم وعلومه، وليس ذلك إلا لإدراكهم أهميته لدى المسلمين، وقد وصفه بعضهم بـ"الأساس الأول للدّين الإسلامي، وكتابه المقدس، ودستوره الموحى به"[3]، فاتجهت أنظارهم إليه، وانصبت بحوثهم حوله بشكل يلفت النظر، ويستوقف الباحث.

لقد أدرك أعداءُ هذا الدِّين أنَّ اللهَ تكفَّل بحفظ نصوص الوحيين؛ فهي تُتلَى على مسامع الأمَّة صباحَ مساء؛ ولذلك لم يكن لهم من مدخل يدخلون منه إلَّا تحريف معاني ودلالات النُّصوص الشَّرعيَّة؛

---

[1]- أساسيات علم التفسير، مركز نون للتأليف والتحقيق، دار المعارف الاسلامية والثقافية، ط1: 1438هـ-2017م، ص 115.

[2]- كلمة الاستشراق لفظة مولدة من لفظ " استشرق" المأخودة من مادة "شرق" استعملها المحدثون ترجمة لكلمة: (oriantalism) فالمستشرق هو: عالم غربي اهتم بالدراسات الشرقية، عقدية كانت أو تاريخية أو أدبية أو حضارية..ينظر: آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره، دراسة ونقد، عمر بن إبراهيم رضوان، دار طيبة، الرياض، م.ع.س، ط1: 1413هـ-1992م، ص23.أو"الاستشراق: دراسة يقوم بها الغربيّون لتراث الشرق وبخاصة كل ما يتعلق بتأريخه، ولغاته، وآدابه، وفنونه، وعلومه، وتقاليده وعاداته، المصدر: المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت 1979. وللاستزادة حول نشأة الاستشراق ينظر: الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، دودي بارت، ترجمة مصطفى ماهر، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1967.

[3] – العقيدة والشريعة في الإسلام، جولد تسيهر، ترجمة: محمد يوسف موسى، وعبد العزيز عبد الحق، علي حسن عبد القادر، دار الكاتب المصري، مصر، ط1: 1946، ص15.

وذلك سيرًا على منهج اليهود الذين قال الله فيهم: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[البقرة: 75].

وقبل خوض غمار هذا المطلب، تجدر الإشارة إل أن "تناول المستشرقين لحقل القرآنيات شديد التعقيد والتداخل لا يمكن حصره وتصنيفه بيسر، لاختلاف مناهج المستشرقين وخلفياتهم الفكرية والثقافية التي ينطلقون منها في دراساتهم، وترجع صعوبة التصنيف أيضا إلى تنوع مداخل وطرق تناول الموضوعات المرتبطة بالقرآن حسب تطبيقهم لها في الزمان والمكان"[1].

وحريّ بالذكر أن اهتمامات العديد منهم كانت منذ البداية فيلولوجية[2] انصبت على تحقيق النصوص المتعلقة بعلوم القرآن، فخدموا بذلك جانبا من الثقافة العربية والإسلامية، إذ أخرجوها إلى النور من بطون المخطوطات التي استولوا عليها.. وإن لم تكن مقصودة لذاتها، بل جاءت في سياق تفتيشهم وتنقيبهم عما به ينقضون صرح هذا الدين الحنيف.[3]

وفي السياق نفسه يأتي اهتمامهم بفهم القرآن وفق ترتيب نزوله وهو ما نحاول استكشافه فيما يأتي.

أولا: اهتمام المستشرقين بتفسير القرآن حسب النزول:

لم يسبق للكتابات الاستشراقية أن تعرضت لعلم التفسير ومناهجه ولا تقويم التراث التفسيري إلا ابتداء من مستهل القرن العشرين[4]، وإذا أمعنا النظر في كتابات المستشرقين[5] وجدنا تصوراتهم،

---

[1]- ينظر: مناهج المستشرقين البحثية في دراسة القرآن الكريم، حسن عزوزي، د.ط، د.ت، ص9.

[2]- يتكون مصطلح الفيلولوجيا من لفظين إغريقيين أحدهما Philos بمعنى الصديق والثاني Logos بمعنى الخطبة أو الكلام ما يعني أن الفيلولوجيا تقوم على حب الكلام للتعمق في دراسته من حيث قواعده وأصوله التاريخية.دراسات في فقه اللغة لصبحي الصالح ، دار العلم للملايين، بيروت، ط4: 1970، ص20.

[3]- الدراسات الاستشراقية للقرآن الكريم في رؤية إسلامية، إدريس مقبول، د.ط، د.ت، ص9.

[4]- ينظر: علم التفسير في كتابات المستشرقين، عبد الرزاق بن إسماعيل هرماس، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج15، ع25، شوال 1423هـ، ص 78.

[5]- من باب الانصاف، نؤكد هنا على ضرورة التفريق بين المستشرقين وعدم التعميم في النظرة إليهم، فالاستشراق ليس شرا كله بل منهم من قادته دراساته إلى إعتناق الإسلام مثل "موريس بوكاي"، ومنهم من تميز بالموضوعية والعلمية مثل "لورا فاغيليري" التي دافعت عن الاسلام والقرآن..ينظر: "الاستشراق والقرآن الكريم بين الانصاف والإجحاف" لمحمد بن صالح، بحث مقدم إلى الدورة التكوينية"القرآن الكريم وخطابه المتجدد" تطوان من 21إلى2006/11/26.

وآرائهم في علم التفسير تنحصر في جانبين[1]:

الأول: جانب هدمي يقصد إلى نقض علم التفسير جملة وتفصيلا[2].

والثاني: إنشائي أو تأسيسي يقصد إلى إبداع طريقة جديدة في التفسير تتناسب مع مؤهلاتهم العلمية وأهدافهم من وراء دراساتهم الإسلامية.

ومن هذا المنطلق" تضافرت جهودهم من أجل اقتراح منهج استشراقي لتفسير القرآن، وقد جمع هذا المنهج "كلود كايو" في المادة التي حررها ونشرها ضمن مادة قرآن في "دائرة المعارف الكونية"المبحث الخاص بالقرآن والدراسات المعاصرة، ويقوم هذا المنهج على ثلاث خطوات:

الخطوة الأولى: إعادة البحث في تاريخ المصحف الشريف جمعا وتدوينا.

الثانية: القيام بعملية"نقد" لأمهات التفاسير المعتمدة.

الثالثة: إعادة تفسير القرآن اعتمادا على معطيات "العلوم الإنسانية"المعاصرة"[3]، وفشلهم في هذه الخطوة بالذات جلي لمن يستقرئ إنتاج المستشرقين في هذا المجال، وباعتراف أحد أبرز كتابهم "شفالي" حين لخص محاولات المستشرقين في تفسير القرآن الكريم إلى حدود سنة 1909م فقال: " لم يضع الغربيون إلى الآن تفاسير للقرآن بالمعنى الحقيقي، بعض النتائج التفسيرية لهؤلاء..موجودة في سير النبي ﷺ وبعضها الآخر في دراسات منفردة ذات طبيعة متنوعة جدا وأخيرا ترد في ترجمات القرآن المزودة في العادة بملاحظات عديدة"[4].

وقد لاحظ الباحثون أن"غالبا ما تكون البحوث التفسيرية المطروحة من قبل المستشرقين، عارية من الانسجام والترابط، وما أكثر تلك الحالات التي تسفر الخلفية الدينية والعقدية أو الفكرية والفلسفية للباحث عن تشكيكه بالمعنى المتعارف للآية أو العبارة القرآنية وترغمه على البحث عن معنى آخر لها، لذلك لا نجد عددا كبيرا من البحوث التفسيرية ولا نلاحظ تفاسير متعددة للآيات والعبارات القرآنية

---

[1]- ينظر: علم التفسير في كتابات المستشرقين، ص88.

[2]- لمزيد من المعلومات حول الموضوع يراجع كتاب" مذاهب التفسير الإسلامي "لجولد تسيهر، كتبة الخانجي، مصر، ومكتبة المثنى ببغدادط: 1374هـ-1955م.

[3]- علم التفسير في كتابات المستشرقين، عبد الرزاق هرماس، ص93-94.

[4]- تاريخ القرآن، نولدكه، ص431.

من قبل هؤلاء، بل غاية ما في الأمر أن هناك مدونات مشتتة أو مقالات تفسيرية غير ممنهجة وهي بشكل عام منبثقة من مشارب فكرية متنوعة، بحيث يمكن اعتبارها بلمعنى الكلي للمفهوم التفسيري نافذة لبيان أحد الألفاظ أو العبارات القرآنية فحسب[1]".

ويرجع ذلك لعوائق عديدة، نذكر منها عائقين اثنين[2]:

1. حجم التراث المتراكم في مجال التفسير واستحالة استقصاء المستشرقين لعيونه من الأمهات، يدل على ذلك استنجاد كبارهم ممن كتبوا في هذا العلم بكتب الأدب واعتبارها مصادر للتأليف عنه كما فعل جولد تسيهر في مذاهب التفسير الإسلامي.

2. صعوبة إلمام المستشرقين بتصور ضابط يمهد لهم فهم علم التفسير.

وهكذا وعلى الترتيب تقوم كل دراسة لموضوع علم التفسير في المدرسة الاستشراقية، إلا أن من الوجهة الخاصة التي تهم هذا البحث وفي النطاق الضيق المحدد لهذه السطور، أقتصر على الحديث عن الخطوة الأولى المتعلقة بدراستهم لتاريخ القرآن، وما يهمني هنا، بالتحديد، هو محاولتهم لإعادة ترتيب القرآن وفق زمن النزول وما نتج عنه من فهم سقيم للقرآن الكريم، وهو ما اعتبرته الباحثة الفرنسية "ايمانويلا ستيفانيدز"واحدة من طرق القراءة واستغلال الثراء النصي للقرآن، وهي طريقة كان لها كبير الأثر في حقل الدراسات القرآنية على مدار ما يربو على قرن من الزمان[3]"كما أشارت إلى بداية جهود المستشرقين في إعادة الترتيب الزمني لسور القرآن الكريم أو ما يسمى باسم"كرونولوجي القرآن"[4] في منتصف القرن التاسع عشر مع ظهور كتاب"مدخل تاريخي نقدي إلى القرآن" لغوستاف فايل سنة 1844م".

وإذا كانت هذه رؤى المستشرقين حول تفسير القرآن الكريم، والتي تعتبر أحد طرق تفسيره وفهمه

---

[1]-التفسير الاستشراقي للنص القرآني، ص16.

[2]- ينظر: دعوى فهم القرآن في ضوء مناهج العلوم الإنسانية الغربية، منطلقاتها وحقيقتها وآفاقها، عبد الرزاق هرماس، بحث مقدم للمؤتمر الدولي الأول لتطوير الدراسات القرآنية، 1434/4/6هـ-2013/2/16م، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ص14-15.

[3]- القرآن خطيا-دراسة في الترتيب الزمني لسور القرآن في كتابتاريخ القرآن"، إيمانويلا ستيفانيدز، ترجمة حسام صبري، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ص7

[4]- كرونولوجي: هي تأريخ الحوادث وفقاً لتسلسل وقوعها، قاموس المصباح. Chronology .

وفق ترتيب سوره وآياته ترتيبا زمنيا، فكيف تناول المستشرقون هذه المسألة؟ وما هي أسباب نحوهم هذا المنهج غير المسبوق؟ وما أثر منهجهم التاريخي في فهم القرآن الكريم؟

ثانيا: أسباب اهتمام المستشرقين بترتيب النزول:

يمكن ارجاع أسباب اهتمام المستشرقين بترتيب النزول إلى أمرين اثنين هما:

1. البحث عن حياة النبي ﷺ واعتبار القرآن المصدر الوحيد والموثوق لمعرفة سيرته وفي ذلك يقول لويس: " إن المصدر الوحيد المقبول عموما لحياة النبي هو القرآن نفسه".

وعدّه موير: "مستودعا لكلمات محمد التي سجلت في حياته"[1].

ويظهر ذلك جليا في تجميع "هيرشفيلد" لسورة الأحزاب، والطلاق، والنور، والتحريم، والمنافقون، والمجادلة..الذي لم يأتي نتيجة اعتبارات تاريخية، كما شهدت بذلك ستيفانيدز، وإنما انبثق من مصلحة شخصية خاصة، فقد أراد أن يخصص بهذا الشكل فصلا موجزا عن السور القرآنية التي تحدثت عن حياة محمد الشخصية[2].

ومما يؤكد ذلك أن الدافع لتأليف نولدكه لكتابه"تاريخ القرآن" لم يكن الغرض منه ترتيب القرآن تاريخيا، بل البحث في سيرة النبي وتطورها، ودليل ذلك أنه كان موضوع المسابقة التي قدم في إطارها نولدكه بحثه لنيل جائزة أكاديمية الفنون الجميلة بباريس.

بيد أن المستقرئ لكتاباتهم يلحظ أنهم استعملوا السيرة من أجل ترتيب السور، وهذا يظهر جليا في كتاب نولدكه وغيره.

2. دعوى فهم الآيات والعقائد الإسلامية والقواعد التي نزل بها الوحي والتي تتسم-حسب زعمهم-بالتناقضات وعدم الاتساق، ضمن هذا السياق نشير إلى ما كتب في دائرة المعارف الاسلامية وهذا نصه: "وقد نزل الوحى بالمبادئ الأساسية والقواعد اللازمة لتنظيم المجتمع الإسلامى تدريجيًا، وعلى مراحل، وأحيانًا ما تتطلب التفسير والشرح، وتلوح للعين تناقضات ظاهرية فى عرض العقائد وتقديم القواعد التى تبدو غير متسقة إذ أحيانًا ما تتغير، ولذلك فمن الضرورى الإحاطة بالظروف التاريخية

[1]- القرآن خطيا، ستيفانيدز، ص14 .

[2]- المرجع نفسه، ص49.

لبعض الآيات، والترتيب الزمني على الأقل لنزول البعض الآخر حتى نتمكن من فهمها فهمًا كاملًا".[1]

مناقشة:

أما كون القرآن مصدرا لمعرفة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، فهذا لا يجادل فيه اثنان، بل هو المصدر الأساسي والموثوق الذي تستمد منه ملامح السيرة النبوية، ذلك أن القرآن الكريم تعرض لنشأته صلى الله عيه وسلم وأخلاقه، وما لقيه من أذى وعنت في سبيل دعوته، كما تعرض لهجرته، وتحدث عن غزواته كغزوة بدر وأحد وغيرها، وبالجملة فقد تحدث عن كثير من الوقائع السيرة النبوية، ولما كان القرآن أوثق كتاب على وجه الأرض، وكان من الثبوت المتواتر بما لا يدع سبيلا للشك، فإن ما تعرض له من وقائع السيرة يعتبر أصح مصدر للسيرة على الإطلاق.

ولكن شأن القرآن في ذكر وقائع لسيرة هو الإجمال، لا التفصيل، مما يجعل الاستعانة بمصادر أخرى لمعرفة السيرة كاملة بكل جوانبها وجزياتها أمر ضروري، ومن تلك المصادر: السنة النبوية الصحيحة، والشعر العربي المعاصر لعهد النبي صلى، وكتب السيرة.

وعليه يتضح بطلان دعوى "حصر السيرة النبوية في مصدر واحد وهو القرآن الكريم".

أما دعواهم أن في القرآن تناقضات وعدم اتساق، فهي دعوى لا دليل عليها، ويقال لهم:

﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾[القصص: 75]

وأدلة سلامة القرآن من التناقض والاختلاف وعدم الاتساق كثيرة، فالقرآن كلام الله عز وجل، كلماته وحروفه الرابطة وجمله وسياقاته، قد اتصل بعضها ببعض على أكمل وجه، وأحكم عبارة، وأتمّ معنى، لا اختلاف ولا تناقض ولا اضطراب، وإنما هو محكم مبين، يصدق بعضه بعضا[2]، قال تعالى:

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ﴾[الزمر:23]

---

[1]- موجز دائرة المعارف الإسلامية، م. ت. هوتسما، ت. و. أرنولد، ر. باسيت، ر. هارتمان، ترجمة / نخبة من أساتذة الجامعات المصرية والعربية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الطبعة: الأولى، 1418 هـ - 1998 م، 8206/26.

[2] -ينظر: المراحل الثمان لطالب فهم القرآن، عصام بن صالح العويد، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، ط2: 1431هـ-2010م، ص14.

وقال:﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾[هود: 1].

وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴾[النساء: 82].

ثم لو كان فيه شي من ذلك لأثاره أعداء الاسلام قديما، وهم أهل فصاحة وبيان، وقد كانوا أحرص من هؤلاء على الطعن في كتاب الله.

عودا على بدء:

بدأ اهتمام المستشرقين بترتيب النزول، بتشكيكهم في الترتيب المصحفي للقرآن الكريم، كما شككوا من قبل في مصدره الرباني وتدوينه وجمعه، وغير ذلك من الشبهات التي سعوا من خلالها إلى الطعن في صحة القرآن الكريم، دون كلل أو ملل، إلى يوم الناس هذا، فهذا بيرك ويرى أن في القرآن تناقض بسبب عدم اتباع المصحف لترتيب النزول، ووجود في السورة الواحدة آيات وفقرات نزلت في أوقات مختلفة.[1] ويقول بلاشير أن التقيد بالمراحل الزمنية للترتيب الذي اقترحه نولدكه وأخذ به بعض المترجمين يجعل قراءة المصحف سهلة بل ممتعة "[2].

أما المستشرق ريجرد بيل، فقد ذهب أبعد من بلاشير ونولدكه حينما زعم أن الترتيب الحالي والمعروف لدى المسلمين ترتيب خاطئ، وضع كيفما اتفق، فسور وآيات وضعت في الآخر، وكان عليها أن تكون في الأول، والعكس صحيح[3].

ويبلغ تعنت المستشرقين مبلغه، حين يشكك نولدكه في توقيفية ترتيب الآيات وتدوين القرآن، مدعيا أن"الرواية القائلة أن محمدا حدّد لكل آية، فورا بعد نزولها، مكانها المحدد، فلا تتمتع بسند تاريخي"[4] وأنها "نشأت عن الإعتقاد الخرافي-كما يسميه- بأن الترتيب الحالي للقرآن، لآياته وسوره

---

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص13-14.

[2]-موقف الشوكاني في تفسيره من المناسبات، الشرقاوي، أحمد بن محمد، بحث محكم بجامعة الأزهر، ص20

[3]- المستشرقون والقرآن، محمد بهاء الدين، ، مجلة كلية أصول الدين، الرياض، العدد: 75 ص 217.

[4]- ينظر: تاريخ القرآن، نولدكه، 42/1.

على حدّ سواء إنما هو ترتيب ذو أصل سماوي فعلا، وأن محمدا نفسه قد نسخه بدقة.."[1].

وهذه الدعاوى لا تحتاج إلى كبير عناء للردّ عليها ودحضها، لأن الترتيب المصحفي للقرآن من المسلمات التي يجزم بها المسلمين ويكفي أن نراجع ما كتبه أهل العلم حول المسألة.[2]

وفيما يأتي نستحضر بعض المحاولات الاستشراقية لايجاد ترتيب زمني لسور القرآن الكريم.

ثالثا: محاولات المستشرقين لترتيب السور حسب النزول:

عرفت المدرسة الإستشراقية محاولات عديدة لايجاد ترتيب زمني لسور القرآن الكريم، كان المستشرق الألماني غوستاف فايل أول من بدأ بترتيب السور حسب النزول، في كتابه "النبي محمد"، ثم في كتابه" مدخل تاريخي نقدي إلى القرآن" سنة 1844م، حيث ساق بالتفصيل ترتيبا زمنيا أخذه عن " تاريخ الخميس" للديار بكري[3]، المصدر الوحيد الذي كان متوفرا آنذاك[4].

ثم ظهر الاسكتلندي "وليم موير ليضع ترتيبا جديدا للسور في كتابه"حياة محمد"، يلي كل فصل من السيرة عرض للسور مرتبة ترتيبا زمنيا وفق ما ينسبه موير إلى هذه الفترة، ثم ظهر في الجيل الذي تلا ذلك المستشرق"هوبرت غريمه ليعالج القضية ذاتها في كتابه"محمد" مشددا على ضرورة تحديد الترتيب الزمني لسور القرآن في أي دراسة تتناول حياة محمد وعقيدته[5].

ثم جاء نولدكه بترتيب مختلف في كتابه" تاريخ القرآن"وهو الذي حاز قصب السبق في هذا المجال وكان عمدة من جاء بعده من المستشرقين.

وفي المقابل شهدت هذه الحقبة ظهور ترجمات للقرآن الكريم اعتمد أصحابها ترتيب السور حسب النزول، ولعل أشهرها ترجمة بلاشير الذي اعتبر ترجمات القرآن بمثابة"المفتاح لحديقة سرّية كان الغرب

---

[1]- ينظر: تاريخ القرآن، نولدكه، 42/1.

[2]- ينظر على سبيل المثال: البرهان في علوم القرآن للزركشي والإتقان للسيوطي.

[3]- تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، للديار بكري، حسين بن الحسن دار صادر بيروت، دط، دت، 10/1-11.

[4]- ينظر: القرآن خطيا، ستيفانيدز، ص14-15.

[5]- ينظر: المرجع نفسه، ص17.

يحلم بدخولها"[1]–على حدّ تعبيره– وهذا إن دل على شيئ فإنما يدل على سر إهتمامهم بترجمة القرآن، وتكشف عن أهدافهم من وراء ذلك.

ولا يهمنا هنا استقصاء انتاجهم الضخم في هذا المجال، بل سنكتفي بذكر الترجمات التي رتبت سور القرآن حسب نزولها، وأشهرها ترجمة بلاشير في عام 1949م التي قال عنها صبحي صالح: " تضل ترجمة بلاشير للقرآن في نظرنا أدق الترجمات للروح العلمية التي تسودها، لا يغض من قيمتها إلا الترتيب الزمني للسور القرآنية"[2]، ثم قام رودويل بترجمة معاني القرآن إلى اللغة الإنجليزية، صدرت الطبعة الأولى لها في عام 1886م، وقدم لها المستشرق الشهير(جورج مرجليوث) ورتب فيها السور ترتيبا زمنيا حسب نزولها، وسماها:(Translation with sures arranged chronologically the coran)

فبدأ بسورة العلق واختتم بسورة المائدة، وزعم أن هذا الترتيب التاريخي يرسم صورة صحيحة واضحة لسيرة الرسول ﷺ العقلية، والتطورات في النظريات القرآنية[3].

وفي سنة 1911م تبعه رجل مسلم من البنغال، فقام بترجمة جديدة لمعاني القرآن ورتب فيها السور حسب النزول[4]، كما قام ر.بيل بترجمة أخرى على المنهج نفسه في سنة 1937م[5].

وسنقف هنا على نموذجا من تلك المحاولات طلبا للاختصار، وهي محاولة المستشرق الألماني نولدكة، وذلك لاشتهارها، ولما حضيت به من احتفاء من قبل الغرب، ولما دار حولها من نقاشات وكتابات من قبل المهتمين بالدراسات القرآنية، أظف إلى ذلك، مكانة نولدكه فهو أحد أقطاب

---

[1]–ينظر: القرآن نزوله، تدوينه، ترجمته، وتأثيره، بلاشير، ترجمة: رضا سعادة، تحقيق: محمد علي الزعبي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1: 1974، ص20.

[2]– مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار الملايين، ط24: يناير 2000، ص177، وينظر: موسوعة المستشرقين، عبد الرحن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط3: 1993، ص83، وتاريخ الأدب العربي، ريجيس بلاشير، ترجمة إبراهيم الكيلاني، الدار التونسية للنشر، ط: 1986م، 139/1، والمستشرقون والدراسات القرآنية، ص 27–28.

[3]– ينظر: الموسوعة العربية الميسرة: مادة قرآن.

[4]- ينظر:

arabic text english, apos, an the qur (fazl-mirza abu al-british british brary d,1911, chronologically arrangent, translation (15, d catalogue call mark 14 512 museun

[5]– ينظر:

translated with a gritical rearrangement with the The Quran: Bell.R, 1937, clark Edinburgh, and T.T,suos

الاستشراق الألماني، وشيخ الألمان بدون منازع، به انتهت الحقبة الزاهية للاستشراق الألماني، وقد جعل مدينة ستراسبورغ في نهاية حياته مركزاً للاستشراق الأوربي. وحصيلة جهوده في مجال دراسة النص القرآني؛ أصبحت عمدةً ومنطلقاً للدراسات القرآنية في أوربا، وأصبحت تنبني عليها أخطر النتائج في مجالات الدراسات الإسلامية. فقد كان أكبر متخصص في علوم القرآن في أوروبا كلها.

1- محاولة نولدكه:

ادعى نولدكه أنه يملك وسيلة تستحق قدرا كبيرا من الثقة –حسب تعبيره- وأنها هي وحدها تجعل استعمال التراث بالنسبة له مثمرا، وهذه الوسيلة هي المراقبة الدقيقة لمعنى القرآن ولغته، وذلك بعد اطلاعه على الترتيب الذي كتبه عمر بن محمد بن عبد الكافي والروايات الواردة في الإتقان والمباني، والمقارنة بينها، رغم جزمه باستحالة وضع تسلسل زمني دقيق للسور القديمة بالاعتماد عليها[1].

قام نولدكه بترتيب سور القرآن الكريم وفق نزوله، في كتابه" تاريخ القرآن" سنة 1860م". نال هذا الترتيب شهرة كبيرة وقد اعتمده المستشرقون من كل الجنسيات، مثل بلاشير في ترجمته للقرآن.

2-معايير ترتيب نولدكه:

أبقي نولدكه على تقسيم سور القرآن الكريم إلى مكي ومدني، بل أكد على ضرورة المحافظة عليه كما ورد في كتب علوم القرآن وخاصة "الإتقان"، ويقر كذلك بضرورة الحفاظ على وحدة السورة تفاديا للتمزق-على حدّ تعبيره- [2].

ويصرح في كتابه أنه سيهتم لدى فحصه لسور القرآن الكريم باستكشاف الزمن الذي نشأت فيه هذه الأجزاء وسبب نشوئها..وذكر أن المصدر الأول الذي سيعتمده هو النقل التاريخي والتفسيري، وهو في ظنه يحوز على الثقة، واعتبر قلة الأحداث التاريخية الكبرى في مكة عائقا في عملية تحديد زمن نشوء السور المكية[3].

لكن الحقيقة أن نولدكه يناقض نفسه، إذ سرعان ما يشكك في مرويات أسباب النزول، وفي

---

[1]- ينظر: تاريخ القرآن، نولدكه، 54/1، 57.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، 60/1.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، 53/1-54.

الوقت نفسه يعترف بفائدة بعضها إن استخدمت بحذر-كما يقول- فينتقي منها ما يشاء ويترك ما يشاء[1] بناء على الخطة التي رسمها والأهداف التي يرمي إليها، فيقول: "..طالما لا يوجد دراسة منتظمة للروايات التفسيرية، فليس لنا إلا أن نفحص هذه الروايات واحدة واحدة لنتأكد من مصداقيتها" ولا ندري من أين له القول بعدم وجود دراسات حول مرويات التفسير، فجهود العلماء في هذا المجال لا تبارى، ومؤلفاتهم القديمة والحديثة تشهد بذلك[2]، ويقول مسترسلا في دعواه " أما الإيضاحات الكثيرة الخاطئة التي يقدمها المسلمون، والتي تتضارب في أكثر الأحيان، فلا يمكن بالطبع إلا الاعتماد على مجموعة مختارة منها"[3] ومنه يتضح منهج نولدكه في اعتماد أسباب النزول، حيث كان يستعين بها مثلما فعل فايل وموير وغريمه وهيرشفيلد، عند تحديد تاريخ السور أو الآيات المدنية على وجه الخصوص، أما شفالي فلم يكن يفعل إلا في حالات استثنائية وذلك حين تضر بصورة النبي، كما هو الحال في موقفه من الأعمى في سورة عبس، أو حادثة الإفك في سورة النور، بل كان يعتبرها خليطا من جمع المفسرين"[4].

وضع نولدكه معايير ثلاثة لترتيبه وهي: الحماس النبوي، اللغة والأسلوب، وقصر الآيات وطولها.

وعنها يقول بلاشير: "..أما المعايير المعتمدة في إخراج هذا التوزيع، فهي على أنواع ثلاثة: الأولى ذات طابع أسلوبي، وتهتم قبل كل شيئ بمظهر الآيات من حيث الإيجاز والإسهاب، والثانية تتعلق بالأوضاع الخاصة التي حددت مواقف محمد من معارضيه، أو أدت به إلى اتخاذها، والأخيرة تهتم خاصة بالنصوص العضوية، التي تكون مجموعة يلتمس منها تحديد الشعائر والمحرمات الغذائية، والحق الخاص

---

[1]- انظر مثلا: تشكيكه في قصة إسلام عمر ص42، وطعنه في رواية عائشة في بدء الوحي ص72 من كتابه تاريخ القرآن.

[2]- ينظر على سبيل المثال: "أسانيد نسخ التفسير والأسانيد المتكررة في التفسير"تأتي هذه الدراسة ضمن الإصدارات التي نشرها مركز تفسير للدراسات القرآنية، وأصلها رسالة ماجستير، أعدَّها الباحث/ عطية بن نوري بن محمد بن عليّ آل خلف الفقيه، ونوقشت عام 1428هـ بقسم الكتاب والسُّنة، بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، مركز تفسير الدراسات القرآنية، https://tafsir.net/ يوم: 06-12-2020، الساعة: 14: 00، ومنهج المحدثين في نقد مرويات التفسير إعداد: د. محمد صالح محمد سليمان المدرس بجامعة الأزهر كلية الدراسات الإسلامية، بنين بالشرقية قسم التفسير وعلوم القرآن.

[3]- ينظر: تاريخ القرآن، نولدكه، 54/1.

[4]- القرآن خطيا، ستيفانيدز، ص37-38.

والعلاقات مع الوثنيين والمسيحيين واليهود"[1].

- **المعيار الأول**: الحماس النبوي: يدعي نولدكه أن النبي هو مؤلف القرآن لذلك-حسب ظنه- جاءت الآيات والسور في بداية دعوته مفعمة بالحماس، ثم بدأ ذلك الحماس يخفو شيئا فشيئا حتى تلاشى واختفى في السور المدنية، يقول نولدكه: ".. حين ضعف الثوران النفسي الهائل صارت السور أكثر هدوء.."[2]، ويعلل هذا التغير في الحماس النبوي بما أسماه بإحباطات الواقع حيث يقول: "الحماس الأولي خفتت حدّته بسبب إحباطات الواقع، التكرار المستمر للأفكار نفسها التي كانت تسقط مرة إثر مرة على أرض غير خصبة أثر سلبا على الشكل الفنّي للعرض"[3].

وبتغير الحماس النبوي —حسب نولدكه- تتغير لغة القرآن وأسلوبه، وهذا يحيلنا على المعيار الثاني.

- **المعيار الثاني**: اللغة والأسلوب: ربط نولدكه بين أسلوب القرآن وترتيب نزوله حيث يقول: "وكما هي حال كل كاتب، تتميز لغة محمد المستعملة في فترات مختلفة بواسطة عبارات متفق عليها وكلمات معينة مستحبة ومصطلحات، تسعفنا على ترتيب السور ترتيبا زمنيا"[4] ويعلل ذلك بقوله: "و يختلف أسلوب القرآن تبعا لأوقات التأليف المختلفة"[5] وقد سبقه إلى ذلك جولد زيهر حين قال في كتابه العقيدة والشريعة: ".. لكن حمية النبوة وحدتها أخذت في عضات المدينة والوحي الذي جاء بهاتهدأ رويدا رويدا، حيث أخذت البلاغة في هذا الوحي تصبح ضعيفة شاحبة، كما أخذ الموحي نفسه ينزل إلى أقل بحكم ما كان يعالجه من موضوعات ومسائل، حتى لقد صار أحيانا في مستوى النثر العادي"[6].

ولعل هذا ما جعله يعتمد المعيار الثالث.

- **المعيار الثالث**: قصر الآيات وطولها: حيث اعتبر السور القصيرة من أقدم السور مدعيا أنها

---

[1]- ينظر: "القرآن"، رجيس بلاشير، ترجمة رضا سعادة، تحقيق محمد علي الزغبي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1: 1974م، ص26-27.

[2]- ينظر: تاريخ القرآن، نولدكه، 25/1، 68.

[3] - ينظر: المرجع نفسه، 105/1.

[4]- ينظر: المرجع نفسه، 59/1.

[5]- ينظر: المرجع نفسه، 32/1.

[6]-العقيدة والشريعة، جولد تسيهر، ص15

تتناسب مع الفترة الأولى للدعوة المحمدية التي تميزت-حسب ظنه- بالحركة الشغوفة التي تتقطع مرارا بسبب تعاليم بسيطة وهادئة، لكنها زاخرة بالقوة.."[1].

مناقشة:

المعيار الأول: بنى نولدكه افتراءاته على مقدمة خاطئة والتي تتأدى إلى نتائج خاطئة، أما المقدمة فهي اعتبار محمد ﷺ هو مؤلف القرآن، أما النتيجة فهي تغير العرض الفني لسور القرآن من الفترة المكية إلى الفترة المدنية تبعا-حسب رأيه-لتغير حماسة مؤلفه، وظروف تأليفه المختلفة.

المعيار الثاني: إن فهم النص القرآني لا يتوقف على استنطاق اللفظ واستخراج مخبوء المعاني منه فقط وإنما يحتاج الى علوم كثيرة خادمة من أجل الوصول إلى الفهم الصحيح ومن هذه العلوم، ما ذكره السيوطي في كتابه الإتقان، فقد عدها خمسة عشر علمًا، ويمكن إيجازها فيما يلي: معرفة أصول الدين، معرفة أصول الفقه، معرفة اللغة العربية وقواعدها، معرفة علوم البلاغة، معرفة أسباب النزول، معرفة الناسخ والمنسوخ، معرفة علم القراءات، ويأتي في الأخير علم الموهبة الذي لا يتأتى إلاّ لمن يعمل بما يعلم[2].

أما احتجاجه بأن معيار اللغة كان معتبرا عند المسلمين حين ذكروا مميزات المكي والمدني وادعاؤه أنهم حاولوا التخلي عن النقل البحت واتخذوا طريقة نقدية مرفقة بمراقبة اللغة المشتملة[3]، فيجاب عليه:

لا يمكن لأحد أن ينفي أن أهل العلم كتبوا عن خصائص ومميزات المكي والمدني، ولا ننكر اختلافهم في تحديد مكية أو مدنية بعض الآيات والسور، لكن يمكن القول: إنهم عندما فعلوا ذلك لم يكن الغرض تقسيم السور إلى فترتين أو ترتيبها زمنيا، بل قصارى ما فعلوه هو أنهم نظروا إلى السور المكية والمدنية، فلاحظوا السمات الغالبة في كل مجموعة..ولم يقل أحد أنه يمكن اتخاذ هذه السمات معايير للتصنيف السور وترتيبها زمنيا.

والظاهر من كلام نولدكه أنه يريد بترتيبه "أن يجعل من القرآن نصاّ يطور من أسلوبه بشكل تدريجي"[4].

---

[1]- ينظر: تاريخ القرآن، نولدكه، 69/1.

[2]- ينظر: الإتقان، السيوطي، 213/4-215.

[3]- ينظر: تاريخ القرآن، نولدكه، 59/1.

[4]- ينظر: القرآن خطيا، 23.

ويزعم أن "القطع ذات اللغة والأفكار المتأججة لا بدّ من أنها أقدم من القطع التي تعتبر هادئة وطويلة..ولا ينتقل بقفزة واحدة من الصنف الأول إلى الصنف الثاني، بل يتحرك إليه تدريجيا.."[1].

ويكفي هنا أن نقف مع نولدكه وهو يعترف بقصور منهجه المعتمد على الأسلوب واللغة في محاولته لترتيب السور زمنيا، فقال مثلا عند حديثه عن المعودتين: "اللغة والأسلوب اللذان يقدمان لنا عادة خدمات..من أجل تحديد زمن نشوء السور يخوناننا هنا"[2].

وكثيرا ما كان يقرن بين السورتين لتشابه موضوعهما، فعلى سبيل المثال، وضع سورة النجم بعد سورة التكوير لأن بين السورتين "علاقة مضمونية إذ يرد في كليهما حديث عن ظهور الملك"[3].

ثم إنه تخلى عن معيار اللغة والأسلوب عند ترتيب السور المدنية، معتمدا على مضمون السور، وصلتها بالظروف والأحداث، وارتباطها الوثيق بنمو الكيان السياسي الجديد على حدّ تعبيره[4]، وقد يرتب سورة بعد أخرى لتشابه مطلعيهما مثل سورتي القلم والعلق[5].

أما المعيار الثالث المتعلق بقصر الآيات وطولها: فيعدّ إلى جانب المعيار الثاني من خصائص السور المكية والمدنية، فقد تبين للعلماء – بعد تبصر وإعمال النظر في السور المكية والسور المدنية – أن ثمة فرقا في الغالب بينهما من جهتين اثنتين: المضمون، والأسلوب:

أ–أما من حيث الأسلوب فهو:

–الغالب في المكي قوة الأسلوب، وشدة الخطاب ؛ لأن غالب المخاطبين معرضون مستكبرون، ولا يليق بهم إلا ذلك، أقرأ سورتي المدثر، والقمر.

أما المدني: فالغالب في أسلوبه اللين، وسهولة الخطاب؛ لأن غالب المخاطبين مقبلون منقادون، ويمثل لها بسورة المائدة.

---

[1]– ينظر: تاريخ القرآن، نولدكه، 58/1.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، 98/1.

[3]–ينظر: المرجع نفسه، 89/1.

[4]– ينظر: المرجع نفسه، 154/1–155.

[5]– ينظر: المرجع نفسه، 86/1.

– الغالب في المكي قصر الآيات، وقوة المحاجة ؛ لأن غالب المخاطبين معاندون مشاقون، فخوطبوا بما تقتضيه حالهم، ومثالها سورة الطور.

أما المدني: فالغالب فيه طول الآيات، وذكر الأحكام مرسلة بدون محاجة ؛ لأن حالهم تقتضي ذلك، ومثالها آية الدين في سورة البقرة.

ب–وأما من حيث الموضوع فهو:

– الغالب في المكي تقرير التوحيد والعقيدة السليمة، خصوصا ما يتعلق بتوحيد الألوهية والإيمان بالبعث ؛ لأن غالب المخاطبين ينكرون ذلك.

أما المدني: فالغالب فيه تفصيل العبادات والمعاملات؛ لأن المخاطبين قد تقرر في نفوسهم التوحيد والعقيدة السليمة، فهم في حاجة لتفصيل العبادات والمعاملات.

– الإفاضة في ذكر الجهاد وأحكامه والمنافقين وأحوالهم في القسم المدني لاقتضاء الحال، ذلك حيث شرع الجهاد وظهر النفاق، بخلاف القسم المكي" [1].

ومجمل القول فإن المتمعن في هذه المعايير يظهر له أنها كانت معايير نظرية فقط أما المعيار الحقيقي الذي اعتمده نولدكه فكان السيرة في كثير من الأحيان، ولم يكن النص القرآني[2]، كما يبدو أن ترتيبه لا يطابق أي رواية من الروايات والآثار الواردة في ترتيب النزول، مما يعني أنه قد أعمل رأيه في ترتيب مالا مجال للرأي فيه[3].

3–تقسيم السور إلى فترات:

وفق تلك المعايير قام نولدكه بتقسيم الفترة المكية إلى ثلاث فترات، ولم يحدد الحدّ الزمني لكل فترة

---

[1]– ينظر: أصول في التفسير، ابن العثيمين، محمد صالح، قسم التحقيق بالمكتبة الإسلامية، عين شمس الشرقية، ط1: 1422هـ–2001م، ص14–15، والمدخل لدراسة القرآن الكريم، أبو شهبة، محمد بن محمد بن سويلم، مكتبة السنة، القاهرة، ط2: 1423هـ–2003م، ص227–232.

[2] – ينظر: إشكاليات الترتيب التاريخي للقرآن، نادر حمّامة، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط، المملكة المغربية، د.ط، د.ت، ص10.

[3]–ينظر: تفسير القرآن الكريم على ترتيب النزول، منبعه وفوائده، محمد مجلي الربابعة، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، المجلد37، العدد1، 2010، ص260.

لصعوبة ذلك كما صرح في كتابه[1]، أما "الفترة الأولى فتشمل السور القصار ذات الأسلوب الإيقاعي التلميحي، بينما يتجسد القطب الآخر في السور الطوال التي تعتمد الأسلوب السردي وتشبه السور المدنية كما يرى نولدكه، وتمثل الفترة المكية الثالثة.أما الفترة المكية الثانية فيرى نولدكه أنها تتألف من باقي السور المكية التي لاتدخل تحت أي الفئتين السابقتين، وإنما تجسد انتقالا تدريجيا"[2].

ومن نتائج تقسيمه "تجريد الفترة المكية الثانية من أي طابع عام وتقديمها على أنها مجرد تدرج وانتقال من المرحلة الأولى إلى الثالثة".

أ-مميزات الفترة المكية الأولى: ذكر نولدكه أن سور هذه الفترة تتميز ب:

-قوة الحماس عند النبي في السنوات الأولى.

-كثرة القسم.

-قصر السور.

-مهاجمة أعدائه (المسد).

مثال: سورة العلق.

عمد نولدكه إلى التشكيك في كونها أول ما نزل من الوحي، واعتبرها مسألة لا يمكن حسمها، وبعد تسليمه بمعناها، ذهب ليبحث عن ظروف نشأتها بغية ربطها بالواقع، فقال: "..استطعنا أن نتصور نشوء هذه السورة.."[3] ولا شك أنها كما قال مجرد تصورات لا تستند إلى دليل، وقال: "يمكن فهمها من حيث المضمون على أنها قيلت في أي وقت، نُقل فيه إلى النبي مقطع جديد من الكتاب السماوي..".

ثم وضعها في الفترة الأولى بناء على أسلوبها الكثيف، والإيقاع القصير الأجزاء كما أسماه، في حين رجح نشوء الآيات الباقية من السورة بعد الأولى بسنوات..ويضيف قائلا: لكن يؤسفنا أننا لا نستطيع تقديم برهان على ذلك[4].

---

[1]- ينظر: تاريخ القرآن، نولدكه، 99/1.

[2]-ينظر: القرآن خطيا، ستيفانيدز، ص22.

[3]- ينظر: تاريخ القرآن، نولدكه، 75/1.

[4]- ينظر: المرجع نفسه، 75/1-77.

ب–مميزات الفترة المكية الثانية: يقول عنها أنها: "ذات مضمون مختلط، لكنها تتفق فيما بينها على أن غرضها الأساسي ليس محاربة الخصوم، بل وصف الآخرة"[1].

ويقول في موضع آخر: "ليس لهذه السور أي طابع مشترك، بعضها يشبه سور الفترة الأولى بينما البعض الآخر يشبه سور الفترة الثالثة"[2].

وذكر من مميزاتها[3]:

- الانتقال التدريجي من الحماس العظيم إلى قدر أكبر من السكينة في السور المتأخرة التي يغلب عليها الطابع النثري
- التأمل الهادئ ودليله طول الآيات.
- يحاول النبي وضع أمثلة مأخودة من الواقع، فيجنح إلى الاطناب ويصبح مرتبكا، مملا.
- اختفاء الأقسام المعقدة التي ميزت الفترة الأولى لكننا نجد أقسام قصيرة.

ج–مميزات الفترة الثالثة: يقول عنها: " يتضمن وصف الكوارث الطبيعية التي سترافق قيام الساعة""ما من سور أخرى تضاهي هذه السور في روعتها وابرازها الانفعال الشديد الذي كان يعتري النبي"[4] وهي: القارعة، الزلزلة، الانفطار، التكوير، الانشقاق...

وذكر من مميزاتها:

- لغة مطنبة واهية، نثرية، كثرة التكرار.
- البراهين التي تفتقد إلى الوضوح ولا تقنع الا من يؤمن سلفا بالنتيجة النهائية..
- القصص، واختفاء الأقسام نهائيا
- الفواصل مشوشة

---

[1]– ينظر: تاريخ القرآن، نولدكه، 84/1.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، 105/1.

[3]– ينظر: المرجع نفسه، 105/1-106.

[4]– ينظر: المرجع نفسه، 88/1.

- وجود كلمة "قل" التي لا توجد في سور الفترات السابقة.

ويشير نولدكه أن هذا مما يجعل الآيات والسور مملة، ويضعف ترتيبها زمنيا[1].

د-مميزات الفترة المدنية[2]: ذكر منها:

- لا يتعرض للمشركين الا نادرا وكذلك النصارى
- مهاجمته لليهود والمنافقين بحدّة
- النبي آمرا ومشرعا
- مدح ولوم المسلمين بحسب ما تمليه الظروف (نصر وهزيمة)
- تناول مسائل النبي البيتية
- يقل حجم الآيات المدنية وهي تحتوي في الغالب على تشريعات قصيرة.

ومجمل القول، بعد عرض تقسيم نولدكه للسور، يظهر جليا أنه أعمل عقله وهواه دون أي ضابط علمي، باستثناء بعض المميزات التي ذكرت في كتب علوم القرآن كقصر السور، وكثرة القسم، ناهيك عما اشتملت عليه من قدح ومغالطات في كتاب الله منها:

-تعامله مع السور القرآنية على أنها وحدات، وترتيبها على حسب مطالعها، بحجة أن الآثار الواردة في ترتيب النزول راعت ذلك.

-وصف لغة الفترة المكية الثالثة بالاطناب، والملل، والتكرار..

-دعوى عدم وضوح البراهين المعروضة في القرآن.

-دعوى أن الفواصل مشوشة.

ويدعي أن هذه المميزات شكلت عائقا في سبيل ترتيب السور حسب النزول، والحقيقة أنه أقر هو نفسه بعدم إمكانية القيام بأي ترتيب تأريخي دقيق للسور، ويعلل ذلك بقوله: "..وكم من دليل

---

[1]- ينظر: ينظر: تاريخ القرآن، نولدكه ، 128/1.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، 153/1.

وجدته من قبل مناسبا لهذا الغرض بدا لي لاحقا غير موثوق به، وكم من زعم أبديته قبلا بقدر كبير من الثقة بدا لي من بعد فحص متكرر وأدق أنه زعم غير أكيد"[1]، ويقول في موضع آخر: "أما الترتيب التاريخي الدقيق للمواضع المفردة فهو غير جائز ومستحيل، خاصة في السور المدنية الطويلة"[2]، وكان كثيرا ما يقول: "..لا نستطيع الجزم.."ويعلل ذلك كون الكتابات التاريخية لا تتحفه إلا بالقليل من الوسائل الناجعة لدراسة السور المكية[3].

وقد انتقد منهج نولدكه في ترتيب السور من قبل المستشرقين أنفسهم، من ذلك ما ذكرته الكاتبة ستيفانيدز: " لو سلمنا جدلا بالأساس المنطقي الذي استند إليه التقسيم الثلاثي للمرحلة المكية، فإن الغموض لا يزال يكتنف الأسباب التي تقف وراء الترتيب الفعلي للسور المكية داخل كل فترة"[4] وتكشف لنا الاضطراب والتردد اللذان ظهرا في مواقف نولدكه فتقول: "فضلا عن ذلك، يبدو أن هدف نولدكه في الترتيب الزمني قد تطور في هذه الطبعات الثلاث، وكما يبين هو نفسه، فقد ظن وقت تقديم أطروحته الجامعية، أن وضع ترتيب زمني للسور أمر ممكن ومشروع علمي يمكن تحقيقه، لكنه وبشكل تدريجي خلال دراساته بات مقتنعا بالقيود والصعوبات في هذا الصدد"[5].

وهذا ما جعل الكاتبة تصف كتاب "تاريخ القرآن" بأنه ترقيعات نصية مربكة تتضمن مواقف متناقضة حيال مشروع الترتيب الزمني، وتصفه في موضع آخر بالتذبذب المتكرر للمؤلفين، وتورد للتدليل على ذلك موقف نولدكه وشفالي من الآيات الخمس الأول من سورة العلق، فمرة يعتبرها نولدكه أول ما نزل ليأتي شفالي فيشكك في ذلك في طبعة 1909، كما وصفت ترتيبه بالعشوائية والاعتباط للغياب المتواصل لبرهان مناسب على ترتيبه[6].

ومما يبين تهافت محاولات المستشرقين لترتيب القرآن ترتيبا زمنيا وفق النزول، وصولهم إلى الطريق المسدود، وعدولهم عن المشروع، وقد صرح بذلك غير واحد منهم، ومن ذلك ماكتبته ايمانويلا

---

[1]- ينظر: تاريخ القرآن، نولدكه، 68/1.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، 60/1.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، 64/1.

[4]- القرآن خطيا، ستيفانيدز، ص31.

[5]- المرجع نفسه، ص34.

[6]- ينظر: المرجع نفسه: ص 35-37-43.

ستيفانيدز عن الجدل كبير الذي ثار في القرن العشرين، حول قضية الترتيب الزمني للقرآن، وعجز المصادر التراثية الإسلامية عن تفسير الحالة الراهنة للنص القرآني وفهمها كما ينبغي على حد تعبيرها[1].

وهذا هيرشفيلد يدعو إلى التخلي عن فكرة إعادة بناء الترتيب الزمني للقرآن، واعتماد التقسيم حسب الموضوعات الذي –حسب رأيه- يغني عن محاولات تحديد تاريخ دقيق لكل سورة من الوحي، ويعلل ذلك بعدم أهمية معرفة وقت نزول الكثير من السور [2].

ولعل من أسباب وجود التناقضات في كتاب تاريخ القرآن، التنقيح النقدي الذي أجراه شفالي، فمثلا اعتبر استدلال نولدكه على الترتيب الزمني للسور المدنية (سورة المنافقون، سورة التحريم، سورة الممتحنة) الذي اعتمد فيه على أسباب النزول، استدلالا عقيما لا معنى له، رغم أنه أبقى على هذا الترتيب هذا ما جعل ايمانويلا تقول بأن: "نسخة 1909 التي تعدّ باكورة الأعمال في هذا الصدد تشتمل في الوقت ذاته على بذور تقويض المشروع الاستشراقي لوضع ترتيب زمني"[3].

وفي الأخير، ومن باب شهد شاهد من أهلها نسجل تقرير ستيفانيدز عن تراجع وعزوف غالبية المستشرقين في وقتنا الحاضر عن محاولة وضع ترتيب زمني محدد للسور القرآنية[4].

وهذا لا يمنع من ظهور دراسات متفرقة في هذا المجال، فهناك على سبيل المثال بحث للمستشرق الانكليزي (أدوارس) أسماه: (التطور التاريخي للقرآن) صدر في مدارس عام (1898م) بحث به النزول المكي والمدني والتدوين والكتابة ولكنه جاء مختصرا لا يفي بالغرض[5].

---

[1]- ينظر: القرآن خطيا، ستيفانيدز ص12.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص20.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص40.

[4]- ينظر: المرجع نفسه، ص56.

[5]- المستشرقون والدراسات القرآنية، محمد الصغير، ص 25

كما صدر في الآونة الأخيرة كتاب تحت عنوان" قرآن المؤرخين"[1]، في أربعة مجلدات، خصص المجلد الثاني لتفسير القرآن الكريم سورة سورة، حسب المنهج النقدي، روعي فيه التحقيب الذي أجراه ريجيس بلاشير ونولدكه، وشوالي وبيل ريشارد، وجمع فيه نتاج المستشرقين خلال القرنين الماضيين إلى يومنا هذا.

وخلاصة الكلام:

وبناء على ما سبق يمكن القول إن النتائج التي توصل إليها المستشرقون في دراساتهم ترتيب نزول القرآن نتائج خاطئة؛ لأنها متمخضة عن روايات ضعيفة أو موضوعة، أو قائمة على محض خيالهم وأوهامهم، فكانت مجافية للحقيقة والواقع، وبعيدة عن النتائج العلمية التي توصل إليها العلماء المسلمون من دراساتهم.

ولقد تحركتْ همةُ الباحثين المنتصرين للكتاب العزيز للتأكيد على أن منهج الاستشراقي العام في دراسة تاريخ القرآن وعلومه يكاد يكون غير علميّ، ومفصولا عن سياق الموضوعية والحياد المطلوبين في كل بحث، وبالتالي في كل منهج علمي.

وحسبنا في هذا السياق إقرارهم بالعجز بعد محاولات فاشلة، جاء في دائرة المعارف الإسلامية: "أما فى العصور الحديثة فقد اقتصرت دراسة الترتيب الزمنى لنزول القرآن تقريبًا على علماء الغرب الذين عجزوا عن التوصل إلى اتفاق حول نظام للتأريخ، أو حتى إلى إمكانية وضع مثل هذا النظام" [2].

وجاء في الموسوعة البريطانية أنه: "يصعب جدا تصنيف محتويات القرآن، حيث إنه إذا صنفت محتوياته حسب الفترة الزمنية، فإن هذا يؤدي إلى تناقض، حيث إن الموضوع المعالج لبعض المواد يختلف باختلاف الفترة الزمنية[3]".

---

[1]- بإشراف مشترك بين الباحث الفرنسي ذي الأصول الايرانية، محمد علي أميرمعزى(1956)، والباحث البلجيكي غيوم دي(1974)، صدرا أخيرا عن منشورات سار في فرنسا، عام 2019، يقع في 3800 صفحة، في أربعة مجلدات، المصدر: موقع العربي الجديد، 18-10-2020 على90.00.

[2]- موجز دائرة المعارف الإسلامية، 8206/26.

[3]- قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، فضل عباس، دار البشير للنشر، عمان، الأردن، ط 2: 1410هـ-1989م، ص99.

رابعا: أثر ترتيب النزول في فهم القرآن عند المستشرقين:

1. المنهج التاريخي

من خلال ما سبق تتبين معالم المنهج التاريخي الذي سلكه نولدكه وأمثاله من المستشرقين، حيث قام بمعالجة النص القرآني كوثيقة من وثائق التاريخ الإنساني، رابطا إياه بموقعه في الحياة، معتمدا إلى جانب اللغة على الأحداث التاريخية التي تشير إليها بعض السور والآيات.. بهدف تشكيل قاعدة تاريخية، تمكنه من ترتيب زمني للسور، للوصول إلى فهم أفضل للقرآن الكريم حسب زعمه[1].

وقد كان لمنهج نولدكه في الترتيب الزمني في كتابه تاريخ القرآن الأثر الواضح في ظهور القراءة التاريخية للقرآن في البحوث الغربية في مجال الدراسات القرآنية، خاصة بين المستعربين الفرنسيين من أمثال ريجيس بلاشير وموريس ديمومبين[2].

وهدفهم من تلك المحاولات هو الطعن في مصدرية القرآن ومضمونه، فهم لا يعتبرون محمدا نبيا، ولا يقيمون القرآن ككتاب منزّل، بل كنصّ، وضعه النبيّ محمد نتيجة إلهام، متفاعلا مع الأحداث والتطورات الدينية والاجتماعية والسياسية التي واجهها خلال سنين[3].

هذا ما نستشفه من حديث نولدكه: "لم يستطع محمد في أثناء الثوران النفسي الشديد أن يستمع إلى أجزاء كاملة من القرآن، بل إلى كلمات وأفكار مفردة فقط، لهذا السبب يعتبر البحث التاريخي أن ما أوحي به إليه لم يكن مقاطع قرآنية مستقلة، بل بالأحرى الشكل الأدبي الذي عبر بواسطته النبي عن مضمون الوحي"[4]، ولا يتوقف عند هذا الحدّ بل راح يستنتج من تتبعه لسور القرآن حسب نزولها أن محمد تحول من دور نبي إلى رجل دين مرموقا وقائدا عالميا لكيان كبير.

وتأكيد نولدكه على منهجه التاريخي بدا واضحا من خلال كتابه، من ذلك قوله عن السور المدنية: " اختلاف أجزاء القرآن التي نزلت هنا عن الأجزاء المكية مشروط أولا بتبدل الحالة التاريخية"[5]،

---

[1]- ينظر: تاريخ القرآن، نولدكه، 16/1.

[2]- ينظر: القرآن خطيا، ستيفانيدز، ص 10.

[3]-تاريخ القرآن، نولدكه، 17/1

[4]- ينظر: المرجع نفسه، 25/1.

[5]- ينظر: المرجع نفسه، 148/1.

وقوله في سورة "الفاتحة" بعد أن ذكر مكانتها لدى المسلمين، أنها لا تحمل أي مؤشر على زمن نشوئها، إلا أنه ذهب إلى أن صيغة الجمع فيها تدل على أن جماعة صغيرة فقط كانت ملتفّة حول محمد أثناء نشوئها[1].

ويسترسل قائلا: " لكن الجزء الأكبر من السورة (الفاتحة) وبالتحديد الآيات: 1و2و3 تنحدر من أصل يهودي أو مسيحي" وساق لأجل ذلك براهين واهية [2].

وكثيرا ما يربط أهمية السورة بعلاقتها بالواقع، فمثلا قال عن سورتي المسد والأحزاب أنه يجب الاهتمام بهما لأنهما الوحيدان اللذان يذكر فيهما اسم رجل معاصر[3].

ليس هذا فقط بل ادعى نولدكه أن النبي أضاف إلى القرآن كلمات خارجة عنه، مثل عبارة" فتبارك الله أحسن الخالقين" وأنها من كلام كاتبه عبد الله بن أبي سرح[4]، وأنه قام بإضافة مقاطع بما يناسب أغراضه، ومثل بقصة الرجلين العمياوين اللذين تحرجا من توبيخ القاعدين عن الجهاد، يقول: " عندها أمر محمد زيد بن ثابت بأن يضيف بعض الكلمات التي تستثني فيها المصابين بعلة حسية من اللوم"[5].

وفي موضع آخر، يزعم أن محمدا قام بتعديل بعض السور لأن ذاكرته عجزت عن حفظها[6]أو لأن الظروف دعته لذلك، ويعيب عليه عدم ترتيب السور زمنيا أو موضوعيا، فيقول: "إن محمدا الذي لم يتحرج من تكرار الآيات وتعديل مواضعها في المقاطع القرآنية أو نسخها بحسب تبدل الظروف، وغالبا ما راعى في عمله الظروف الراهنة، لم يهتم بترتيب السور ترتيبا محكما بحسب زمن تأليفها أو مضمونها"[7].

وقوله "زمن تأليفها" بدل"زمن نزولها" إشارة إلى أن القرآن من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم،

---

[1]- ينظر: تاريخ القرآن، نولدكه ، 99/1.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، 100/1-103.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، 81/1.

[4]- المرجع نفسه ، 43/1.

[5]- المرجع نفسه، 44/1.

[6]- المرجع نفسه، 44/1.

[7]- ينظر: المرجع نفسه، 43/1-44.

طعنا في مصدره الربانّي، ليصرف عنه أنظار الغربيين.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[الشورى: 52].

يقول السعدي في تفسير الآية: "..وهو هذا القرآن الكريم، سماه الله روحا، لأن الروح يحيا به الجسد، والقرآن تحيا به القلوب والأرواح، وتحيا به مصالح الدنيا والدين..وهو محض منة الله على رسوله وعباده المؤمنين، من غير سبب منهم، ولهذا قال: "ما كنت تدري" أي: قبل نزوله عليك"ما الكتاب ولا الايمان" أي: ليس عندك علم بأخبار الكتب السابقة، ولا إيمان وعمل بالشرائع الالهية، بل كنت أميا لا تخط ولا تقرأ، فجاءك هذا الكتاب الذي"جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا" يستضيئون به في ظلمات الكفر والبدع، والأهواء المردية، ويعرفون بهالحقائق، ويهتدون به إلى الصراط المستقيم"[1].

ومما يدل أيضا على منهجه التاريخي، حديثه عن الأوضاع التي كانت سائدة بالمدينة قبل وبعد مجيئ محمد عند حديثه عن السور المدنية[2]، والهدف من ذلك واضح، وهو ربط القرآن بواقعه، وفهمه حسب الوقائع، ومن أمثلة ذلك قوله عند ترتيب سورة الروم: "لا بدّ من أن الآيات الأولى من سورة الروم نزلت بعد هزيمة البيزنطيين(الروم) أمام الفرس..لكن يصعب تحديد أي من الهزائم التي مني بها البيزنطيين.."[3].

وأحيانا يدلي باستنتاجاته المبنية على الظن فقط، لربط السورة بزمن نزولها، فمثلا قال في سورة الطارق "يبدو أن آياتها الثلاث الأولى تشير إلى أنها نشأت ليلا تحت تأثير نجم ساطع"[4].

وفي السياق نفسه يقول: "معظم الوحي حدث ليلا كما يبدو حين تكون النفس أكثر قابلية لاستقبال التخيلات والانطباعات النفسية عما هي عليه في وضح النهار"[5].

وهذه النماذج التطبيقية كافية للبرهنة على مدى الخلط الذي وقع فيه نولدكه، ولعل أخطر النتائج

---

[1]- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تح:عبد الرحمن اللويحق،مؤسسة الرسالة ، ط1421:1ه-2000م، ص 762.

[2]- ينظر: تاريخ القرآن، نولدكه، 148/1، 153.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، 134/1.

[4]- ينظر: المرجع نفسه، 85/1.

[5]- ينظر: المرجع نفسه، 25/1.

التي تمخضت عن تطبيقاته للمنهج التاريخي على فهم القرآن حسب ترتيب النزول ما نبينه في العنصر الموالي.

2. **نتائج تطبيق المنهج التاريخي:** كثيرة، لعل أخطرها مايلي:

أ- إنكار المصدر الرباني للوحي:

ذلك أن اهتمام نولدكه بهذا الموضوع اهتماما بالغا كان هدفه" تحقيق نتائجه المختلفة ومنها إنكار البعد الميتافيزيقي[1] للقرآن الكريم، ولا يعترف بالنزول المجمل من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، وفي المقابل نجده يهتم كثيرا بالنزول المنجم لأنه نزول محدد في الزمان والمكان، فالفصل بين البعد الميتافيزيقي والبعد التاريخي للقرآن وإنكار البعد الأول، وحصر البعد الثاني في حيز زمكاني له تبعات خطيرة على الجانب الإعتقادي للمسلم"[(2)]، ولا يخفى ما لإثارة هذه الشكوك والشبه الباطلة حول العقيدة الاسلامية، من تأثير في الصد عن سبيل الله، إذ يحق للمرء أن يتساءل عن سبب بثهم الشكوك حول مصدرية القرآن الكريم، فهم لا يؤمنون به ولا يبحثون عن الحقيقة من وراء دراستهم، وليس هدفهم العلم، وإلا لما وقعوا في مثل هذه الأخطاء العلمية والمنهجية.

ب-الفهم المنحرف للقرآن: أو التأويل العبثي للنص القرآني كما ذكر أحد الباحثين.[(3)]

والذي كان نتيجة لتبني رؤية تفسيرية محدودة بالزمان والمكان، وإغفال سياق الآيات، والاعراض عن تفسير علماء الاسلام.

ج- انكار الانسجام وإقرار الفوضى في النص[(4)]:

إن الاعتراض على منهج نولدكه ليس اعتراضا على المنهج التاريخي في حدّ ذاته، و"لكن الإشكالية في المنهج التاريخي المعاصر تتمثل أساسا في مواصفاته وتطبيقاته ونتائجه التي أفضى إليها، فهو تبلور في فضاء الفلسفة الغربية مما أكسبه مواصفات سلبية جعلته غير ملائم لدراسة النص القرآني،

---

[1]-الميتافيزيقا: هو علم ما بعد الطبيعة، وهو العلم الذي يتأمل الموجودات اللامحسوسة والماورائية، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد، دار الجنوب للنشر، تونس، د.ط، د.ت، ص 460.

[(2)]- ينظر: نقد المنهج التاريخي في دراسة القرآن الكريم، ، جمال حجير، جامعة محمد الحاج لخضر، كلية العلوم الإجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم العقيدة، باتنة، 2016-2017م، ص81

[(3)]- ينظر: المرجع نفسه، ص165-218.

[(4)]- ينظر: نقد المنهج التاريخي، جمال حجير، ص228-261.

فكانت تطبيقاته ونتائجه تتسم بالتعسف والجنوح عن الصواب"[1].

والمقصود أن عملية النقد التاريخي للوثائق والوقائع[2] كمنهج له رواده وقوانينه التي تضبطه، وهو قسمان: نقد داخلي: ويدرس معاني النصوص الموجودة في الوثائق ويحاول ادراك المعنى الحقيقي لها كما يتناول مدى دقة الحقائق التي أوردها مؤلف النص[3]، وهذا النوع من النقد احد الجوانب المهمة التي يركز عليها المنهج التاريخي في نقده للنصوص القرآنية محاولا استكشاف اكبر قدر من الاخطاء والتناقضات كما هو الشأن بالنسبة للكتاب المقدس[4]، وهو عين ما فعل المستشرقون في محاولاتهم لترتيب القرآن ترتيبا تاريخيا، ولكن هيهات أن يجدوا في كتاب الله أخطاء أو تناقضات، يقول ﷻ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[النساء82].

وأما النوع الثاني من النقد عند المؤرخين فهو: النقد الخارجي الذي يتناول دراسة الوثيقة وأصالتها والبحث عن مصدرها زمانا ومكانا، وهل هي أصيلة أم مستنسخة؟ وماهي الأدوات المستخدمة في الكتابة، وهل هي من ذلك العصر أم من عصر آخر؟ وهل كتبت بلغة ذلك العصر أم لا؟ وهل في نصها إضافة أو تغيير أو حك؟[5]إلى غير ذلك من الأسئلة المعينة على كشف حقيقة النص، ونولدكه وغيره من المستشرقين لم يدخروا وسعا في توظيفها، وقد مر ذكر بعض تخرصات نولدكه في هذا السياق، مما يغني عن إعادتها هاهنا.

وقد يقول قائلهم أن الصحابي زيد ﷺ لم يقم بعملية التركيب التاريخي، في جمعه للقرآن الكريم، لأنه لم يرتب الآيات والسور حسب نزولها، مما جعل-حسب ظنهم- أن عملية ترتيب سور القرآن وآياته في المصحف الإمام تبدو فوضوية، وإنما قام بجمع تلقائي لا توجد فيه أي ضوابط علمية أو قواعد

---

[1]- ينظر: نقد المنهج التاريخي، جمال حجير ، ص60.

[2]- النقد التاريخي للوثائق والوقائع: هو طرح جملة من التساؤلات التي يعقبها التحقق منها، ومن اهمها ما مدى إمكانية الخطأ والتزوير في الوثائق المكتوبة؟ وما مدى تطابق الوثيقة مع وثائق معلومة اخرى؟ وهل كتبت الوثيقة بعد الحادثة مباشرة ام بعد مرور فترة زمنية طويلة وهل كان صاحبها في صحة جسدية وعقلية سليمتين؟ وهل كان تحت تاثير سلطة او جهة ما.ينظر: نقد المنهج التاريخي في دراسة القرآن الكريم.

[3] ينظر: البحث العلمي أساسياته النظرية وممارساته العلمية، رجاء وحيد دويدري، دار الفكر دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، ط1: 1421هـ-2000م، ص151.

[4]-ينظر: نقد المنهج التاريخي في دراسة القرآن الكريم، حمال حجير، ص69.

[5] -البحث العلمي اساسياته النظرية وممارساته العلمية، رجاء وحيد دويدري، ص151

تاريخية، هكذا توصف عملية جمع القرآن، وبناء عليه أعادوا طرح عملية ترتيب الآيات والسور[1].

والصحيح الذي لا مرية فيه، أن المسلمين هم من اكتشفوا المنهج التاريخي في قواعده الأساسية، منذ زمن مبكر في عهد أبي بكر ﷺ ولكن المنهجية المعاصرة المختلة، التي تقوم على الانتقاء، وعدم التمييز بين الصحيح والضعيف من الروايات، إضافة إلى النظرة إلى الثراث الإسلامي من خلفية ايديولوجية حاقدة، ومتعالية، كل هذه العوامل تجعل المنهجية التاريخية تجانب الصواب، وتقرأ النص القرآني قراءة غير واعية ولا علمية[2].

"فمن يستخدم المنهج التاريخي الآن في نقد القرآن الكريم خاصة في عملية الجمع، يكون بذلك قد استخدم المنهج في نقد نفس المنهج، وبعبارة أدق يصير ناقدا لنفسه ومشككا في أدواته وأساليبه"[3].

"والمسألة التي لا يمكن إغفالها في هذا المجال هي أن الخلفية الدينية-وأحيانا التعصب- ظل ذلك حاجزا يحول بين مختلف المستشرقين وبين البحث العلمي الموضوعي المتعلق بالقرآن وتفسيره"[4].

خلاصة المطلب:

من خلال ما سبق عرضه يتبين عدم وجود أي جهد للمستشرقين في تفسير القرآن وفق ترتيب النزول، وما ورد عنهم لا يتعدى مسار البحث في إيجاد لائحة جديدة لتصنيف السور حسب ترتيب النزول منذ القرن التاسع عشر الميلادي على يد نولدكه ومن اقتفى أثره، ولكن هذه اللائحة لم تأخذ حيز التنفيذ بكتابة تفسير للقرآن الكريم إلا ما وجدنا في محاولة المستشرق الفرنسي "بلاشير" الذي قام بترجمة معاني القرآن إلى الفرنسية عام (1947-1950) على أساس ترتيب النزول الذي وضعه نولدكه، ويكفي في بيان هذا الجهد أن صاحبه قد عدل عنه في الطبعة الثانية لكتابه فرجع إلى ترتيب المصحف، وما كان من مجموعة من الباحثين المستشرقين في تأليف كتاب" قرآن المؤرخين" المذكور آنفا.

---

[1]- ينظر: نقد المنهج التاريخي، جمال حجيرة، ص69.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص71.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص60.

[4]- علم التفسير في الدراسات الإستشراقية، ص98.

هذا إضافة إلى تأثر بعض مفكري المسلمين بمسلكهم في توظيف ترتيب النزول وهو ما سيبينه المطلب الموالي.

المطلب الثالث: فهم القرآن حسب ترتيب النزول في الفكر الحداثي:

إن كان الاستشراق قد أخفق في ترتيب سور القرآن ترتيبا زمنيا وفق النزول، وتوظيفه في فهم نصوص القرآن الكريم، فقد حمل اللواء جمع من مفكري العصر الحديث أسوة بهم، وانبهارا بصنيعهم، بدعوى إعادة قراءة القرآن الكريم بما يناسب العصر.

لقد حاولت القراءة الحداثية[1] تقديم فهوم جديدة للنص القرآني، من غير أن تستند إلى أصول التفسير وضوابطه التي نص عليها الكتاب والسنة وعلماء الأمة، مستخدمة في سبيل ذلك مناهج جديدة، منها المنهج التاريخي أو ما يعرف بالتاريخية، وليس القصد هنا استقصاء تفاصيل المنهج التاريخي في الفكر النقدي الحداثي الذي تبناه عدد من مفكري العرب في تعاملهم مع القرآن الكريم، لأن ذلك خروج عن حدود البحث، لذا سيتناول هذا المبحث بعض أصحاب المواقف البارزة حول قضية فهم القرآن حسب ترتيب النزول، من خلال كتاباتهم، ومنهم: محمد أركون[2]، ونصر حامد أبو زيد.

ولعل ما يبرر اختيارهما-إضافة إلى توظيفهما لترتيب النزول- أنهما شخصيتان فكرية نالت قدرا كبيرا من اهتمام الباحثين الذين انقسموا إلى قسمين: المساند لفكرهم والمقتفي لأثرهم والمعارض لهم الناقد لأطروحاتهم، وبين هذا وذاك نعرض في هذا البحث لجانب من جوانب فكرهما المتعلق بالقرآن الكريم، وتحديدا نظرتهما إلى مسألة فهم القرآن حسب ترتيب النزول من خلال تحليل بعض أقوالهما.

أولا: نظرتهم إلى القرآن الكريم:

---

[1]-سبق تعريف الحداثة لغة واصطلاحا.و"إن مفهوم الحداثة في الفكر العربي مفهوم مطاط، وغير مستقر، وليس له صورة واحدة، أو شكل محدَّد فهو مفهوم متحرك وشمولي، يشمل كل التيارات الفكرية والمذاهب الفلسفية بكل فروعها التي وفدت لعالمنا العربي".ينظر: الحداثيون العرب في العقود الثلاثة الأخيرة والقرآن الكريم، دراسة نقدية، الجيلاني مفتاح، دار النهضة، سنة 2006، ص21.

[2]- معظم الباحثين قد أعربوا عن صعوبة قراءة مؤلفات أركون نظرا لكثرة استخدامه المصطلحات الفلسفية الحديثة مع تركه هذه المصطلحات عائمة دون تفسير أو توضيح مما يجعل البحث عن مواقفه في مسألة ما أمر عسير، من هذه المصطلحات: (اللامفكر فيه، اللأرثوذكسية، السميائية..وغيرها)، ينظر: القراءة الحداثية المعاصرة للقرآن الكريم في المغرب العربي أثر الإستشراق فيها، محمد أركون أنموذجا، دراسة تحليلية نقدية، عمر زهير علي، دار رواد المجد، دار العصماء، دمشق، سوريا، ط1: 1439هـ-2017م، ص15.

1- نظرة أركون:

كانت انطلاقة مشروع محمد أكون في نقد العقل العربي، مرورا بنقد العقل الإسلامي ولكنه وجد أن هذا النقد لا يتأتى ما لم ينقد التراث، لأنه حجر الأساس للعقل وهذا ما جعله يدرس التراث وفي أثناء نقد للتراث وجد أن هذا الأمر لا يمكن أن يتحقق من دون البحث في القرآن الكريم، حيث أن القرآن الكريم هو محور التراث، ومن هنا عكف على دراسة القرآن الكريم ليقلبه من جوانب مختلفة[1]، منها المسألة التي نحن بصدد دراستها.

وإن المتتبع لطرح أركون في كتاباته عن القرآن الكريم وعلومه، يمكنه تحديد موقفه في الآتي:

-أنه يعدّ التراث الإسلامي مشكلة يجب أن تفحص وتنتقد معللا ذلك بالظروف التي أحاطت بعملية جمع القرآن التي وصفها بالمناخ السياسي الشديد الهيجان[2]، ومفهوم التراث عنده يشمل القرآن والسنة النبوية، إضافة إلى ما خلفه الأوائل من إنتاج تفسيري وفكري حولهما[3]، وهو لا يتورع في تسمية القرآن الكريم بالخطاب النبوي[4] والمصحف الشريف بالمدونة النصية الرسمية المغلقة[5].

- التشكيك في نسبة القرآن الكريم إلى الله واعتبارها "مزاعم تقليدية" يجب تجاوزها، كما يقول: "لكي أفتتح حقلاً جديداً من التفكير تصبح فيه المزاعم التقليدية للمسيحية والإسلام معاً مُتَجاوزة، عن طريق دراسة مشاكل ماقبل البعث، والصحة الإلهية للقرآن"[6].

---

(1)- القراءة الحداثية المعاصرة للقرآن الكريم في المغرب العربي وأثر الاستشراق فيها، ص170-171.

(2)- ينظر: الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، أركون، ترجمة وتعليق هشام صالح، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1993، ص81-82.

(3)- المرجع نفسه، ص17-18، تاريخية الفكر، أركون، ص 268.

(4)- الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، أركون محمد، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1: 1999م، ص 30، 71.

(5)- ينظر: الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ص85.

(6)- ينظر: الفكر العربي الإسلامي، محمد أركون، ترجمة هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، والمركز الثقافي العربي، بيروت، ط2: 1996، ص46.

– اعتباره القرآن نصا مفتوحا لجميع المعاني فيقول: "..القرآن هو نص مفتوح لجميع المعاني، ولا يمكن لأي تفسير أو تأويل أن يغلقه أو يستنفده بشكل نهائي"[1].

2–نظرة نصر حامد أبو زيد:

أما نصر حامد أبو زيد، فإن الاشكالية التي أرقته هي: كيف نفهم النص الديني؟

لأجل ذلك سعى في فهمه الجديد للأصول الإسلامية المعتبرة إلى عدّ القرآن الكريم:

– كلاما من الكلام، يمكن دراسته ونقده، مع إقراره بألوهية مصدره.

– أن القرآن منتج ثقافي، ويقصد بذلك أنه تشكل في الواقع والثقافة خلال فترة تزيد عن العشرين عاما، وأنه استمداد من الثقافة وتعبير عنها، وأنه تجسيد للثقافة والواقع، وأن للثقافة والواقع دورا في تشكيل هذه النصوص.[2]

ثانيا: الطعن في الترتيب المصحفي للقرآن الكريم:

يطعن أركون في الترتيب المصحفي ويصفه بالفوضى، فيقول: "نحن نعلم أن نظام ترتيب السور والآيات في المصحف، لا يخضع لأي ترتيب زمني حقيقي، لا لأي معيار عقلاني أو منطقي، وبالنسبة لعقولنا الحديثة المعتادة على منهجية معينة في التأليف والإنشاء والعرض القائم على المحاجة المنطقية، فإن نص المصحف وطريقة ترتيبه تدهشنا بفوضاها"[3]، وكلامه هذا يكشف عن جهله بالقرآن الكريم، ويدل على سوء بضاعته، إذ كيف يخفى عنه الإعجاز البلاغي لترتيب الآيات والسور؟ وهذه مسألة قد وضحها علماؤنا في حديثهم وكتبهم التي تحدثوا فيها عن علم المناسبات[4]، ثم إن أساطين البلاغة من العرب الذين عاصروا التنزيل، لم يقولوا بمثل ما قال، بل ما أثر عنهم كان عكس ذلك تماما، حيث دهشوا بفصاحة القرآن وحسن ترتيبه، وهذا الوليد بن المغيرة لم يستطع اخفاء إعجابه بالقرآن لما سمعه من النبي ﷺ فقال قولته المشهورة: "إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة".

---

[1]– ينظر: الفكر العربي الإسلامي، محمد أركون ، ص145.

[2]– ينظر: مفهوم النص، نصر حامد أبو زيد، ص27–54.

[3]– ينظر: الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ص9 أو ص86.

[4]– ينظر: مؤلفات في علم المناسبات على سبيل المثال: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين البقاعي، والبرهان في ترتيب سور القرآن، لأبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما: "أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبيّ ﷺ فقرأ عليه القرآن فكأنه رقّ له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه، فقال: ياعم إن قومك يرون إن يجمعوا لك مالا. قال لم؟ قال: ليعطوكه فإنك أتيت محمدا لتعرض لما قِبله، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالا، قال: فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له أو أنك كاره له قال: وماذا أقول فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيدته مني، ولا بأشعار الجن. والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلا، وأنه ليحطم ما تحته"، وكيف لا يكون ذلك وهو كلام رب العالمين المعجزة الخالدة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾[الشعراء: 192-195].

وقد سبق بيان اختلاف ترتيب القرآن الكريم في النزول، عن ترتيبه في المصحف اختلافا كبيرا، ومنشأ هذا الاختلاف هو اختلاف الهدف المقصود من كلا الترتيبين" فهو في الترتيب النزولي منهج لتأسيس دعوة، وأسلوب إقناع بعقيدة، وطريقة تبشير وإنذار، ودحض كامل لمنطق الإلحاد المريض، وهو في ترتيبه المصحفي أسلوب حياة، وبناء حضارة، ودستور للعالم كله، محيط بكل صغيرة، وكبيرة من حاجاته ومطالبه، أحكم ترتيبه من هذه الوجهة ليكون هداية للمؤمنين"[1].

[1]- تناسق الدرر في تناسب السور، السيوطي، جلال الدين، ص13-14.

ثالثا: موقفهم من ترتيب النزول:

1-موقف أركون:

لم يخف أركون إشادته بعمل المستشرقين، الذين اعتنوا بالترتيب الزمني لنزول القرآن، حيث يقول:

"وإذا نظرنا إلى المصحف كما هو عليه حاليا، فإننا لا نستطيع أن نطبع كلية النص طبقا للترتيب الكرونولوجي(أي الزمني المتسلسل)، لما أدعوه أنا شخصيا بالوحدات النصية المتمايزة، وقد كرست أدبيات هائلة لهذه المسألة من قبل العلماء المستشرقين، وينبغي أن يستمر البحث إذا كان هناك أي أمل في العثور على مخطوطات موثوقة أكثر قدما من النسخة التي نمتلكها حاليا"[1].

ويقول في موضع آخر: "..وقد حاول المستعرب الفرنسي ريجيس بلاشير تدقيق هذا البحث- يقصد تاريخ القرآن- أكثر وتكملته عن طريق اقتراح نظام ترتيبي زمني للسور القرآنية، ومعلوم أن هذه المسألة كانت قد شغلت الفقهاء المسلمين المهمومين بتحديد الآيات المنسوخة والآيات الناسخة"[2].

ويبدو أن أركون لا يفرق بين فقهاء المسلمين والمستشرقين، "وغاب عنه أن المستشرقين لما حاولوا الكشف عن الترتيب الزمني لسور القرآن الكريم، كانوا محكومين بتصور معين لما ينبغي أن يكون عليه الكتاب المقدس، إذ في نظرهم كتاب تاريخ الأمة التي نزل فيها، يحكي سيرتها ويحض على التمسك بشريعتها، وهو تصور مستقى من واقع كتابهم المقدس الذي جعلوه معيارا للحكم على غيره".[3]

ثم إنه يعترف -شأنه شأن كل من حاول ترتيب القرآن حسب النزول- بصعوبة العملية، فيقول: "..المسلمون يعارضون إمكانية ترتيب القرآن طبقا للتسلسل الكرونولوجي للوحدات النصية التي يصعب بالطبع تحديد تواريخها، وبالتالي ترتيبها"[4].

وعليه يتبين أن موقف أركون من ترتيب النزول لا يعدو أن يكون تقليدا للمستشرقين[5]، ومما يؤكد ذلك: إشادته بعمل المستشرق الألماني نولدكه، ومن سار على نهجه، وأنه أول من قام بدراسة نقدية لتاريخ النص القرآني في كتابه" تاريخ القرآن"، وكثرة أخطائه التي عدها الباحثون نتيجة لتأثره

---

[1]- القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، أركون، ص38.

[2]- الفكر الإسلامي، أركون، ص82.

[3]- القرآن الكريم والقراءة الحداثية، دراسة تحليلية نقدية لإشكالية النص عند محمد أركون، الحسن العباقي، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق سوريا، ط1: 2009م، ص244.

[4]- القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، أركون، ص38-39.

[5]- ينظر: المبحث الثالث في الفصل الثاني: تفسير القرآن حسب ترتيب النزول في المدرسة الاستشراقية،

السلبي بالاستشراق، واعتماده شبه الكلي عليه، في دراساته عن الإسلام وتاريخه وأهله، في هذه المسألة وغيرها"[1].

2-موقف نصر حامد أبو زيد:

أما نصر حامد أبو زيد فيمضي في مزاعمه، مدعيا أن النص القرآني غير موحد وغير متجانس الأجزاء، والسبب في ذلك حسب قوله: مخالفته لترتيب النزول مخالفة تامة[2]، فكان ذلك تلميحا منه إلى إعادة ترتيب القرآن حسب ترتيب النزول، ويقصد بعدم التجانس هنا: عدم التناسب بين الآيات والسور.

وفي المقابل يرى وجود المناسبات بين السور والآيات المرتبة حسب النزول، ويعده وجه من وجوه الإعجاز، وفي ذلك يقول: "إن الفارق بين ترتيب"التنزيل" وبين ترتيب"التلاوة" فارق في النظم والتأليف يمكن أن يجعل الكشف عن" المناسبة" بين الآيات داخل السورة الواحدة، وبين السور المختلفة كشفا عن وجه آخر من وجوه الإعجاز.."[3].

ولكن سرعان ما يصطدم بصعوبة عملية ترتيب النزول، فيقول: "ولأن ترتيب سور القرآن من حيث النزول ما زال أمرا خلافيا بعيدا عن أي يقين علمي، فإن الاتفاق على ترتيب الآيات والمقاطع أشد عسرا، وأبعد عن أي يقين علمي"[4].

ويقول في موضع آخر: "..ومعنى ذلك أن تحديد الناسخ والمنسوخ في آيات القرآن يعتمد أساسا على معرفة تاريخية دقيقة بأسباب النزول وترتيب نزول الآيات وهو أمر ليس سهلا كما نتصور"[5].

وعليه يمكن القول إن بحثهم لمسألة "ترتيب النزول"من خلال كتاباتهم، كانت بغرض أمرين:

---

[1]- ينظر: الأخطاء التاريخية والمنهجية في مؤلفات محمد أركون ومحمد عابد الجابري، دراسة نقدية تحليلية هادفة، خالد كبير علال، دار المحتسب، ط1: 2008م، ص 87.

[2]- النص، السلطة، الحقيقة، الفكر الديني بين إرادة المعرفة وإرادة النهضة، نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1: 1995، ص105.

[3]- مفهوم النص، نصر حامد أبو زيد، ص159.

[4]- مقاربة جديدة للقرآن: من النص إلى الخطاب، نحو تأويلية إنسانوية، نصر حامد أبو زيد، بحث مقدم في مؤتمر علمي في الاسكندرية حول حقوق الإنسان وتجديد الخطاب الديني، 18-20 أبؤيل 2006.

[5]- مفهوم النص، نصر حامد أبو زيد، ص121.

الأول: الكشف عن المعنى، والآخر: الكشف عن الإعجاز البلاغي لترتيب الآيات بالشكل الذي هي عليه الآن، إلا أنهم لم يحاولوا وضع ترتيب زمني للسور كما فعل الشيعة والمستشرقين من قبل، وفعل أصحاب تفاسير القرآن حسب ترتيب النزول لاحقا.

رابعا: دعوى تاريخية القرآن الكريم ومداخلها

1-دعوى تاريخية القرآن الكريم

سبق الحديث عن دعوى تاريخية القرآن في مبحث إشكاليات حول أسباب النزول، بينت فيه مفهوم التاريخية، وعلاقتها بأسباب النزول، وهاهنا أقف على توظيف بعض المفكرين لترتيب النزول للتدليل على مزاعمهم، وأثر ذلك في فهم النص الشرعي.

إن اهتمام أركون بقضية ترتيب سور القرآن بحسب تاريخ نزولها، كان هدفه تعضيد دعوى تاريخية القرآن الكريم كما فعل من خلال علم أسباب النزول[1].

وقد طبق أركون المنهج التاريخي في دراسته القرآن الكريم "مطبقا بذلك تعامل الغرب مع كتبهم بوصفه فكرة من الأفكار، حيث يدرس كيفية انتشاره والنزعات التي أثرت في وجوده وتطوره مستبعدا قضية عصمة الوحي وعصمة المبلغ ووحدانية الوحي، ثم يصدر بناء على دراسة الظروف والملابسات والأوضاع التي مرت بها نصوص الوحي أحكامه على الوحي الإلهي والقرآن الكريم"[2].

ومن هذا المنطلق، يربط ما يسميه بالنصوص المؤسسة، ويقصد بها الكتاب والسنة، بواقع نشأتها وهي ما يقصده ب"زمكانية"، حيث يقول: "كيف يمكن لنا العودة إلى هذه المادة الأولية (النصوص الأولية) في جذرها الأولي ومنشئها وعناصرها التكوينية والعوامل المتحكمة الخاصة بها؟ نلاحظ أن هذه العودة إلى الأصل هي لازمة التراث التي تتكرر باستمرار" ويوضح مقصوده من هذه العودة بقوله: " ولكن العودة التي نقصدها مختلفة: إنها العودة إلى العصر الأسطوري المؤسس، أي العودة إلى زمكان (زمان+مكان) كان قد جُوّز وغُيّر من قبل قراءات وتصرفات والأعمال التقليدية المتعاقبة"[3].

---

[1]-يرجع إلى المبحث السابق.

[2]- ينظر: القراءة الحداثية المعاصرة للقرآن الكريم في المغرب العربي وأثر الاستشراق فيها، عمر زهير علي، ص180.

[3]- ينظر: الفكر الإسلامي، قراءة علمية، أركون، ص33.

ويزعم أن التواريخ قد محيت وأسماء الأماكن، وأسماء العلم، والأحداث الفردية من الآيات، لنزع الصفة التاريخية عنها[1] وأن ذلك كان على أيدي الصوفية والعلماء، الذين تظافرت جهودهم-حسب رأيه- لتلغي تاريخية الخطاب القرآني أو تمحوها محوا، وقدموا القرآن لكي" يُتلى ويُقرأ ويُعاش، وكأنه الكلام الأبدي الموحى به من قبل إله متعال "[2].

ويزعم أن" القرآن كالأناجيل ليست إلا مجازات عالية تتكلم عن الوضع البشري، إن هذه المجازات لا يمكن أن تكون قانونا واضحا "، وأن الوهم الكبير هو اعتقاد" الناس بإمكانية تحويل هذه التعابير المجازية إلى قانون شغال وفعال، ومبادئ محددة، تُطبق على كل الحالات وفي كل الظروف "[3].

إن تاريخانية النص عند أركون —كما تقدم- تعني ارتباطه بواقعه ومداره الزماني والمكاني الذي نزل فيه، والنص —من هذا المنظور- لا يعدو أن يكون نتاجا للظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي أسهمت في تشكيله، مما يجعله عارضا في تأثيره، محصورا في بيئة نشأته، غير منفك عن دواعي تشكله"[4].

أما مفهوم تاريخية القرآن عند نصر أبو زيد، فإنها تختلف عن تاريخية أركون، حيث لا يكتفي أبو زيد بربط النصوص القرآنية بواقع نزولها فحسب، بل يذهب إلى أبعد من ذلك، فيربط بين القرآن ولغته التي نزل بها، ليستنتج أن تاريخية هذه اللغة تحيلنا إلى تاريخية المفاهيم القرآنية، فقد استخدم في دراسته الأولى مصطلح" المنتج الثقافي"، لينتقل إلى التأسيس لمفهوم التاريخية، مستندا إلى النص القرآني وعلومه أولا، والبعد اللغوي والفلسفي المعتزلي ثانيا[5].

فنظريّة نصر تستهدف الوصول إلى إدراك تاريخيّ، وعلميّ للنصوص الدينيّة، وإنّ هذا- بزعمه- يحتاج إلى صياغة قراءة نقديّة وجديدة لعلوم القرآن، وطبيعة النصّ الدينيّ على أسس الإيمان بتاريخيّة القرآن، واعتبار النصّ القرآنيّ نتاجاً ثقافيّاً.

---

[1]- الفكر الإسلامي، أركون، ص 72.

[2]- الفكر الأصولي، أركون، ص 146.

[3]- تاريخية الفكر، أركون، ص: 299.

[4]-النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر، الريسوني، ص 109-110.

[5]-لمزيد من التوسع: ينظر: "النص، السلطة، الحقيقة"، نصر حامد أبو زيد، ص 67-89.

يقول نصر: "..ألوهية مصدر النص لا تنفي واقعية محتواه ولا تنفي من ثم انتماءه إلى ثقافة البشر"[1].

ويؤكد هذا المعنى قوله: " الواقع إذن هو الأصل ولا سبيل لإهداره، ومن الواقع تكوّن النص، ومن لغته وثقافته صيغت مفاهيمه"[2].

وعدّ نصر البعد التاريخي للنصوص من أهم الجوانب التي يتم تجاهلها في إشكالية النص الديني، بل من أخطرها على الإطلاق، ويبين أنه ليس المقصود بالبعد التاريخي علم أسباب النزول-ارتباط النصوص بالواقع، والحاجات المثارة في المجتمع والواقع- أو علم الناسخ والمنسوخ- تغيير الأحكام لتغيير الظروف والملابسات- أو غيرها من علوم القرآن التي لايستطيع الخطاب الديني تجاهلها، وان كان يتعرض لها على سبيل السجال لتأكيد واقعية الإسلام في اتجاهه إلى التدرج في الإصلاح والتغيير، يقول: " فإن البعد التاريخي الذي نتعرض له هنا يتعلق بتاريخية المفاهيم التي تطرحها النصوص من خلال منطوقها، وذلك نتيجة طبيعية لتاريخية اللغة التي صيغت بها النصوص"[3]

وقد تفرع عن هذا المنهج مفاهيم أخرى، لا تقل خطورة عنه، من أهمها: نظرية "الأنسنة" والتي تجعل الإنسان محورا لتفسير الكون بأسره، وتؤكد على إنكار أي معرفة من خارج الإنسان كالدين والوحي.. كما تفرع عنه كذلك نظرية "النسبية"، فالنصوص وإن كانت ثابتة في منطوقها، إلا أنها متحركة في المفهوم تبعا لتغير الزمان والمكان، ينتهي هذا المنهج التاريخي وماتفرع عنه من نظريات إلى التعدد غير المحدود في تأويلات النص[4].

---

[1]-مفهوم النص، نصر حامد أبو زيد، ص24.

[2]-نقد الخطاب الديني، نصر حامد أبو زيد، ص130.

[3]- المرجع نفسه، ص188.

[4]- من المناهج الحديثة في قراءة النص الديني(منهج نصر أبو زيد أنموذجا)، كريمة محمد كربية، مجلة راسات وأبحاث، العدد 23 جوان 2016، السنة الثامنة، ص5.

2- مداخل "التاريخية" المتعلقة بعلوم القرآن:

يعمد دعاة تاريخية النص القرآني إلى تعضيد مشاريعهم النقدية بركائز تراثية، تخفف عنهم وطأة النقد والرفض الذي يستشعرونه.[1] فشغف أركون في البحث عن الترتيب الزمني لسور القرآن الكريم على غرار التجربة الاستشراقية الألمانية إغراقا له في التاريخية، وحسن حنفي لايجد غضاضة في الحصر التعسفي لأغراض جهود علماء القرآن في "بيان تاريخية النصوص نشأة وتطورا، والجمع والترتيب مكانا وزمانا، والنزول والنسخ تطورا ونظاما"[2].

ويكرر حنفي تأكيده على ارتهان الوحي للواقع ليجعل منه مجرد صدى للمشكلات البشرية، وعلى سبيل التعميم يقول: " إن كل آية أو مجموعة من الآيات تمثل حلا لموقف معين في الحياة اليومية لفرد أو جماعة من الأفراد، نصوص الوحي ليست كتابا أنزل مرة واحدة مفروضا من عقل إلهي ليتقبله جميع البشر، بل هو مجموعة من الحلول لبعض المشكلات اليومية التي تزخر بها حياة الفرد والجماعة، وكثير من الحلول قد تغيرت وتبدلت حسب التجربة، وعلى مقدار الإنسان وقدرته على التحمّل، وكثير من الحلول لم تكن كذلك في بادئ الأمر معطاة من الوحي بل كانت مقترحات من الفرد أو الجماعة ثم أيّدها الوحي وفرضها.. وهذا هو معنى" أسباب النزول"[3].

وبناء على ما سبق فقد وظفت بعض مباحث علوم القرآن من قبل بعض المفكرين، للتدليل على "تاريخية النص القرآني"، وأنه رهين بسياقه الزمني، ومناسبته التاريخية، ولا يمكن أن يتعالى على لحظة تشكله، ويستشرف زمنا غير زمنه، ويجيب عن نوازل وافدة من أفق غير أفقه، ويصلح لمخاطبين غير المخاطبين الذين نزل الوحي بين ظهرانيهم[4].

ومن هذه المباحث: النسخ، وأسباب النزول، وتنجيم القرآن، المرتبطة ارتباطا وثيقا بمبحث الترتيب الزمني لنزول القرآن الكريم لكونها متصلة بمرحلة نزول الوحي وترتكز على معرفة تاريخ النزول[5].

---

[1]-مقال" مابين أسباب النزول والنزعة التاريخية، تطابق أم تلبيس، لخضر سباعي، جامعة عبد الرحمن بن خلدون، تيارت، ص198.

[2]- هموم الفكر والوطن، حسن حنفي، دار قباء، القاهرة، مصر، ط1، 1996، ج1، ص73.

[3]-التراث والتجديد، حسن حنفي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط5، 2002، ص135، 136.

[4]-انظر: عيون الأقاويل، في إبطال دعوى ترتيب القرآن وتفسيره على حسب التنزيل، عبد الرحمن نصر أحمد نصار، دار الإمام الرازي، القاهرة مصر، ط1، 1438هـ/2016م، ص336.

[5]- يراجع تفاصيل ذلك في كتب علوم القرآن.

ويعدّ علم المكي والمدني في منظور الخطاب الحداثي من أهم علوم القرآن اتصالا بمفهوم تاريخية النص، والمقصود من ذلك إثبات أن القرآن الكريم "منتج ثقافي" يخضع لأثر البيئة ويتطور بتطورها..فقيل عن القرآن المكي بأنه ليّن مسالم، ويقبل حرية العقيدة بسبب حالة الضعف التي يعيشها المسلمون، وأما المدني فهو عنيف قاس بسبب القوة والانتصارات..[1].

وعلى ذلك اعتبر بعضهم أن كثيرا من صور التشريع الذي بين أيدينا الآن، ليس مرادا للإسلام بالأصالة وإنما هي تنزل لملابسة الوقت والطاقة البشرية، فالجهاد ليس أصلا في الإسلام، والمساواة بين الرجل والمرأة هي الأصل، وتعدد الزوجات والطلاق ليس أصولا، ويجب أن تمنع، مراعاة لحال العصر، والسفور هو الأصل والحجاب ليس مرادا للإسلام، لأن السفور حرية[2].

وهذا عين ما ذهب إليه أركون حين صرح أن القرآن الكريم حين يخاطب الناس فإن "المقصود بالناس هنا الجماعة الأولى التي كانت تحيط بالنبي، والتي سمعت القرآن من فمه أول مرة"[3].

ولتوضيح المراد، قالوا إن أحكام العقوبات –مثلا– الواردة في القرآن الكريم، إنما أملتها ظروف الحياة القاسية، وطبيعة ثقافاتهم، وعوائدهم العنيفة، فتكون العقوبات القاسية أهون الضررين، وملائمة تلك الظروف القاسية، وإذا ما تغيرت الأحوال والثقافات فإن "آلية السجن" نظاما للعقوبة بما أنه يوفر علاجا للجريمة هو أفضل من تلك لقسوتها. فللمسلمين في كل عصر أن يفهموا القرآن بصورة تتلائم مع متطلباتهم، ويمكن أن يحتسب" المكي والمدني" شاهدا على رعاية القرآن لظروف المخاطبين[4].

كما كان لجعيط محاولة للربط بين تورخة القرآن والترتيب النزولي للقرآن الكريم، وذلك من خلال إشادته بعمل نولدكه في كتابه تاريخ القرآن، واعتبارها محاولة أساسية يجب الرجوع إليها، ثم عرضه لترتيب النزول لكل من نولدكه وبلاشير[5].

---

[1]– انظر: العلمانيون والقرآن الكريم، "تاريخية النص"، الطعان، أحمد إدريس، دار ابن حزم، الرياض م ع السعودية، ط1: 1428هـ/2007م، ص530.

[2]– الرسالة الثانية من الإسلام، محمود محمد طه، بدون دار النشر، امدرمان، السودان، ط3: 1489هـ/1969م، ص: 142–161.

[3]–الفكر الأصولي، أركون، ص30

[4]– التاريخانية منهجا للتفسير، مجلة اللقاء، العدد السابع والعشرون، هيئة علماء بيروت.

[5]– للمزيد ينظر: تاريخية الدعوة المحمدية في مكة، هشام جعيط، دار الطليعة، بيروت، ط1: 2007م، ص 185–194.

وقد نهض أهل العلم بالردّ على هذه الافتراءات على كتاب الله، وكتبت في ذلك العديد من المؤلفات والمقالات، ونوقش هذا المنهج " تاريخية القرآن" بالحجة والدليل[1]، مبينين أن اعتقاد العلماء المسلمين بقداسة النص وتعاليه وإعجازه، لم يمنعهم من توظيف آليات علمية، ومناهج بشرية لفهمه، ولم يعكر عليهم اعتقادهم بأن للنص بعدا غيبيا في اللوح المحفوظ، أو في الدلالة على مصدره الإلهي، ولم يعكر عليهم ذلك التوظيف الواقعي للنص، واستنزاله على أنماط الحياة المختلفة[2].

– مناقشة:

من خلال هذا السرد لأقوال أركون في المسألة، يمكن مناقشته من وجوه:

أ– لاحظ الدارسون أن أركون متناقض مع نفسه في تعامله مع القرآن الكريم، وإصراره على تطبيق التاريخية عليه، ففي حين يزعم بأن القرآن محكوم بتاريخيته ولحظة ظهوره، وهذا يعني أنه محكوم بالظرفين الزماني والمكاني، لا يتجاوزهما مطلقا، نجده في الوقت ذاته يعترف بأن من خصائص القرآن الأساسية، قابليته على توليد وإعطاء المعاني باستمرار[3]، فهذا اعتراف منه بأن القرآن من خصائصه القدرة على العطاء المستمر، وهذه الخاصية–هي بلا شك– من أهم خصائصه في استعصائه على التاريخية، وقدرته على المواكبة والإيجابية، والاستمرارية والعطاء، وهو مما يُبطل محاولات أركون الرامية إلى فرض التاريخية على القرآن الكريم[4].

ب–يرى أركون أن إحدى أهم ميزات الخطاب القرآني – بل لعلها الميزة الأساسية فيه — تكمن في تعميم الحالات الخصوصية والأحداث الواقعية التي حصلت في زمن النبي ورفعها إلى مستوى الشمولية والكونية والتعالي عن طريق استخدام المجازات الرائعة وافتنانه في خلقها، ويقرر مترجم كتابات أركون وهو يشرح بعض كلام أركون في المقصود ب"المغضوب عليهم" أو" الضالين"، أن القرآن لا يحدد الأسماء وإنما يترك الصياغة عامة شمولية تنطبق على أعداء هذا الدين في كل زمان ومكان، وهنا تكمن إحدى

---

[1]–منها على سبيل المثال: القراءة الجداثية المعاصرة للقرآن الكريم(مرجع سابق)، والعلمانيون والقرآن الكريم(مرجع سابق)، والنص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر(مرجع سابق).

[2]– العلمانيون والقرآن الكريم، الطعان، ص 470.

[3]– الفكر الإسلامي، أركون، ص 274.

[4]–ينظر: الأخطاء التاريخية والمنهجية في مؤلفات محمد أركون ومحمد عابد الجابري، خالد كبير علال، ص49– 54.

السمات الأساسية للخطاب القرآني فهو يستخدم لغة عمومية ولا ينزل إلى مستوى تسمية هؤلاء الناس بأسمائهم الحقيقية، الأمر الذي شكل عائقا في إثبات تاريخية القرآن الكريم[1].

ج- إن القول بتاريخية القرآن الكريم نفي لصلاحيته لكل زمان ومكان، وهذا من المعلوم بالضرورة من الدين، وهي" قضية خبرية، شهد بصدقها الوحي الإلاهي، وشهد بصدقها التاريخ، وشهد بصدقها الواقع، وشهد بصدقها كل من اطلع على كنوزها من علماء القانون من المسلمين، ومن المنصفين من غير المسلمين"[2].

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[سورة الأنبياء:107]، و﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾[سورة آل عمران:19]، و﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾[سورة آل عمران: 85].

خلاصة المطلب:

مما سبق يتبين مجانبة أركون وأبو زيد ومن سار على منوالهما للصواب في تحليلاتهم واستنتاجاتهم التي لم يجزموا هم أنفسهم بصحتها، واتضح أن هؤلاء المفكرين ظلوا سنين يكتبون، وينظرون، وفي نهاية المطاف فشلوا في إخضاع القرآن الكريم للأفكار والمناهج الغربية، مخلفين موجة تشكيكية كانت "في غالبها هدمية لا بنائية، فوضوية لا منهجية، تثير الإشكالات، وتبرز الاعتراضات، ثم لا تقدم رؤية أو فكرة بديلة متماسكة"[3]، وإن كان بعضهم قد طعن في الترتيب المصحفي ودعا إلى اعتماد الترتيب الزمني لنزول القرآن، فإنه-حسب اطلاعي- لم أعثر لهم على محاولة لفهم القرآن حسب ترتيب النزول، إذا استثنينا توظيف بعضهم لترتيب النزول إلى جانب أسباب النزول لحصر القرآن الكريم في ظرفه الزمكاني، وعدم تعدية تعاليمه وأحكامه إلى أزمنة وأمكنة أخرى، أو بتعبير آخر نفي صلاحية القرآن لكل زمان ومكان، وبالتالي نفي خلود الرسالة المحمدية المتمثلة في الدين الإسلامي.

---

[1]- ينظر: الأخطاء التاريخية والمنهجية في مؤلفات محمد أركون ومحمد عابد الجابري، خالد كبير علال ، ص49-54.

[2]- الشريعة الإسلامية صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان، القرضاوي، يوسف، دار الصحوة للنشر، القاهرة، ط2: 1993م، ص11.

[3]- سابغات كيف نتعامل مع الشبهات الفكرية المعاصرة، أحمد يوسف السيد، تكوين، السعودية، ط3: 1438هـ-2017م، ص15.

كما تبين أن القراءات المعاصرة للقرآن الكريم، ما هي إلا امتداد للدراسات الاستشراقية التي يمثلها "نولدكه وتلاميذه من بعده "في دراسته عن تاريخ القرآن الكريم، حيث تَلَقَّفَ بعض المفكرين المعاصرين أمثال: محمد أركون، ونصر حامد أبو زيد، وعبد المجيد الشرفي، وحسن حنفي، ومحمد شحرور، والطيب تيزيني، ومحمد عابد الجابري، وغيرهم، هذه الآراء واعتبروها من إبداعاتهم، وما هي في حقيقتها إلا استنساخ لآراء المستشرقين، وترويج لأضاليلهم، وقد قتلها علماؤنا بحثاً، وبينوا وجه الحق لمن يريده ويطلبه، وما اشتملت عليه من إفكٍ وضلال.

وأغلب من ذكرنا ليسوا من المتخصصين في الدراسات الشرعية بالمعنى الدقيق لكلمة التخصص، فهم في العموم متخصصون في الفلسفة، والأدب العربي، وقد جوَّزوا لأنفسهم أن يتكلموا في علمٍ له رجالُه الذين يحذقون قواعده وضوابطه، ويُتقنون أصوله ومبادئه، وإنما تسَوَّر هؤلاء على هذا الباب، بدعوى فتح مجالات الاجتهاد والتجديد، لإخراج الشعب العربي من التخلف إلى التقدم، ومن التبعية المطلقة لسلطة النقل، إلى الاحتكام إلى مقولات العقل!!!.[1]

وفي النهاية تجدر الإشارة إلى أن المواقف الفكرية التي سبق عرضها، تبدو لأول وهلة أنها تثير إشكالات حول فهم القرآن الكريم وفق ترتيب النزول "..وحين تفحصها تجدها من الشبهات اليسيرة التي يسهل الجواب عنها، بل لم يعد لها جاذبية لتوالي الردود الكثيرة عليها"[2].

[1]- ينظر: الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن، الجابري أنموذجا، سامي عطا حسن، جامعة آل البيت(المفرق)، الأردن، ص2.

[2]- ينظر: معركة النص، مع التحريف المعاصر للأحكام والمفاهيم الشرعية، العجلان، فهد بن صالح، دار رسالة البيان للنشر والتوزيع، الرياض، ط1: 1440هـ-2018م، ص38.

خلاصة المبحث:

يمكن تسجيل بعض النتائج كخلاصة لهذا المبحث، كما يلي:

1) بطلان دعوى الشيعة بوجود مصحف علي المرتب حسب النزول.

2) لم يؤلف الشيعة تفسيرا حسب النزول.

3) عناية الشيعة بترتيب النزول في تفاسيرهم كان محدودا، تجلى في توظيف المكي والمدني وأسباب النزول في نطاق ضيق.

4) عدم وجود أي جهد للمستشرقين في تفسير القرآن وفق ترتيب النزول، وما ورد عنهم لا يتعدى مسار البحث في إيجاد لائحة جديدة لتصنيف السور حسب ترتيب النزول منذ القرن التاسع عشر الميلادي على يد نولدكه ومن اقتفى أثره.

5) عدول المستشرق الفرنسي "بلاشير" عن محاولته لترجمة معاني القرآن إلى الفرنسية عام (1947-1950) على أساس ترتيب النزول الذي وضعه نولدكه.

6) ظهور كتاب معاصر، تحت عنوان" قرآن المؤرخين" رتبت سوره حسب النزول، قام بتأليفه مجموعة من الباحثين المستشرقين.

7) توظيف ترتيب النزول لإثبات تاريخية القرآن الكريم لدى غالبية المفكرين الحداثيين، أما "فهم القرآن حسب ترتيب النزول" فلا أثر له في كتاباتهم.

خلاصة الفصل الأول:

- فهم القرآن حسب ترتيب النزول منهج جديد في تفسير القرآن الكريم، يقوم على تناول سور القرآن مرتبة وفق زمن نزولها، خلافا لما درج عليه المفسرون من الالتزام بالترتيب المصحفي.
- الوقوف على ترتيب النزول من أهم الآليات للكشف عن مقاصد السور، والناسخ والمنسوخ، وفهم القصص القرآني، وهو قاعدة من قواعد الترجيح بين أقوال المفسرين عند الإختلاف، كما أنه أحد عناصر السياق، ووسيلة لاستنباط اللطائف التفسيرية.
- الاهتمام بفهم القرآن حسب ترتيب النزول ظهر مبكرا من خلال الاهتمام بأسباب النزول، والمكي والمدني، وتنجيم القرآن، والاعتناء بأول ما نزل وآخر مانزّل، والليلي والنهاري..وتبلور مع ظهور التفسير الموضوعي لآيات القرآن الكريم، الذي انتهى، في العصر الحديث، بظهور تفاسير كاملة على ترتيب النزول.
- لأسباب النزول أثر في تحديد الترتيب الزمني لبعض الآيات والسور، وإن كانت محدودة جدا.
- أن" المكي والمدني" و"أسباب النزول"، علمان بينهما صلات وروابط وثيقة، فكلاهما أخد طابعا زمنيا، فأسباب النزول هي الأحداث والتساؤلات والإشكالات التي تحدث وتنزل الآيات مبينة لها أيام وقوعها، والمكي والمدني يبين زمن نزول الآية أو السورة أكان قبل الهجرة أم بعدها.
- القول بتاريخية النص القرآني من أبرز وأخطر الإشكالات المثارة حول أسباب النزول المرتبط بمسألة ترتيب النزول.
- عناية الشيعة بترتيب النزول في تفاسيرهم كان محدودا، تجلى في توظيف المكي والمدني وأسباب النزول في نطاق ضيق، ولم يؤلفوا تفسيرا حسب ترتيب النزول.
- عدم وجود أي جهد للمستشرقين في تفسير القرآن وفق ترتيب النزول، وما ورد عنهم لا يتعدى مسار البحث في إيجاد لائحة جديدة لتصنيف السور حسب ترتيب النزول منذ القرن التاسع عشر الميلادي على يد نولدكه ومن اقتفى أثره، وظهور كتاب معاصر، تحت عنوان" قرآن المؤرخين" رتبت سوره حسب النزول، قام بتأليفه مجموعة من الباحثين المستشرقين.
- توظيف ترتيب النزول في الفكر الحديث كان هدفه إثبات تاريخية القرآن الكريم لدى غالبية المفكرين الحداثيين، أما "فهم القرآن حسب ترتيب النزول" فلا أثر له في كتاباتهم.

الفصل الثاني:

تفسير القرآن الكريم حسب ترتيب النزول عند المفسرين المحدثين

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تفسير "بيان المعاني على حسب ترتيب النزول" لعبد القادر ملا حويش.

المبحث الثاني: تفسير "معارج التفكر ودقائق التدبر" لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني.

المبحث الثالث: تفسير "فهم القرآن الحكيم التفسير الواضح حسب ترتيب النزول" لمحمد عابد الجابري.

تمهيد:

يقصد بالمفسرين المحدثين، أصحاب التفاسير التي ظهرت منذ نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، أو بداية العشرين، وقد ظهرت في هذا العصر طرائق جديدة في فهم النص القرآني وسبر أغواره، والوقوف على مراد الله ومقصده من الخطاب، فألفت العديد من التفاسير المختلفة عما درج عليه المفسرون قديما، منها ما نحن بصدد دراسته وهو: التفسير حسب ترتيب النزول.

لقد علم من خلال ما تمت مناقشته وتقريره في الفصل الأول من هذا البحث، أن تفسير القرآن الكريم حسب ترتيب النزول من الطرق المستحدثة في فهم القرآن الكريم، متجاوزة بذلك طريقة الترتيب المصحفي للسور التي ميزت تفاسير السلف، وقد تبلورت هذه الطريقة في تفسير القرآن الكريم في العصر الحديث-كما سبق ذكره- على يد محمد عزة دروزة، ويعد كتابه "التفسير الحديث" أول تفسير طبع على هذه الطريقة، حيث طبعت أول طبعة منه مابين 1961-1964م، ثم نحى هذا المنحى في التعامل مع النص القرآني بعده كل من عبد القادر ملا حويش، في تفسيره "بيان المعاني" الذي صدر المجلد الأول منه سنة 1962م، ثم ظهر "تفسير القرآن المرتب منهج لليسر التربوي"[1] لأسعد أحمد علي سنة 1979م، ثم ظهر تفسير"معارج التفكر ودقائق التدبر" لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، وكانت طبعته الأولى عام2000م[2] وأخيرا صدر كتاب: " فهم القرآن الحكيم التفسير الواضح حسب ترتيب النزول" لمحمد عابد الجابري سنة2008م.

ولكن ثمة إشكال في تحديد أي التفسيرين كان أسبق إلى الوجود؟ تفسير دروزة أم تفسير الملا حويش؟ وهل تأثر اللاحق بالسابق؟ خاصة أن كلا منهما يدعي أنه لم يسبق إلى طريقته هذه.

سبق لفضل عباس طرح هذا التساؤل وكانت إجابته كالآتي: " هذه مسألة معقدة لأنهما طبعا في أوقات متقاربة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن كلًّا منهما يدعي أنه لم يسبق إلى طريقته هذه، إلا أننا من مطالعتنا لمقدمتي الكتابين، ندرك أن "بيان المعاني" كان أسبق، لأن مؤلفه بدأه كما يقول سنة 1355 هـ / 1936 م. ولعله تأخر كثيرًا في إتمامه، .. فإنني أرى أنه كان سابقًا في فكرته لصاحب

---

[1]- لم يتطرق البحث لهذا التفسير نظرا لعدم امكان الاطلاع عليه.

[2]-ينظر: تفاسير القرآن حسب ترتيب النزول دراسة وتقويم، طه محمد فارس، دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، سنة 2006م، ص347.

التفسير الحديث، كما لا أظن أن الأستاذ دروزة قد تأثر به أو نقل عنه فكرته، وأغلب الظن أن هذه الفكرة كانت تسيطر على كلا الرجلين، دون اتصال أحدهما بالآخر، ومع أن الأستاذ دروزة حاول أن يسوغ عمله مستشهدًا بغيره، فإنه لم يشر إلى صاحب بيان المعاني، وحينما اتصلت به أخبرني بأنه كان مرتاحًا لهذه الطريقة، وأنه لم يسبق إليها، ولم يشر من قريب ولا من بعيد إلى بيان المعاني مع سؤالي له عنه"[1].

أما تفسير دروزة موضوع البحث، فسأتناوله بالدراسة في فصل مستقل، أما بقية التفاسير فسأتناولها تباعا في هذا المبحث، بشيئ من الاختصار لنرى ما أضافته هذه الكتب من جديد في منهجها، ونعرف ما هو السهم الذي اشترك به مؤلفوها.

[1]- التفسير والمفسرون في العصر الحديث، فضل حسن عباس، دار النفائس، الأردن، ط1: 1437هـ/2016م، 254/3.

المبحث الأول: تفسير "بيان المعاني" لعبد القادر ملا حويش:

المطلب الأول: التعريف بالمفسر وكتابه(بيان المعاني):

قبل أن نتعرض لهذا التفسير لا بد أن نلم بنبذة عن حياة مؤلفه، ولمحة عن الكتاب.

أولا: ترجمة عبد القادر ملا حويش(ت 1398 هـ/1978 م)[1].

1-اسمه ونسبه ومولده:

هو عبد القادر بن محمد بن ملا[2] حويش المحمود آل غازي، العاني، قاض، وخطيب، ومفسر، ولد ببلدة عانة بالعراق سنة 1297هـ/ 1880 م.

أو سنة خمسة وثمانين وثمانمائة وألف[3]، وكان والده قاضيًا شرعيًا، وكان يدرس الأولاد في حوش بيته، فلقب لأجل ذلك بالحويش، أما لقب "ملا" فهو يعني: الأستاذ أو المعلم[4].

2-**علومه:** تعلم بدايات العلوم في مدينة عانة، ثم انتقل إلى بغدد، ودرس هناك العلوم الشرعية، وأخذ شهادة "الرشدية" التي كانت تخول حاملها -زمن الخلافة العثمانية- العمل في المحاكم الشرعية، انتقل إلى العمل في محكمة دير الزور الشرعية، ثم أخذ شهادة "عالي العُلا"، وهي شهادة إدارية تخول صاحبها أن يكون قاضيًا، آنذاك.

ولم يقف عند هذا الحدّ، بل "درس العلوم الشرعية والآلية في المدرسة الشرعية بدير الزور، ونال شهادة في العلوم العقلية والنقلية، ومصدقة من المجلس العلمي، كما نال شهادة أخرى في علم المدنية من المحدث الأكبر الشيخ بدر الدين الحسيني بدمشق، وشهادة محاماة"[5]، وسلك طريق النقشبندية[6].

---

[1]- ينظر ترجمته في: معجم المؤلفين المعاصرين، في آثارهم المخطوطة والمفقودة وما طبع منها أو حقق بعد وفاتهم، محمد خير رمضان يوسف، مكتبة الملك فهد، الرياض، د.ط، 1425هـ/2004م، 1/ 375، وإتمام الأعلام(ذيل لكتاب الأعلام لخير الدين الزركلي)، نزار أباضة ومحمد رياض مالح، دار صادر، بيروت، ط1: 1999م، ص163.

[2] -كلمة (ملا) فارسية وهي تستعمل لدى الشعوب الأعجمية محرفة من (مولى) أي سيد، وتعني في الدارجة الشيخ والأستاذ، والملا هو عالم الدين الذي نال العلم عم طريق الدراسة على يد علماء آخرين. المصدر مقال منهج الشيخ ملا حويش، ص 339

[3]- هذا التاريخ ذكره فضل عباس في كتابه التفسير والمفسرون، وقال أنه زوده به عبد المعين ابن الشيخ عبد القادر ملا حويش، وهو يختلف عن التاريخ المدون في كتب التراجم، ص245/3.

[4]- التفسير والمفسرون، فضل عباس، 246/3

[5] - ينظر: من هوفي سورية، جورج فارس، الوكالة العربية للنشر والدعاية، دمشقن سورية، سنة 1949، ص 730.

[6]- الطريقة النقشبندية هي إحدى أشهر الطرق الصوفية وتنسب إلى بهاء الدين بن محمد البخاري الملقب بشاه نقشبند.

3-مؤلفاته: له تفسير"بيان المعاني" رتبه بحسب ترتيب النزول، ورسائل في الفرائض والتجويد والتوحيد، وديوان الخطب.

ثانيا: التعريف بكتاب (بيان المعاني) وسبب تأليفه: هذا الكتاب تفسير كامل للقرآن الكريم مرتبا حسب النزول، شرع فيه صباح يوم الأربعاء أول شهر رجب سنة 1355هـ/17 سبتمبر سنة1936م، وانقطع لتأليفه مدة ست سنوات متتالية، اعتمد فيه رواية حفص عن عاصم[1] وقد طبع طبعة واحدة على نفقة المؤلف في مطبعة الترقي في دمشق، حيث صدر المجلد الأول منه سنة 1382هـ/1962م، أما المجلد السادس والأخير فقد تمت طباعته سنة 1388هـ/1968م.

يتكون الكتاب من ثلاثة أجزاء، قسمت إلى سبعة مجلدات، أربعة منها للقرآن المكي، وثلاثة للقرآن المدني، وقد طبع في مطبعة الترقي سنة 1382هـ/1962م، صدر بمقدمة تحتوي على اثني عشر مبحثا في مسائل متفرقة، تضمنت المواضيع التالية:

- مبادئ في علم التفسير، وما يحتاج إليه المفسر، والحاجة إلى التفسير، وأحوال المفسرين به.
- الأصول المتبعة في تفسيره، والتفسير والتأويل والقول بالرأي.
- فضل القرآن وحفظه.
- التشريع في نهج القرآن، ومقاصده، ومميزات مكيه ومدنيه.
- النزول وكيفيته وترتيب سوره وآياته، وجمعه وترتيبه ونسخه، والقراءات.. والرد على من قال بالنقص في القرآن.
- مسألة خلق القرآن وصدق النبوة، ومسألة الوحي وما يتعلق بها من مباحث.[2]

ومن خلال هذه المطالب، كشف الملا حويش عن منهجه في التفسير، وبعض مواقفه من مسائل علوم القرآن التي لا تخفى غرابتها، وفي ذلك يقول فضل عباس: "في خلال هذه المطالب يرى القارئ العجيب والمستظرف والمستطرد والمستغرب، فهو ينقل مثلًا أنه ما من كتاب من كتب الله، إلا ونزل

---

[1] بيان المعاني، عبد القادر ملا حويش، مطبعة الترقي، دمشق، ط1: 1382هـ-1965م، 6/1.

[2]- مقدمة بيان المعاني، ملا حويش.

بالعربية، كما يتبنى القول بعدم النسخ.."[1].

والذي يهمنا من هذه المطالب: المطلب الثامن والتاسع المتعلق بترتيب القرآن، حيث ذكر أول ما نزل وآخر ما نزل، ومدة نزول القرآن، والسور المكية والسور المدنية..وأقرّ أن ترتيب الآيات والسور في المصحف توقيفي، حيث قال: "وضع السور والآيات توقيفي أما النطق بما تقدم وكتابته في غير القرآن فلا مانع منه، وليعلم أن وضع الآيات في سورها ومحالها على النحو المرسوم في القرآن توقيفي" 32/1

أما سبب تأليفه: فقد ذكر المؤلف أمران:

الأول: شعوره بحاجة الناس في عصره "إلى تفسير كهذا، جامع مانع، جار على أسلوب حسن، بسيط مختصر، غزير كاف، يطلعهم على حقائق كتاب الله بصورة قد يستوي فيها الخاص والعام"، خاصة وقد تفشى في عصره-كما وصفه- الجهل والفساد، والإعراض عن الدين واتباع الهوى..[2]

والثاني: انتباهه لفوائد ترتيب السور حسب النزول في التفسير، والتي بين بعض جوانبها في قوله: "أراد الإمام علي كرم الله وجهه ترتيب آيه وسوره بحسب النزول، لا لأنه لم ير صحة ماأجمعوا عليه، ولا لأنه حاشاه لم يعلم أن ذلك توقيفي لا محل للإجتهاد فيه، بل أراد أن تعلم العامة تاريخ نزوله ومكانه وزمانه، وكيفية إنزاله، وأسباب تنزيله، ووقائعه وحوادثه، ومقدمه ومؤخره، وعامه وخاصه، ومطلقه ومقيده، وما يسمى بناسخه ومنسوخه، بادئ الرأي، دون تكلف لمراجعة أو سؤال، ولمقاصد أخرى ستظهر للقارئ بعد إن شاء الله"[3].

ويخبر أنه أول من بدأ التفسير على هذا النحو، والظاهر أنه لم يحط علما بتفسير دروزة، الذي طبع في السنة 1961م.

ثالثا: مدخل إلى منهجه العام ومصادره في التفسير:

1-منهجه العام: سأحاول في هذا المبحث تلمس منهج الملا حويش في تفسيره من خلال ما سطره في مقدمته وما كتبه في تفسيره.

---

[1]- التفسير والمفسرون، فضل عباس، 257/3.

[2]-بيان المعاني، ملا حويش، 13/1-14

[3]- المرجع نفسه، 4/1

أول ملاحظة يمكن تسجيلها عند مطالعة هذا التفسير هو أنه تفسير إجمالي له عناية كبيرة بالتفسير الموضوعي، ويتلخص منهجه في النقاط التالية:

-الجمع بين المأثور والرأي معا، حيث قال: " ونرجع إلى التأويل بما نقتبسه أولا من القرآن، لأن في بعضه تفسيرا لبعض، ثم في الحديث، لأن قول الرسول شرح له، ثم إلى أقوال الأصحاب الكرام..، ثم لأقوال أتباعهم من السلف الصالح، ولأقوال العلماء المفسرين له..".

ونلحظ تجرؤه على تضعيف الصحيح والاستشهاد بالضعيف والموضوع والأمثلة على ذلك كثيرة، يقول الملا حويش عن الصحيحين: "... ولعمري ليس كل شيء ما في الصحيحين صحيحًا قطعًا، فإن فيهما الضعيف والمنكر. وإن البخاري ومسلمًا رحمهما الله وإن كانا من أحسن الناس نقلًا، لكنهما نقلا عن أناس قد يطعن فيهم، أو أنه دس هذا فيما نقلاه "[1].

-يبدأ عند تفسير السورة بذكر ترتيبها المصحفي ثم ترتيبها حسب النزول ثم مكية أو مدنية، والآيات المدنيات أو المكيات في السورة، وعدد آياتها، والمطلع السورة وخاتمتها، ورغم أن المكي والمدني هو الأساس الذي بنى عليه تفسيره، إلا أنه لم يعتن به كما يجب، بل سجلت عليه أخطاء وتناقضات وخلط في هذا المجال، يدل على عدم التمحيص العلمي[2].

-يكثر من أسباب النزول، دون تمييز بين الصحيح والضعيف.

-يقول بإبطال النسخ في القرآن الكريم.

-له عناية بالأحكام الشرعية، دون تفصيلها، ويكتفي أحيانا بالإحالة إلى الكتب الفقهية، ورغم أنه حنفي المذهب، إلا أنه لا يتعصب لمذهبه، بدليل مخالفته في بعض المسائل الفقهية، كحكم رمي الجمار[3] مثلا وأحيانا يرجح قول الجمهور في لمسألة، وأحيانا أخرى يخالفه، وكثيرا ما يأتي بمغالطات لا أصل لها.

-له اهتمام واضح بالنقل من كتب التصوف، دون أن يلتزم بالضوابط التي وضعها العلماء لقبول التفسير الإشاري. و"كان ذا نزعة صوفية، تظهر دائمًا في أثناء كتابه، كما يظهر مغالاة في حبه لآل

---

[1] - بيان المعاني، ملا حويش، 187/1.

[2]- ينظر: التفسير والمفسرون، فضل عباس، 270/3

[3]-ينظر: بيان المعاني، ملا حويش، 461/3.

البيت، حتى إن المتصفح لكتابه لأول وهلة يحسبه شيعيًا"[1].

– له عناية بالوعظ، والرد على الفرق الضالة..ولكن منهجه في ذلك غير سوي.

– مكثر من الإسرائيليات والقصص الغريبة والخرافات التي لا فائدة منها في التفسير، بل تضر بتفسير القرآن الكريم أيما ضرر.

2– مصادره في التفسير:

تنوعت المصادر[2] التي اعتمدها الملا حويش وتعددت، فهي تشمل:

كتب التفسير: وهي كثيرة، منها: تفسير الخازن، والنسفي، والبغوي، وابن عباس، وأبي السعود، وروح البيان وروح المعاني، والبيضاوي، والكشاف، والخطيب الشربيني، وفريد وجدي والجلالين، وابن كثير، وابن جزي، والتسهيل، والإتقان للسيوطي، والفتوحات الربانية لنعمة الله، وتفسير محي الدين بن عربي..

ومن الكتب الفقهية: ذكر المبسوط للسرخسي، والدر المختار للحصكلي، وحاشيته لابن عابدين والطحطاوي، والجوهرة النيرة للزبيدي، والخلافيات للبيهقي، والهداية للمرغيناني، وفتاوى ابن الصلاح وغيرها.

---

[1]– التفسير والمفسرون، فضل عباس، 253/3.

[2]– للتوسع في مصادر الملا حويش في تفسيره كاملة ومرتبة زمنيا يراجع: تفاسير القرآن الكريم حسب النزول، طه محمد فارس، فقد ذكرها مفصلة ومرتبة زمنيا، ص601-615.

ومن كتب الصوفية: عوارف المعارف للسُّهْروردي، والبهجة السنية للخاني ونور الهداية والعرفان للصاحب، والإنسان الكامل لعبد الكريم الجيلاني، واحياء العلوم للغزالي، ورسالة أبي القاسم القشيري وغيرها من الكتب الكلامية والمنطقية والأصولية واللغوية، والمجلات المصرية وغيرها.[1]

كتب الحديث: اعتمد كتب الصحاح الستة والموطأ، وبعض الأحاديث الشائعة المتداولة التي لم يطعن بها.

ومن كتب العقيدة: الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري، الإرشاد للجويني، والملل والنحل للشهرستاني وغيرها.

ومن كتب اللغة والمعاجم: ألفية ابن مالك، القاموس المحيط للفيروزابادي، مجمل اللغة لان فارس، والصحاح للجوهري وغيرها.

ومن كتب التراجم والسير: مغازي الواقدي، السيرة النبوية لان هشام، تاريخ ابن الأثير وغيرها.

وتجدر الإشارة أن الملا حويش كان حاطب ليل، ينقل من مصادره دون تمحيص، خلاف ما يمكن أن يفهمه القارئ من تصريحه في مقدمته، حيث يقول: "..وكل جملة ختمتها بالأصح أو الصحيح أو المعتمد أو الأولى فهي في مقابلة أقوال لم تثبت لديّ صحتها وأرجحيتها، وما قرنته بقيل أو قالوا أو ذكروا أو رأوا، فهو دليل على ضعفها وعدم الاعتماد عليها، وما بدأته بلا بأس فهو كناية عن خلاف الأولى وما تركه أحسن من فعله.. وما ذكرت من أرى هذا، أو هو الأصوب أو الأحوط أن يؤخذ به فهو عبارة عن قول استحسنته من أقوال كثيرة"[2].

كما أنه سار في إفادته من المصادر على منهج غير ثابت تمثل في عدم حرصه على عزو النصوص إلى أصحابها، ناهيك عن النقول التي لا يعرف مصادرها.

3-تقييم بعض الدارسين لتفسير الملا حويش:

قبل إنهاء هذا المطلب، يستحسن أن ننقل هاهنا بعض آراء التي كتبت حول الكتاب ومؤلفه:

---

[1]- بيان المعاني، ملا حويش، 1/11-12.

[2]- مقدمة بيان المعاني، ملا حويش، ص 12-13.

أ-رأي فضل عباس: "من خلال تفسيره، تبين للباحث كم كان هذا الشيخ يعيش هموم أمته، وكم كان يقلقه حالها الذي آلت إليه جراء الحملات الهدامة التي كانت تحاول غرس الفتن والضلال والفرقة في جسم الأمة الواحدة، ولقد كان همه الأكبر كيف يقاوم محاولات البريطان غرس اليهود في فلسطين..وما محاولته تفسير كتاب الله تعالى على طريقة ترتيب النزول إلا وجهًا من وجوه الدعوة إلى الله، ومحاولة للنهوض بالأمة من سباتها من خلالها تفهيمها كلام ربها، وبالطريقة نفسها التي نهض بها النبي ﷺ بأمة العرب يوم لم تكن شيئًا مذكورًا، ولكل مجتهد نصيب" [1].

إلا أن حسن النية، وسلامة المقصد لم يشفعا له، حيث انتقد نقدا شديدا من قبل أهل العلم، من ذلك دعوة فضل عباس- بعد حديثه عن تفسير الملا حويش -إلى الحيلولة بين الكتاب وأهل هذا العصر، كما دعا العلماء إلى ضرورة المراقبة والعناية لكل ما يكتب حول كتاب الله.

وفيما يلي ننقل كلامه كاملا لأهميته:

قال فضل عباس: "إن هذا التفسير الجامع المانع كما وصفه صاحبه! والذي كان أبناء عصرنا في أمس الحاجة إليه! من الحق أنه جامع فعلًا، ولكن لكل ما هو غريب وضار ومنكر وموضوع، وأنه لمانع كذلك، لكن من كل ما فيه لأهل هذا العصر من خير في دينهم ودنياهم، وأنه ينبغي أن يحال بين هذا الكتاب وأهل هذا العصر".

ويواصل ذكر الأسباب التي دعته لاصدار هذا الحكم القاسي: فقال: ".. الذي يطعن صاحبه في أصح الكتب بعد كتاب الله، ومع ذلك يملأ كتابه بما هو بعيد عن روح كتاب الله.."

وفي نهاية تقييمه للكتاب يقول: "وبعد فلا أرى داعيًا لتقييم هذا التفسير كما هي طريقتي فإن نصوصه خير مقيّم له..وإذا كان الخازن خازنًا للإسرائيليات كما قيل، فإن مفسرنا خزان لا للإسرائيليات فحسب، بل وللأحاديث الموضوعة والمنكرة التي يتورع عن ذكر مثلها الخازن وغيره، وإذا كان الثعالبي حاطب ليل كما يقول ابن تيمية، فإن مفسرنا حطاب في ليل دامس[2]".

ب-رأي طه فارس" والواقع أن تفسيره هذا لم يكن ذلك الترياق الذي يبحث عنه أهل هذا

---

[1] - التفسير والمفسرون، فضل عباس، 248/3

[2] -المرجع نفسه، 275/3.

العصر ليشفي علتهم، ويروي غلتهم، فهو مازال حبيسا في أرفف بعض المكتبات الخاصة، ونادرا ما يوجد في مكتبة عامة بل إن كثيرا من المختصين بالقرآن وعلومه لا يعرفون عنه شيئا، ولولا أن بحثي كان مستلزما للاطلاع عليه وقراءته لكنت أيضا من جملة أولئك الذين لا يعرفون عنه إلا اسمه، هذا في أحسن الأحوال..ولقد تحملت من قراءته عبأ لم يكن خفيفا على نفسي، كما أنني لم أرى فيه ذلك التفسير الذي يتشوف إليه أهل عصره ويحتاجونه"[1].

4-أثر الكتاب فيما بعده:

- تفاسير القرآن الكريم حسب ترتيب النزول، دراسة وتقويم، رسالة دكتوراه، لطه محمد فارس، جامعة أم درمانالإسلامية، بالسودان، سنة 2006م.
- أطروحة دكتوراه بعنوان: "الشيخ عبد القادر ملا حويش ومنهجه في تفسيره بيان المعاني" للطالبة: صفية العرابي، قسم العلوم الإسلامية، جامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان، سنة: 1438-1439هـ/2017-2018م.
- مقالات: منها: "التفسير بحسب ترتيب النزول عند الحداثيين الشيخ عبد القادر ملا حويش أنموذجا"، للباحثة آمنة فاضل فياض، مجلة الجامعة للدراسات الإسلامية للراسات الإسلامية، عمادة شؤون البحث العلمي والدراسات العليا، غزة، فلسطين.

المطلب الثاني: منهجه في ترتيب النزول:

أولا:دوافعه لاختيار ترتيب النزول:

كشف الملا حويش في كتابه عن الدوافع التي دفعته إلى سلوك هذا المنهج، فقال إن "العلماء رحمهم الله لما فسروه على نمط المصاحف اضطروا لأن يشيروا لتلك الأسباب بعبارات مكررة، إذ بين ترتيبه في المصاحف وترتيبه بحسب النزول بعد يرمي للزوم التكرار بما أدى لضخامة تفاسيرهم، ومن هذا نشأ الاختلاف بأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والأخذ والرد فيما يتعلق فيهما.. ويكفي القارئ مؤنة تلك الاختلافات وتدوينها، ويعرفه كيفية نزوله ويوقفه على أسباب تنزيله، ويذيقه لذة معانيه وطعم

[1]- تفاسير القرآن حسب ترتيب النزول، طه محمد فارس، ص594-595.

اختصار مبانيه، بصورة سهلة يسيرة موجزة خالية عن الرد والبدل، سالمة من الطعن والعلل، مصونة من الخطأ والزلل، فعن لي القيام بذلك"[1].

ويقول عند محاولته للتدليل على إبطال النسخ: "وهذا من جملة المرامي التي من أجلها أقدمت على هذا التفسير المبارك ورتبته بحسب النزول ليعلم القارئ خطأ القائلين بنسخ أمثال هذه الآية متى ما عرف أنها متقدمة.."[2].

وعليه يمكن إجمال دوافعه في النقاط التالية:

- يكفي القارئ مؤنة الاختلافات في أسباب النزول والناسخ والمنسوخ وتدوينها.
- تجنب التكرار في إيراد أسباب النزول، الذي يؤدي إلى ضخامة التفاسير.
- ويعرفه كيفية نزوله ويوقفه على أسباب تنزيله.
- ويذيقه لذة معانيه وطعم اختصار مبانيه، بصورة سهلة يسيرة خالية عن الرد والبدل، سالمة من الطعن والعلل، مصونة من الخطأ والزلل.

والسؤال الذي يطرح نفسه هاهنا: هل هذه الدوافع لا تتحقق إلا بترتيب النزول؟ أم يمكن تحقيقها بترتيب المصحف أيضا؟ وهل وصل الملا حويش إلى مراميه؟

هذا ما سنناقشه مناقشة سريعة بما يسمح به المقام من الإيجاز والإجمال:

- أما أن تفسيره يكفي القارئ مؤنة الاختلافات وتدوينها "فتفسيره لم يخل منها ومن الردود والمناقشات، فقد ردّ على المعتزلة في كثير من المواطن، وردّ على المرجئة وأصحاب الاتجاهات المنحرفة، وردّ على بعض المفسرين أقوالهم"[3]، مما جعله يقع فيما حذر منه وهو ضخامة التفسير، فقد جاء "بيان المعاني" في (3456) صفحة، ولو أعيد طبعه، لفاق ذلك بكثير، فليس تكرار أسباب النزول هو ما ضخم من التفاسير السابقة، لأن سبب النزول خاص بآية بعينها، فلا حاجة لإعادة ذكره في مواضع أخرى.
- ثم إن ضخامة كتب التفسير ليست قدحا في التفسير، فكتب التفسير منها المطول، التي حوت شتى

---

[1]-بيان المعاني، ملا حويش، 4/1.

[2]- المرجع نفسه، 38/4.

[3]- تفاسير القرآن الكريم حسب ترتيب النزول، طه محمد فارس، ص596.

فنون العلم من نحو وبلاغة وأصول ومنطق وعلم الكلام وغيرها، أمثال تفسير ابن جرير الطبري، والكشاف وتفسير البسيط للواحدي وغيرها، ومنها المتوسط، ومنها المختصر، بحيث يختار كل قارئ ما يناسب مستواه العلمي، وقد حرص العلماء المعتنون بالتفسير على التأليف في الأنواع الثلاثة المذكورة، لعلمهم بحاجة الأمة إلى ذلك في كل عصر من العصور.

- أما توسله ب"ترتيب النزول" لإنكار النسخ في القرآن الكريم، فيكفي ردها بطلان النتيجة التي توصل إليها، إذ معلوم أن وقوع النسخ ثابت شرعا وعقلا وبإجماع العلماء[1]قديما وحديثا، ولم يشد في ذلك إلا النزر اليسير.[2]

وقد أفرد ملا حويش المطلب العاشر من مقدمته، لإبطال مسألة النسخ، وقدم لأجل ذلك تعليلات واهية، إذ يقول: "لا نسخ في كلام الله بالمعنى القائلين به، من إبطال المعنى الأول بالكلية، وهذا من جملة ما عناه سيدنا علي كرم الله وجهه، بإرادته ترتيب سوره وآياته على حسب النزول.."[3]، ولا أدري من أين له أن علي قصد إبطال القول بالنسخ عندما رتب مصحفه حسب ترتيب النزول، خاصة وأن هذا المصحف المزعوم مفقود كما سبق بيانه.

ويعتبر النسخ هو التقييد والتخصيص، فيقول: "ما تغالى به علماء النسخ والمنسوخ عبارة عن الآيات المقيدة والمخصصة بالنسبة للآيات المطلقة والعامة"[4]، حيث يعيب على المفسرين وعلماء القرآن والأصول توسعهم في القول بالنسخ، وأن منشأه أمور:

– عدم مراعاتهم للتخصيص والتقييد.

–وعدم الاعتناء بتاريخ النزول، وأسبابه للتيقن من المقدم والمؤخر.

–وعدم أخذهم بما أجمع عليه الجمهور، بأن المقدم لا ينسخ المؤخر.

---

[1]– ينظر: أدلة ثبوت النسخ ووقوعه في كتاب الله في: الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ص8، ونواسخ القرآن لابن الجوزي، ص78–80.

[2] –اشتهر أبو مسلم الأصفهاني(ت: 366هـ) بين المفسرين بإنكار النسخ، خلافا للجمهور، وقد ردّ العلماء قوله، منهم الحاكم الجشمي (ت: 494هـ) في تفسيره إذ يرى بأن أبا مسلم"محجوج بالإجماع وتأويله في إنكار النسخ بعيد وفيه تعسف"، ينظر: أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني، جمع وترتيب وتحقيق، خضر محمد نبها، د.ط، د.ت، ص17–18.

[3]– بيان المعاني، ملا حويش، 37/1.

[4]– المرجع نفسه، 38/1.

-وعدم مراعاتهم حكمة التشريع الالهي بحسب التدريج[1].

ويقول في موضع آخر مؤكدا لكلامه، عند تفسيره قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ﴾[الشورى: 23]، "هذا ولا معنى لقول من قال إن هذه الآية منسوخة بآية ﴿قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ﴾[سبأ: 47]من سورة سبأ المارة، وهي آية مقدمة في النزول على هذه الآية لفظا ورتبة ومن المعلوم أن المقدم لا ينسخ المؤخر.. وهذا من جملة المرامي التي من أجلها أقدمت على هذا التفسير المبارك ورتبته بحسب النزول ليعلم القارئ خطأ القائلين بنسخ أمثال هذه الآية متى ما عرف أنها متقدمة، لأن العلماء رحمهم الله أكثروا من أقوالهم بالنسخ ومنهم من تغالى فيه حتى خالف الأصول التي وضعت لمعرفة الناسخ والمنسوخ كهذه الآية وآيات الإخبار والوعد والوعيد وغيرها، سامحهم الله"[2].

ويرى أن النسخ عبارة عن رفع حكم بعض الآيات بآية تأتي بعدها تخصص عمومها أو تقيد إطلاقها مثل آية عدة الوفاة بالحول التي نزلت بعدها الآية بأربعة أشهر وعشرة أيام، وكصيام رمضان عن الأيام المعلومات والمعدودات لأنه أكمل، وهكذا ليصل إلى نتيجة مفادها أن القرآن لا منسوخ فيه البتة، وان جميع ما أنزل على محمد ﷺ ثابت فيه لم يغير ولم يبدل ولم يترك منه شيء[3].

وفي المقابل يقر بنوع آخر من النسخ، وهو نسخ القرآن لما قبله، فيقول عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾[البقرة: 106]: "..وعليه فإن النسخ فيما ذكرنا جائز عقلا وشرعا لا ينكره عاقل، وان القرآن العظيم ناسخ لجميع ما يخالفه من الكتب والصحف السماوية المتقدمة عليه بلا خلاف، وبعض آيه ناسخ لبعض عند كثير من المفسرين، والأقل قالوا بعدم النسخ وهو الأصح على المعنى المراد به إزالة الحكم من جميع جهاته، أما من بعضها فلا ينكر، لأنه عبارة عن تخصيص العام وقيد المطلق، وقد جرينا على ما جرى عليه القليل.

---

[1]- ينظر: بيان المعاني، ملا حويش، 38/1.

[2]- المرجع نفسه، 38/4.

[3] - المرجع نفسه، 72/5.

– مناقشة:

من خلال تأمّل مقولات المفسر في موقفه من النسخ يمكننا القول بأن انكاره على المفسرين، وعلماء القرآن الإسراف في دعوى النسخ، وجيه، وهو مذهب أغلب العلماء، أما انكاره للنسخ مطلقا فهو خلاف ما أجمع عليه أهل العلم.

ولعل منشأ الغلط الذي وقع فيه الملا حويش هو الخلط بين النسخ وأمرين: أحدهما تخصيص العام والآخر تقييد المطلق، ولم ينكر العلماء أنها صورة من صور إطلاقات السلف لمصطلح النسخ، ولكن مما هو مقرر لدى العلماء أن النسخ بمعى رفع الحكم أحد الصور المعتبرة عند السلف، وهي الصورة التي يدعي الملا حويش أنها غير موجودة، وبيان ذلك يطول، لذا أكتفي بالإحالة إلى الدراسات العلمية في هذه المسألة[1].

ويردّ عليه في النقاط التالية:

–قد أجمع المسلمون على ثبوت النسخ ووقوعه في كتاب الله، وذكر المؤلفون في الناسخ والمنسوخ والمفسرون والأصوليون الأدلة على ذلك، وهي مبسوطة في مضانها[2].

–أما ادعاء الملا حويش عدم عناية الصحابة رضي الله عنهم بالنسخ: فقد وردت آثار عديدة تدل على خلاف ما ذهب إليه، من ذلك:

–ما رُوي عن علي ﷺ أنه مر على قاص، فقال له: "أعرفت الناسخ والمنسوخ؟"، قال: لا، فقال: "هلكتَ وأهلكت"، وروي مثله عن ابن عباس [3].

---

[1]– منها على سبيل المثال: مناهل العرفان، الزرقاني، ص170–172.

[2]– ينظر على سبيل المثال لا الحصر: إيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، مكي بن أبي طالب القيسي(ت: 437هـ)، ص60–64، ونواسخ القرآن، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي(ت: 597هـ) والاتقان في علوم القرآن، 648/1، ومناهل العرفان، ص148 وغيرها.

[3]– ينظر: الناسخ والمنسوخ، النحاس، 49/1–50

-وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: 269] أنه قال "يعني: المعرفة بالقرآن؛ ناسخه ومنسوخه، ومحكَمه ومتشابهه، ومقدَّمه ومؤخَّره، وحلاله وحرامه، وأمثاله[1].

-وقد تحدث العلماء عن أهمية النسخ في تفسير كتاب الله، منهم: الزركشي إذ يقول في بداية حديثه عن علم النَّسخ: "والعلم به عظيم الشأن[2]."، وما ذكره السيوطي: "قال الأئمة: لا يجوز لأحد أن يفسِّر كتابَ الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ[3].

وأخيرا إن موضوع النسخ قديم جديد، والخلاف فيه ما زال مستمرا إلى اليوم، لذا لا يصح للدارس إختيار قولا ويبني عليه على أنه هو الصحيح دون الاستدلال على هذا القول، ثم يجعله مبررا لمخالفة جمهور المفسرين بسلوكه ترتيب النزول في تفسيره، ولم أرد أن أخوض في ذلك أو أطيل، فهذا ليس موضوع بحثي، وإنما اضطررت للخوض فيه من أجل توضيح موقف الملا حويش من القول بالنسخ، وأثره في سلوك منهج ترتيب النزول في تفسيره، ولعل ما حمل الملا حويش على مخالفة الإجماع في مسألة النسخ هو تنزيه الله عز وجل عن مقولة "البداء"، ودفع شبه المغرضين عن كتاب الله، لاسيما بعد اطلاعه على توسع بعض المؤلفين في النسخ، وكان الأجدر به أن يسلك سبيل العلماء المحققين في هذا المجال، حيث أثبتوا النسخ، وضيقوا الناسخ والمنسوخ من الآيات.

-أما أن تفسيره يعرف بكيفية نزول القرآن الكريم، وزمنه وأسباب نزوله..فهذه المسائل مبسوطة في كتب علوم القرآن، إضافة إلى مقدمات التفاسير، كما أنه لا يكاد يخلو تفسير من ذكرها إلا النزر اليسير، وما ذلك إلا لإدراك مؤلفيها لأهميتها في تفسير كتاب الله تعالى، فانظر على سبيل المثال: تفسير الطبري، المحرر الوجيز لابن عطة، التحرير والتنوير لابن عاشور وغيرها، والأمثلة أكثر من أن تحصر.

-إن القارئ لتفسير الملا حويش، يلاحظ أنه أسهب في الكثير من المواضع، إلى درجة التطويل الممل، عكس ما زعم من الاختصار بقوله: "..جامع مانع، جار على أسلوب حسن، بسيط مختصر،

---

[1]-رواه ابن جرير الطبري في تفسيره، 576/5.

[2]-البرهان، الزركشي، 28/2.

[3]-الاتقان، السيوطي، 55/2.

غزير كاف.."، وهذا –حسب ظني– مما أفقده تذوق لذة معانيه لا كما تصور صاحبه.

وأمثلة ذلك كثيرة منها: توسعه في الحديث عن القلم وأصول كتابات الأمم..عند تفسيره لسورة العلق[1].

كما أنه أسرف في تزكية تفسيره والثناء عليه بما لا يليق بمسلم، فضلا عن عالم، فقوله أن كتابه "سالم من الطعن والعلل، مصون من الخطأ والزلل" فيه إعجاب بعمله، ولا شك أنه أمر مذموم، خاصة وأنه مخالف للواقع، ولا شك أن الثناء مشروع وسائغ، وكثيرا ما يقول ابن القيم في كتبه: "فلعلك لا تظفر بها في مصنف آخر البتة "[2]فهذا من أجل أن ينتفع به الناس، والفرق واضح بينهما، وإن المفسر لو اتبع جميع أصول التفسير والتزم بجميع ضوابطه التي وضعها أهل العلم ليصل إلى تفسير أقرب ما يكون لمراد الله تعالى، فإنه لا ينبغي أن يجزم بأنه هو المراد الحقيقي من النص لاحتمال الخطأ في العمل البشري مهما كان.

وقد أحسن فضل عباس حين وصفه بالسفر العجيب، لكثرة الاستطراد والإغراب والقصص العجيبة والآثار الواهية بل والموضوعة والحكايات الغريبة، بل وعدّه خطرا على الدين وأهله[3]، مستنكرا سكوت العلماء عن مثل هذه الأمور، الذي سمح لكل واحد أن يخوض فيما يسميه"تفسير القرآن".[4]

والحاصل مما سبق ذكره فإن الملا حويش جانب الصواب بزعمه أن تلك الدوافع لا يمكن تحقيقها إلا باتباع ترتيب النزول، وأنه لم يلتزم بما اشترطه على نفسه، بتجنب التوسع الممل والاختصار المخل، حيث نجد التوسع الممل والاستطرادات التي لا تخدم بيان معاني القرآن الكريم كما زعم.

---

[1]– بيان المعاني، ملا حويش، 69/1.

[2]– مدارج السالكين، ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، تحقيق: محمد بن المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي بيروت، ط3: 1416هـ–1996م، 1/ 242، وبعبارة مشابهة في: إعلام الموقعين، 174/1، وبدائع الفرائد، 170/4، وغيرها.

[3]– التفسير والمفسرون، فضل عباس، 258/3.

[4]–التفسير والمفسرون، فضل عباس ، 266/3.

ثانيا: ترتيبه المعتمد في التفسير وسنده:

ظهر من خلال الاستقراء أن الملا حويش قد اعتمد في ترتيب السور حسب النزول على نفس ترتيب النزول الذي أشار إليه المصحف الذي اعتمده دروزة، خلاف ما زعمه من اتباع ترتيب علي ﷺ، ولم يغير الملا حوش في ذلك الترتيب شيئا، كما فعل دروزة، وهو عين ما أشار إليه الباحث فارس في أطروحته حيث أجرى مقارنة بين تلك التراتيب في جداول[1] بين فيها ترتيب السور في رواية علي كرم الله وجهه التي أشار إليها الملا حويش، وترتيب مصحف الخطاط قدور أوغلي، وترتيب المعمول به في تفسير بيان المعاني، نسوقها فيما يلي للفائدة:

1- ترتيب السور المكية:

رقم ترتيب النزول للسورة	رواية كتاب"مقدمة كتاب المباني" عن علي بن أبي طالب	ترتيب مصحف الخطاط قدور أوغلي	ترتيب السور المكية في تفسير الملا حويش
1	الفاتحة	العلق	العلق
2	العلق	القلم	القلم
3	القلم	المزمل	المزمل
4	المدثر	المدثر	المدثر
5	المزمل	الفاتحة	الفاتحة
6	التكوير	المسد	المسد
7	الأعلى	التكوير	التكوير
8	الليل	الأعلى	الأعلى
9	الفجر	الليل	الليل
10	الضحى	الفجر	الفجر

[1]-ينظر: تفاسير حسب ترتيب النزول، طه فارس، ص199.

11	الشرح	الضحى	الضحى
12	العصر	الشرح	الشرح
13	العاديات	العصر	العصر
14	الكوثر	العاديات	العاديات
15	التكاثر	الكوثر	الكوثر
16	الماعون	التكاثر	التكاثر
17	الكافرون	الماعون	الماعون
18	الفيل	الكافرون	الكافرون
19	الفلق	الفيل	الفيل
20	الناس	الفلق	الفلق
21	الإخلاص	الناس	الناس
22	عبس	الإخلاص	الإخلاص
23	القدر	النجم	النجم
24	الشمس	عبس	عبس
25	البروج	القدر	القدر
26	التين	الشمس	الشمس
27	قريش	البروج	البروج
28	القارعة	التين	التين
29	القيامة	قريش	قريش
30	الهمزة	القارعة	القارعة
31	المرسلات	القيامة	القيامة
32	ق	الهمزة	الهمزة
33	البلد	المرسلات	المرسلات
34	الطارق	ق	ق
35	القمر	البلد	البلد
36	ص	الطارق	الطارق
37	الأعراف	القمر	القمر
38	الجن	ص	ص

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

39	يس	الأعراف	الأعراف
40	الفرقان	الجن	الجن
41	فاطر	يس	يس
42	مريم	الفرقان	الفرقان
43	طه	فاطر	فاطر
44	الواقعة	مريم	مريم
45	الشعراء	طه	طه
46	النمل	الواقعة	الواقعة
47	القصص	الشعراء	الشعراء
48	الإسراء	النمل	النمل
49	يونس	القصص	القصص
50	هود	الإسراء	الإسراء
51	يوسف	يونس	يونس
52	الحجر	هود	هود
53	الأنعام	يوسف	يوسف
54	الصافات	الحجر	الحجر
55	لقمان	الأنعام	الأنعام
56	سبأ	الصافات	الصافات
57	الزمر	لقمان	لقمان
58	غافر	سبأ	سبأ
59	فصلب	الزمر	الزمر
60	الشورى	غافر	غافر
61	الزخرف	فصلت	فصلت
62	الدخان	الشورى	الشورى
63	الجاثية	الزخرف	الزخرف
64	الأحقاف	الدخان	الدخان
65	الذاريات	الجاثية	الجاثية
66	الغاشية	الأحقاف	الأحقاف

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

67	الكهف	الذاريات	الذاريات
68	النحل	الغاشية	الغاشية
69	نوح	الكهف	الكهف
70	إبراهيم	النحل	النحل
71	الأنبياء	نوح	نوح
72	المؤمنون	إبراهيم	إبراهيم
73	السجدة	الأنبياء	الأنبياء
74	الطور	المؤمنون	المؤمنون
75	الملك	السجدة	السجدة
76	الحاقة	الطور	الطور
77	المعاجم	الملك	الملك
78	النبأ	الحاقة	الحاقة
79	النازعات	المعارج	المعارج
80	الانفطار	النبأ	النبأ
81	الروم	النازعات	النازعات
82	العنكبوت	الانفطار	الانفطار
83	المطففون	الانشقاق	الانشقاق
84	الانشقاق	الروم	الروم
85		العنكبوت	العنكبوت
86		المطففين	المطففين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2- ترتيب السور المدنية:

رقم ترتيب نزول السورة	رواية كتاب" مقدمة كتاب المباني"عن علي بن أبي طالب	ترتيب السور المدنية في مصحف الخطاط قدور أوغلي	ترتيب السور المدنية في تفسير الملا حويش
1	البقرة	البقرة	البقرة
2	الأنفال	الأنفال	الأنفال
3	آل عمران	آل عمران	آل عمران
4	الأحزاب	الأحزاب	الأحزاب
5	الممتحنة	الممتحنة	الممتحنة
6	النساء	النساء	النساء
7	الزلزلة	الزلزلة	الزلزلة
8	الحديد	الحديد	الحديد
9	محمد	محمد	محمد
10	الرعد	الرعد	الرعد
11	الرحمن	الرحمن	الرحمن
12	الإنسان	الإنسان	الإنسان
13	الطلاق	الطلاق	الطلاق
14	البينة	البينة	البينة
15	الحشر	الحشر	الحشر
16	النصر	النور	النور
17	النور	الحج	الحج
18	الحج	المنافقون	المنافقون
19	المنافقون	المجادلة	المجادلة
20	المجادلة	الحجرات	الحجرات

21	الحجرات	التحريم	التحريم
22	التحريم	التغابن	التغابن
23	الجمعة	الصف	الصف
24	التغابن	الجمعة	الجمعة
25	الصف	الفتح	الفتح
26	الفتح	المائدة	المائدة
27	المائدة	التوبة	التوبة
28	التوبة	النصر	النصر
29	النجم		

3- مصادره في ترتيب النزول: ذكر ملا حويش مصادره في ترتيب السور حسب النزول، وهي: كتاب أبي القاسم عمر بن محمد بن عبد الكافي وكتاب تحقيق البيان للشيخ محمد متولي شيخ القراء بمصر، وكتاب ناظمة الزهر للإمام الشاطبي، وشرحها لأبي عيد رضوان المخللاتي، وكتاب ارشاد القراء والكاتبين له أيضا، وكتب القراءات والتفسير على خلاف في بعضها[1].

ثالثا: معاييره في الترتيب:

لم يغير ملا حويش في ترتيب السور الذي اعتمده كما سبق بيانه، أما ترتيب الآيات حسب النزول، فكانت له بعض الاجتهادات، رغم إقراره بأنه أمر متعذر كما نص عليه عدد من أهل العلم[2]، وفي الوقت ذاته كان يرى أنه لا يمنع "إمكان تحديد الوقت الدقيق لنزول مجموعة من الآيات وردت فيها روايات صريحة وصحيحة، ويبقى عدد غير قليل من الآيات يحتاج إلى بحث وإعمال فكر وتتبع وربط الآيات ببعضها للوصول إلى تحديد المقدار النازل من الآيات في المناسبة الواحدة"[3]، ويقر أن "مثل هذا لا يمكن القطع فيه بقول فصل بل يغلبه الرأي والظن والتوقع والتقدير دون جزم ولا قطع"[4] وهو ما فعله أصحاب التفاسير حسب ترتيب النزول، ولأجل ذلك استعان الملا حويش بمجموعة من المعايير

[1] - بيان المعاني، ملا حويش، 10/1

[2]- المرجع نفسه، 102/1

[3]- تتبع نزول آيات سورة المائدة، أحمد خالد شكري، مجلة الجامعة للدراسات الإسلامية، المجلد 28، العدد1، 2020م، ص157

[4]- المرجع نفس، ص 157.

منها: السياق والنظم، وأسباب النزول، إما لترتيب بعض الآيات زمنيا أو لإلغاء ما قيل في ترتيبها الزمني.

والأمثلة على ذلك كثيرة لا يمكن حصرها، فلذلك سأكتفي بذكر مثال واحد عن كل معيار.

- **معيار سياق التنزيل والنظم**: ويقصد بسياق التنزيل السياق الزمني أي سياق الآية بين الآيات بحسب ترتيب النزول وهي احدى أبرز قواعد التفسير.

مثال: عند تفسير قوله تعالى ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ ﴾[الأحزاب: 52]

قال: " ولا وجه لقول من قال إن هذه الآية منسوخة بالآية قبلها وهي ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ﴾[الأحزاب: 50] إلخ، وإن النبي لم يمت حتى أحل له أن يتزوج من يشاء، لأن المقدم لا ينسخ المؤخر باتفاق علماء هذا الفن، وما احتج به القائل من أن ترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف صحيح لكن لا قائل بأن آية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا ﴾ إلخ نزلت بعد هذه الآية التي نحن بصددها، ولأن سياق التنزيل ينافيه وسياق النظم يأباه.."[1]

تباينت وجهات نظر أهل العلم في الآية 52 من سورة الأحزاب، حيث ذكر لها النحاس(ت: 338هـ) ثمانية أقوال للعلماء[2]، وذكر ابن الجوزي قولان خلاصتها: قول الأول: أنها منسوخة بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ﴾، وقول الثاني: إنها محكمة، وفيها قولان:

أحدهما: إنّ اللّه تعالى أثاب نساءه حين اخترنه بأن قصره، عليهنّ فلم يحلّ له غيرهنّ، ولم ينسخ هذا، والثّاني: أنّ المراد بالنّساء هاهنا، الكافرات ولم يجز له أن يتزوّج بكافرةٍ.[3]

وبناء على القول الثاني ردّ الملا الحويش أسبقية ترتيب الآية 52 على الآية 50 زمنيا مستدلا بمخالفته لسياق التنزيل وسياق النظم.

---

[1]- بيان المعاني، ملا حويش، 485/5.

[2]-ينظر: الناسخ والمنسوخ، النحاس، 627-628.

[3]-ينظر: نواسخ القرآن، ابن الجوزي، ص428-433.

- **معيار أسباب النزول:**

مثال: عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴾[النساء: 51-52].

ذكر المفسر سبب نزولها، فقال: "وهذه قصة أخرى من سيئات اليهود التي عملوها سابقا فيما بينهم يخبر الله تعالى رسوله بها وهي أن حيي بن أحطب وكعب بن الأشرف ذهبوا إلى مكة بعد واقعة أحد في سبعين رجلا من أصحابهم ليحالفوا قريشا على حرب رسول الله ﷺ التي أخزاهم الله به وشقت شملهم كما مر في الآية 24 فما بعدها من سورة الأحزاب ونقضوا عهدهم معه، فقالت لهم قريش إنا لا نأمن أن يكون هذا مكرا منكم، فإن أردتم أن تسجدوا لهذين الصنمين فنختبر صدقكم فسجدوا، قالوا اسم الصنمين جبتا وطاغوت، فذلك قوله تعالى (يُؤْمِنُونَ) إلخ فتعاهدوا عند البيت على قتاله ﷺ، ثم قال أبو سفيان لكعب كيف أنتم يا أهل الكتاب نحن أميون لا نعلم أن محمدا أهدى أم نحن؟ قال اعرض عليّ دينك، فقال نحن ننحر للحجيج الكرماء الناقة كثيرة اللحم مرتفعة السنام ونسقيهم الماء ونقري الضيف ونفك العاني ونصل الرحم ونعمر البيت ونطوف به ونحن أهل الحرم ومحمد من علمت، فقال أنتم أهدى سبيلا مما عليه محمد، فأنزل الله هذه الآية"[1].

ثم عقب قائلا: "..ويفهم من هذا أن هذه الآية نزلت بعد حادثة أحد وقبل الأحزاب فتكون متقدمة في النزول على ما قبلها كآية اليتيم المارة آنفا، ولا مانع، لأن الآيات التي نزلت بالحوادث أو بغيرها قد تتقدم على سورها وقد تتأخر كما ذكرناه غير مرة، وإن كلا منها توضع بمحلها كما هي الآن في المصاحف وفاقا لما هو عند الله بأمر من حضرة الرسول وإشارة من جبريل الأمين عليهما الصلاة والسلام.."[2].

وتجدر الإشارة أن هذه الروايةُ في سببِ نزولِ قولِه تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ

---

[1]- بيان المعاني، ملا حويش، 565/5.

[2]- المرجع نفسه، 565/5.

ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [النساء: 51-52]، التي اعتَمَدَها الملا حويش، لأنها توافقُ هواه، رواية ضعيفة، مذكورة في بعضِ التفاسير[1] وقد ذكر نحوها في كتب أسباب النزول بأسانيد كلها ضعيفة[2].

المطلب الثالث: أثر ترتيب النزول في تفسير (بيان المعاني):

لم يكن من السهل الوقوف على أثر سلوك هذه الطريقة في تفسير الملا حويش، لسببين اثنين:

الأول: عدم وضوحها، والثاني: عدم عناية المؤلف بإبرازها، بل ترك القارئ يتحسس ذلك الأثر بين السطور علّه يظفر بالنزر اليسير منها، إن وجد.

وعليه يمكن تسجيل النقاط التالية:

أولا: تضعيفه للحديث الصحيح بسبب ترتيب النزول:

ضعف الملا حويش بعض الأحاديث الصحيحة وأنكر ثبوتها، وذلك إما بسبب ترتيب النزول الذي اعتمده في تفسيره، أو شيئ آخر لا يتعلق بترتيب النزول[3].

وما يهمنا هنا هو تضعيفه للحديث الصحيح بسبب عدم موافقته للترتيب الذي ارتضاه، وهذا لا شك مما يأخذ على تفسيره، وينقص من قيمته العلمية.

المثال: ما قاله عند تفسير سورتي الفلق والناس، فقد نفى أن تكونا نزلتا في المدينة عندما سحر النبي ﷺ، بل أنكر أن تكون تلك الرواية التي وردت في البخاري ومسلم صحيحة، فقال: " وما قيل أنه ﷺ سحر من قبل اليهود في المدينة وصار يتعوّذ بهما ولم يزل حتى برىء، فبعيد عن الصحة، لأن هاتين السورتين نزلنا بمكة في أوائل البعثة ولا خلطة له ولا مراجعة مع اليهود حتى يغتاظوا منه فيسحروه وكيف يسحر وهو معصوم بعصمة الله، وقد نفى الله عنه وصفه بالسحر وحماه من السحرة وغيرهم، وعليه

---

[1]- منها: تفسير الطبري، والمحرر الوجيز والتحرير والتنوير..وغيرها.

[2]- ينظر: الاستيعاب في بيان الأسباب، سليم بن عبد الهلالي، ومحمد بن موسى آل نصر، دار ابن الجوزي، م ع س، ط1: 1425هـ، 1/405-410.

[3]-ينظر: تفاسير القرآن الكريم حسب ترتيب النزول، طه محمد فارس، ص634.

فكل ما ورد في هذا لا عبرة به ولا قيمة لناقليه البتة، وما قيل أن المعوذتين نزلتا بالمدينة لا صحة له، لأن القول المعتمد أنهما مكيتان وأن تعوذه بهما استدار للأمر به من سحر وعين وحسد وغيرها له ولأمته الى يوم القيامة، أما كونه ﷺ سحر في المدينة وصار يتعوذ بهما من السحر فغير صحيح"[1].

فالملا حويش ينفي قصة سحر النبي، ولعل دافع لقول ذلك هو تنزيه النبي وتأكيد عصمته ﷺ مستبعداأن تكون سببا لنزول المعوذتين، واستدل لذلك بترتيب المعوذتين ضمن السور المكية، وفيما يلي مناقشة ما ذهب إليه:

– مناقشة:

– حادثة سحر النبيﷺ:

هذه المسألة اختلف فيها المفسرون، بين ناف ومثبت، ولكل أدلته، ليس هذا موضع تفصيلها، وخلاصتها: ثبوت الواقعة بدليل روايتين:

الأولى: عن زيد بن أرقم ﷺ؛ قال: سحر النبيَّ ﷺ رجل من اليهود، قال: فاشتكى؛ فأتاه جبريل فنزل عليه بالمعوذتين، وقال: "إن رجلًا من اليهود سحرك، والسحر في بئر فلان"، قال: فأرسل عليًّا فجاء به، قال: فأمره أن يحل العقد ويقرأ آية، فجعل يقرأ ويحل حتى قام النبي ﷺ كأنما أنشط من عقال، قال: فما ذكر رسول الله ﷺ لذلك اليهودي شيئاً وما صنع به، قال: ولا أراه وجهه"[2].

الثانية: عن عائشة –رضي الله عنها–؛ قالت: سحر رسولَ الله ﷺ يهودي من يهود بني زريق، يقال له: لبيد بن الأعصم، قالت: حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم –أو ذات ليلة– وهو عندي؛ دعا رسول الله ﷺ، ثم دعا ثم دعا، ثم قال: "يا عائشة! أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيه فيه؟ أتاني رجلان، فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للذي عند رجلي –أو الذي عند رجلي للذي عند رأسي–: ما وجع

---

[1] –بيان المعاني، ملا حويش، 185/1.

[2]–الاستيعاب في بيان الأسباب، 589/3. وقال المؤلفان: سنده صحيح، والحديث أخرجه النسائي في "المجتبى" (7/ 112، 113)، وفي "الكبرى" (2/ 307 رقم 3543)، وعبد بن حميد في "المسند" (1/ 247 رقم 271 – منتخب) –وهذا لفظه–، وأحمد (4/ 367)، وابن أبي شيبة في "المصنف" (8/ 29، 30 رقم 3569)، والطبراني في "المعجم الكبير" (رقم 5016)، والطحاوي في "مشكل الآثار" (رقم 5935) من طريق أبي معاوية عن الأعمش عن يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم به.

الرجل؟ فقال مطبوب، قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أي شيء؟ قال: في مشط ومشاطه، وجف طلع نخلةٍ ذكر، قال: وأين هو؟ قال: في بئر ذي أروان (وفي رواية: ذروان) "، قالت: فأتاها رسول الله ﷺ في أناس من أصحابه، فجاء فقال: "يا عائشة! والله لكأن ماؤها نقاعة الحناء، وكأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين"، قالت: فقلت: يا رسول الله! أفلا استخرجته؟ (وفي رواية: أفلا أحرقته؟)، قال: "لا، أما أنا؛ فقد عافاني الله، وكرهت أن أثير على الناس فيه شراً؛ فأمرت بها فدفنت"[1].

وتجدر الإشارة أن الروايتين لم تذكر أن واقعة سحر النبي سبب نزول المعوذين، ومن هنا نشأ الخلاف، ولكن هذا لا يبرر ردّ الأحاديث الصحيحة، التي دلت على صحة الواقعة، وقد"شاءَ اللهُ أَنْ يُسحرَ رسولُه ﷺ، وذلك تأكيدٌ لبشريَّتِه وضعْفِهِ؛ لأَنَّ كُلَّ بشر مخلوقٌ ضَعيف، تؤثَرُ فيه الأَسبابُ بأَمْر الله... وشاءَ اللهُ أَنْ يُؤَثِّرَ هذا السحرُ في الجانبِ المادِّيِّ من رسولِ الله ﷺ، أَيْ أَنَّه أَثَّرَ في جِسْمِهِ فقط، ولم يُؤَثِّرْ في عَقْلِه وإدراكِه، كما أنه لم يُؤَثِّرْ في رسالتِه أَو الوحيِ الذي يَتَلَقّاهُ من الله، ولم يُؤَثِّرْ في عبادَتِه ودعوتِه وذِكْرِه لله..أَقصى ما أَثَّر فيه السحرُ كما أَخْبَرَتْ عائشة – رضي الله عنها – أَنه كانَ يُخَيَّلُ إليه أَنه فعل الشيءَ وما فعلَه، ولم يستمرَّ هذا فيه طويلاً، حيثُ كانَ ﷺ يلجأُ إلى الله، يَدْعوهُ ويتضرَّعُ إليه، كي يُذهبَ عنه ما أَثَّر فيه.."[2].

– سبب نزول المعوذتين:

اختلف المفسرون قديما وحديثا، حول اعتبار واقعة سحر لبيد بن أعصم اليهودي للنبي سببا لنزول المعودتين من عدمه، فمن القائلين به: النيسابوري والواحدي، ابن عطية، والشنقيطي والجزائري والزحيلي، ومن الذين رأوا عدم تعلق نزول المعوذتين بسبب: الطبري والزمخشري والقرطبي، وسيد قطب، وابن عاشور، ودروزة والملا حويش، وحبنكة والجابري[3]. والصحيح الذي ذهب إليه المحققون هو: أن حادثة سحر النبي ليست سببا لنزول المعوذتين، لأن كل ما روي فيهما ضعيف لا يعتدّ به.

---

[1] –الاستيعاب، 589/3. والحديث أخرجه البخاري في "صحيحه" (رقم 3175، 3268، 5765، 5766، 6063، 6391)، ومسلم في "صحيحه" (رقم 2189).

[2] –القرآن ونقض مطاعن الرهبان، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط1: 1428 هـ – 2007 م، ص672.

[3] –ينظر لمزيد من التفصيل في المسألة: مقال "موقف المفسرين من سبب نزول سورتي المعودتين"، سامي محمد هشام عبد الشكور احريز، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، المجلد 41، الملف3، 2013م.

- المعوذتان مكيتان أم مدنيتان:

اختلف المفسرون في مكية المعودتين أم مدنيتهما، فمنهم من قال بأنهما مدنيتان بناء على سحر لبيد بن الأعصم للرسول، ومنهم من قال بأنهما مكيتان، ومنهم من حكى الخلاف ولم يرجح.

وفَصْلُ الخِطَابِ فِي هَذِهِ المسأَلَةِ[1]: أنهما مدنيتان، واستدل المحققون بحديثين صحيحين:

الأول: حديث عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: "ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قطّ؟ قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس"[2]، وراوي الحديث عقبة بن عامر الجهني ﷺ ممن أسلم بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة وكان من أهل الصفة. وقول النبي (أنزلت الليلة) يدل على حداثة نزولها عند التحديث.

والآخر: حديث أبي سعيد الخدري، قال: "كان رسول الله ﷺ يتعود من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعودتان فلما نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما"[3]. وأبو سعيد الخدري ﷺ من طبقة صغار الأنصار من لدات عبد الله بن عمر وأنس بن مالك، قدم النبي ﷺ وهو غلام.

وخلاصة القول: أن الملا حويش لو تحرى الدقة في سبب النزول لعلم أنه لا يصح في نزول المعوذتين شيئ، وبالتالي لا حاجة لإنكار مدنيتهما، أما مسألة سحر لبيد بن أعصم للرسول ﷺ فثابتة في الصحيحين كما سبق بيانه ولا مجال لانكارها.

ثانيا: أثر ترتيب النزول في رد القول بالنسخ:

تقدم الحديث عن مسألة النسخ عند الحديث عن دوافع الملا حويش لاختيار ترتيب النزول في تفسيره، وأنه يرى عدم النسخ في القرآن الكريم مطلقا، والحديث عن النسخ هنا هو من جانب آخر وهو أثر ترتيب النزول على إبطال النسخ وتطبيقاته، فمن آثار هذا الموقف:

- استدلاله بترتيب النزول لتبرير موقفه، وعليه يمكن اعتبار"إبطال النسخ" أثرا من آثار ترتيب النزول لدى الملا حويش، ظهر ذلك جليا في أقواله المذكورة آنفا، وقد فصلنا القول فيها فلا حاجة لإعادتها.

---

[1] -ينظر: قرة العينين بتفسير المعوذتين، عبد العزيز داخل المطيري، معهد آفاق التيسير، الرياض، ط1: 1438هـ، ص15-16.

[2] - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب فضل قراءة المعودتين، ح(264)، 558/1.

[3] - صحيح الترمذي، ح(2058)، 58/5، صححه الألباني.

- **رده لنسخ ثابت:**

حيث هداه ترتيبه المختار–حسب ظنه– إلى ردّ النسخ في بعض الآيات الثابت نسخها عند العلماء، ومن أمثلة ذلك عدة المتوفى عنها زوجها: فقوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[البقرة: 240] الآية، منسوخ بقوله ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ ﴾[البقرة: 234] [1].

يقول الملا حويش بعد تفسيره للآيتين:

"ومن قال إن هذه الآية منسوخة بالآية الأولى المبينة أن عدة الوفاة أربعة أشهر وعشرة أيام لأن الأمر فيها للوجوب لا وجه له لأن المقدم لا ينسخ المؤخر إجماعا، وما احتج به القائل بالنسخ على ظن أن هذه الآية التي نحن يصددها متقدمة في التلاوة متأخرة في النزول عن الآية الأولى.. يحتاج إلى دليل قطعي ولا شيء من ذلك، وغاية ما قاله المفسرون انها متقدمة في المعنى، وهذا لا يضر ولا ينطبق عليه ما نحن فيه، .. لأن القائل لا يستند إلى دليل يؤيد قوله ولا إلى نقل صحيح، ولو فرضنا جدلا وقلنا إنها متقدمة في المعنى لا نقول بالنسخ لعدم وجود شرطه وهو التقدم نزولا وتلاوة ورتبة.."[2].

- **رده لنسخ غير ثابت بحجة ترتيب النزول:**

كما ردّ نسخ آيات ثبت عدم نسخها، مدعيا أنه توصل إلى عدم نسخها بفضل ترتيب النزول من ذلك: قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾[الشورى:23] ولا معنى لقول من قال إن هذه الآية منسوخة بآية ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ ﴾[سبأ: 47]المارة، وهي آية مقدمة في النزول على هذه الآية لفظا ورتبة ومن المعلوم أن المقدم لا ينسخ المؤخر"[3].

---

[1]– ينظر:الناسخ والمنسوخ، النحاس، ص 239.

[2] –بيان المعاني، ملا حويش 206/5، و37/4.

[3]– المرجع نفسه، 37/4.

وقد ذكر هذا السخاوي (ت: 643هـ): "وقالوا في قوله عز وجل﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ ﴾ [الشورى: 23]، هو منسوخ بقوله عز وجل في سورة سبأ ﴿قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ ﴾ [سبأ: 47]، وهذا غير صحيح، لأن سبأ نزلت قبل الشورى فتكون آية الشورى قد نزلت منسوخة"[1].

وحاصل القول: إن الملا حويش لم يأت بجديد، فما زعم أنه توصل إليه عن طريق ترتيب تفسيره حسب النزول في مسألة إبطال النسخ لا أساس له من الصحة، أما رده لنسخ غير ثابت، فقد سبق إليه دون الحاجة إلى ترتيب السور حسب النزول، وعليه يتبين عدم تحقق هدف المؤلف الذي أعلن عنه غير مرة في تفسيره.

ثالثا: أثر ترتيب النزول في رد أقوال بعض المفسرين:

من ذلك ما قاله بعد أن أورد الأقوال الواردة في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ﴾[الأعراف: 152]، "ومن قال إن المراد بهم اليهود الذين في زمن المصطفى ﷺ ومن قال ان المراد بهم أولاد الذين عبدوا العجل على عهده ﷺ، وفسر الغضب بعذاب الآخرة مطلقا والذلة بالجزية، ومن قال أن الآية على حذف مضاف أي سينال أولادهم ذلك يأباه سياق التنزيل، ولا يوجد ما يؤيده من أمارة أو دليل، لأن هذه الآية مكية بالاتفاق ولم يوجد في مكة بين الرسول واليهود أخذ، وردّ، وإنما هذا من جملة ما قصه الله على رسوله من أخبار الماضين، وهذه الأقوال ناشئه من عدم النظر إلى ترتيب نزول السور"[2]

مثال آخر:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾[الأعراف: 204]، قال بعد أن سرد أقوال المفسرين: "وأضعف من هذه الأقوال القول بأنها نزلت في السكوت

---

[1] –جمال القراء وكمال الإقراء، السخاوي، أبو الحسن علي بن محمد الهمداني، تحقيق: مروان عطية ومحسن خرابة، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ط1: 1418هـ-1997م، 460/1.

[2]– بيان المعاني، ملا حويش، 425/1.

عند الخطبة يوم الجمعة، لأن هذه الآية مكية قطعا وإنما وجبت الجمعة في المدينة، تأمل هذا واعرف مزية هذا التفسير الذي جاء على ترتيب نزول القرآن وعرفك المقدم والمؤخر، وإلا لغرقت في أقوال ينسيك آخرها أولها ولا رتبكت واحتججت بروايات تضارب إحداها الأخرى"[1].

رابعا: أثر ترتيب النزول في المناسبات بين السور:

إن من أهم المسائل الوثيقة الصلة بعلم المناسبات، مسألة ترتيب سور القرآن وآياته، وهو متوقف على القول بتوقيفية الترتيب من عدمه.

وقد تضمنت كتب التفسير قديمها وحديثها صورا من المناسبة بين السور والآيات حسب ترتيبها في المصحف الشريف، على ما بينها من تفاوت كائن من جهة الاقلال، والاكثار، وقوة الربط وضعفه، وإن كان الباحثين لاحظوا أن الكثير منها فيه تكلف واضح، فكيف يكون الأمر إذا كان استنباط وجوه المناسبة بين السور مرتبة زمنيا حسب النزول، كما فعل أصحاب التفاسير حسب ترتيب النزول.

أما الملا حويش فيرى وجود مناسبات بين الآيات والسور وخاتمتها في كلا الترتيبين المصحفي والنزولي، وما يهمنا هنا المناسبة بين السور حسب ترتيب النزول فقط دون غيرها، يقول في هذا السياق: "قد يكون بين كل سورة والتي تليها مناسبة على ترتيب النزول، وقد يكون أيضا على ترتيب المصاحف"[2]

ومع ذلك لم نرى له عناية بابراز المناسبة بين جميع السور، بل لا يذكر المناسبة إلا نادرا، من ذلك: ربطه بين سورة المعارج وسورة الحاقة التي قبلها في الترتيب النزولي، حيث قال في مقدمة تفسير سورة المعارج: "قال تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾[المعارج: 1] لما خوف حضرة الرسول قومه بعذاب الله وعظمه أمامهم إذا هم لم يؤمنوا ويكفوا عما يصمونه به من الشعر والكهانة المشار إليهما في السورة المارة، ولهذه المناسبة قد نزلت هذه بعدها، لأن ما بين كل سورة وأخرى لا بد من وجود مناسبة"[3]، وهذا اجتهاد منه، قد يستسيغه القارئ، أما الباحثين من أهل الاحتصاص فلا يسلمون له، لسبب واحد وهو: عدم صحة مستند ترتيب النزول[4].

---

[1]- بيان المعاني، ملا حويش، 480/1.

[2]- المرجع نفسه، 275/1.

[3]-المرجع نفسه، 406/4، وانظر كذلك: 163/4.

[4]-ينظر: تفاسير القرآن حسب ترتيب النزول، طه فارس، ص362.

خامسا: أثر ترتيب النزول في توجيه المتشابه:

من أمثلتها: توجيه قوله تعالى: "ثلاث ليال" في سورة مريم، و" ثلاثة أيام" في سورة آل عمران، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴾[آل عمران: 41]

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ﴾ [مريم: 10]

يقول الملا حويش: "كلمة سويا تفيد معنى آخر وهو ما ذكرناه من أن الليالي مع أيامها كاملات والعرب تتجوز أي تكتفي بذكر أحدهما عن الآخر ولهذا جاء هنا ليالي وفي آل عمران أيام، والنكتة في ذكر الليالي هنا والأيام هناك، أن هذه السورة مكّيّة سابقة النزول، وتلك مدنية متأخرة النزول، والليالي عندهم سابقات الأيام لأن شهورهم وسنيهم قمرية تعرف بالأهلّة، ولذلك اعتبروها بالتاريخ"[1].

وما قيل عن المناسبة بين السور يقال هنا، فإنها اجتهادات من المفسر لا غير.

سادسا: أثره في استنباط بعض اللطائف التفسيرية: ومن أمثلتها ما يلي:

-استنتج المفسر من ترتيب نزول قوله تعالى: "واسجد واقترب" إلى غاية سورة الإسراء، أن المراد بالصلاة ركعتين قبل فرض الصلوات الخمس، ولكن قوله هذا ليس جديدا، فبالعودة إلى تفاسير السلف نجدإشارات للمفسرين إلى مثل هذه اللطائف، كما في محاسن التأويل للقاسمي، وقد ذكر قول ابن حجر أن ذكر الصلاة في السورة لا يدل على أن بقيتها نزل بعد فرض الصلاة، فقد كان للنبي ﷺ وأصحابه صلاة قبل أن تفرض الصلوات الخمس المعروفة[2].

وينبغي التنبيه هنا أن جل الفوائد التي زعم أنها متعلقة بترتيب النزول حشو لا فائدة فيه، وهذا واضح يستطيع القارئ إدراكه دون عناء، والأمثلة على ذلك كثيرة لا يمكن حصرها فلذلك أكتفي بمثال واحد وأشير إلى مواضع أخرى في التفسير[3].

المثال: يقول الملا حويش: "ثم بين تلك الأيام التي ذكرنا أنها تحتاج إلى التبيين بقوله جل قوله ﴿

---

[1]- بيان المعاني، ملا حويش، 141/2.

[2] -ينظر: محاسن التأويل، القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1418هـ، 515/9.

[3]- بيان المعاني، ملا حويش، 45/3،

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾[البقرة: 185] جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، وهذا من التدريج أحد أنواع البديع إذ لم يذكر نزوله في هذه الآية ليلا أم نهارا، ثم أنزل قوله تعالى ﴿لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾[الدخان: 3] أول سورة حم الدخان في ج 2 ولم يذكر أي ليلة هي فأنزل الله ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: 1] هكذا ذكر الإمام الغزالي في إحيائه. على أن نزول سورة القدر قبل نزول حم الدخان، ونزولهما في مكة، والآية التي نحن بصددها نزلت في المدينة بعد سنين، فلا يتجه هذا بحسب النزول، أما على ترتيب القرآن فلا قول فيه، تأمل"[1].

من خلال هذه الأمثلة يتبين أن هذه الفوائد وغيرها يمكن استخلاصها من القرآن الكريم، دون اللجوء إلى ترتيب السور بحسب النزول، وكتب التفسير وعلوم القرآن حافلة بمثل هذه الفوائد، والدراسات العلمية في هذا المجال أكثر من أن تحصى.

من ذلك-مثلا- ما نبه إليه الشنقيطي(ت: 1399هـ) في تفسير قوله تعالى ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: 19]. أن ورود الحث على السجود في أول الأمر-يقصد أوائل ما نزل- يدل على أهمية الصلاة[2].

ومن ذلك-أيضا- الفائدة الجليلة التي استنتجها أحد الباحثين في حق النبي ﷺ، حين قارن بين سورتي القلم والضحى، بالنظر إلى ترتيب نزولهما، فقال: "..وأول ما يتبدى من المقارنة هو أن أول ما نزل على النبي ﷺ من الثناء، ذلك الثناء العظيم في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم: 4] في سورة القلم، فإذا ما قارنَّاه بقوله في سورة الضحى: ﴿مَاوَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَىٰ﴾[الضحى: 3] نرى التناسب الذى ينبنى بعضه على بعض، فلا يعقل أن يقال له إنك أعلى صاحب خلق وأعظمه، ثم يقال له: لقد ودعك ربك وأبغضك، فكانت الأولى دليلاً على بعد الثانية عقلاً وواقعاً"[3].

---

[1]- بيان المعاني، ملا حويش ، 130/5.

[2]- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجنكي، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1415هـ-1995م، 29/9.

[3]- السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات القرآنية، الدبيسي، محمد بن مصطفى بن عبد السلام، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، إشراف الدكتور عفت الشرقاوي، عام 1431هـ-2010م، ص 312.

وعليه فإن المتفحص لتفسير الملا حويش لا يلمس أي أثر لتفسير القرآن حسب ترتيب النزول، فلو أعيد ترتيب سوره وفق ترتيب المصحف لما شعرنا بالفرق، لأنه بكل بساطة، تناول السورة وحدة كاملة كما تناولها غيره من المفسرين، الذين التزموا ترتيب المصحف، دون تغيير لمواضع آياتها، التي نعلم يقينا أن نزولها كان نجوما متفاوتة في الزمن، فقد تنزل مطلع السورة وتضل مفتوحة، وتنزل أخرى، وهكذا كلما نزلت آية أو آيات أمر النبي كتبة الوحي بوضعها في مكانها.

ويظهر جليا أن الملا حويش كان واعيا بمخاطر ترتيب النزول، حيث يعثر القارئ لكتابه على تنبيهات من حين لآخر، تنم على توجسه فيما ذهب إليه، منها قوله عند تبريره لتناول الجزء الثاني من سورة العلق مع تفسير أولها رغم اقراره باختلاف زمن نزولهما، فيقول تحت عنوان "سبب عدم انفراد الآيات عن سورها": " وهكذا فإننا نشير إلى الآيات التي نزلت مع سورها ونبين محالها، لأنا إذا أفردناها على حدة-كما فعل الجابري مثلا- يتبعض نظام القرآن وهو منزه عن التبعيض ويتغير نسق السورة وهو منهي عنه شرعا لأن ترتيبه توقيفي..ولهذا السبب لم نفرد الآيات التي نزلت منفردة عن سورها بل نثبتها في سورها ونكتفي بإلماع إليها"[1].

وفي السياق نفسه يقول: " ولئلا يختل النظم المبرأ من كل خلل أبقيت الآيات المدنيات في سورها المكيات، والآيات المكيات في سورها المدنيات وأشرت إلى كل في محله حسب المستطاع، إذ لا يمكن أن يشار إلى كل آية بزمنها، أي زمن نزولها"[2].

وعليه وبناء على ما سبق يظهر لنا تبدد آمال الملا حويش فيما أمله من سعة انتشار كتابه، لتفرده كما زعم، ووصفه بالسفر البديع الصنع الذي لم يسبق إلى مثله[3]، وعدم جدوى طريقته في تناول السور حسب ترتيب نزولها في تفسيره المسمى"تفسير المعاني".

خلاصة المبحث:

-تفسير الملا حويش لم يحقق أهدافه من سلوكه منهج ترتيب النزول.

-لا أثر لترتيب النزول في فهم وتفسير القرآن الكريم من خلال تفسير "بيان المعاني".

---

[1]- بيان المعاني، ملا حويش، 59/1.

[2] -المرجع نفسه، 26/1.

[3] -ينظر: المرجع نفسه، 523/6.

المبحث الثاني: تفسير "معارج التفكر ودقائق التدبر" لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني

المطلب الأول: التعريف بالمفسر وكتابه:

أولا: ترجمة عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني[1]:

1-اسمه مولده ونسبه: هو عبد الرحمن بن حسن حبنكة[2] الميداني، ولد سنة 1345 هـ/1927م، في حي الميدان في مدينة دمشق، وأبوه فضيلة الشيخ حسن حبنكة الميداني من كبار علماء دمشق.

2-علومه: نشأ عبد الرحمن حبنكة الميداني في بيت فضل وعلم، تخرج من مدرسة والده(التوجيه الإسلامي)سنة 1947م، وأسند إليه تدريس مواد مختلقة في الفقه والأصول والتوحيد، والمنطق، والبلاغة، ثم انتسب إلى كلية الشريعة في الأزهر سنة 1950م ودرس حتى حاز على الشهادة العالية في التدريس.م درس في ثانويات دمشق العلوم الشرعية، وعين مديرا للتعليم الشرعي في وزارة الأوقاف، وانتقل إلى العمل في المملكة العربية السعودية بعد عام 1967م، وعمل أستاذا في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض لمدة سنتين، ثم انتقل عمله إلى مكة المكرمة، فعمل أستاذا في جامعة أم القرى قرابة ثلاثين عاما، وأسند إليه تدريس مواد مختلفة في الثقافة الإسلامية، والغزو الفكري، والمذاهب الفكرية المعاصرة.

ولما بلغ السبعين عاما أعفي من العمل الرسمي، واختير في هذه الأثناء عضوا في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، كما اختير عضوا في مجلس هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية، وتوفي سنة 2004م

3-مؤلفاته: بلغت مؤلفات الرجل المطبوعة 35 كتاب في فنون معرفية مختلفة، وكل مؤلفاته أو أغلبها كبير الحجم، مما ينم عن ثروة فكرية ولغوية..نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

---

[1]- ينظر: عبد الرحمن حبنكة الميداني العالم المفكر المفسر(زوجي كما عرفته)، عائدة راغب الجراح، ص7-56.

[2]- لقب عائلته (حبنّكة): "هذا اللقب يرجع إلى عرب بني خالد الذين لهم منازل في بادية حماة من أرض الشام"، "ولعل لفظ(حبنّكة) تحريف بدوي للفظ حبكه أوحبّكه، بمعنى وثّقه.وقيل: إن أصل العبارة: حبُّ اللُّقا، أي حب اللقاء في الحرب.."ينظر: الوالد الداعية المربي الشيخ حسن حبنكة الميداني قصة عالم مجاهد حكيم شجاع، ص35.

1) العقيدة الإسلامية وأسسها

2) الأخلاق الإسلامية وأسسها

3) فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد

4) أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها

5) كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة

6) ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة

7) قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل

8) معارج التفكر ودقائق التدبر

ثانيا: التعريف بكتاب"معارج التفكر ودقائق التدبر":

هو تفسير لسور القرآن الكريم حسب ترتيب نزولها، جاء في 15 مجلدا، تحتوي على 11088 صفحة، في طبعته الأولى التي طبعتها دار القلم بدمشق.

وقد صدرت المجلدات الثلاثة الأولى(1-3) من هذا التفسير عام 1420هـ/2000م، وصدرت المجلدات الثلاثة (4-6) عام 1421هـ، والمجلدات (7-9 عام 1423هـ، والمجلدت(10-12) عام1425هـ، والمجلدت (13-15) عام 1427هـ، وقد اشتملت على تفسير السور المكية فقط، حيث أدركته المنية قبل إتمامه.

بنى المؤلف تفسيره وفق كتابه "قواعد التدبر الأمثل للقرآن الكريم" الذي قال عنه: "وبعد، فقد فتح الله عز وجل علي خلال تدبري الطويل لكتابه المجيد، باستخدام أربعين قاعدة من قواعد التدبر الأمثل لكتابه، قابلة للزيادة عليها، وهذه القواعد تقدم للمتدبرين أصول التفسير الأقوم للقرآن، ولم أجد في المفسرين من اهتم بالتزام مضمونها، ولا بالالتزام كثير منها"[1].

[1] – مقدمة تفسير معارج التفكر ودقائق التدبر، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط1: 1420هـ-2000م،ص5.

سبب التسمية: سمى المؤلف تفسيره بالتفصيل: "معارج التفكر ودقائق التدبر: تفسير تدبري للقرآن الكريم بحسب ترتيب النزول وفق منهج كتاب قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل"، ولهذا التسمية دلالات منها:

-أنه كتاب تدبر: معلوم أن التدبر هو مما أمرنا الله عز وجل به، فالتدبر في كلامه عز وجل من أنفع وسائل الفهم لكتاب الله، وقد أفاد المؤلف من كتابه: قواعد التدبر وكان تفسيره بمثابة تأصيلاً لمفاهيمه وتطبيقاً له.

- كلمة معارج: تعني مصاعد ومراقي: وهي تدل على الترقي بالفكر والتأمل والتدبر في آيات الله لحصول المقصود من إنزال القرآن الكريم، يقول ربنا عز وجل﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [ص: 29].ولعله أخذها من اسم سورة المعارج ومن سورة الزخرف، الآية: ﴿وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ﴾ [الزخرف: 33]

أما كلمة دقائق: فهي تعني خفايا وقضاياها الصعبة، تفاصيلها وجزئياتها، ويقال: دقّق في الشيئ: استعمل الدقّة، أنعم النظر فيه، ومحصّن، وكلها معان تدل على حجم الجهد الذي بذله المؤلف في كتابته لهذا التفسير، والقيمة العلمية للكتاب إن توافق المضون مع العنوان وهو ما يحاول البحث كشفه لاحقا.

ثالثا: مدخل إلى منهجه العام ومصادره في التفسير:

1-منهجه العام:

تناول المؤلف سور القرآن الكريم مرتبة حسب النزول، على النحو التالي:

-يبدأ بذكر اسم السورة، وترتيبها في المصحف وترتيبها في النزول، ومكيها ومدنيها، وسبب تسميتها في بعض الأحيان.

-يذكر نص السورة كاملا وماشتملت عليه من القراءات.

-يذكر ما ورد في السنة بشأن السورة، وسبب النزول إن وجد.

- ذكر موضوع السورة أو موضوعاتها.

-تقسيم السورة إلى دروس-بحسب طولها وقصرها، ويذكر موجزا عن الدرس وآياته.

-ثم يبدأ بالتدبر التحليلي لكل درس من دروس السورة: آية آية، بتوجيه القراءات الواردة فيها، وشرح مفرداتها، موضحا المعنى الإجمالي للآية، وما تضمنته من دروس، مستعينا بما روي عن النبي ﷺ، وأصحابه رضي الله عنهم، ثم بأقوال المفسرين في شأن الآية، ليختمها بالتنبيه على بلاغة الآية، وبعض الفوائد المستخلصة منها.

ومن خلال استقراء تفسير معارج التفكر، نستطيع إجمال معالم منهجه في التفسير في النقاط التالية:

-هو تفسير بالمأثور، بناء على القاعدة السابعة من قواعد التدبر التي سار عليها في تفسيره، فيقدم تفسير القرآن بالقرآن[1] ثم تفسير القرآن بالسنة، بحيث يعتمد على الصحيح منها على استثناءات قليلة، ويرد الضعيف والموضوع، ثم تفسير القرآن بما ورد عن الصحابة والتابعين مميزا بين المقبول منها والمردود.

-العناية بأسباب النزول الصحيحة والحسنة، وفق القاعدة الحادية عشر من قواعد التدبر، وفي ذلك يقول: "فكثيرا ما يلقي سبب النزول الذي صح سنده الضوء على المعنى المراد من النص القرآني"[2]، كما جعل لقبول سبب النزول شروطا وهي: صحة السند، وألا يتنافى مع تاريخ نزول النص، وأن يكون منسجما مع دلالات النص الواضحة[3]. ولم يخالف شرطه إلا في مواطن قليلة[4].

-له عناية بالمكي والمدنيّ، مع بيان الآيات المدنية في السور المكية، ويرجح ما يختاره إن كان فيها خلاف، بدليل من السنة أحياناإن وجد..وقد ذكر في كتابه" قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل" عدد السور المكية التي ضمت إليها آيات مدنية وهي (33) سورة، وعدد السور المدنية التي ضمت إليها آيات مكية هي (3) سور[5].

---

[1]- ينظر على سبيل المثال: معارج التفكر ودقائق التدبر، حبنكة، 136/1، 177/1-178، 185/1 وغيرها.

[2]- قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، 1989م، ص203

[3]- المرجع نفسه، ص 205

[4]- ينظر على سبيل المثال: معارج التفكر، المرجع السابق، 595/1، 114/2، 200/12، 11/13، وغيرها.

[5]- ينظر: قواعد التدبر الأمثل، حبنكة، ص185.

وقد بين الحكمة من ذلك فقال: "وقد وفقني الله للنظر التأملي فيها، فبدا لي أن الحكمة من ذلك مراعاة اقتضاءين: أحدهما فكري موضوعي، والآخر تربوي قائم على سنة التدرّج، ومراعاة حال المخاطبين...وإن الاقتضاء الفكري لا يمنع من تأخير البيان والتبليغ، مراعاة للاقتضاء التربوي، الذي ينبغي أن يقوم على أساس التدرج الحكيم"[1].

وقد انتقد قوله بوجود آيات مكية في سور مدنية، ولفضل عباس ردّ جميل، حيث نفى وجودها، وقال: "..فلا يعقل أن تنزل الآية في مكة المكرمة، وأن تبقى سنين طويلة لا مكان لها إلى أن تنزل السورة في المدينة المنورة، ثم توضع تلك الآيات، أو الآية أوالآيتان في تلك السورة، وننه هنا إلى ما استثنوه في السور المكية من الآيات المدنية يظهر فيه الغلو والتكليف في كثير من الأحيان..وفي أغلب الأحوال يكون هذا الاستناء لأسباب واهية، إما رواية ضعيفة، وإمّا ذكر كلمة وُهِم أنها ليست مما ينزل في مكة، وإما حمل بعض الكلمات على تفسير معين"[2] وهذه المسألة تحتاج إلى توضيح، أعود إليها لاحقا عند الحديث عن معاييره في ترتيب النزول.

-اعتنى بالقراءات وتوجيهها بما يخدم فهم المعنى، وذلك وفق القاعدة الأربعين من قواعد التدبر.

-موقفه من الإسرائيليات: قليلة جدا في تفسيره، يوردها ويبين خطأها وضعف سندها.

-له عناية شديدة بالجانب اللغوي والنحوي والصرفي والبلاغي.

-اهتم بالوحدة الموضوعية للسورة: حيث صدر كل سورة بموضوعها أو موضوعاتها، ثم يقسم السورة إلى دروس متكاملة ومتعانقة حول موضوع واحد.

-له عناية فائقة بالمناسبات بين السور حسب ترتيب النزول، سأتطرق إليها لاحقا.

-اهتمامه بالتفسير الموضوعي والتفسير العلمي، وبيان السنن الإلهية.

-اعتماده في القضايا العقدية على عقيدة أهل السنة والجماعة، مع ملاحظة خلو تفسيره من التطرق للعقائد المنحرفة.

-مناقشته لأقوال السابقين من مفسرين ونحويين وبلاغيين وغيرهم، ورده لكثير من الآراء وتخطئتها.

---

[1]-قواعد التدبر الأمثل، حبنكة ، ص185-187.

[2]- إتقان البرهان في علوم القرآن، فضل عباس، 389/1.

2-مصادره في التفسير: كثيرة، على تفاوت في تأثيرها ومقدار النقل عنها، وليس هذا موضع مناقشتها، وقد شملت:

أ-كتب التفسير: وأهمها تفسير الطبري، الكشاف للزمخشري، أحكام القرآن لان العربي، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ومفاتح الغيب للرازي، والمحرر الوجيز لابن عطية، والبحر المحيط لأبي حيان، ووتفسيرابن كثير، والتحرير والتنوير لابن عاشور.

وكان منهجه في التعامل مع مصادره: أن يعرض أقوال المفسرين، مع ذكر اسم المفسر وتفسيره، وغالبا يذكرها جملة، دون النص على أصحابها، ولم يكن حاطب ليل، بل يناقش ويرد، ولا يسلم لما ذكروه، ويتخذ لنفسه رأيا ومذهبا، الأمر الذي يدل على أدبه الجمّ، وغزارة علمه وقوة فكره وعقله[1].

ب-كتب الحديث: الموطأ، مسند أحمد، والكتب الستة، ومن شروح الحديث اعتمد على فتح الباري لابن حجر، وجامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي.

ج-كتب اللغة: الصحاح للجوهري، والدر المصون للسمين الحلبي، ومغني اللبيب ولسان العرب.

د-كتب السيرة والتاريخ: السيرة النوية لابن إسحاق، وفي التاريخ: قصص الأنبياء لابن كثير.

3-تقييم تفسير" معارج التفكر"وأثره فيمن بعده:

لا يختلف اثنان أن تفسير معارج التفكر "تفسير جم المنافع، زخر بكثير من العلوم المختلفة، بالإضافة إلى يسر عبارته وسهولة فهمها للقارئ، ولا يضيره أن وجدت بعض الملاحظات عليه، فالكمال المطلق لله وحده"[2].

-و"يعد الشيخ عبد الرحمن من الطبقة العالية من المؤلفين، كما يعد تفسيره من أجود كتب التفسير، خاصة وقد بذل فيه المؤلف جهدا خاصا أعمل فيه فكره، وكتبه بأسلوبه، ولم يملأه بالنصوص المنقولة عن المفسرين جمعا أو اختصارا للأقوال، بل ناقش وحلل واستخلص ما توصل بعد التدبر إلى

---

[1]- ينظر: منهج عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني في تفسيره"معارج التفكر ودقائق التدبر"، جهاد محمد النصيرات، عبيدة عبد الحكيم أسعد، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، المجلد 40، العدد 2، 2013، ص479.

[2]- منهج عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني في تفسيره(معارج التفكر ودقائق التفكر)، النصيرات، جهاد محمد/ أحمد، عبيدة عبد الحكيم، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، 2013م، ص493.

الترجيحات المتميز"[1].

وقد حظي تفسير معارج التفكر باهتمام كبير من قبل طلبة العلم، حيث كتبت حوله مقالات علمية، ودراسات أكاديمية كثيرة لا يمكن حصرها في هذا المقام، نذكر منها:

-منهج عبد الرحمن حبنكة في التفسير، صبرا نادي رسالة ماجستير في التفسير، الجامعة الأردنية، الأردن، 2006م.

- مقال:"ضوابط التفسير عند عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، أسماء عبد الرحمن زعيتر، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والقانونية، المجلد 14، العدد1، 2017.

- مآخذ على تفسيره: [2].

ذكرت بعض المآخذ على تفسير "معارج التفكر" على قلتها، نجملها فيما يلي:

- ترتيب النزول بدل ترتيب المصحف وهذا سأناقشه لاحقا.
- اهتمامه ببيان بعض المبهمات بالاستعانة بروايات إسرائيلية والكتاب المقدس.
- صعوبة الرجوع إلى النقول عن العلماء لعدم توثيقها في الغالب.

[1] -مقال: ملامح التفسير الموضوعي في معارج التفكر ودقائق التدر للشيخ الميداني، سورة ق نموذجا، عفاف عبد الغفور حميد، مجلة الحوث العلمية والدراسات الاسلامية، العدد الثاني عشر، ص272.

[2]- ينظر على سبيل المثال: منهج عبد الرحمن حسن حبنكة، النصيرات، المرجع السابق، ص494.

- كثرة الإحالات إلى كتبه أو إلى كتب غيره.
- إكثاره من جعل آيات مدنية في سور مكية دون تحقيقها.
- كثرة الاستطرادات مما يثقل التفسير بما ليس منه، تحت عنوان ملاحق تدبر السورة.[1]

المطلب الثاني: منهجه في ترتيب النزول:

أولا: دوافعه لاختيار ترتيب النزول:

أفصح المؤلف عن الأسباب والدوافع التي دفعته إلى كتابة تفسيره "معارج التفكر" على النحو الذي تقدم، إذ يرى أن ترتيب السور في المصحف اجتهادي وليس توقيفي على رأي الجمهور، وأن تريب النزول حق في معظمه، وفي ذلك يقول: "ولقد رأيت بالتدبر الميداني للسور أن ما ذكره المختصون بعلوم القرآن الكريم من ترتيب النزول، هو في معظمه حق، أخذا من تسلسل البناء المعرفي التكاملي، وتسلسل التكامل التربوي، واكتشفت في هذا التدبر أمورا جليلة تتعلق بحركة البناء المعرفي لأمور الدين، وحركة المعالجات التربوية الربانية للرسول ﷺ، وللذين آمنوا به واتبعوه، وللذين لم يستجيبوا لدعوة الرسول مترددين، أو مكذبين كافرين"[2]

وبين حبنكة في القاعدة التاسعة المعنونة ب"حول تتبع مراحل التنزيل"، الهدف من دعوته إلى ترتيب النزول في عملية التدبر، إذ يقول: "على متدبر كتاب الله أن يجتهد في تتبع مراحل التنزيل، ويبني فهمه على أساس تدرج التشريع، حتى لا يقع في خطأ اعتماد آية سابقة النزول في تدرج التشريع مع أنه قد نزل بعدها تكميل أو بيان كاشف لأحكام المرحلة اللاحقة"[3]

ويقول: "إن مراعاة مراحل التنزيل وأزمانه وملاحظاتها لدى التدبر تحمي من أخطاء تفسيرية قد يقع فيها بعض المفسرين، فبعضهم قد يأتي بقصص مدنية فيضعها شرحا أو سببا لنص مكي، ويحمّل بذلك النص القرآني ما لا يحمل.. وقد يأتي بحادثة مكية فيجعلها سببا لنزول نص مدني لا علاقة له بهذه الحادثة"[4].

ويضيف: "وحتى لا يقع في خطأ تصور معارضة الآية السابقة لما نزل بعدها في موضوعها الذي

---

[1]- ينظر على سبيل المثال: ملاحق في تدبر سورة المرسلات من تفسير معارج التفكر، 620/2-665.

[2]- المرجع نفسه، 5/1.

[3] -قواعد التدبر الأمثل، حبنكة، ص151

[4] -المرجع نفسه، ص152.

تعالجه من موضوعات التكاليف والأحكام، ووسائل التربية، وطرائق الإصلاح، وأساليب الدعوة، وألوان الجهاد"[1].

مما سبق تتضح دوافع حبنكة في تأليف تفسيره وفق ترتيب النزول، يمكن إجمالها في النقاط التالية:

1) اعتقاده أن ترتيب المصحف إجتهادي لا توقيفي.[2]

2) سبيل للتدبر، واستنباط قواعده.

3) اكتشاف حركة البناء المعرفي لأمور الدين، وحركة المعالجات التربوية الربانية للرسول ﷺ، وللذين آمنوا به واتبعوه، وللذين لم يستجيبوا لدعوة الرسول مترددين، أو مكذبين كافرين.

4) تجنب الخطأ في التفسير.

– مناقشة هذه الدوافع:

1) أما مسألة ترتيب المصحف، فقد تناولتها في مدخل الدراسة، وأوردت خلاف العلماء فيها، على ثلاث فرق، لكل فريق أدلته، وخلصنا بعد التحليل والمناقشة إلى ترجيح قول الجمهور المتمثل في توقيفية ترتيب القرآن الكريم في المصحف الشريف، فلا حاجة لإعادته هاهنا.

2) أما كون ترتيب النزول طريق للتدبر: فهذا صحيح لا ينكره من لديه أدنى بصيرة بكتاب الله، لاسيما وأن التدبر هو"تحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبره وتعقله"[3]، وهو كما قال حبنكة: "هو التفكر الشامل الواصل إلى أواخر دلالات الكلم ومراميه البعيدة"[4].

ولا شك أن هذا التدبر يورث الفهم والعمل بكتاب الله عز وجل، يقول ابن عاشور(ت: 1993هـ): "والتدبر: التفكر والتأمل الذي يبلغ به صاحبه معرفة المراد من المعاني"[5] وهو من آكد الواجبات على المسلم، بل هو الغاية من إنزال القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ

---

[1] – قواعد التدبر الأمثل، حبنكة ، ص151.

[2] – معارج التفكر، حبنكة، 6/1

[3] – نضرة النعيم، ابن القيم، ص909.

[4] – قواعد التدبر الأمثل، حبنكة، ص10.

[5] – التحرير والتنوير، ابن عاشور، 252/23.

لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[ص:29]، يقول المفسرون في معنى الآية: "وظاهر هذه الآية يعطي أن التدبر من أسباب إنزال القرآن"[1] .

وفي السياق نفسه يقول حبنكة: "..ليس الغرض من التدبر مجرد الترف العلمي، والافتخار بتحصيل المعرفة، والتوصل لكشف المعاني للتعالي بمعرفتها واكتشافها، إنما وراء الفهم غرض التذكر والعظة، والعمل بموجب العلم.."[2].

ولكن، أن تحصر عملية التدبر في الالتزام بترتيب النزول، ويؤلف تفسير ضخم على هذا الأساس، فهذا لا يسلم له به، أما أنه من الوسائل المساعدة على التدبر فنعم، هي كذلك، لأن أهل العلم ذكروا مجموعة من الوسائل المعينة على تدبر كتاب الله[3]، ومنها: ترتيب النزول.

3) إن استخدامه لعبارات عامة: (البناء التكاملي)، (التكامل التربوي)، (حركة البناء المعرفي)، (حركة المعالجات التربوية)، وهي عبارات غير واضحة المعالم ولا محدّدة الأهداف، ولامدعّمة بالأدلة والبراهين"[4]، فالمؤلف ترك للقارئ مهمة الكشف عن معانيها، ومقصوده منها، من خلال مطالعته للكتاب.

وفيما يلي نماذج من أقواله، علّها تجلي معاني تلك العبارات:

-بعدما ذكر المفسر آيات العزة وبين ترابطها، قال: "وهكذا ترابطت النصوص في القرآن كله حول هذه الجزئية ترابطا تكامليا، مع ارتباط كل سورة منها بعناصر السورة التي هو منها"[5].

---

[1]- المحرر الوجيز، ابن عطية، 503/4.

[2]- قواعد التدبر، المرجع السابق، ص9.

[3]- من المؤلفات التي اعتنت بذلك: كتاب الخلاصة في تدبر القرآن الكريم، خالد بن عثمان السبت، دار الحضارة، السعوية، ط1: 1437هـ-2016م.

[4]- القضايا العلمية في تفسير معارج التفكر ودقائق التدر للشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دراسة ونقد، باسم فارس أبو رميلة، ماجستير في أصول الدين، تخصص التفسير وعلوم القرآن، بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي في جامعة الخليل، سنة: 1440هـ/2019م، ص76.

[5]- قواعد التدبر الأمثل، حبنكه، ص26.

– وقوله: "وتتبع مراحل النزول للنصوص التربوية يكشف للباحث عن التدرج في الخطوات التربوية والتكرير في استعمال العلاج التربوي، بغية تأثيره والحصول على الفائدة منه، كالعلاج الدوائي في مجال الصحة الجسدية[1]".

4)يفهم من كلام حبنكة أن تفسير القرآن مرتبا كما هو في المصحف الشريف، يوقع المفسرين في أخطاء ثلاثة وهي:

- عدم مراعاة سنة التدرج في التشريع.
- تصور وجود التعارض بين آي القرآن الكريم.
- الاستعانة بسبب النزول في غير موضعه.

إن وجود هذه الأخطاء في كتب التفسير لا ينكره أحد من أهل العلم والدارسين لعلوم القرآن، لا سيما وأن من الخطأ –سواء المتعمد أو غير متعمد– ما يفسد مادة التفسير، ولكن السؤال المطروح هو: هل وجود بعض الأخطاء في بعض كتب التفسير يسوغ لنا تعميم الحكم على جميعها؟ وهل وقع فيه جميع المفسرين؟ الجواب: لا، لأن جل المفسرين أهل اختصاص، يدركون جيدا المسائل الثلاث التي ذكرها حبنكة.

ثم ما هي الأسباب التي أدت إلى وجود مثل هذه الأخطاء في بعض كتب التفسير، هل هو عدم الالتزام بترتيب النزول كما يرى حبنكة أم شيئ آخر؟

أما معرفة "تدرج التشريع"[2]، التي تعد من أبرز خصائص التشريع الإسلامي، والتي تفرد بها في معالجة فساد المجتمعات زمن نزول القرآن فقد حظيت بعناية فائقة من قبل العلماء، والمفسرين، يقول أحد الباحثين: ".. كان من خصائصه أنَّه جاء متدرجاً مع الزمن والأحوال، فلم ينزل دفعة واحدة كغيره

---

[1]– المرجع نفسه، ص 152.

[2]–كلمة التدرُّج عندما تطلق في التشريع الإسلامي يراد بها: نزول الشرائع في عهد النبي ﷺ متدرجة متفرقة، فكثير من أحكام القرآن لم تنزل جملة واحدة، بل كان الحكم يأخذ أطواراً عديدة حتى يصل إلى طوره الأخير، ينظر: تاريخ الفقه الإسلامي، عمر سليمان الأشقر، ص48.

من التشريعات السماوية السابقة، ولم يصدر في وقت واحد كما هو متبع في التشريعات الوضعية"[1] ويقول آخر: "إنَّ القرآن الكريم له مسلك خاص تفرد به في معالجة الأمراض الاجتماعية الخطيرة، وذلك باتباع سنة التدرُّج في تقرير الأحكام وتأكيدها"[2].

وذكر المؤلف أمثلة عديدة تبين أثر ترتيب النزول في معرفة التدرج وعدم الوقوع في الخطأ حسب تصوره، منها تحريم الخمر، تحريم الربا، فرض الجهاد، فرض الصلاة وغيرها، وكل ماذكره يصب في نوع واحد من أنواع التدرج وهو التدرج في تشريع الحكم الواحد، أما النوع الثاني " التدرج في الأحكام جملة" نحو"تشريع الصلاة في ليلة الإسراء قبل الهجرة بسنة، ثم تشريع الآذان والقتال وبعض أحكام النكاح كالصداق والوليمة في السنة الأولى من الهجرة، وفي السنة الثانية شرع الصوم وصلاة العيدين ونحر الأضاحي والزكاة، وحولت فيها القبلة وأحلت الغنائم للمجاهدين، وشرع قصر الصلاة في السفر والخوف في السنة الرابعة، وفيها أيضاً شرعت عقوبة الزِّنى وأنزل الله أحكام التيمم والقذف وفرض الحج، وهكذا إلى اكتمال التشريع"[3]، ورغم أن هذا النوع لا يقل أهمية عن النوع الأول، إلا أن المؤلف لم يعتن به في تفسيره.

ويستحسن هنا إيراد نموذج من كتب التفسير المرتب حسب ترتيب المصحف، لتبيين المقصود:

ولنمثل بمسألة "التدرُّج في تحريم الربا":

يقول ابن عاشور عند تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: 275].

"وأريد بالذين يأكلون الربا هنا من كان على دين الجاهلية لأن هذا الوعيد والتشنيع لا يناسب إلا التوجه إليهم لأن ذلك من جملة أحوال كفرهم وهم لا يرعوون عنها ما داموا على كفرهم. أما المسلمون فسبق لهم تشريع بتحريم الربا بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[سورة آل عمران: 130]، وهم لا يقولون إنما البيع مثل الربا، فجعل الله

---

[1]- مدخل في التعريف بالفقه الإسلامي، مصطفى شلبي، دار النهضة، ص75.

[2]- حكمة التشريع الإسلامي في تحريم الربا، يوسف حامد العالم، دار الصحوة، القاهرة، ط2: 1987هـ، ص 12.

[3]- تاريخ الفقه الإسلامي، عمر سليمان الأشقر، ص48.

هذا الوعيد من جملة أصناف العذاب خاصا للكافرين لأجل ما تفرع عن كفرهم من وضع الربا.

وتقدم ذلك كله إنكار القرآن على أهل الجاهلية إعطاءهم الربا، وهو من أول ما نعاه القرآن عليهم في مكة، فقد جاء في سورة الروم: 39: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾ وهو خطاب للمشركين لأن السورة مكية"[1].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[آل عمران: 130].

قال: "ويتجه أن يسأل سائل عن وجه إعادة النهي عن الربا في هذه السورة بعد ما سبق من آيات سورة البقرة- بما هو أوفى مما في هذه السورة، فالجواب: أن الظاهر أن هذه الآية نزلت قبل نزول آية- سورة البقرة- فكانت هذه تمهيدا لتلك، ولم يكن النهي فيها بالغا ما في- سورة البقرة- وقد روي أن آية البقرة نزلت بعد أن حرم الله الربا وأن ثقيفا قالوا: كيف ننهى عن الربا، وهو مثل البيع، ويكون وصف الربا ب أضعافا مضاعفة نهيا عن الربا الفاحش وسكت عما دون ذلك مما لا يبلغ مبلغ الأضعاف، ثم نزلت الآية التي في- سورة البقرة- ويحتمل أن يكون بعض المسلمين داين بعضا بالمراباة عقب غزوة أحد فنزل تحريم الربا في مدة نزول قصة تلك الغزوة".[2]

وهكذا نلاحظ أن التنبيه على قضية التدرج في التشريع عند تفسير آيات الأحكام، أمر ممكن دون الاضطرار إلى تفسير القرآن حسب ترتيب النزول كما فعل الطاهر بن عاشور وغيره من المفسرين، وهذا يدلنا على أن علم نزول القرآن كان معلوما لدى المفسرين وحاضرا في تفاسيرهم، ولم يقل أحدهم بضرورة تفسير القرآن مرتبا حسب النزول.

أما مسألة "تصور التعارض بين آي القرآن":

فإن مما ينبغي التنبيه إليه أن موضوع(التعارض وطرق دفعه) حاز عناية كبيرة لدى أهل العلم في عدد من علوم الشريعة، وكان محل دراسة عند جمع من الباحثين، وقد ظهر الاهتمام المبكر بهذا

---

[1] - التحرير والتنوير، 80/3.

[2] – المرجع نفسه، 84/4-85.

الموضوع، وتكلم فيه الصدر الأول من سلف الأمة فقال ابن عباس-بعدما سأله رجل عما يجد في القرآن من أشياء تختلف عليه وأجابه عنها: "لا يختلف عليك القرآن، فإن كلا من عند الله"[1].

وفي علم التفسير: "عقد المفسرون وأصحاب التآليف في مباحث علوم القرآن فصلا مستقلا ونوعا من أنواع علوم القرآن، سموه ب(معرفة موهم المختلف) عالجوا فيه قضية التعارض من حيث توهم وجوده في نصوص القرآن الكريم في ظاهر فهم الناظر، وبينوا صور التعارض وأنواع المرجحات[2]وأفرد بعضهم في هذا الشأن تآليف مستقلة"[3].

ويستحسن لتوضيح عناية المفسرين بهذه المسألة، وأنه لا يقتصر على التفاسير وفق ترتيب النزول، أن نعرض أمثلة من كتب التفسير، وليكن على سبيل المثال "المحرر الوجيز لابن عطية"، وننظر كيف تعامل مع ما يتوهم فيه التعارض:

المثال الأول: يقول بعد تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[المائدة: 118] "..لا تعارض على حال. فكأنه قال إن يكن لك في الناس معذبون فهم عبادك. وإن يكن مغفور لهم فعزتك وحكمتك تقتضي هذا كله. وهذا هو عندي القول الأرجح. ويتقوى ما بعده"[4].

المثال الثاني: يقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾[الأعراف: 34]

---

[1]- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب سورة حم السجدة، رقم(4537)، ينظر: التعارض وطرق دفعه عند ان عثيمين تأصيلا وتطبيقا، هشام بن محمد بن سليمان السعيد، بحث محكم مقدم لندوة جهود الشيخ محمد العثيمين العلمية، جامعة القصيم، السعودية، ص2185.

[2]- التعارض وطرق دفعه، هشام السعيد، ص2187، وينظر:البرهان للزركشي، 176/2، النوع الخامس والثلاثون(معرفة موهم المختلف)، والإتقان للسيوطي، ص533، النوع الثامن والأربعون(في مشكله وموهم الاختلاف والتناقض)، والقواعد الحسان للسعدي، ص37، القاعدة الثانية عشرة(الآيات القرآنية التي ظاهرها التضاد يجب حمل كل نوع منها على حال حسب ما يليق ويناسب المقام)، وقواعد في التفسير لخالد السبت، 695/2، المقصد الثالث والعشرون: موهم الاختلاف والتضارب.

[3]- المرجع نفسه، وذكر صاحب المقال: منهم علي النحوي المعتزلي المعروف بقطرب(ت: 206هـ) في كتابه(الردّ على الملحدين في متشابه القرآن)، وابن قتيبة(ت: 276هـ) في كتابه(تأويل مشكل القرآن)، والمحمد الأمين الشنقيطي(ت: 1393هـ) في كتابه(دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب).

[4]- المحرر الوجيز، ابن عطية، 263/2.

قال القاضي أبو محمد: وكأنه يظهر بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰٓ﴾[إبراهيم: 10]، ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰٓ﴾[نوح: 4] تعارض لأن تلك تقتضي الوعد بتأخير إن آمنوا والوعيد بمعاجلة إن كفروا.

قال القاضي أبو محمد: والحق مذهب أهل السنة أن كل أحد إنما هو بأجل واحد لا يتأخر عنه ولا يتقدم. وقوم نوح كان منهم من سبق في علم الله تعالى أنه يكفر فيعاجل، وذلك هو أجله المحتوم، ومنه من يؤمن فيتأخر إلى أجله المحتوم وغيب عن نوح تعيين الطائفتين فندب الكل إلى طريق النجاة وهو يعلم أن الطائفة إنما تعاجل أو تؤخر بأجلها، فكأنه يقول: فإن آمنتم علمنا أنكم ممن قضى الله له بالإيمان والأجل المؤخر، وإن كفرتم علمنا أنكم ممن قضي له بالأجل المعجل والكفر."[1]

المثال الثالث: قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾[سورة الأعراف 38-39]: "وهذه الآية وما شاكلها تعارض في الظاهر قوله تعالى حكاية عنهم ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[الأنعام: 23] واجتماعهما إما أن يكون في طوائف مختلفة أو في أوقات مختلفة يقولون في حال كذا وحال كذا". المحرر الوجيز 398/2.

أما إذا قصد التعارض في الناسخ والمنسوخ فقد نبه العلماء إليه، جاء في مناهل العرفان: "..النسخ ضرورة لا يصار إليها إلا إذا اقتضاها التعارض الحقيقي دفعا للتناقض في تشريع الحكيم العليم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وحيث لا تعارض هناك على الحقيقة فلا حاجة إلى النسخ لأنه لا تناقض ولا ريب أن إعمال الدليلين ولو بنوع تأويل خير من إعمال دليل وإهدار آخر"[2].

وعليه يتبين تهافت اتخاذ مسألة دفع التعارض مبررا لتفسير القرآن حسب ترتيب النزول خلافا لما درج عليه جمهور المفسرين.

أما "استعمال سبب النزول في غير موضعة"، فلا علاقة له بترتيب السور، سواء الترتيب النزولي أو الترتيب المصحفي، ويتعلق الأمر بتحري الصحة في مرويات النزول ليس إلا، وقد سبق بيان ذلك في الفصل الأول من هذا البحث[3].

---

[1]- المحرر الوجيز، ابن عطية، 396/2.

[2]- مناهل العرفان، الزرقاني، 178/2.

[3]- ينظر: الفصل الأول، المبحث الثاني.

ثانيا: ترتيبه المعتمد:

صرح حبنكة في تفسيره أنه اعتمد في معرفة ترتيب نزول السور المكية والمدنية على المصحف الذي اعتمده الشيخ محمد علي خلف الحسيني، شيخ المقارئ المصرية في إحدى الطبعات المصرية للمصحف الشريف بتاريخ 10 ربيع الثاني سنة 1327هـ[1]، الذي اعتمد-كما قال-على أمهات كتب القراءات والتفسير، ويخبر أنه خالفه في مواضع يسيرة[2].

ونظرة فاحصة إلى تراتيب النزول المتاحة، يتبين لنا مطابقة ترتيب حبنكة مع ترتيب مصحف الخطاط أوغلي، الأمر الذي يلمح إلى تأثر حبنكة بسابقيه دروزة والملا حويش، والله أعلم، فحبنكة لم يشر إلى ذلك.

جدول ترتيب السور المكية في تفسير حبنكة[3]:

رقم ترتيب النزول للسورة	ترتيب السور المكية في تفسير معارج التفكر ودقائق التدبر	ترتيب السور المكية في المصحف الذي اعتمده الشيخ محمد علي خلف الحسيني شيخ المقارئ المصرية	ترتيب مصحف الخطاط قدور أوغلي
1	العلق	العلق	العلق
2	المدثر	القلم	القلم
3	المزمل	المزمل	المزمل
4	القلم	المدثر	المدثر
5	الفاتحة	الفاتحة	الفاتحة
6	المسد	المسد	المسد
7	التكوير	التكوير	التكوير

[1]- معارج التفكر، حبنكة، 151/1.

[2]- ينظر: قواعد التدبر الأمثل، حبنكة، ص178-184.

[3]- ينظر: معارج التفكر، حبنكة، 73/3.

8	الأعلى	الأعلى	الأعلى
9	الليل	الليل	الليل
10	الفجر	الفجر	الفجر
11	الضحى	الضحى	الضحى
12	الشرح	الشرح	الشرح
13	العصر	العصر	العصر
14	العاديات	العاديات	العاديات
15	الكوثر	الكوثر	الكوثر
16	التكاثر	التكاثر	التكاثر
17	الماعون	الماعون	الماعون
18	الكافرون	الكافرون	الكافرون
19	الفيل	الفيل	الفيل
20	الفلق	الفلق	الفلق
21	الناس	الناس	الناس
22	الإخلاص	الإخلاص	الإخلاص
23	النجم	النجم	النجم
24	عبس	عبس	عبس
25	القدر	القدر	القدر
26	الشمس	الشمس	الشمس
27	البروج	البروج	البروج
28	التين	التين	التين
29	قريش	قريش	قريش
30	القارعة	القارعة	القارعة
31	القيامة	القيامة	القيامة
32	الهمزة	الهمزة	الهمزة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

33	المرسلات	المرسلات	المرسلات
34	ق	ق	ق
35	البلد	البلد	البلد
36	الطارق	الطارق	الطارق
37	القمر	القمر	القمر
38	ص	ص	ص
39	الأعراف	الأعراف	الأعراف
40	الجن	الجن	الجن
41	يس	يس	يس
42	الفرقان	الفرقان	الفرقان
43	فاطر	فاطر	فاطر
45	مريم	مريم	مريم
46	طه	طه	طه
47	الواقعة	الواقعة	الواقعة
48	الشعراء	الشعراء	الشعراء
49	النمل	النمل	النمل
50	القصص	القصص	القصص
51	الإسراء	الإسراء	الإسراء
52	يونس	يونس	يونس
53	هود	هود	هود
54	يونس	يونس	يونس
55	هود	هود	هود
56	يوسف	يوسف	يوسف
57	الحجر	الحجر	الحجر
58	الأنعام	الأنعام	الأنعام

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

59	الصافات	الصافات	الصافات
60	لقمان	لقمان	لقمان
61	سبأ	سبأ	سبأ
62	الزمر	الزمر	الزمر
63	غافر	غافر	غافر
64	فصلت	فصلت	فصلت
65	الشورى	الشورى	الشورى
66	الزخرف	الزخرف	الزخرف
67	الدخان	الدخان	الدخان
68	الجاثية	الجاثية	الجاثية
69	الأحقاف	الأحقاف	الأحقاف
70	الذاريات	الذاريات	الذاريات
71	الغاشية	الغاشية	الغاشية
72	الكهف	الكهف	الكهف
73	النحل	النحل	النحل
74	نوح	نوح	نوح
75	إبراهيم	إبراهيم	إبراهيم
76	الأنبياء	الأنبياء	الأنبياء
77	المؤمنون	المؤمنون	المؤمنون
78	السجدة	السجدة	السجدة
79	الطور	الطور	الطور
80	الملك	الملك	الملك
81	الحاقة	الحاقة	الحاقة
82	المعارج	المعارج	المعارج
83	النبأ	النبأ	النبأ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

84	النازعات	النازعات	النازعات
85	الانفطار	الانفطار	الانفطار
86	الانشقاق	الانشقاق	الانشقاق
87	الروم	الروم	الروم
88	العنكبوت	العنكبوت	العنكبوت
89	المطففين	المطففين	المطففين

نلاحظ من خلال الجدول أمران:

الأمر الأول: تطابق ترتيب معارج التفكر مع ترتيب الشيخ محمد علي خلف الحسيني شيخ المقارئ المصرية، وترتيب الخطاط قدور أوغلي الذي اعتمده دروزة، ولم يخالفهما الا في ترتيب سورتي القلم والمدثر كما هو مبين في الجدول.

والأمر الثاني: أن كلا من دروزة وملا حويش وحبنكة، قد اعتمدوا ترتيب النزول نفسه، إذا استثنينا بعض التغييرات التي وضعها كل مفسر حسب اجتهاده، وهو ترتيب مصحف الخطاط قدور أوغلي.

ثالثا: معاييره في الترتيب:

يقول حبنكة: "ويعرف ترتيب نزول القرآن بالنظر في ترتيب نزول السور المبين عند العلماء بالتنزيل"، "ويعرف في السورة الواحدة بترتيب الآيات فيها، ما لم يرد نص بخلاف ذلك، كأن يثبت تقدم نزول الآية، أو عدد من الآيات، أو يثبت تأخر نزولها، فعندئذ يُتّبع ماثبت في النصّ المبين لتاريخ النزول"، "وقد يعرف ترتيب النزول بالتبصر العقلي الهادي إلى قواعد سنة الله التي جرى وفقها إنزال معظم النصوص القرآنية وأحكام التشريع"[1].

من خلال كلام المؤلف نستنتج المعايير التي اعتمدها في ترتيب النزول، وهي كالآتي:

المعيار الأول: الآثار الواردة في ترتيب الآيات والسور وما كتبه علماء القرآن في هذا الشأن

[1] – قواعد التدبر الأمثل، حبنكة، ص68.

المعيار الثاني: النظم.

المعيار الثالث: إعمال العقل.

– مناقشة هذه المعايير:

أما **المعيار الأول**: اعتماده على الآثار الواردة في كتب علوم القرآن:

يبدأ المؤلف في مطلع كل سورة بذكر ترتيب السورة، أحيانا يذكر مستنده في ذلك الترتيب وأحيانا أخرى لا يذكر ويكتفي بذكر الترتيب فقط، فمثلا قال في الفاتحة: "الخامسة بحسب ترتيب النزول، كما هو مدون لدى علماء علوم القرآن، وهو المرجح لدى العلماء بروايات التنزيل"[1]

وكثيرا ما نجده يضرب صفحا عن ذكر الآثار الواردة في ترتيب السور حسب النزول، مكتفيا بالقول: "بعد الدراسة التحليلية ترجح لديّ.."[2] و"ويظهر أن..."[3] وغيرها من العبارات الدالة على عدم تيقنه من ترتيب النزول، وعدم تمحيصه لتلك الآثار، التي نبه غير واحد من أهل العلم على ضعفها[4]، وبالتالي لا يمكن أن يبنى عليها تفسير لكتاب الله، لأنه في هذه الحالة تكون النتائج المتوصل إليها–إن وجدت–غير مقبولة في أحسن الأحوال إن لم نقل مردودة.

أما في ترتيب بعض الآيات المختلف في مكيها ومدنيها، فكثيرا ما كان يرتبها بحسب ما ورد من الروايات في شأنها، مثال على ذلك: ما ذكره في الآيات المستثناة من سورة المزمل.[5]

أما المعيار الثاني: والمتعلق بالنظم، ويقصد به نظم كل جملة مع أختها بالنظر إلى الترتيب، وهو"من خفائه وشموله وهيمنته على كل عنصر بحيث يحتاج المتدبر إلى رحابة أفق، وعمق فهم، وبصيرة وقدرة على الاختزان الأمين لدقائق البيان، والتتبع الدقيق لكل جزئية، فيرصدها ببصيرة نافذة"[6]، وعليه يمكن الحاقه بالمعيار الثالث.

---

[1]– معارج التفكر، حبنكة، 280/1.

[2]– ينظر على سبيل المثال: المرجع نفسه، 77/1.

[3]– ينظر: المرجع نفسه، 80/1.

[4]– سبق الحديث عنها في مدخل البحث.

[5]– ينظر: معارج التفكر، حبنكة، 152/1.

[6]– الإمام البقاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن، محمد توفيق محمد سعد، 149/1.

أما المعيار الثالث: العقل والتبصر

حاول المؤلف إعمال ذهنه وتشغيل طاقته العقلية في سبيل الوصول إلى ترتيب زمني يقنع القارئ، خاصة فيما اختلف في ترتيبه.

وفيما يلي مثال للتوضيح: "ترتيب سورة المزمل"

اختلف أهل العلم في ترتيب سورة المزمل، هل نزلت بعد القلم وقبل المدثر، أم نزلت بعد المدثر وقبل القلم، وهذه بعض أقوالهم:

قالَ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت: 538هـ) "نزلت بعد القلم"[1].

وقالَ ابْنِ جُزَيءٍ (ت: 741هـ) "نزلت بعد القلم"[2].

وقَالَ المخَلِّلاتِيُّ (ت: 1311هـ) "ونزلت بعد سورة القلم ونزلت بعدها سورة المدثر"[3].

ويقول ابْنُ عَاشُورٍ (ت: 1393هـ) :(واختلف في عدّ هذه السّورة في ترتيب نزول السّور، والأصحّ الّذي تضافرت عليه الأخبار الصّحيحة: أنّ أوّل ما نزل سورة العلق واختلف فيما نزل بعد سورة العلق: فقيل: سورة "ن والقلم"، وقيل: نزل بعد العلق سورة المدّثّر، ويظهر أنّه الأرجح ثمّ قيل نزلت سورة المزّمّل بعد القلم فتكون ثالثةً، وهذا قول جابر بن زيدٍ في تعداد نزول السّور، وعلى القول بأنّ المدّثّر هي الثّانية يحتمل أن تكون القلم ثالثةً والمزّمّل رابعةً، ويحتمل أن تكون المزّمّل هي الثّالثة والقلم رابعةً، والجمهور على أنّ المدّثّر نزلت قبل المزّمّل، وهو ظاهر حديث عروة بن الزّبير عن عائشة في بدء الوحي من "صحيح البخاريّ". وسيأتي عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾[المزمل: 1]"[4].

أما حبنكة فنظر إلى ما جاء في صدر سورة المزمل وبعض آيات فيها فترجح لديه أنها ثالث سورة مكية، باستثناء بعض آيات منها نزلت في المدينة على الأرجح، ثم يشير في النهاية أن ما اختاره هو عين

---

[1]- الكشاف، الزمخشري، 237/6.

[2]- التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، أبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، ضبطه وصححه وخرج آياته: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1: 1415هـ-1995م، 422/2.

[3]- القول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز، المخللاتي، رضوان بن محمد بن سليمان، تحقيق: عبد الرزاق بن علي، قسم المطبوعات بوزارة الإعلام بالمدينة المنورة، ط1: 1412هـ-1992م، ص328.

[4]- التحرير والتنوير، ابن عاشور، 254/29.

ما اعتمده الشيخ محمد علي خلف الحسيني في مصحفه[1].

وعليه يتبين من خلال ما تم عرضه، أن الاجتهاد في ترتيب سور القرآن الكريم زمنيا، محاولة لايمكن الجزم بصحتها، وبالتالي يبقى السؤال مطروحا: كيف يفسر القرآن الكريم بمقتضاها، ويرتب عليه نتائج؟ ناهيك عما يكتنف هذا المسلك من مخاطر، نبه إليها بعض الباحثين في كتاباتهم، ولعل أشدها خطورة: فتح الباب أمام المستشرقين وغيرهم من المغرضين للعبث بالنصوص القرآنية[2].

وقد بينت سابقا في موقف المدرسة الاستشراقية من ترتيب النزول، كيف حاول نولدكه وغيره إعادة ترتيب القرآن الكريم زمنيا حسب النزول، فضلوا وأضلوا، والعمل نفسه قام به بعض الحداثيين، كما أسلفنا، حين حاولوا فهم القرآن الكريم بترتيب النزول وأسبابه، فليراجع.

المطلب الثالث: أثر ترتيب النزول في تفسير معارج التفكر:

بعد مطالعة جزء من تفسير معارج التفكر، والتفتيش عن أثر منهجه في التفسير، يمكن تسجيل النقاط التالية:

أولا: أثره في المناسبة:

سبقت الإشارة إلى أن لحبنكة عناية كبيرة ببيان التناسب بين آيات السورة الواحدة، حيث يقسم السورة إلى دروس، ويبين العلاقة بين هذه الدروس، مستعينا بالمقصد العام للسورة، بناء على أن "كلَّ سورةٍ لها مقصدٌ واحد يُدار عليه أولها وآخرها، ويستدلُّ عليه فيها "[3].

فمثلا: في ختام تفسيره لسورة المرسلات، وبعدما لخص ما اشتملت عليه السورة من موضوعات، قال: "وهكذا جمعت السورة بعناصرها كل ما يلزم للوحدة الموضوعية، ضمن المنهج الشجري المتبع في السور القرآنية، والقائم على العلاج الشامل للمقصودين بالخطاب، فكريا، ووجدانيا، ونفسيا، دون التزام بصلة كل آية بالتي قبلها، فقد تأتي آية أو عدة آيات منها مشتقة من ساق شجرة موضوع السورة، أو

---

[1]- ينظر:معارج التفكر، حبنكة، 121/1.

[2]- ينظر: عيون الأقاويل، عبد الرحمن نصار، ص470.

[3]- مصاعد النظر، البقاعي، 149/1.

متفرعة من أحد فروعها، أوموصولة بجذرها مباشرة[1]".

وهذه طريقته مطردة في التفسير كله، ولكنها لم تسلم من بعض التكلف، الذي أشار إليه ابن عاشور بقوله: "وعندي بادئ ذي بدء أن لا حاجة إلى اطّراد المناسبة، فإن مدة نزول السورة قابلة، لأن تحدث في خلالها حوادث ينزل فيها قرآن فيكون من جملة تلك السورة.. فتكون هاته الآية نزلت عقب ما نزل قبلها فكتبت هنا ولا تكون بينهما مناسبة إذ هو ملحق إلحاقا بالكلام"[2].

والحق أن حبنكة أجاد في هذا الفن، لكن يعاب عليه أنه لم يعتن بالتناسب بين السور، الذي يفترض أن يبرزه بشكل جليّ، ليكون مبررا مقنعا لاختياره ترتيب النزول طريقا لتفسيره، إذ ما جدوى هذا الترتيب إن لم يظهر أثره في التناسب بين السور مرتبة حسب نزولها؟

ومع ذلك يمكن ملاحظة بعض اجتهاداته في الربط بين موضوعات السور المتتالية في الترتيب، كما فعل حين ربط بين "العلق" والمدثر" بإشارته إلى مراحل الوحي المتمثلة في:

أ-بدئ الوحي بالأمر بالقراة والأخد بوسائل العلم والمعرفة.

ب-انقطاع الوحي لاستثارة أشواقه إليه

ج-مناداة جبريل

د-نزول آيات تضمنت تكليفه أن يحمل رسالة ربه ويقوم بوظائفها في الناس.

وقال في نهايتها: "كل هذا كان من التربية الربانية له، والاعداد والتهيئة النفسية لتلقي مهمات رسالته التي يجب عليه أن يحملها للناس"[3].

وكذلك فعل عند نهاية تفسير المزمل حيث أشار إلى وجه من أوجه التناسب بينها وبين السورة "المدثر" السابقة لها، فقال: "وأخيرا جاء هذا الدرس تأكيد ما جاء في سورة المدثر من أن الرسالة التي حملها القرآن للناس، ويبلغها ويبينها الرسول محمد ﷺ رسالة تذكرة، وليست رسالة قهر ولا قسر ولا سوق بجبر.." [4]

وعند ذكر موضوعات سورة القلم، حاول الكشف عن المناسبة بين السور الثلاث المتتالية في الترتيب: المدثر والمزمل والقلم، فقال: "وختم الله السورة(القلم) بتأكيد ما سبق بيانه في سورتي المدثر والمزمل، من أن القرآن تذكرة، فمن شاء ذكره..ففي المدثر قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ

---

[1]- معارج التفكر، حبنكة، 2/617-619.

[2]- التحرير والتنوير، ابن عاشور، 4/84-85.

[3]- معارج التفكر، حبنكة، 1/91، وانظر كذلك: 1138-139، و1/187 وغيرها.

[4]-المرجع نفسه، 1/185-186.

﴿١٢﴾ ﴾ [عبس: 11-12] وفي المزمل قال: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿١٩﴾ ﴾[المزمل:19] وفي القلم ختم الله السورة بقوله: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[القلم:52] ثم علق بقوله: " ومع تأكيد أصل الفكرة فبين هذه النصوص الثلاثة تكامل في المعاني، فالقرآن تذكرة لمن شاء أن يذكره، ولمن يشاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا، وهوذكر لكل العالمين المكلفين إنسهم وجنهم"[1].

ثانيا: أثره في توجيه بعض الروايات:

لا شك أن تحديد مكية الآية أو مدنيتها يؤثر تأثيرا مباشرا في تفسيرها، إذ يختلف المعنى عند ربطه بالأحداث التي وقعت بمكة عن ذلك المعنى الذي يربط بأحداث المدينة، ولهذا حاول حبنكة توجيه الرواية التي لا تستقيم مع تفسير الآية، من ذلك ما ذكره عند الحديث عن نزول الآيات الأولى من سورة المزمل، قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢﴾ ﴾[المزمل: 1-2] ونزول الآية الأخيرة، قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾[المزمل: 20]

فبعدما ذكر الأحاديث الواردة فيهما، التي تفيد أن الآيات الأولى نزلت في مكة، وأن الآية الأخيرة من السورة نزلت في المدينة، نبه إلى مخالفة حديث عائشة لهذه الروايات، فقال: "وأما ما روي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من أن الرسول ﷺ قد عمل بما جاء في أول سورة المزمل ستة عشر شهرا، وفي رواية حولا، ثم نزلت الآية الأخيرة من السورة، فإنها تحدثت عما شهدت بعد بناء الرسول ﷺ بها، لكن سورة المزمل وعمل الرسول بما جاءه في أولها قد كان في أوائل البعثة"[2].

ثالثا: بيان سبب وجود آيات مدنية في سور مكية:

من ذلك ما ذهب إليه في قوله تعالى في سورة المزمل: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴿١٠﴾ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ﴿١١﴾ ﴾الآية: 10-11.

---

[1] – معارج التفكر، حبنكة، 202/1

[2]– المرجع نفسه، 152/1.

حيث حاول توضيح سبب وضعهما في هذا الترتيب وسبب تأخر نزولهما رغم ارتباطهما الوثيق بما سبقهما من الآيات، فقال: "هاتان الآيتان من التنزيل المدني نزلتا بعد أن حقق الرسول المطلوب منه فيهما في المرحلة المكية التي نزلت فيها لسورة، وقد ضمتا إليها، فما السرّ في هذا والخطاب فيهما موجه للرسول ﷺ..؟"، ويجيب قائلا: "ونستطيع بالتأمل أن نفهم أن خطاب الرسول في هذا خطاب لكل الدعاة إلى دين الله من أمته، فإن كانوا في مرحلة من مراحل دعوتهم للناس مماثلة للمرحلة التي نزلت فيها المزمل فالمطلوب منهمأن يصبروا..ولما كان الرسول في مرحلة نزول السورة المزمل محققا في نفسه وفي سلوكه المطلوب في هذا النجم القرآني، لم يكن بحاجة إلى تنزيله عليه يومئذ" [1]

رابعا: أثره في استنباط بعض اللطائف التفسيرية:

يستمد التفسير قيمته بمدى قدرته على استنباط الهدايات والفوائد مما تناساه السابقون، أو لم يتفطنوا إليه، لأن ذلك ينم عن حسن التدبر لكتاب الله، وكان لحبنكة النصيب الأوفر في هذا السياق، من ذلك ما كان ناتجا عن طريقته في تفسير القرآن مرتبا حسب النزول.

وفيما يلي بعض النماذج:

-عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾[المزمل: 11] قال: "..والإمهال القليل تنصرف القلة فيه إلى الزمن، والسنوات العشر التي مرت في المرحلة المكية قبل مواجهة المكذبين في معارك قتالية بعد هجرة الرسول إلى المدينة، وإقامة الدولة الإسلامية، تعتبر في تاريخ الدعوات مدة قليلة، فقد كان إمهالهم طوال المرحلة المكية إمهالا قليلا".[2]

- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦﴾[المرسلات: 5-6] وتحت عنوان "الرياح في القرآن" استعرض 15 نصا موزعة في السور حول الرياح على ترتيب نزول سورها، واستنبط منها لطائف تفسيرية[3]، نذكر بعضها فيما يلي:

*أن الآيات سورة القمر بشأن إهلاك عاد قوم الرسول هود عليه السلام﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي

---

[1]- معارج التفكر، حبنكة، 172/1.

[2]- المرجع نفسه، 175/1.

[3]- المرجع نفسه، 621/2.

وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ﴿٢٠﴾ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾﴾[18-21]. تلقي الضوء على ما وصفه الله عز وجل به الرياح في سورة المرسلات.

وأن نص سورة ص: 35- 36 ونص الأعراف:57: أنها إشارات تفصيلية لمجمل قوله تعالى في سورة المرسلات بشأن وظيفة الرياح في دلالاتها الإيمانية" فالملقيات ذكرا عذرا أو نذرا" [1].

ومثل هذا يتكرر في العديد من المراضع في تفسير معارج التفكر[2]، وإن دل هذا على شيئ فإنه يدل على أنه يمكن الاستعانة بترتب النزول في تفسير القرآن الكريم، فيما يعرف بالتفسير الموضوعي دون الاضطرار إلى كتابة تفسير شامل للقرآن الكريم وترتيب سوره ترتيبا زمنيا حسب النزول كما فعل حبنكة وغيره.

وهذه اللطائف لا يمكن التعويل عليها لأنه" يختلف في استملاحها الناس، وليس لها ضابط يتفق عليه في استحسانها، لتعلقها-غالبا-بالأذواق، وأذواق المتذوقين تختلف".[3]

خلاصة المبحث:

من خلال ما سبق عرضه، يمكن القول أنه لا أثر لترتيب النزول في تفسير القرآن الكريم في "معارج التفكر"، على اعتبار أن فهم المعاني الآيات هو المفهوم الحقيقي لمصطلح التفسير، وما عاداها من فنون العلم تعتبر إضافات خارجة عنه، وهو ما ذهب إليه المحققين من أهل العلم منهم مساعد الطيار حيث يقول في تعريفه للتفسير من أن"أي معلومة فيها بيان للمعنى، فإنها من التفسير، وإن كان ليس لها أثر في بيان المعنى فإنها خارجة عن مفهوم التفسير، وإنما ذكرت في كتبه، إمَّا لقربها من علمِ التَّفسيرِ بكونها من علومِ القرآنِ، وإمَّا لتفنُّنِ المفسِّر بذكرِ العلمِ الذي برز فيه، فجعل تفسيره للقرآن ميدانًا لتطبيقاتِ علمِه، وإمَّا لوجودِ علاقةٍ أخرى بينها وبين ما يذكره المفسِّرُ، وإمَّا أن لا يكون لها علاقةٌ

---

[1]- معارج التفكر، حبنكة، 627/2.

[2]- مثلما فعل تحت عنوان: "القسم في سوابق نجوم التنزيل لتأكيد قدوم يوم الدين" حيث ساق ثمانية نصوص قرآنية استنبط منها فوائد، بعدما رتبها حسب ترتيب نزول سورها.، 550/2.

[3]-مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزية، ط2: 1427هـ، ص61.

البتَّةَ، وإنما ذكرَها المفسِّرُ بسببِ المنهجِ الذي نهجَه في تفسيرِه[1] ".

وعليه يمكن القول أن ما ذكر آنفا من أثر ترتيب النزول، في تفسير حبنكة، لا يعدو أن يكون من علوم القرآن أو من الملح التفسيرية، أو المعلومات علمية المستقاة من شتى المعارف الإسلامية أو غيرها، التي لا يكاد يخلو منها تفسير، وهي مبسوطة في مضانها.

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1]- مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط، والتدبر والمفسر، مساعد الطيار، ص54-55، وقد ذكرأقوال العلماء مما يعضد رأيه فلتراجع.

المبحث الثالث: تفسير" فهم القرآن الحكيم التفسير الواضح حسب ترتيب النزول" لمحمد عابد الجابري:

أثار الجابري جدلا كبيرا في الأوساط الفكرية، بسبب أطروحاته التي وصفت بالجريئة، وما يهمنا هنا من أعماله العلميّة هو تفسيره "فهم القرآن الحكيم التفسير الواضح حسب ترتيب النزول"[1]، الذي قصد من تأليفه وضع فهم متجدد للقرآن الكريم يواكب العصر-حسب تعبيره- وجاء هذا الكتاب بعد كتابه" المدخل إلى القرآن الكريم في تعريف القرآن الكريم"والذي يعدّ تقديما لتفسيره، شرح فيه هدفه وخطته المنهجية لفهم القرآن الكريم حسب ترتيب النزول.

وليس الغرض هنا دراسة منهجه في التفسير بكل تفاصيله، وجزئياته، فثمة زلات وشبهات وقع فيها المؤلف، لم يأل أهل الإختصاص[2] جهدا في بيانها ودحضها، وإنما الهدف الوقوف على مسألة ترتيب النزول وكيف وظفها في تفسيره، وأثر ذلك التوظيف في فهم القرآن الكريم.

المطلب الأول: التعريف بالجابري وكتابه"فهم القرآن الحكيم":

أولا: ترجمة محمد عابد الجابري:

1-اسمه ومولده وتعليمه:

ولد محمد عابدالجابري بمدينة سيدي لحسن في شوال 1354 هـ / 1935بمدينة فجيج الواقعة في شرق المغرب، تلقى تعليمه في بلده، حصل على دبلوم الدراسات العليا في الفلسفة في عام 1967 ثم دكتوراه الدولة في الفلسفة عام 1970 من كلية الآداب بالرباط، عمل كمعلم بالابتدائي (صف أول) ثم شغل كأستاذ للفلسفة والفكر العربي الإسلامي في كلية الآداب بالرباط، وكان عضواً بمجلس أمناء المؤسسة العربية للديمقراطية، وتوفي يوم الاثنين 03 ماي 2010 م في الدار البيضاء[3].

---

[1]- نشر الجزء الأول لكتاب: "فهم القرآن الحكيم: التفسير الواضح حسب ترتيب النزول" في (فبراير) عام 2008، والجزء الثاني في (أكتوبر) من العام نفسه، والجزء الثالث والأخير في(فبراير) عام 2009.

[2]- منهم على سبيل المثال: أباطيل وخرافات حول القرآن الكريم والنبي عليه السلام، دحض أباطيل عابد الجابري وخرافات هشام جعيط حول القرآن ونبي الإسلام، خالد كبير علال، دار المحتسب، 2008.

[3]- موقع ويكيبيديا: https://ar.wikipedia.org/wiki

2-مؤلفاته:

للجابري مؤلفات عديدة يصعب حصرها، من بينها "قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي"، و"مدخل إلى فلسفة العلوم"، و"معرفة القرآن الكريم: التفسير الواضح لأسباب النزول"، و"إشكاليات الفكر العربي المعاصر"، و"الديمقراطية وحقوق الإنسان"، و"مسألة الهوية: العروبة والإسلام والغرب"، "الدين والدولة وتطبيق الشريعة"، و"المشروع النهضوي العربي: مراجعة نقدية".

إلا أن أشهر مؤلفات الجابري ظلت على الدوام رباعية "نقد العقل العربي"، التي جاءت في أربعة أجزاء هي "تكوين العقل العربي" و"بنية العقل العربي" و"العقل السياسي العربي" و"العقل الأخلاقي العربي".

ثانيا: وصف عام للكتاب: يقع الكتاب في ثلاثة أقسام[1]:

تناول القسم الأول اثنتين وخمسين سورة، موزّعة على ثلاث مراحل للعهد المكي هي:

المرحلة الأولى: النبوّة والربوبية والألوهية، والمرحلة الثانية: البعث والجزاء ومشاهد القيامة، والمرحلة الثالثة: إبطال الشرك وتسفيه عبادة الأصنام.

واشتمل القسم الثاني على ثمان وثلاثين سورة، موزّعة على ثلاث مراحل أخرى للعهد المكي هي: المرحلة الرابعة: الصّدع بالأمر والاتصال بالقبائل، المرحلة الخامسة: حصار النبي وأهله في شعب أبي طالب وهجرة المسلمين إلى الحبشة، المرحلة السادسة: ما بعد الحصار: مواصلة الاتصال بالقبائل والاستعداد للهجرة إلى المدينة.

أما القسم الثالث فتضمن أربع وعشرون سورة، جميعها جاءت في مرحلة واحدة خاصة بالعهد المدني، وعنوانها: الرسول في المدينة.

وأما من ناحية الترتيب والتبويب:

فيبدأ الجابري في كل مرحلة من المراحل السابقة تحت عنوان "استهلال" بتوضيح مراده من هذه المرحلة والعنوان الذي اختاره لها، ثم يتناول كل سورة منفردة تحت ثلاثة عناوين: التقديم، ونص السورة،

[1]- ينظر: فهم القرآن الحكيم، التفسير الواضح حسب ترتيب النزول، الجابري، محمد عابد، دار النشر المغربية، 2008م، ص14-15

والتعليق، ثمّ يختم كل مرحلة تحت عنوان "استطراد".

في التقديم: يعرض لأهم روايات أسباب النزول حول السورة مع النقد، وتحت نصّ السورة: يُدوِّن آيات السورة، وعند بعض الألفاظ التي تحتاج إلى توضيح يضع بين قوسين المعنى المراد من وجهة نظره حسب سياق الآيات ذاتها، وفي التعليق: يُقدِّم خلاصة مركّزة للقضايا التي تناولها، مع إبداء رأيه في بعض الأحيان.

وقد تناول السور وفق الترتيب الزمني لنزولها، مقتفيا بذلك أثر المستشرق الفرنسي ريجس بلاشير الذي قام بترجمة "معاني القرآن" إلى الفرنسية (1947-1950) على أساس ترتيب النزول الذي وضعه ثيودور نولدكه[1]، حسب ما أقر به في كتابه، وهذا ما دفعني لدراسته ضمن كتب المفسرين المحدثين، رغم الفارق الكبير بينه وبين التفاسير الاخرى التي سلكت المسلك نفسه، من حيث الاتجاه والمقصد.

المطلب الثاني: منهج الجابري في فهم القرآن الكريم

أولا: تعريف الجاري للقرآن والقول بضياع شيء منه:

1- تعريفه للقرآن:

أفرد الجابري مؤلفا مستقلا للتعريف بالقرآن الكريم سماه"مدخل إلى القرآن الكريم"، أتى فيه بغرائب لم يسبقه إليها أحد، وحظي الكتاب بمتابعات ودراسات متتالية[2]، وقد تساءل الكثير من قرائه من المفكرين عن سبب بحثه عن تعريف جديد للقرآن، أهو استكشاف أم تشكيك[3]، وهل القرآن الكريم يحتاج إلى تعريف؟ كما تساءل هو نفسه في مقدمة كتابه.

وإذا كان المؤلف قد بين الاختلافات في تعاريف القرآن، فإنه يضرب عنها صفحا ليأخد بما سماه "تعريف القرآن في القرآن"، لكنه لم يتتبع كل الآي التي عرّفت بالقرآن، وإنما انتقى منها ما قد يخدم

---

[1] - ينظر: المطلب الثاني في المبحث الثالث من الفصل الأول: فهم القرآن حسب ترتيب النزول في المدرسة الاستشراقية.

[2]- منها على سبيل المثال: "الشبه الإستشراقية في كتاب مدخل إلى القرآن الكريم للدكتور محمد عابد الجابري، رؤية نقدية، عبد السلام البكاري والصديق بوعلام، دار الأمان، ط1: 1430هـ-2009م. -

[3]- ينظر على سبيل المثال: مقال الباحث محمد إيكيج الموسوم ب: مدخل إلى القرآن الكريم: استكشاف أم تشكيك؟ قراءة في كتاب"مدخل إلى القرآن الكريم: في التعرف بالقرآن للدكتور محمدعابد الجابري، 2015، شبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات: https://diae.net/ .

غرضه..مع أن التعاريف الصحيحة التي اعتمدها علماء الإسلام المحققون وأجمع عليها جمهورهم، قائمة على أدلة قرآنية وسنية، غير أن ما فعله المؤلف يدخل في إطار ما يرومه وما صرح به من خلخلة للمجمع عليه أو المتفق عليه بين المسلمين[1].

ويبرر الجابري كثرة أسئلته وطرحه للإشكالات حول القرآن بقوله: "تجديد طرح كثير من الأسئلة التي طرحت سابقا وفسح مجال لأسئلة أخرى قد تطرحها اهتمامات عصرنا الفكرية والمنهجية: للارتفاع بمستوى فهمنا للظاهرة القرآنية إلى الدرجة التي تجعلنا معاصرين لها وتجعلها معاصرة لنا"[2].

وقوله: "استعادة الأسئلة القديمة التي كانت وراء كونها(أي تعريفات أهل العلم للقرآن الكريم) وطرح أخرى جديدة تتجاوزها، أعني بذلك طرح مسار الكون والتكوين للظاهرة القرآنية نفسها"[3].

وفي موضع آخر يفصح عن غايته وهي اكتساب رؤية جديدة أكثر استجابة لروح العصر [4].

وعليه يمكن تحديد هدفه من إثارة الأسئلة حول القرآن ومحاولة وضع تعريف جديد له، في النقاط التالية:

- الارتفاع بمستوى الفهم للظاهرة القرآنية التي تجعلنا معاصرين لها وتجعلها معاصرة لنا.
- طرح مسار الكون والتكوين للظاهرة القرآنية نفسها.
- اكتساب رؤية جديدة أكثر استجابة لروح العصر.

وللقارئ بأن يتساءل: هل يجوز اعتبار القرآن الكريم ظاهرة؟

وماذا يقصد بجعل القرآن معاصرا لنا، وجعلنا معاصرين له؟

وماذا يقصد بمسار الكون والتكوين للقرآن الكريم؟

وماذا يقصد بالرؤية الجديدة الأكثر استجابة للعصر؟

---

[1]- الشبه الإستشراقية في كتاب مدخل إلى القرآن للدكتور محمد عابد الجابري، رؤية نقدية، عبد السلام البكاري والصديق بوعلام، دار الأمان، الرباط، ط1: 1430هـ-2009م، ص26.

[2]- مدخل إلى القرآن الكريم، الجابري، ص21.

[3]- المرجع نفسه، ص19.

[4]-التفسير الواضح، الجابري، ص6.

وهل ما توصل إليه من تعريف للقرآن رؤية جديدة -كما يزعم- تستجيب لروح العصر؟

وهل تعريف القرآن المشهور لدى العلماء يناقض روح العصر؟ أم فيه إشكال بالنسبة للجابري فقط؟

إن تعريف العلماء للقرآن لا لبس فيه، ولا حاجة هاهنا لسرد جهود علماء المسلمين في سبيل حفظ كتاب الله من عبث العابثين، ولكن صنيع الجابري يشير إلى تأثره بالمنهج التكويني البنيوي[1] في دراسة النصوص، وهو منهج إن جاز للبعض تطبيقه على النصوص التي ينتجها الإنسان، فإن محاولة دراسة القرآن أو التعريف به بناء على هذا المنهج لا يتوافق مع جلال وعظمة وإعجاز وخصائص هذا الكتاب العزيز[2].

ونظرة فاحصة للتعريف الذي توصل إليه الجابري تكشف عن حجم الأخطاء العلمية، والمنهجية التي وقع فيها، بقصد أو بدون قصد، يقول: "القرآن إذا وحي من الله، حمله جبريل، إلى محمد، بلغة العرب، وهو من جنس الوحي الذي في كتب الرسل الأولين"[3].

وإن بدا في هذا التعريف إقرار للجابري بربانية مصدر القرآن الكريم، وكونه وحيا من الله تعالى، وليس تراثا، خلافا لما ذهب إليه بعض القراء الحداثيين، فإنه لا يخلو من مغالطات:

الأولى: تعريف القرآن بالوحي: فيه إطلاق، فكلمة الوحي أعم من القرآن وكلام الله، فمن الوحي ما هو كلام الله ومنه ماليس كذلك، لأن الوحي أنواع ورد ذكرها في آيات عديدة، منها قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾[الشورى: 51].

والثانية: التسوية بين القرآن وغيره من الكتب المنزلة، في حين كان يجب الفصل بينها لما اختص به القرآن الكريم عن غيره من الكتب، ولما تعرضت له من تحريف، والتي بينها أهل العلم في مؤلفاتهم[4].

---

[1]- المنهج التكويني البنيوي: يركز على دراسة آليات تكوين النصوص الأدبية ويظهر طرائق تشكيلها من خلال بيان العلاقات الداخلية والخارجية.

[2]- الشبه الاستشراقية في كتاب مدخل إلى القرآن الكريم، ص33.

[3]- مدخل إلى القرآن الكريم، الجابري، ص24.

[4]- ينظر: على سبيل المثال: "خصائص القرآن الكريم، فهد بنعبد الرحمن بن سليمان الرومي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط9: 1417هـ-1997م.

قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾[البقرة: 79] .

2- تشكيكه في القرآن الكريم باحتمال ضياع شيء منه:

أ-نص الشبهة:

يرى الجابري أن القرآن ناقص لم يدون كله، فكثيرا ما كان يتساءل "هل المصحف الإمام الذي جُمع زمن عثمان والذي بين أيدينا الآن، يضم القرآن كله: جميع ما نزل من آيات وسور، أم أنه سقطت أو رُفعت منه أشياء حين جمعه ؟" ويجيب عن ذلك بقوله: "إن جميع علماء الإسلام من مفسرين ورواة حديث وغيرهم يعترفون بأن ثمة آيات وربما سُورا قد سقطت، ولم تدرج في نص المصحف"، ثم يشرع في ذكر أنواع النقص[1].

ويقول في موضع آخر: "ينبغي التمييز منهجيا بين أمرين النص القرآني كما هو مجموع في المصحف من جهة، والقرآن كما نزل مفرقا، أي حسب ترتيب النزول من جهة أخرى، ومن ثم التعامل مع كل موضوع نطرحه، بشأن القرآن، بحسب طبيعته"[2].

ولدحض هذه الشبهة، ينبغي تفكيكها إلى أربع نقاط على النحو الآتي:

-أن القرآن الكريم ضاع منه آيات وسور.

-وأن هذا الضياع وقع أثناء عملية الجمع.

-تسمية النقص رفعا وسقطا.

-دعوى أن علماء الإسلام يعترفون بوقوع النقص في القرآن.

ب-دليل الجابري على دعواه:

استدل الجابري على إمكانية النقص في كتاب الله من كتاب الله نفسه، ومن الآثار المروية في هذا الشأن، أما استدلاله بالقرآن فيقول: "فالقرآن نفسه ينص على إمكانية النسيان والتبديل والحذف

[1]- لتفصيل أكثر ينظر: المدخل إلى القرآن، الجابري، ص222-228

[2]- المرجع نفسه، ص212.

والنسخ، قال تعالى مخاطبا رسوله الكريم﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧ ﴾ [الأعلى: 6-7]، وقال:﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[النحل: 101] وقال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[الحج: 52]، وقال: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[البقرة:106]، وقال ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۝٣٨ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ۝٣٩ ﴾[الرعد: 38-39]"[1].

– مناقشة

لا ريب في صحة هذه الأدلة، فهي آيات محكمات من القرآن الكريم، ولكن هل فهم الجابري لها كان صحيحا؟ للإجابة على ذلك نورد أقوال العلماء في تفسير الآيات:

يقول ابن جرير الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾: "فلا تنسى إلا أن نشاء نحن أن نُنسيكه بنسخه ورفعه"[2].

وقال الشنقيطي (ت: 1393هـ): "قوله تعالى: الكريم﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ ﴾ الآية.هذه الآية الكريمة تدل على أن النبي ﷺ ينسى من القرءان ما شاء الله أن ينساه، وقد جاءت آيات كثيرة تدل على حفظ القرءان من الضياع كقوله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ ﴾ [القيامة: 16 – 17]، وقوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:9]

والجواب أن القرءان وإن كان محفوظا من الضياع فإن بعضه ينسخ بعضا، وإنساء الله نبيه بعض القرءان في حكم النسخ، فإذا أنساه آية فكأنه نسخها، ولا بد أن يأتي بخير منها أو مثلها، كما صرح به تعالى في قوله: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ ﴾ [البقرة: 106].

---

[1]– المدخل إلى القرآن، الجابري، ص232.

[2]– جامع البيان، ابن جرير الطبري، 316/24

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ﴾الآية [النحل: 101].

وأشار هنا لعلمه بحكمة النسخ بقوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾[الأعلى: 7] "[1].

ويقول القرطبي (ت: 671هـ): " قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴾وهذه آية عظمى في الأحكام، وسببها أن اليهود لما حسدوا المسلمين في التوجه إلى الكعبة وطعنوا في الإسلام بذلك، وقالوا: إن محمدا يأمر أصحابه بشيء ثم ينهاهم عنه، فما كان هذا القرآن إلا من جهته، ولهذا يناقض بعضه بعضا، فأنزل الله: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ﴾[النحل: 101]، وأنزل ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ ﴾[البقرة 106]. ومعرفة هذا الباب أكيدة وفائدته عظيمة، لا يستغني عن معرفته العلماء، ولا ينكره إلا الجهلة الأغبياء، لما يترتب عليه من النوازل في الأحكام، ومعرفة الحلال من الحرام"[2]، وقد روى أبو عبد الرحمن الجهني: "أن عليا مرّ بقاص فقال أتعرف الناسخ والمنسوخ، قال: لا، قال: هلكت وأهلكت"[3].

وبعد هذا البيان، يتضح تهافت مزاعم الجابري في دعواه وجود النقص في القرآن، فقد أخطأ في فهم الآيات، وظل عن صواب التأويل.

وأما استدلاله بالأثر المروي عن عائشة رضي الله عنها:

فقد اعتمد على ما نقله عن القرطبي، ومفاده أن عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها – قالت: "كانت سورة الأحزاب تعدل على عهد رسول الله ﷺ مائتي آية، فلما كُتب المصحف لم يقدر منها إلا على ما هي الآن" [4] أي ثلاثة وسبعون آية، فهل هذه الرواية صحيحة؟

هذا الدليل غير صحيح، فالرواية المذكورة لا تصح إسنادًا ولا متنا، فأما إسنادها فقد أورده القرطبي عن أبي بكر الأنباري، الذي قال: وقد حدثنا ابن أبي مريم، عن ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن

---

[1]– دفع إيهام الإضطراب عن آيات الكتاب، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط1: 1417 هـ – 1996، ص257.

[2]– الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2: 1384هـ – 1964 م، 61/2.

[3]–العلم لابي خيثمة، الحافظ زهير بن حرب النسائي،تحقيق وتخريج الأحاديث،محمد ناصر الدين الألباني،المكتب الإسلامي، بيروت،ط2: 1403هـ-1983م،ص31، رقم الحديث 130، صححه الالباني وقال اسناده صحيح على شرط الشيخين.

[4]– مدخل إلى القرآن، الجابري، ص223.

عروة، عن عائشة قالت[1]، وهذا الإسناد لا يصح لوجود عبد الله بن لهيعة، وهو ضعيف[2].

وأما متنها فهو مُنكر؛ لأنه إذا كان المقصود من تلك الرواية أن سورة الأحزاب سقط منها أكثر من النصف بسبب النسخ، فإن النسخ لم يحدث ولا يحدث إلا في زمن النبي ﷺ وعلى يده فقط، لذا فلو حدث ذلك، فإنه حدث بأمر منه وفي زمانه، ولا يصح أن يقال: إنها أُسقطت زمن عثمان عندما كتب المصاحف، وهذا الذي أشارت إليه الرواية[3].

وبعد بث شكوكه يعود الجابري –كعادته– ليستدرك فيقول: "وخلاصة الأمر أنه ليس ثمة أدلة قاطعة على حدوث زيادة أو نقصان في القرآن كما هو في المصحف بين أيدي الناس منذ جمعه زمن عثمان، وأما قبل ذلك فالقرآن كان مُفرقا في صُحف وفي صدور الصحابة، ومن المؤكد أنه ما كان يتوفر عليه هذا الصحابي أو ذاك من القرآن مكتوبا أو محفوظا، كان يختلف عما كان عند غيره كما وترتيبا، ومن الجائز أن تحدث أخطاء حين جمعه زمن عثمان أو قبل ذلك، فالذين تولّوا هذه المهمة لم يكونوا معصومين، وقد وقع تدارك بعض النقص كما ذُكر في مصادرنا[4].

وكلامه هذا يشتمل على مغالطات خطيرة منها:

1. ادعاؤه حدوث أخطاء في جمع القرآن زمن عثمان رضي الله عنه.
2. القدح في عدالة الصحابة رضي الله عنهم.
3. بقاء بعض النقص لم يتدارك.

سبقت الإجابة عن الثالثة، أما الأولى والثانية فهي مجرد دعاوى أطلقها الجابري، والمطلوب منه إثباتها بالدليل، وإلا كانت ساقطة لاقيمة لها ولا اعتبار.

ولكن الملاحظ أن الجابري يسمي النسخ بمصلحات فضفاضة، ليوهم القارئ بما يصبو إليه، فكلمة "السقط " لها مدلولات لا تتوافق مع المدلول الشرعي للنسخ، وهذا لاشك من التلبيس والتضليل، فإن كان النسخ هو رفع حكم شرعي بدليل شرعي متراخٍ عنه، فالنسخ إذن ليس سقطا

---

[1]- الجامع لأحكام القرآن، المرجع السابق، 104/14.

[2]- الكاشف، الذهبي، 590/1.

[3]- فتح القدير، الشوكاني، 369/4.

[4]- المدخل إلى القرآن، الجابري، ص132.

أونقصًا، كما فهم الجابري، فعلم النَّسخ يعدّ من المباحث المهمة التي اهتم بها العلماء قديمًا وحديثًا، وأخص بالذكر الأصوليين والمحدِّثين والمفسرين، وعلماء القرآن، وذلك لأهمية هذا العلم عند كل هؤلاء، ومنهم من جعله علمًا مستقلاً من علوم القرآن، كالزركشي الذي جعله في الباب الرابع والثلاثين من كتابه البرهان: "معرفة ناسخه ومنسوخه" وبعده السيوطي؛ حيث عقد له الباب السابع والأربعين "في ناسخه منسوخه".

ومن أقوالهم في أهمية النسخ:

قال الزركشي في بداية حديثه عن علم النَّسخ: "والعلم به عظيم الشأن"

وقال السيوطي: "قال الأئمة: لا يجوز لأحد أن يفسِّر كتابَ الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ".

وقبلهما ألفت كتب كثيرة في هذا العلم العظيم، وممن ألف فيه: قتادة بن دعامة السدوسي، وأبو عبيد القاسم بن سلاَّم، وأبو داود السجستاني، وأبو جعفر النحاس، وهبة الله بن سلام الضرير، وابن العربي، وابن الجوزي، وابن الأنباري، ومكي، والمقري، والكرمي، وقتادة، وابن حزم، وغيرهم.

وقد أفرد ابن الجوزي بابًا خاصًّا لبيان فضيلة هذا العلم وضرورة تعلمه، وأورد فيه تسعة آثار بأسانيدها عن علي وحذيفة بن اليمان وابن عباس رضي الله عنهم، وكلها تتحدث عن وجوب معرفة الناسخ والمنسوخ لمن يُفتي الناس أو يحدِّثهم في أمور الدِّين وأحكامه.

هذا فضلا عن الآثار الواردة عن الصحابة رضي الله عنهم في بيان أهمية علم النسخ، منها:

ما روي عن ابنِ عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: 269] قال: "يعني: المعرفة بالقرآن؛ ناسخه ومنسوخه، ومحكَمه ومتشابهه، ومقدَّمه ومؤخَّره، وحلاله وحرامه، وأمثاله".

كما أجمع أهل العلم أن القرآن الذي نزل ولم ينسخ لا ينقص منه حرف واحد، مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾

وبعد هذا البيان، لا أحسب الجابري إلا رجلا يخبط في معاني القرآن على غير هدى، ويتكلم في كتاب الله بغير بيِّنة؛ فذلك الكذب على الله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا

أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[هود: 18].

ثانيا: أسس تعامل الجابري مع القرآن:

طرح الجابري سؤالين في مقدمة تفسيره هما: كيف نفهم النص القرآني؟ وما علاقة فهمنا للقرآن بواقعنا؟

ولا شك أنهما سؤالان وجيهان، ولكن الجابري أراد بهما غير ما يتبادر إلى ذهن القارئ، ودليل ذلك أنه سلك منهجا خاصا به في فهم القرآن الكريم، وقد بناه على أساسين هما:

1- التعامل المباشر مع النص، دون الرجوع إلى التراث التفسيري:

وفي ذلك يقول: "فهم القرآن" ليس هو مجرد نظر في نص ملئت هوامشه وحواشيه بما لا يحصى من التفسيرات والتأويلات، بل هو أيضا"فصل" هذا النص عن تلك الهوامش والحواشي، ليس من أجل الإلقاء بها في سلة المهملات، بل من أجل ربطها بزمانها ومكانها، كي يتأتى لنا "الوصل" بيننا نحن في عصرنا وبين "النص" نفسه، كما هو في أصالته الدائمة ... وما نقصد ب "أصالة النص"... هنا على صعيد الفهم، هو هذا النص مجردا عن أنواع الفهم له، التي دونت في كتب التفسير باختلاف أنواعها واتجاهاتها. إن الأمر يتعلق هنا أساسا بعزل المضامين الإيديولوجية لتلك الأنواع من الفهم"[1]

وفي موضع آخر نجده يقلل من شأن كتب التفسير، فيقول: "لا تحاول هذه الدراسة، بل لا تريد، أن تكمل، أو تفسر القصص القرآني بما ورد في الإسرائيليات أو غير ذلك من الموروث القديم"، ثم يعود-في الوقت ذاته- ليستدرك في الهامش بقوله: "قد نضطر إلى أن نذكر في الهامش ما هو ضروري لشرح كلمةٍ أو بيان مسألةٍ مما ذكره المفسرون من مخايلهم وموروثهم الثقافي؛ ليس لأن ما ذكروه صحيح، بل لكونه يعبر عن فهم العرب، والقرآن خاطب العرب حسب معهودهم، وأراد منهم أن يفهموا في إطار ما يخاطبهم به"[2].

---

[1] - التفسير الواضح، محمد عابد الجابري، 7/1.

[2]- المرجع نفسه

وأخبر في مقدمته أنه اقتصر على ما يسميه بالمؤلفات المؤسسة في التفسير ويذكر التفاسير التي ألفها علماء اللغة، كمجاز القرآن ومعاني القرآن، وجامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري[1].

- **مناقشة:**

نظرة فاحصة في تفسير الجابري، تقودنا للقول أنه لم يلتزم بما اشترطه على نفسه من فصل القرآن عن تفاسيره، والاكتفاء بالتفاسير المؤسسة كما زعم، حيث نجده يعتمد تفاسير عديدة .

وهذا لا شك خلل منهجي، ومعلوم عند كل باحث في مجال علوم القرآن والتفسير أنه"لا يغني تفسير عن تفسير، مهما أوتي المفسر من علم وتقدير، إذ قد يفتح الله تعالى على عبد من عباده فهما لم يسبق إليه، ويلهم إلى لطائف ونكت لم تفتح إلا عليه"[2]، كما جاء في صحيح البخاري من حديث مطرف قال: سمعت الشعبي قال: سمعت أبا جحيفة قال: سألت عليا ﷺ: "هل عندكم شيئ مما ليس في القرآن–وقال مرّة: مما ليس عند الناس–فقال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما عندنا إلا ما في القرآن، إلا فهما يعطى رجل في كتابه وما في الصحيفة، قلت: وما في الصحيفة؟ قال: العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر"

إنَّ النَّزاهةَ العلميةَ تقتضي الرُّجوعَ إلى كتبِ التَّفسيرِ الموثَّقةِ، وإعطاءَ النُّصوصِ القُرآنيةِ معانيها الصَّحيحةَ المرادةَ، وليس تأويلُها تبعاً للهوى رغبةً في دعمِ رأيٍّ، أو مذهبٍ، وقد حذَّرَ النَّبيُّ ﷺ من ذلك بقولِهِ[3]: "مَن قالَ في القُرآنِ برأيه أو بما لا يعلمُ فليتبوَّأ مقعدَهُ مِنَ النَّارِ"[4].

ولكن سرعان ما عاد ليعترف بخطئه عندما قرر اقصاء التراث التفسيري فقال: "كان علي الرجوع إلى جميع ما أمكنني الحصول عليه من المؤلفات السابقة التي لها علاقة ب" فهم القرآن"، ويقع جلها تحت عنوان التفسير".

---

[1]– ينظر: التفسير الواضح، محمد عابد الجابري، 11/1.

[2]– مكامن الدرر في محاور السور في تفسير ظلال القرآن، محمد بن أحمد بن الحسن رفيق البيضاوي، دار الكتب العلمية، 2013 ص4.

[3] – أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله، باب ماجاء في الذي يفسر القرآن برأيه، وقال حسن صحيح. 199/5.

[4] – السيرة النبوية الصحيحة، أكرم ضياء العمري، 49/1.

2- اعتماده ترتيب النزول بدل ترتيب المصحف: عقد الجابري فصلا في كتابه"مدخل إلى القرآن" لترتيب المصحف وترتيب النزول[1]، حيث يرى أن ترتيب المصحف كان باجتهاد من الصحابة رضي الله عنهم، وكان معيارهم الطول والقصر على استثناءات قليلة، مستدلا بحديث ابن عباس المتعلق بسورتي براءة والأنفال[2].

ثم راح يوضح أن الحاجة لترتيب النزول ظهرت بعد جيل الصحابة، ولم تظهر في زمنهم لأنهم كانوا يحملون معهم في ذكرياتهم مسار الدعوة بما فيها ترتيب النزول، أما من جاء بعدهم من المسلمين فقد كان لزاما عليهم إن أرادوا فهم القرآن واستنباط أحكام لمستجداتهم، أن يرتبوا السور حسب نزولها، وهو ما دفعه إلى ترتيب النزول في دراسته للقصص القرآني [3].

إن قصر "فهم القرآن " على ترتيب سوره حسب النزول فيه نظر، وهو ما تحاول هذه الدراسة الكشف عنه، فهل حقق الجابري ما ادعاه من خلال تفسيره حسب ترتيب النزول؟

وإن كنا قد بينا آنفا أهمية العلم بترتيب السور حسب النزول، في فهم القرآن الكريم، يبقى السؤال المطروح: هل يمكن الإستفادة منه في التفسير دون اللجوء إلى كتابة التفسير مرتبا حسب النزول؟

بالنسبة للجابري الإجابة واضحة، فهو يعدّ القرآن كتابا مفتوحا، ويعني بذلك أن مسألة فهمه وتفسيره ممكنة من دون التقيد بتسلسل معين، وفي ذلك يقول: "..أن القرآن كتاب مفتوح، يتألف من سور مستقلة، تكونت مع تدرج الوحي" ويضيف: "..وهذه الخاصية البيانية جعلت النص القرآني منفتحا بحيث يمكن فهمه وتفسيره من دون التقيد بتسلسل معين.. فكل سورة فيه يمكن أن تكون موضوعا لتفسير خاص بها.."[4].

- أما هدف الجابري من ترتيب النزول:

فقد أفصح عنه في مدخله وهو التعرف على المسار التكويني للنص القرآني باعتماد مطابقته مع

---

[1]- مدخل إلى القرآن، الجابري، ص233-254.

[2]- سبق الحديث عن مسألة ترتيب المصحف، ومناقشة أدلة القائلين بالإجتهاد، فليراجع في مدخل البحث.

[3]- ينظر: مدخل إلى القرآن، الجابري، ص420.

[4]- المرجع نفسه، ص243-244.

مسار الدعوة المحمدية[1]، أي فهم القرآن بربطه بوقائع السيرة النبوية، وهو الأمر الذي لم تحققه محاولات دروزة التي سبقته–حسب رأيه– ولذلك انتقده قائلا:: "أما المرحوم محمد عزة دروزة الذي اعتمده، في كتابه التفسير الحديث، ترتيب النزول–كما وجده منصوصا عليه في بعض تفاسير القرآن– فلم يأتي بجديد والسبب هو أنه لم يوظف هذا الترتيب في بناء أي تصور عن مسار نزول القرآن"[2].

ويوضح الجابري في هامش كتابه مراده ب"الجديد"ونعني بالجديد هنا ما يكون اعتماد ترتيب النزول، بدل ترتيب المصحف، أصلا له، ونحن لم نلحظ أي جديد بهذا المعنى في هذا التفسير، أما الاجتهاد في الفهم والتفسير فذلك أمر آخر"[3].

– مناقشة:

دعوى الجابري أن طريقته في تقسيم تسلسل السور حسب ترتيب النزول مكنته من الكشف عن مساوقة مسار التنزيل لوقائع السيرة النبوية[4].

إن مسايرة نزول القرآن للسيرة النبوية، أمر لا جدال فيه، حيث يعد القرآن الكريم أصح مصدر للسيرة على الإطلاق، باعتباره أوثق كتاب على وجه الأرض، وقد تحدث عن كثير من وقائع سيرة الرسول ﷺ، ولكن من الملاحظِ أنَّه لم يتعرَّض لتفاصيلِ الوقائعِ النَّبويَّةِ، وإنَّما تعرَّض لها إجمالاً، فهو حين يتحدَّثُ عن معركةٍ، لا يتحدَّثُ عن أسبابِها، ولا عن عددِ المسلمين والمشركين فيها، ولا عن عددِ القتلى والأسرى من المشركين، وإنَّما يتحدَّث عن دروسِ المعركة وما فيها من عِبَرٍ، وعِظَاتٍ، وهذا شأنُ القُرآنِ في كلِّ ما أورده من قصصٍ، عن الأنبياء السَّابقين والأمم الماضية ولذلك فنحن لا نستطيعُ أن نكتفيَ بنصوصِ القُرآنِ الكريمِ المتعلِّقةِ بالسِّيرةِ النَّبويَّةِ لنخرجَ منها بصورةٍ، مُتكاملةٍ، عن حياةِ الرَّسُولِ ﷺ.[5]

ولا شك في أهمية السيرة النبوية الشريفة لفهم القرآن الكريم، وذلك لأن كثيرًا من الآيات القرآنية مرتبطة بالأحداث التي عايشها رسول الله ﷺ، حيث كان القرآن ينزل للتعقيب على بعض الأحداث،

---

[1]–مدخل إلى القرآن، الجابري ، ص245.

[2]–المرجع نفسه ،ص243.

[3]– المرجع نفسه، ص243.

[4]– ينظر: التفسير الواضح، الجابري.ص14.

[5]–ينظر: السيرة النبوية دروس وعبر، مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط8: 1405هـ–1985م، ص2–26.

أو للإجابة عن بعض الأسئلة والإشكالات التي يثيرها المشركون، أو يطرحها الصحابة، أو ترشد إلى الصواب عند نزول بعض المضايق بالمسلمين، ومثال ذلك الآيات من سورة آل عمران، والتي نزلت تعقيبًا على ما حصل للمسلمين في غزوة أحد، وسورة التوبة التي فضحت المنافقين في المدينة وكشفت أساليبهم وألاعيبهم، وسورة النور التي بيَّنت الموقف الصحيح من الإفك والبهتان اللذين رُميت بهما أم المؤمنين عائشة . رضي الله تعالى عنها . وسورة الحشر التي أخبرنا الله تعالى فيها عن جلاء اليهود من بني النضير وهكذا، حتى صارت السيرة النبوية الشريفة من أهم العلوم التي يُحتاج إليها في فهم القرآن، لارتباط كثير من الآيات بأسباب للنزول مذكورة في كتب السيرة، وهذا لا شك يعين على استنباط الأحكام من القرآن، ومعرفة الناسخ والمنسوخ من الآيات، ودفع التعارض، وحل كثير من الإشكالات، ومعرفة أصول السياسة الشرعية، وغير ذلك من الفوائد.

هذا؛ وإن من أهم كتب تفسير القرآن التي اعتنت بالسيرة النبوية عند توضيح معاني الآيات، كتاب: في ظلال القرآن للسيد قطب، وهو–كما هو معلوم– مرتب وفق الترتيب المصحفي.

3– استعمال أدوات الإفهام:

يقول: "ويقصد بها علامات الترقيم، فبهذه العلامات يتم التغلب في الكتابة المعاصرة على كم هائل من الصعوبات التي كانت تعترض القارئ في الماضي، ومن ثم فإن علامات الإفهام هذه تشكل جزء أساسيا مما ندعيه من الوضوح لهذه المحاولة في التفسير"بيد أن غياب هذه العلامات في مصادر التفسير القديمة قد عمق الهوة بين الناس وبين ممارسة الفهم لنصوصهم الدينية، وذلك إلى درجة انتقلت معها قداسة النص الديني إلى كتب عليه، وأمام غياب الفهم وانتشار الأمية صار المقدس ليس النص مستقلا عن المكتوب فيه، بل هو المكتوب فيه نفسه تماما، كما أن الاحترام للشخص المتوفى ينتقل منه ككائن حي إلى قبره وضريحه"[1].

– **مناقشة كلامه:** من خلال كلام الجابري للقارئ أن يتساءل:

من أين له أن القارئ في الماضي اعترضته صعوبات في قراءة كتب التفسير؟

ثم ما علاقة علامات الترقيم بقداسة النص؟ حتى جعل من غيابها سببا لظهور التقديس لما كتب

[1]– التفسير الواضح، الجابري، ص12.

حول النص، وهل فعلا قدست تفاسير القرآن الكريم عبر التاريخ؟

والجواب عن هذه الأسئلة تظهر عوار هذه الأفكار، وأنها مجرد تخرصات لا غير، "ما أسماه بعلامات الإفهام، لا جديد فيها من حيث الإيجاد، أما من جانب التوظيف، فيؤخذ عليها، أمران:

الأول: أنها لا يعول عليها كثيرا في الإفهام، وهناك ما هو أفضل منها، وهو باب الوقف والابتداء، وعلامات الضبط الدالة عليه.

الثاني: جرأة على النص القرآني، بإضافة إليه ما ليس منه وإن كان موضوعا بين قوسين، وتتجلى الجرأة على النص القرآني في تسويته بكلامه ووضعه في المقام نفسه."[1]

المطلب الثالث: منهج الجابري في ترتيب السور حسب النزول وأثره في فهم القرآن:

أولا:منهجه في الترتيب:

بعد اطلاع الجابري على لوائح الترتيب التي عرضها السيوطي في الإتقان، واللائحة المعتمدة لدى الأزهر[2]، اتخذ من الاختلافات بينها مسوغا للاجتهاد في وضع ترتيب جديد، ويزعم أن هذا التصرف

في اللوائح المتوفرة، تبرره النتائج التي يمكن استخلاصها منه، واشترط على نفسه ألا يتصرف في الترتيب "إلا في ما ورد فيه قول أو أقوال تبرر تغيير موقعه من الترتيب"[3]، ولكنه لم يلتزم بشرطه، ولا يوجد له أثر في تفسيره.

وفي هذا السياق انتقد الجابري ترتيب نولدكه وبلاشير، واصفا إياه بعدم الجدة، وننقل كلامه ههنا للتدليل على تناقضه في مواقفه، فمن جهة ينكر صنيع المستشرقين، ومن جهة أخرى يحدو حدوهم، يقول: "..هذا التحقيب الذي خطه بلاشير لترتيب القرآن الكريم حسب النزول، يمكن القول إجمالا إنه لا جديد، فالتحقيب الذي اعتمده بلاشير مبني على التمييز بين خصائص المكي ومميزات القرآن المدني، وهي أمور معروفة وقد فصل القول فيها كثير من المؤلفين المسلمين قديما وحديثا، كما أن كتب السيرة

---

[1]- مقال: تجربة محمد عابد الجابري في التعامل مع القرآن الكريم، تعريفا، وفهما، وتفسيرا"دراسة نقدية"، غنية بوحوش، مجلة الشهاب، المجلد: 06، عدد 03(محرم 1442هـ/سبتمبر2020)، ص36.

[2]- اعتبرها ترتيبا واحدا، يرجع كلها إلى ما روي عن ابن عباس حسب ظنه.

[3]- ينظر: مدخل إلى القرآن، الجابري، ص245.

النبوية تقدم من الأحداث والاجتهادات ما يتطابق بهذه الدرجة أو تلك مع مراحل هذا التحقيب، أما ترتيب السور داخل هذا التحقيب، سواء كمجموعات، أو داخل كل مجموعة على حدة، فلا شيئ يفسره، فقد جاء اعتباطيا إلىحد كبير"[1].

كما انتقد الترتيب الذي اعتمده محمد عزة دروزة في كتابه"التفسير الحديث" بأنه لم يأتي بجديد، والسبب-حسب رأيه كما سبق ذكره-هو عدم توظيفه في بناء أي تصور عن مسار نزول القرآن الكريم[2].

ولنا أن نتساءل: ترى ما الجديد الذي أتى به الجابري في ترتيبه؟

1- المعايير التي اعتمدها في ترتيب النزول[3]: ذكر الجابري معيارين في كتابه هما:

أ- معيار التمييز بين المكي والمدني: وفي حالة السور المختلف في مكيتها أومدنيتها يعمل الإجتهاد، والترجيح بين الأقوال، مثل: الزلزلة، الرحمن، الإنسان، البينة، الحج..[4].

ب- ربط القرآن الكريم بوقائع السيرة: ويؤكد هنا -في ختام مقدمته المنهجية- على ما أسماه "جوهر محاولته التفسيرية"، والأساس العلمي الذي استندت إليه، فقال: "إذا كان من الضروري التعبير، في كلمات معدودة، عن جوهر ما دشنا القول فيه بهذا العمل، فنحن لا نتردد في ادعاء أننا نشعر بالتوفيق في "قراءة القرآن بالسيرة وقراءة السيرة بالقرآن" [5].

إن "قراءة القرآن بالسيرة" و"قراءة السيرة بالقرآن"، أمر جائز ولا غضاضة فيه، ولكن السؤال المطروح: ما هدف الجابري من تطبيقه لهذا المنهج؟

تبين لنا من استقراء منهج الجابري في توظيفه لأحداث السيرة النبوية في بيان آيات كتاب الله تعالى، أنه يقصد به التعمية على "أرخنة" النص القرآني، التي أعملها في التأويل، وربط من خلالها أحكام القرآن بأشخاص وأحداث ونوازل بعينها، لتسويغ إحالتها إلى التاريخية، ولتبرير قصرها على بيئة

---

[1]-مدخل إلى القرآن، الجابري ، ص240-243.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص243.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص245-254.

[4]- المرجع نفسه، ص246.

[5]- المرجع نفسه.

النزول دون سواها من البيئات، وعلى زمان النزول دون سواه من الأزمنة، وعلى مجتمع النزول دون غيره من المجتمعات، مما يتعارض مع عموم أحكام الشريعة، ومع شمول الإسلام للزمان والمكان والإنسان، ومما يتناقض مع ما صرح به الجابري نفسه في مطلع مقدمته، من أن "القرآن خطاب لأهل كل زمان ومكان".

هذا ما نستشفه من اعتداده بتفسيره، حيث يزعم في نهاية كتابه "مدخل" أنه نجح في محاولته لفهم القرآن حسب ترتيب النزول، الذي تمكن من خلاله من إيقاظ الحيوية التاريخية –كما يحلو له تسميتها– والتي –حسب رأيه– "لا بدّ منها لجعل موضوعنا معاصرا لنفسه ومعاصرا لنا في الوقت ذاته"[1].

وبناء عليه يتبين أن الجابري "جعل القرآن محكوم بظروفه الزمكانية التي نزل فيها، وفهمه هذا هو نفسه التاريخية.."[2]التي قال بها أركون ونصر حامد أبو زيد وغيرهما كما سبق بيانه.

وهنا قضية مهمة ينبغي التنبيه عليها وهي: أن الجابري عاد واعتمد على المعيار نفسه الذي اعتمده المستشرقين؛ أي "المطابقة بين المسارين: مسار السيرة النبوية، والمسار التكويني للقرآن" في تقسيم القرآن إلى مراحل ويستوحي التقسيم ذاته لنولدكه! وهو ما يدل على تناقضه واضطرابه في مواقفه، ففي كتابه المدخل إلى القرآن انتقد ترتيب نولدكه وبلاشير[3]وعلق عليه بقوله أنه لا جديد في التحقيب الذي وضعه نولدكه لأنه مبني على التمييز بين خصائص القرآن المكي ومميزات القرآن المدني وهي أمور معروفة وقد فصل القول فيها كثير من المؤلفين المسلمين قديما وحديثا..أما الترتيب داخل هذا التحقيب، فلا شيئ يفسره، فقد جاء اعتباطيا إلى حدّ كبير"[4].

2–مصادره في ترتيب النزول:

يمكن حصرها في ثلاثة مصادر:

–لوائح ترتيب النزول المدونة، وقد اعتمد ترتيب ابن عباس مع تعديلات لبعض السور بناء على

---

[1]– مدخل إلى القرآن، الجابري، ص428.

[2]– أباطيل وخرافات حول القرآن، ص140.

[3]– مدخل إلى القرآن، الجابري، ص241–242.

[4]– المرجع نفسه، ص243.

المعيارين السابقي الذكر. [1]

-ما ورد من أخبار ومرويات حول أسباب النزول هذه السور أو تلك، هذه الآية أو تلك

-ما استفاد من السور نفسها، من آياتها وسياقها ووجود اتصال بعضها مع بعض.

3-تقسيمه لسور القرآن إلى مراحل:

ميز الجابري في تسلسل السور حسب ترتيب النزول بين مراحل، يدعي أنه راعى فيها التطابق النسبي بين مسار التنزيل ومسيرة الدعوة، فوضع عناوين لكل مرحلة، وكان المعيار المعتمد هو "وحدة الموضوع"، حيث قسم العهد المكي إلى ست مراحل:

المرحلة الأولى: في النبوة والربوبية والألوهية.

المرحلة الثانية: في البعث والجزاء ومشاهد القيامة.

المرحلة الثالثة: في إبطال الشرك وتسفيه عبادة الأصنام.

المرحلة الرابعة: "الصدع بالأمر والاتصال بالقبائل".

المرحلة الخامسة: "حصار النبي وأهله فيشعب أبي طالب وهجرة المسلمين إلى الحبشة"

المرحلة السادسة: "ما بعد الحصار: مواصلة الاتصال بالقبائل..والاستعداد للهجرة إلى المدينة"

وفيما يلي سور كل مرحلة مرتبة حسب النزول:

[1]-مدخل إلى القرآن، الجابري ، ص254.

المرحلة الأولى	المرحلة الثانية	المرحلة الثالثة	المرحلة الرابعة	المرحلة الخامسة	المرحلة السادسة
1العلق	28 القارعة	38 ص	53الحجر	58 الزمر	66 نوح
2المدثر	29 الزلزلة	39 الأعراف	54الأنعام	59 غافر	67 الذاريات
3المسد	30 القيامة	40 الجن	55الصافات	60 فصلت	68 الغاشية
4 التكوير	31 الهمزة	41 يس	56 لقمان	61 الشورى	69 الإنسان
5 الأعلى	32 المرسلات	42 الفرقان	57 سبأ	62 الزخرف	70 الكهف
6 الليل	33 ق	43 فاطر		63 الدخان	71 النحل
7 الفجر	34 البلد	44 مريم		64 الجاثية	72 إبراهيم
8 الضحى	34 م1 العلق	45 طه		65 الأحقاف	73 الأنبياء
9 الشرح	34 م2 المدثر	46 الواقعة			74 المؤمنون
10 العصر	35 القلم	47 الشعراء			75 السجدة
11 العاديات	36 الطارق	48 النمل			76 الطور
12 الكوثر	37 القمر	49 القصص			77 الملك
13 التكاثر		50 يونس			78 الحاقة
14 الماعون		51 هود			79 المعارج
15 الكافرون		52 يوسف			80 النبأ
16 الفيل					81 النازعات
17 الفلق					82 الانفطار
18 الناس					83 الانشقاق

19 الاخلاص					84 المزمل
20 الفاتحة					85 الرعد
21 الرحمن					86 الاسراء
22 النجم					87 الروم
23عبس					88 العنكبوت
24 الشمس					89 المطففين
25 البروج					90 الحج
26 التين					
27 قريش					

أما العهد المدني: ضم 24 سورة، لم يقسمه إلى مراحل كما فعل مع السور المكية، ورتبها كالآتي:

91 البقرة	95 الأحزاب	99 محمد	103 النور	107 التحريم	111 الفتح
92 القدر	96 الممتحنة	100 الطلاق	104 المنافقون	108 التغابن	112 المائدة
93 الأنفال	97 النساء	101 البينة	105 المجادلة	109 الصف	113 التوبة
94 آل عمران	98 الحديد	102 الحشر	106 الحجرات	110 الجمعة	114 النصر

بالمقانة بين ترتيب الجابري وترتيب الخطاط قدور أوغلي نجد تطابقا في معظمه، ولم يخالفه إلا في بعض السور، مما يقودنا لنتيجة مفادها أن جميع مفسري القرآن الكريم حسب ترتيب النزول اتبعوا ترتيب واحد وهو ترتيب الخطا قدور اوغلي، وأقصد بهم: دروزة، والملا حويش، وحبنكة، والجابري.

السور التي غير الجابري ترتيبها مخالفا لترتيب قدور أوغلي:

-غير الفاتحة من الترتيب 5 إلى 20.

-نقل سورتي القلم إلى ترتيب 35، وأخر المزمل إلى ترتيب 84.

-فصل بين النصف الأول من سورتي العلق والمدثر ونصفها الثاني في الترتيب.

-وضع سورة القدر مع السور المدنية، في حين وضع خمس سور مدنية ضمن السور المكية وهي: الزلزلة، الرعد، الرحمن، الإنسان، الحج.

ونلاحظ أن تقسيمه للمراحل وترتيبه داخل كل مرحلة لا شيء يفسره، فقد جاء اعتباطيا لاغير، ولنأخد المرحلة الأولى كعينة من تفسيره ليتضح المقصود:

أ- **عنوان المرحلة**: عنونها ب"النبوة والربوبية والألوهية " وتتضمن سبع وعشرون سورة وهي على الترتيب: العلق، المدثر، المسد، التكوير، الأعلى، الليل، الفجر، الضحى، الشرح، العصر، العاديات، الكوثر، التكاثر، الماعون، الكافرون، الفيل، الفلق، الناس، الإخلاص، الفاتحة، الرحمن، النجم، عبس، الشمس، البروج، التين، قريش[1].

يقول: "النبوة والربوبية والألوهية" ثلاثة محاور يتحرك فيها الخطاب القرآني فيما نطلق عليه هنا المرحلة الأولى.."[2].

والسؤال المطروح: لماذا قصر هذه المحاور الثلاث على سبع وعشرين سورة فقط؟ ألا توجد هذه المحاور في باقي سور القرآن الكريم؟

للإجابة على هذا السؤال نقوم باستقراء لآيات القرآن الكريم:

أولا: محور النبوة: إن القارئ لكتاب الله لا يجد عناء في الجزم بأنه لا تخلو سورة من سور القرآن الكريم من ذكر للنبي ﷺ، بأي شكل من الأشكال، ويتأكد ذلك بالبحث الإلكتروني الذي يسهل على الباحث حصر الآيات في الموضوع الواحد، وقد أكد العلماء والدارسون على هذه الحقيقة أثناء دراستهم لشخصية النبي وتحليلها، من كل الجوانب: الأخلاقي، النفسي، الدعوي، التربوي..وغيرها [3].

---

[1]- التفسير الواضح، الجابري، ص17 .

[2] -المرجع نفسه.

[3]- وقد تصدت لها دراسات علمية وبحوث جامعية منها: دراسة حسن كامل الملطاوي الموسومة "رسول الله في القرآن الكريم"، والصادرة سنة 1972م، ودراسة الدكتور محمود بن الشريف الموسومة "الرسول في القرآن "، الصادرة سنة 1981م، ودراسة جلال الحنفي وعنوانها "شخصية الرسول الأعظم قرآنياً"، والصادرة سنة 1997م، وأطروحة الباحث أحمد محمد السروان "الآيات القرآنية المتعلقة بشخصية الرسول ﷺ"، وهي أطروحة دكتوراه في كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، سنة 1998م، ودراسة شهيد راضي حسين الموسومة "الخطاب القرآني الموجه إلى الرسول ﷺ"، وهي رسالة ماجستير في كلية الآداب جامعة البصرة، 2001م.

ولعل من أحسن ما اطلعت عليه في هذا الموضوع كتاب: " ذكر القرآن الكريم للرسول ﷺ" الذي أحصى فيه الآيات المتعلقة بالنبي، فكانت النتائج مذهلة وهي كالآتي[1]:

– أن القرآن الكريم ذكر فيه "رسول الله ﷺ" في 2672 موضع.

–وهي موزعة على 1203 آية.

–ويعني ذلك أن ما يقرب من خُمس آيات القرآن الكريم فيها ذكر بشكل أو بآخر للرسول عليه الصلاة والسلام.

–ويبلغ عدد الكلمات المختلفة التي ورد فيها ذكر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم 1167 كلمة مختلفة (بضمنها الكلمات ذات التشكيل المختلف)، وقد وردت هذه الكلمات في آيات مختلفة..

–وقد توزعت الآيات التي ذكر فيها ﷺعلى مائة وأربع سور.

–وقد خلت ثماني سور من كتاب الله من ذكره عليه الصلاة والسلام تمامًا وهذه السور هي سور: نوح والمرسلات والشمس والعاديات والتكاثر والعصر وقريش واللهب، ولعل في خلو هذه السور من أي ذكر له عليه الصلاة والسلام فيها حكم تستجلب انتباه المعتنين بتفسير القرآن.

مما سبق نلاحظ أن من ضمن السور الثمانية التي لم يذكر فيها النبي، ذكر الجابري ستة منها ضمن المرحلة الأولى التي زعم أن فيها ذكر وخطاب للنبي..وأن حصره لمحور "النبوة" في 21سورة فقط يعدّ من الجهل والادعاء على الله بغير علم، وقس على ذلك المحورين "الالهية" و"الربوبية".

ب– مميزات هذه المرحلة: ذكر الجابري مجموعة من المميزات لهذه المرحلة وهي:

–قصرها وقصر آياتها.

–أسلوبها الخاص.

–الخطاب النبوي والمضمون مختص به.

–استعمال اسم "الرب".

[1]– ذكر القرآن الكريم للرسول ﷺ، محمد زكي محمد خضر، 1422هـ–2001م، ص3.

-اسم الله لم يستعمل إلا ابتداء من سورة الإخلاص ذات الرتبة 22 وما بعدها.

فهل تنطبق هذه المميزات على جميع السور المرتبة في هذه المرحلة؟ وهل تخلو باقي السور منها؟

- أما قصر السور وقصر آياتها:

فصحيح ولكن هناك سور أخرى تشبهها في القصر لم يدرجها ضمن المرحلة الأولى، وهذا فيه إختلال في المنهج الذي ارتضاه، ومعلوم "إن سمات المكي والمدني الأسلوبية وكذا الموضوعية خاضعة لقضية البلاغة الجوهرية والمسلمة لدى كل ذي إلمام بالبلاغة والبيان عربيا أو غير عربي، وهي مراعاة مقتضى الحال..لذلك نجد في المكي سورا طوالا بل من أطول الطوال ونجد في المدني سورا قصارا وفيها الآيات والفقرات القصيرة، بل من أقصر القصار، كما في سورة "الفتح" وسورة "الكوثر" وهي أقصر سورة في القرآن وهي مدنية كما ثبت بذلك الحديث الصحيح الذي لا يقاوم"[1].

- أما الأسلوب الخاص:

فقد نهض علماء القرآن لدحض مثل هذه الشبه، حين بينوا خصائص كل من القرآن المكي والمدني، والفروقات بينهما، من ذلك الإختلاف في أساليبهما التي تتنوع بحسب تنوع الموضوعات التي يعنيان بها"ذلك أن المبنى والمعنى، والشكل والمضمون ركنان متآزران في الأداء القرآني، كل فكرة لها قالب، ولها أسلوب وتناغم خاص، وإثارة معينة للخيال والعاطفة".[2]

وقد تميز أسلوب القرآن المكي-كما يذكر في كتب علوم القرآن- بميزات منها:

1 - أنه يغلب عليه قصر الآيات والسور، وقوة التعبير والتناغم الموسيقى.

2 - كثرة الفواصل القرآنية وقصرها، وتنوعها بما يتناسب مع المعاني والمواقف والصور.

3 - كثرة أسلوب التأكيد، والاعتناء بوسائل التقرير أي ترسيخ المعاني وتثبيتها، فكثر في المكي القسم، وضرب الأمثال، والتشبيه وتكرار بعض الجمل أو الكلمات.

4 - إن الآيات المكية يكثر فيها التجسيم الحسي، وإضفاء الحركة وخواص الحياة على الأشياء،

---

[1] - علوم القرآن الكريم، نور الدين محمد عتر الحلبي، مطبعة الصباح، دمشق، ط1: 1414هـ-1993م، ص66-71.

[2] - ينظر: المرجع نفسه.

ولا سيما في مشاهد القيامة، وأهوال النار، وبيان أحوال أهل الجنة والنار، وكذلك القصص.

كما بينوا الحكمة من اختيار هذه الأساليب، يقول نور الدين عتر:

"والحكمة في اختيار هذه الأساليب للقرآن المكي واضحة ظاهرة لنزول القرآن بمكة، وكان أهلها ينكرون دعوة القرآن وهم أصحاب عنجهية، وحمية جاهلية، فكان المناسب لهم النذر القارعة، والعبارات الشديدة الرادعة ليزدجروا عن غيّهم، ويسلسلوا قيادهم أمام التأكيدات والتخييلات الحسية، كما أن مضمون خطابات القرآن في مكة لا يختص بالمؤمنين، بل يتوجه للناس أجمعين، يحمل الدعوة إلى أصول الإيمان، فكان من المناسب أن يبرز في إعجازها عنصر الجانب الصوتي، والجرس الموسيقى، فتصخ آياته الآذان، وتستولي على المشاعر وتدعهم في حيرة ودهشة مما يسمعون، فلا يلبث البليغ منهم أن يلقي عصا العجز، بل يرسلها قولة صريحة تعلن إعجاز القرآن".

أما القرآن المدني فتميز من حيث الأسلوب بسمات منها:

1 – طول أكثر السور والآيات، كما هو واضح ظاهر من سورة البقرة وآل عمران مثلا.

2 – أنها غالبا ما تسلك سبيل الهدوء، واللين في أسلوبها، واسترسال فواصلها.

"والحكمة في اختيار هذا الأسلوب اشتمال القرآن المدني على الموضوعات السابقة، وهي تقتضي البسط والإسهاب، كما أن الخطاب في المدينة توجّه في أكثره للمؤمنين وذلك يناسب الهدوء واللين"[1].

أما استعمال اسم "رب": فقد تكرر في القرآن 1069 مرة وفي جميع السور، باستثناء 17 سورة، نلاحظ أنه ذكر ستة منها لم يرد فيها اسم "رب" ضمن المجموعة وهي: التين، العصر، الماعون، الكافرون، المسد، الإخلاص، فكيف جوز لنفسه الافتراء على كتاب الله؟

لكنه سرعان ما يصطدم الجابري بصعوبات ترتيب السور في المراحل التي حددها، ويرجع ذلك إلى كون سورا كثيرة تتألف من آيات نزلت في مرحلة، ثم أضيف إليها آيات نزلت في مرحلة لاحقة، وأيضا لأن ما يطبع الروايات التي يمكن الاستعانة بها في هذا الشأن هو الاختلاف إلى حد التناقض.

هذا ما جعل محمد عمارة يحكم بفشل محاولة الجابري لترتيب القرآن حسب النزول كما فشلت

[1]– علوم القرآن الكريم، نور الدين محمد عتر الحلبي، مطبعة الصباح، دمشق، ط1: 1414هـ-1993م، ص66-71.

العديد من محاولات المستشرقين الذين سبقوه، أمثال فيشر (1865-1949م) وبريتسل (1893-1941م) وغيرهم.

ثانيا: أثر ترتيب النزول في فهم القرآن عند الجابري:

وضع الجابري لنفسه منهجا وضوابط لم يلتزم بها في أثناء تفسيره، منها: التأكد من مصداقية أي ترتيب للنزول يأخذ به[1]، الأمر الذي لم نجد له أثرا في تفسيره، وبناء عليه لا يمكن الحديث عن أثر ترتيب النزول في تفسير القرآن من خلال كتابه، ولكن لنسلم جدلا بصحة ترتيبه لنرى هل كان له أثر أم لا؟

1- أثره في معنى الآية:

يقول: "كنا قد فسرنا" رجز" في "تعريف القرآن" بالأصنام سيرا مع ما ارتآه معظم المفسرين، أما الآن وقد تتبعنا مضمون هذه الآية حسب سياق نزولها وترتيبه، فقد اتضح لنا أن معنى"الرجز": الراء والجيم والزاي، أصل يدل على اضطراب..وهذا المعنى يتفق تماما مع ظروف نزول الآية، أعني انقطاع الوحي وما تعرض له الرسول عليه السلام من اضطراب وقلق"[2]

تفسير قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[المدثر: 4] أما نحن فنرى أن المعنى الذي يعطيه السياق هو غسل الثياب التي على جسمه..باعتبار أنه جاء إلى بيته مضطربا من التجربة التي كانت له في الجبال المحيطة بمكة بسبب انقطاع الوحي"[3].

فترتيب نزول السورة، هداه -حسب ظنه- إلى ربطها بوقائع السيرة، وبالتالي إلى استنباط معاني جديدة لم يقل بها أحد من المفسرين الأوائل، فهو يفسر "الرجز" بالاضطراب، و"ثيابك فطهر" بطهارة الثياب الحسية.

تفسير ابن جرير للآيتين: " وهذا القول الذي قاله ابن سيرين وابن زيد في ذلك أظهر معانيه، والذي قاله ابن عباس، وعكرمة وابن زكريا قول عليه أكثر السلف من أنه عُنِيَ به: جسمك فطهر من الذنوب، والله أعلم بمراده من ذلك".

---

[1]- مقدمة التفسير الواضح للجابري 27/1.

[2]- المرجع نفسه، 27/1.

[3]- المرجع نفسه، 27/1

2-أثره في دراسة القصص القرآني حسب النزول:

حاول إبراز أهمية اعتماد ترتيب النزول في فهم القصص، فبعد تتبعه لعناصر القصص تبين له مايلي:

-أن كل موضع اشتمل على جديد أو تأكيد لما سبق[1].

-أن أحداث القصة توزع وتصاغ بالصورة التي تناسب الظرف الذي تجتازه الدعوة المحمدية، فقد يسبق ذكر ما ينتمي إلى آخر القصة أو وسطها-حسب التسلسل الزمني المفترض للأحداث- قبل ذكر ما ينتمي إلى أولها، إن القصد الأول هو الدرس الذي يستخلص من الحدث وليس موقع الحدث في القصة[2].

-أن التكرار الملاحظ في القصص القرآني، وهو في الحقيقة ليس تكرارا في المضمون، وإنما في الصيغة، المضمون واحد ولكنه يصاغ في كل مرة حسب مبدإ "لكل مقام مقال"[3].

إن المطالع في كتب البلاغة وعلوم القرآن، لا يجد عناء في معرفة أن ما توصل إليه الجابري بشأن فهم القصص القرآني حسب ترتيب النزول، صحيح ولكنه ليس جديد، فقد سبقه إليها العديد من الباحثين حول القصص القرآني[4]، فقد ذكرت الأغراض البلاغية للتكرار بصفة عامة، والأغراض البلاغية الخاصة بالتكرار في القصص التي يرد الحديث عنها تارة باسم الفوائد كما فعل الزركشي في البرهان، والسيوطي في معترك الاقران، وتارة تذكر ضمن حكم وأسرار التكرار في القرآن الكريم، كما في مباحث في علوم القرآن لمناع القطان وغيرهم.

وأكثر ما تذكر بلاغة التكرار في معرض دراسة وتحليل القصص، كما فعل أبو زهرة في كتابه

---

[1]-مدخل إلى القرآن، الجابري، ص292-399.

[2]- المرجع نفسه، ص270.

[3]- المرجع نفسه، ص292.

[4]- ينظر على سبيل المثال: البرهان في توجيه متشابه القرآن، للكرماني، محمود بن حمزة، تح: عبد القادر أحمد عطى، لبنان بيروت، دار الكتب العلمية، ط1: 1406هـ-1986م، درة التنزيل وغرة التأويل، للخطيب الإسكافي، تح: محمد مصطفى آيدين، المملكة العربية السعودية، مكة المكرمة، مكتبة الملك فهد، ط1: 1422هـ-2001م. التصوير الفني في القرآن، لسيد قطب، مصر، القاهرة، دار الشروق، ط16: 1423هـ-2002م، التعبير القرآني، لفاضل السامرائي، الأردن، عمان، دار عمار، ط2: 1422هـ-2002م، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، لعبد العظيم المطعني، مصر، القاهرة، ، مكتبة وهبة، ط1، وغيرها.

"المعجزة الكبرى" حين قرر أن التكرار في القرآن له مغزى، وأنه ليس كتاب قصص وروايات، متسائلا: "..فما وجه البلاغة في هذا التكرار؟" وكانت الاجابة بتحليل قصتي إبراهيم وموسى عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام[1].

وبناء عليه يمكن استنتاج-من خلال ماكتب- بعض الأغراض التي تعتبر من شواهد الإعجاز البلاغي للتكرار في القصص القرآني، وهي كالآتي:

1. التصرف في الأسلوب، وتأكيد إعجاز القرآن، لأن كل قصة كررت حصل في ألفاظها زيادة ونقصان وتقديم وتأخير، وكلها في أعلى درجات البلاغة[2].

2. تمكين العبرة والعظة، وإيقاظ الهمم، إذ بالتكرار ينتبه غير المنتبه، ويزداد إدراكا وتعمقا من أدرك[3].

3. إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة وأساليب مختلفة، مما يجعل النفوس تنجذب الى سماعها لما جبلت عليه من حب التنقل بين الاشياء المتجددة والاستلذاذ بها[4].

4. أنه اذا كرر القصة زاد فيها شيئا، ألا ترى أنه ذكر الحية في عصا موسى عليه السلام، وذكرها في موضع آخر ثعبانا، وفائدته أن ليس كل حية ثعبانا، وهذه عادة البلغاء، ان يكرر أحدهم في آخر خطبته أو قصيدته كلمة، لصفة زائدة[5].

5. تعدد المقاصد عند تكرار القصة، بحيث تختلف الغاية التي تساق من أجلها القصة، فتذكر بعض معانيها الوافية بالغرض في مقام، وتبرز معان أخرى في سائر المقامات حسب إختلاف الأحوال[6].

6. الإهتمام بشأن القصة، أو الجانب المكرر، لأن التكرار من طرق التأكيد وأمارات الإهتمام[7].

---

[1]- المعجزة الكبرى القرآن، أبو زهرة محمد، مصر، القاهرة، دار الفكر العربي، ص162-186.

[2]- اللآلىء الحسان في علوم القرآن، موسى شاهين، مصر، القاهرة، دار الشروق، ط1: 1423هـ-2002م، ص249-250.

[3]- المرجع نفسه، ص249-250.

[4]- معترك الاقران، السيوطي، ص263-264.

[5]- البرهان، الزركشي، ص508.

[6]- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص302-303.

[7] المرجع نفسه، ص302-303.

7. توافق وتناسب الجزء المعروض من القصة مع موضوع السور، والغرض الديني الذي سيقت لأجله، "فتعرض بالقدر الذي يكفي لأداء هذا الغرض، مثال: قصة عيسى عليه السلام، بدأت أول حلقة منها بمولده، وهو يعرض بتفصيل كامل، ذلك أن مولده هو الآية الكبرى في حياته، وحوله قام الجدل كله"[1].

8-إختلاف المعنى المستفاد من القصة لاختلاف السياقات التي تتكررفيه، "..تنسيقا للجو الروحي والفكري والفني الذي تعرض فيه.."[2].

خلاصة القول:

إن الجابري لم يطرح فهما جديدا للآيات يختلف عن سابقيه كما كان يزعم، كما لم نجد له أية معالجة موضوعية أو فكرية للقضايا المعاصرة والأزمات التي تعاني منها الإنسانية اليوم.

ولكنه وإن كان قد أخفق في تفسيره حسب ترتيب النزول، إلا أن النتائج التي توصل إليها من خلال دراسته للقصص القرآني بحسب ترتيب النزول –بغض النظر عن آرائه حول القصص- كانت موافقة لما ذهب إليه أهل الإختصاص في علوم القرآن.

كانت تلكم جولة في تفاسير القرآن حسب ترتيب النزول بشيئ من الاجمال، لننتقل بعدها إلى الفصل الثالث حيث التفصيل في نموذج البحث والمتمثل في أثر ترتيب النزول في تفسير القرآن الكريم من خلال تفسير دروزة.

---

[1]- التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، ص164-180.

[2]- في ظلال القرآن، سيد قطب، لبنان بيروت، دار الشروق، ط10، 1402-1982ص55.

خلاصة الفصل الثاني:

- إن الذي يقدم على أمر غير مسبوق إليه، يخالف به طريقة تعارف المفسرون لكتاب الله عليها، فيسلك منهجا في التفسير مغايرا لما درجوا على سلوكه، يقتضي منه أن يكون لديه ما يبرر مخالفته، مستندا على الحجج والبراهين الواضحة التي تحمله على ذلك، وهذا ما افتقدناه في مؤلفات التفسير حسب النزول السابقة الذكر.
- نلاحظ التطابق الواضح بين تراتيب النزول التي اعتمدها أصحاب التفاسير السابقة الذكر، مما يشير إلى أن مصدرهم واحد، وإن لم يشيروا إلى ذلك، والجزم بصحة ترتيب السور على ترتيب النزول أمر لم يتيسر لأي واحد منهم، لأن مثل هذا العمل يحتاج إلى الروايات التي تقطع بذلك.
- لم يحقق مستخدموا ترتيب النزول في تفاسيرهم الأهداف المرجوة التي سطروها في مقدماتهم، هذا إن لم نقل أن صنيعهم هذا أدى إلى مخاطر، أشار إلى بعضها الباحثون المخالفون لهذه الطريقة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث:

أثر ترتيب النزول في "التفسير الحديث" لمحمد عزة دروزة.

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المؤلف وتفسيره: ترجمة، وتعريفا، ومنهجا.

المبحث الثاني: منهج دروزة في ترتيب النزول.

المبحث الثالث: أثر ترتيب النزول في تفسير دروزة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: المؤلف وتفسيره ترجمة وتعريفا، ومنهجا:

المطلب الأول: السيرة الذاتية والعلمية للمؤلف:

أولا: السيرة الذاتية:

1-عصر المؤلف:

عاش محمد عزة دروزة المولود سنة 1305 هـ/1887م باكورة حياته بفلسطين في ظل الدولة العثمانية، ثم عاش بقية حياته متنقلا بين الدول العربية التي كانت خاضعة للانتداب البريطاني أو الانتداب الفرنسي، وقد اكتنف المرحلتين أحداث متلاحقة، واضطرابات متفرقة، كانت لها أثر كبير في فكر دروزة وتكوينه العلمي[1]. من ذلك انهزام الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى وتكالب الاستعمار على تقسيمها.

هذا بالنسبة إلى الوضع السياسي أما التعليم في عهد الدولة العثمانية فكان معتمداً على الكتاتيب والمساجد إلى أن أنشئت سنة 1857م وزارة التربية والتعليم، وكان في محافظة نابلس مسقط رأس دروزة عام1903م تسعون مدرسة ابتدائية، كما بلغ عدد المدارس التبشيرية فيها اثنتي عشرة مدرسة.

وفي هذا العصر تعرض الإسلام إلى موجات من التشكيك، انبرى علماء المسلمين في هذه المرحلة لدحضها، وكان أبرزها دعوى منافاة الإسلام للرقي والتقدم ومعارضته للعلم والعقل، وقد كان لدروزة سهم في الذوذ عن أصول الإسلام وثوابته، وذلك من خلال كتاباته الكثيرة التي سنوردها لاحقا، ولعل تفسيره حسب ترتيب النزول جاء في هذا السياق، يقول دروزة: "..فالإسلام ليس صالحاً لأنه موافق للديمقراطية أو الاشتراكية أو الرأسمالية أو الحرية الفردية، باعتبار أن هذه المفاهيم منبثقة عن الآخرين وإنما صلاحيته تنبثق من مقاييسه الخاصة في الخير والشر، ومعاييره الذاتية في الحق والباطل".[2]

هذه الأجواء السياسية والتعليمية، كان لها أثر في شخصية دروزة، حيث يمكن تلمس هذه الآثار في:

---

[1]-ينظر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1: 1993م، 1/10-11

[2]-ينظر: المرجع نفسه.

أ. **نظاله السياسي:** حيث شارك في عدة منظمات تحررية ضد الكيان الصهيوني، وتعرض للسجن والنفي.

ب. **حبه للاصلاح:** بعدما عاين بنفسه الواقع المؤلم للأمة الإسلامية، وما آلت إليه من ضعف وهوان، خاصة بعد رضوخها للمستعمر المستبد آنذاك.

ج. **كثرة تآليفه:** بين مقالات وروايات وكتب في مختلف المجالات.

2-اسمه ومولده، ووفاته:

ولد محمد عزة دروزة ليلة السبت الموافقة للحادي عشر من شهر شوال سنة 1305 هـ وتوافق آخر شهر جويلية من سنة 1887 ميلادية في مدينة نابلس بفلسطين، وأبوه عبد الهادي بن درويش بن إبراهيم بن حسن دروزة[1]، وافته المنية في حي الروضة بدمشق يوم الخميس 26 جويلية عام1984 ، الموافق 28 من شوال سنة1404 هـ.

ثانيا: السيرة العلمية:

1- تعليمه:

محمد عزة دروزة أديب، ومؤرخ، وصحفي، وناقد، ومترجم، وأحد أبرز مفكري العرب والمسلمين، تلقى دراسته الابتدائية والإعدادية في مدارس نابلس الفلسطينية، وعمل بعد تخرجه سنة 1906 في مصلحة البريد والبرق حتى عام 1918، وحين أُسست مدرسة النجاح في نابلس عين رئيساً لها (1922-1927)، وتنقل إبان الحكم العثماني للبلاد العربية في مدن فلسطينية ولبنانية وسورية، وقد يسرت له وظيفته هذه الاطلاع على الصحف، والمجلات المصرية التي كانت تصدر آنذاك مثل المؤيد، والأهرام، والمعتصم، والمقتطف، والهلال، فنمت مداركه، واتسعت ثقافته.

وتجدر الإشارة أنه لم يتح لهذا المفكر العصامي أن يتلقى من العلم أكثر من الدراسة الإعدادية، لكنه انكب على المطالعة والدراسة الشخصية والتثقيف الذاتي، وكانت حصيلة هذه الجهود طائفة من

[1]- لقب "دروزة" من الدرازة، بمعنى الخياطة حيث كان بعض أجداده خياطا أو درازا، وكان أبوه وجدّه يتعاطيان تجارة الأقمشة في نابلس.

المؤلفات والمخطوطات وعشرات المحاضرات في نوادي فلسطين وسورية ولبنان ومصر، وعشرات الأحاديث في إذاعتي دمشق ومكة المكرمة..وغيرها.

2- العلوم التي شارك فيها المؤلف:

بدأ دروزة نشاطه العلمي في الكتابة والتأليف في سن مبكرة، حيث كتب نحو عشرين مقالا في جريدة الحقيقة البيروتية، تناول فيها شؤونا متنوعة في الأخلاق، والسياسة والاجتماع، والأدب، كما ألف روايات عديدة، وكتب مدرسية في التاريخ القديم والمتوسط والحديث، درست هذه الكتب في المدارس الأردن وفلسطين[1].

وقد حفظ القرآن الكريم في سجنه في دمشق، وكتب خلال مدته أصول كتبه القرآنية الثلاثة، وهي: "عصر النبي عليه السلام وبيئته قبل البعثة من القرآن"، و"سيرة الرسول عليه السلام من القرآن"، و"الدستور القرآني في شؤون الحياة"، وفي هجرته إلى تركيا كتب "أصول التفسير"، وكتابه "القرآن المجيد" الذي جعله بمثابة مقدمة للتفسير، بالإضافة إلى أصول كتبه حول الحركة العربية الحديثة وتركية الحديثة وبواعث الحرب العالمية[2].

وقد أثرى المكتبة العربية بمؤلفاته في المجالات المختلفة ودراساته الإسلامية، التي وصلت لخمسة وأربعين مؤلفا في تسعين مجلدا، وفيما يلي ثبت بكتبه المطبوعة والمخطوطة[3]:

3-مؤلفاته التاريخية والقومية:

- **كتبه المطبوعة:** مختصر تاريخ العرب والإسلام، دروس في التاريخ المتوسط والحديث، تركيا الحديثة، حول الحركة العربية الحديثة، مشاكل العالم العربي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، الوحدة العربية، تاريخ الجنس العربي في مختلف الأطوار والأقطار من أقدم الأزمنة، العرب والعروبة في حقبة التغلب التركي، عروبة مصر قبل الإسلام وبعده، نشأة الحركة العربية الحديثة.

---

[1]-ينظر: مقال رجال الشرق(محمد عزة دروزة)، موقع الشرق العربي للدراسات الحضارية والاستراتيجية، https://www.asharqalarabi.org.uk/

[2]- ينظر: التفسير الحديث، دروزة، 10/23-32.

[3]- مذكرات محمد عزة دروزة، ، ص10-16.

- **مؤلفاته المخطوطة:**

. تاريخ العروبة والإسلام تحت راية العباسيين.

. تاريخ العروبة والإسلام في الأندلس.

. تاريخ العروبة والإسلام في جزيرة العرب.

. تاريخ الكويت والخليج العربي إبان فترة الحكم العثماني.

. رسالة موجزة عن الوحدة العربية: مقوماتها وضروراتها.

- **مؤلفاته في القضية الفلسطينية:**

– **الكتب المطبوعة:** تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، مأساة فلسطين، جهاد الفلسطينيين، الجذور القديمة لسلوك وأخلاق بني إسرائيل، قصة الغزوة الصهيونية، في سبيل قضية فلسطين، عبرة من تاريخ فلسطين القديم، الجزء الأول والثاني من كتاب العدوان الإسرائيلي القديم والعدوان الصهيوني الحديث على فلسطين وما جاورها.

– **المؤلفات المخطوطة:** في سبيل قضية فلسطين والوحدة العربية، مجموعة مقالات في القضية الفلسطينية.

- **مؤلفاته في الفكر الإسلامي:**

عصر النبي وبيئته قبل البعث، سيرة الرسول ﷺ . من القرآن الكريم، القرآن والمرأة، القرآن والضمان الاجتماعي، القرآن المجيد، الدستور القرآني في شؤون الحياة، التفسير الحديث، المرأة في القرآن والسنة، الإسلام والاشتراكية، القرآن والمبشرون، القرآن والملحدون، الجهاد في سبيل الله في القرآن والسنة. .

- هذا إضافة إلى مذكراته" خمسة وتسعون عاماً في الحياة (1888 - 1982) "، التي تعتبر من أغنى الوثائق بمادتها العلمية والتاريخية، ففيها تفاصيل حضارية للبيئة والمجتمع والحياة والطبيعة في البلاد الفلسطينية إضافة للأحداث السياسية التي رافقت الانتداب الإنكليزي والاستيطان الصهيوني ونهوض الفلسطينيين لمقاومتهما، وفي المذكرات تفاصيل الحالة في أواخر الدولة العثمانية ومحاولات العرب

الوحدوية وترجمات لعشرات الرجالات العرب البارزين الذين التقى بهم وعايشهم لسنين طويلة أيام التدريس والجهاد والنفي والعمل لأجل قضية فلسطين والوحدة العربية[1].

ثالثا: وظائفه ونشاطه السياسي:

تقلد محمد عزة دروزة عدة وظائف إدارية إلى أن أقيل من طرف المستعمر سنة 1939.

وكان له نضال سياسي، حيث كان عضوا في عدة منظمات وأحزاب، مثل الجمعية العلمية العربية في نابلس، والمؤتمر العربي الفلسطيني لغاية سنة 1933 كما كان مؤسسا وعضوا لحزب الاستقلال العربي في فلسطين وأمينا لماله (1932- 1936).

وقد اعتقل وحوكم أكثر من مرة، من طرف المستعمر الإنجليزي، وحاكمته السلطات الفرنسية في محكمة عسكرية في دمشق بسبب نشاطه في تغذية وإدارة ثورة فلسطين وفي سنة 1941 نزح عن دمشق ولجأ إلى تركية على أثر الغزوة الإنكليزية لسورية وعاد سنة 1945 إلى دمشق بعد نهاية الحرب العالمية وما زال فيها. وانتدب لعضوية الهيئة العربية العليا ولتمثيلها في دمشق وفي مجلس الجامعة العربية واللجنة السياسية والعسكرية فيها (1946- 1947). وبعد تعرضه لضعف صحي، صرف أكثر جهده ووقته إلى النشاط العلمي، حيث شارك كعضو في مجمع اللغة العربية في القاهرة سنة 1956م، وشارك أيضا كعضو للمجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية سنة 1958م، كما انتسب إلى اتحاد الكتاب العرب في سوريا، الذي رشحه لجائزة الدولة التقديرية سنة 1969 على مجمل نشاطه العلمي والثقافي والسياسي والوطني.

المطلب الثاني: التعريف ب"التفسير الحديث":

أولا: ضبط عنوان الكتاب ونسخه وطبعاته وسبب تأليفه:

1-عنوان الكتاب ومؤلفه: "التفسير الحديث" ترتيب السور حسب النزول، عدد المجلدات: عشرة أجزاء، تأليف: محمد عزة دروزة النابلسي.

[1]- ينظر: التفسير الحديث، دروزة، 10/23-32.

2- نسخ الكتاب وطبعاته:

- **الطبعة الأولى**: القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، سنة 1381هـ إلى 1383هـ، 1961م إلى 1964م.

- **الطبعة الثانية**: بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1421هـ/2000م، طبعة جديدة ومنقحة ومزيدة بإلحاق كتاب: "القرآن المجيد" كمقدمة للتفسير، وقد طُبع هذا التفسير في عشرة أجزاء، مذيلة بفهارس علمية للأحاديث والأقوال، والفقه، والأعلام، والشعوب والقبائل والطوائف، والأماكن والأصنام، والأيام، والغزوات، والوقائع والأحلاف، والشعر، والكتب الواردة في التفسير.

3- سبب وزمن تأليف الكتاب:

ذكر دروزة في مقدمة الطبعة الأولى من كتابه، كيف انبثقت لديه فكرة كتابة تفسير شامل، وبين سبب تأليفه وقصده من ذلك[1].

بدأ كتابة تفسيره سنة (1941-1945م)، أثناء هجرته إلى تركيا، حيث انكب على المطالعة والتأليف، فكتب أولا مسودات تفسير القرآن الكريم حسب نزول السور، ثم أعاد النظر فيه ثانية بعد عودته إلى دمشق-بالرجوع إلى مصادر كثيرة- وأدخل على المسودات تنقيحات وتصحيحات في خلال سنة (1961-1962م)، فطبع في عشرة أجزاء، جعل كتابه" القرآن المجيد" بمثابة مقدمة لتفسيره.

ومما يجدر الإشارة إليه أن كتابته للتفسير جاء بعد فراغه من تأليف كتبه الثلاثة: "عصر النبي ﷺ" و"سيرة الرسول ﷺ من القرآن" و"دستور القرآن في شؤون الحياة".

أما عن مقصده فقد صرح بما يلي:

- عرض القرآن بكامله بعد أن عرضه فصولا حسب موضوعاته في الكتب الثلاثة.
- إظهار حكمة التنزيل، ومبادئ القرآن ومتناولاته بأسلوب وترتيب حديثين.
- التجاوب مع الرغبة الشديدة لكثير من الشباب الذين يتذمرون من الأسلوب التقليدي، ويعرضون عنه.

[1] -ينظر: مقدمة الطبعة الأولى، التفسير الحديث، دروزة، ص5.

- شدة الحاجة إلى مثل هذا الأسلوب، بسبب ما يتعرض له الشباب من تيارات فكرية منحرفة، الواجب تنبيههم وانقاذهم.

4- تحليل محتويات المقدمة:

إن مقدمة التفسير الحديث احتوت مادة علمية قيمة، كما احتوت آراء المفسر في كثير من المسائل والموضوعات وهي آراء من الأهمية بمكان في معرفة منهجه، ولكن لن أتطرق لمناقشتها الا بما يخدم موضوع البحث.

أ- مقدمة الطبعة الأولى:

ذكر دروزة في هذه المقدمة، منهجه مفصلا[1]، ثم بين الأسلوب الذي انتهجه في تفسيره، حيث اتبع ترتيب السور وفق نزولها، مخالفا بذلك تفاسير جمهور السلف.[2]

وقد اختار هذا المنهج الجديد –حسب رأيه- للأسباب الآتية[3]:

- ✓ أنه يتسق مع المنهج الذي اعتقده أنه الأفضل لفهم القرآن وخدمته.
- ✓ أنه يمكنه من متابعة السيرة النبوية زمنا بعد زمن.
- ✓ يمكن من متابعة أطوار التنزيل ومراحله بشكل أوضح وأدق.
- ✓ جعل القارئ يندمج في جوّ نزول القرآن، وجوّ ظروفه ومناسباته، ومداه، ومفهوماته..
- ✓ به تتجلى للقارئ حكمة التنزيل.

بحث المؤلف مسألة التفسير وفق ترتيب النزول، من جانبين، الجانب الأول من حيث الجواز وعدم الجواز، فنقل فتوى العلماء على جوازه فقال: " لقد استخرنا الله بعد أن تلقينا هذين الجوابين من الأستاذين الجليلين (يقصد: الشيخ أبي اليسر عابدين مفتي سورية، والشيخ عبد الفتاح أبا غدة مفتي حلب) وعزمنا على السير في الطريقة المذكورة لما لها من فوائد عظيمة دون أن يكون لها مساس بقدسية القرآن"[4].

---

[1]- ينظر: مقدمة الطبعة الأولى، التفسير الحديث، دروزة، ص 6-10.

[2]-ينظر: المرجع نفسه، ص 10-18.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص9.

[4]- المرجع نفسه، ص12.

أما الجانب الآخر، فيتعلق باختلاف المرويات في ترتيب السور حسب النزول، وذكر أنه اعتمد ترتيب الذي جاء في مصحف الخطاط قدروغلي[1](1846-1913م)، المطبوع تحت إشراف لجنة خاصة من ذوي العلم والوقوف، وزارة الداخلية المصرية وبإذن مشيخة المقارئ المصرية[2].

وأورد ترتيب السور الذي اعتمده في جدول، منبها أنه خالف هذا الترتيب في بعض المواضع، أثناء تفسيره، مبينا دوافعه في ذلك[3].

ب- مقدمة الطبعة الثانية:

جعل دروزة كتابه " القرآن المجيد" مقدمة لتفسيره، جاءت فيما يقرب من مائتين وخمسين صفحة، شرح فيها المنهج الذي سار عليه في التفسير، وقد ضمنها أربعة فصول هي كالآتي:

الفصل الأول وعنونه: "القرآن وأسلوبه ووحيه وأثره"، اشتمل على مجموعة من المباحث، وهي:

- **القرآن والمسلمون**: نوه بفضل القرآن الكريم وأهميته للنهوض بالأمة، " ففيه أصول دينهم، وشرائع حياتهم..ونور هدايتهم في مختلف شؤونهم الدينية، والدنيوية، الروحية والمادية..السياسية والقضائية والإجتماعية.."[4]

- **القرآن وشخصية النبي ﷺ**: تطرق لقضيتين جوهريتين هما: إثبات الوحي، وإثبات النبوة، وردّ الشبهات عنهما، وساق لأجل ذلك مجموعة من الآيات مما يزيل الشك ويقوي اليقين في صدق الوحي وصدق النبوة.[5]

- **الدعوة القرآنية**: شرح فيه مقاصد القرآن، والتي حصرها في: الدعوة إلى عبادة الله وحده، الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة، بيان أسباب سعادة الدارين، التصديق بالأنبياء والكتب المنزلة، تقرير أن الإسلام هو الدين الحق.

---

[1]-هو الخطاط السيد مصطفى نظيف، الشهير بقدروغلي، أو قدرغه لي، كان شهيرا بكتابة المصاحف بأستانبول، ينظر: ترجمته من موقع الخطاطون https://khattatin.blogspot.com/2019/04/blog-post.html

[2]- التفسير الحديث، دروزة، ص13.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص16.

[4]-المرجع نفسه: 70/1.

[5]-ينظر: المرجع نفسه: 27/1-32.

ثم ذكر خصائص الشريعة الإسلامية، والمتمثلة في: الشمولية، والإعجاز التشريعي، واحتواؤها على حلول للمشاكل، وتنظيم العلاقات بين المسلمين وغيرهم[1].

– **أسلوب القرآن:** وصفه بالرائع لتميزه بخصوصيات جعلته فذا بالنسبة لأسلوب الكتب السماوية السابقة، وبالنسبة لما هو مألوف من أساليب النظم والسبك والخطاب..[2].

– **القرآن والبيئة والسيرة النبوية:** أوضح أن القرآن اشتمل على بيان شيئا من بيئة النبي ﷺ وعصره، وظروف البعثة والسيرة النبوية في عهديها المكي والمدني، وبين أن ما ورد لم يكن قصدا لها بالذات، إنما جاء عرضا، وبسبيل الدعوة والموعظة والتذكير..قال: "فالقرآن من أجل ذلك كله، كان وسيضل موضوع نظر وتدبر، واستلهام واستنباط لدى الناس على مختلف الملل والنحل والأجناس.."[3]

– **الوحي الرباني والوحي القرآني:** يورد آيات عديدة وأحاديث تثبت صلة النبي بالوحي، وبدء الوحي، وكيفيات الوحي، وفرق بين الوحي الرباني، والالهام، والأحاديث القدسية، والوحي القرآني الذي نزل به جبريل..[4]

– **أثر القرآن الروحي وبلاغته النظمية:** في هذا المبحث يقرر أن إعجاز القرآن لا ينحصر في إعجازه البلاغي فقط، بل يتعداه إلى ما أسماه "روحانية القرآن وقوة نفوذه" إضافة إلى"روحانية الدعوة النبوية".[5]

– **أثر الدعوة القرآنية في نجاح الفتوحات الإسلامية:** ردّ شبهات القائلين أن انتصار المسلمين إنما هو انتصار للعروبة، لا للدعوة المحمدية، وتأثر الناس بالعامل الاقتصادي في بلاد الغرب والعامل السياسي بالفرس والروم، وأن الذين أسلموا إنما أسلموا للتخلص من الجزية أو فرارا من الاضطهاد..[6] وأنكر على بعض الكتاب الذين يشيدون بتأثير النصارى في المسلمين وفضل النصرانية كدين في حضارة بلاد الشام والعراق ومصر[7].

---

[1]–ينظر: التفسير الحديث، دروزة: 33/1

[2]–ينظر: المرجع نفسه: 34/1.

[3]–المرجع نفسه، 35/1.

[4]–ينظر المرجع نفسه، 45/1.

[5]–ينظر: المرجع نفسه، 50/1.

[6]–ينظر: المرجع نفسه، 52/1-55.

[7]–ينظر: المرجع نفسه، 52/1.

– **تطور سيرة النبي والتنزيل القرآني**: ردّ شبهة: تطور السيرة النبوية، التي يعنون بها، تطور النبي من نبي إلى حاكم في العهد المدني، وشبهة تطور الشريعة[1].

– **القرآن والعرب في عهد النبي**: بين في هذا المبحث أن كل ما يمكن أن يقوله كافر جاحد شديد العداء عن القرآن والنبي، قد قاله كفار العرب في حضرته ﷺ، وقد تكفل القرآن بردّها بالحجج المفحمة[2].

أما الفصل الثاني الموسوم ب" جمع القرآن وتدوينه وقراءاته ورسم المصحف وتنظيماته":

فقد ساق الروايات الواردة في جمع القرآن الكريم، وتطرق لمسألة اختلاف مصاحف الصحابة[3]، وناقش الأقوال الواردة في تدوين القرآن وترتيب آياته وسوره، وذكر الأدلة على أن القرآن كان يدون وترتب آياته وسوره في حياته ﷺ، وأن ترتيب مصحف عثمان متصل بعهد النبي وتوقيفه.[4]

ثم أفرد مبحثا أطنب فيه، للتعليق على الروايات والأقوال والترجيح بينها بالأدلة[5]، ومما يلفت الانتباه موقفه من وسائل كتابة القرآن في عهد النبي والخلفاء الراشدين، حيث نفى أن يكون القرآن قد دون على الوسائل البدائية الثقيلة الضخمة، وإن وجد فهو قليل وليس هو الأصل، وأثبت أن الورق والقرطاس مما استعمل في كتابة القرآن في عهد النبي وعهد أبي بكر، استنادا إلى روايات وآيات تفيد ذلك، ورأيه هذا فيه نظر.

أما مسألة ترتيب القرآن، فذهب إلى القول بتوقيف ترتيب المصحف[6]، وأورد الروايات والآثار ثم عقب عليها بقوله: "..إذا نظرنا في الروايات المتناقضة لهذه النتائج نجدها كلها أو جلها غير واردة في كتب الحديث الصحيحة، وكثير منها لم يذكر له أسناد متسلسلة معدلة، وفيها من التناقض والتغاير ما يحمل على الشك في صحة روايتها"[7].

---

[1]-ينظر: التفسير الحديث، دروزة ، 1/55-63.

[2]-ينظر: المرجع نفسه، 1/63-66.

[3]-ينظر: المرجع نفسه، 1/70.

[4]-ينظر: المرجع نفسه، 1/77.

[5]-ينظر: المرجع نفسه، 1/85-111.

[6]-ينظر: المرجع نفسه، 1/93.

[7]-المرجع نفسه، 1/95-96

ثم أعقب هذه المسألة، بمباحث متفرقة في علوم القرآن، كأسماء السور، وذكر السجدات، ومبادئ الأجزاء والأحزاب، وشكل المصحف ونقطه وعلامات الوقف والوصل[1]، وذكر أنها لم تكن تكتبت في مصاحف عثمان، بل استحدثت بعده، بخلاف فصل السور بالبسملة، فإنه منذ ترتيب المصحف الأول، مع إشارته إلى خلاف أهل العلم في كون البسملة آية أم لا[2].

ثم تطرق لمسألة ترتيب نزول السور، وصفاتها، وعدد آياتها، وأرقامها، وفواصلها، وقال أنها أمر تنظيمي لم يكن في المصحف الإمام، باستثناء الفواصل بين الآيات فهو أمر توقيفي، وأشار هنا إلى اختلاف كتابة هذه المعلومات في المصاحف، واختلاف عدد الآيات في السور[3].

ختم هذا الفصل بخلاصة دراسته لترتيب النزول، فبعد إطلاعه على ترتيبات مختلفة في كتب علوم القرآن، والروايات والآثار الواردة في ذلك، صرح: "..إنه ليس هناك ترتيب يثبت على النقد والتمحيص بكامله، أو يستند إلى إسناد وثيقة متصلة بالعهد النبوي"[4].

ونفهم من أقوال دروزة أنه كان يعي تماما إشكالية ترتيب النزول لسور القرآن الكريم، حيث قال: "..وكل ما يمكن أن يقال في مثل هذه السور أن وضعها في ترتيب النزول كسور تامة بعد سورة تامة حقيقةً أو رواية، إنما جاء من أن فصلها الأول أو فصولها الأولى قد نزلت بعد الفصل الأول أو الفصول الأولى من السورة التي قبلها"[5]، ومثل لذلك بسورة العلق.

وفي الفصل نفسه تحدث عن رسم المصحف، حيث نقل خلاف العلماء في وجوب الالتزام به، واختار القول بعدم الزاميته، لعدم وجود نص ثابت عن النبي ﷺ يمنع ذلك تيسيرا على الأمة ولوجود تباين في رسم بين القراءات[6].

– **القراءات:** لدروزة رأي خاص فيما يخص القراءات، فهو لايرى ضرورة لبقائها والعمل بها، حيث يقول: "مما يخطر للبال سؤال عما إذا كان هناك ضرورة دينية لهذه القراءات المتعددة المختلفة بل

---

[1]– ينظر: التفسير الحديث، دروزة ، 1/128-129

[2]– ينظر: المرجع نفسه 1/119.

[3]– ينظر: المرجع نفسه 1/123

[4]–المرجع نفسه1 /125

[5]–المرجع نفسه، 1/125.

[6] –ينظر: المرجع نفسه، 1/130-136

والمتباينة حينا في القطر الواحد، والذي نراه ليس هناك ضرورة دينية لذلك وخاصة بالنسبة لجمهور المسلمين وأنهم يكفيهم أن يقرؤوا القرآن بقراءة واحدة من القراءات المأثورة من مصحف كتب بالرسم الدارج بينهم..فلا تكون قراءتهم متوقفة دائما على التلقي لأن ذلك غير ميسور.."[1] وهذا مما يؤخذ عليه.

أما الفصل الثالث، المعنون "بالخطة المثلى لفهم القرآن وتفسيره":

فيتضح من خلاله أن دروزة مطلع على تفاسير عديدة، مما جعله يضع-حسب رأيه- أفضل الطرق لفهم القرآن وتفسيره، وذكر لأجل تحقيق ذلك وجوب ملاحظة الأمور التالية مجتمعة:

- ✓ اشتمال القرآن على السيرة النبوية ووقائع حدثت في عهده كالنسخ مثلا[2].
- ✓ علاقة القرآن ببيئة النبي وعصره[3].
- ✓ لغة القرآن والتي هي لغة البيئة النبوية، وهنا يرد دروزة القول أن الله أرسل محمدا بالقرآن فائقا على بلاغى البلغاء في ظرف كانت سوق الفصاحة فيه رائجة، ونفى أن يكون القصد من القرآن أن يكون معجزا في فصاحته وبلاغته اللغوية وأنه أعلى من مستوى أفهام الناس وبلاغة بلغائهم، وقال أن هذا لايصح، مؤكدا أن القرآن في لغته وسبكه وأساليبه واصطلاحاته..ليس مغلقا أو غامضا..على متوسط الأفهام والأذهان[4]، وحتى لا يفهم من هذا الكلام أن دروزة يقصد نفي إعجاز القرآن وعلو طبقته اللغوية والنظمية استدرك بنفي ذلك بإثبات إعجاز القرآن، وذكر شواهد من القرآن على ذلك[5].
- ✓ القرآن أسس ووسائل: قسم دروزة القرآن إلى أسس ووسائل، فالأسس: كالتوحيد والواجبات والتشريعات والأحكام، وهي المقصودة الجوهرية في القرآن أولا، أما الوسائل: فهي القصص، الأمثال، الوعد، الوعيد..وغيرها[6].
- ✓ القصص القرآني: ادعى أنها لم تكن غريبة عن السامعين زمن النبي ﷺ وساق الشواهد من القرآن،

---

[1] - التفسير الحديث، دروزة ، 138/1.

[2] -المرجع نفسه 141/1.

[3] -المرجع نفسه، 145/1

[4] -ينظر: المرجع نفسه، 150/1.

[5] -ينظر: المرجع نفسه 149/1-154.

[6] -ينظر: المرجع نفسه، 157/1.

واحتج بوجود بعضها في الثوراة، والإنجيل المتداولة عند أهل الكتاب، وكذا عدم مجادلة المشركين وأهل الكتاب في القصص، وعدم الطعن فيها مما يؤكد ما ذهب إليه من أنها كانت مؤلوفة لديهم. ثم رد على من قال أن النبي ﷺ لم يكن له معارف مكتسبة مستشهدا بالعقل والمنطق[1]، وهذا مما يؤخد عليه.

- ✓ الملائكة والجن في القرآن: يقرر دروزة أن ذكر الملائكة، والجن في القرآن من الوسائل التدعيمية للدعوة وليس مقصودا لذاته وأن أخبارهما لم تكن غريبة على السامعين، مستدلا بما ورد في القرآن من شواهد[2].
- ✓ مشاهدة الكون ونواميسه: ذكر أن المقصد من ورودها في القرآن لفت نظر السامعين إلى عظمة الله وسعة ملكوته وبديع صنعه وإتقانه، تأييدا لهدف رئيس وهو وجوب وجود الله واتصافه بأكمل الصفات ووحدانيته..وليس القصد من ذكرها تقرير ماهيات الكون وأطوار الخلق..[3].
- ✓ الحياة الأخروية في القرآن: يقول أن تلك المشاهد جاءن بأسلوب ينسجم مع ما ألفه السامعون والهدف منه إثارة الرهبة والخوف في نفوس الظالين وبث الاغتباط والطمأنينة في نفوس الصالحين، واعتبرها من أقوى الدعائم الانذارية والتبشيرية لأهداف القرآن وأسسه وأشدها تأثيرا وإثارة. ويؤكد دروزة معنى كونها وسائل حتى يتجنب الاستغراق في الجدل حولها والتورط والتكلف..[4].
- ✓ ذات الله في القرآن: قال دروزة أن ورود أسماء وصفات الذات الالهية إنما جاء كذلك على سبيل التقريب والتشبيه وينزه الله على المشابهة[5]، وهذا أيضا مما أخد عليه.
- ✓ الفصول القرآنية وسياقها: يؤكد دروزة أنها متصلة السياق ترتيبا، أو موضوعا، أو سبكا، أو نزولا وبين أهمية اعتماد السياق والتناسب بين الفصول القرآنية في فهم القرآن، ولمس إعجازه، وإتقانه ومثل بآيات من القرآن[6].

---

(1) -ينظر: التفسير الحديث، دروزة، 1/163-178.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، 1/178-182.

(3) -ينظر: المرجع نفسه، 1/182.

(4) -ينظر: المرجع نفسه، 1/184-188.

(5) - ينظر: المرجع نفسه، 1/188-189.

(6) -ينظر: المرجع نفسه، 1/192.

✓ فهم القرآن من القرآن: اعتبره الأوثق والأوكد والوسيلة الفضلى لفهم القرآن ودلالاته وظروف نزوله ومناسباته.

أما الفصل الرابع: "نظريات وتعليقات على كتب المفسرين ومناهجهم"

خصص دروزة هذا الفصل لنقد كتب التفسير، فذكر بعض الثغرات التي تنقص-حسب رأيه-من قيمتها، وتؤدي إلى التشويش على الناظر في القرآن ومراميه..وتجعل القرآن عرضة للغمز والجرح من قبل الأغيار، ومستندا من مستندات أعداء الإسلام.[1]

نستطيع إجمال تلك الثغرات التي ذكرها دروزة فيما يلي:

1. كثرة إيراد روايات أسباب النزول، وروايات التفسير دون تمحيص.

2. التوسع في تفسير القصص بالخرافات والروايات العجيبة، مما يخرجها عن أهدافها.

3. الولع بالتفسير العلمي، مما يقحم القرآن الكريم في نظريات متطورة غير ثابتة.

4. التشاد المذهبي في سياق التفسير.

5. الولع بأسرار القرآن ورموزه، كالتخمين حول معنى الحروف المقطعة.

6. الولع بالتفريع والاستطراد إلى البحوث المتنوعة الآلية والعقلية والكونية والكلامية، والطبيعية والفقهية والفلسفية..

ختم الفصل بمناقشة آراء العلماء في التفسير بالرأي، فسرد أدلة كل فريق، وذهب إلى وجوب الالتزام بالمأثور شرط تمحيص المرويات في التفسير اسنادا ومتنا.[2]

وذيل هذه المقدمة الطويلة بخاتمة وضع فيها خطته الإجمالية في التفسير، وذكر شرطه في التفسير أن يكون واف بالغرض، غير مطول ممل، ولا موجز مخل، تجتمع فيه الملاحظات، وتتحاشى فيه الثغرات.[3]

---

[1]-ينظر: التفسير الحديث، دروزة، 1/250-256

[2]-المرجع نفسه، 1/271-275.

[3]-ينظر: المرجع نفسه، 1/276

المطلب الثالث: منهج دروزة في تفسيره:

أولا: موارد الكتاب وأثرها في التفسير:

إن الناظر في تفسير دروزة، يجد أن مصادره كثيرة ومتنوعة، شملت كتب التفسير، والحديث، والسيرة، واللغة، والتاريخ، وغيرها، ويتمثل نقله منها إما نقلا مباشرا بالنص أو بالمعنى، وإما بالنقد وعدم التسليم لكل ما ينقله، أوبالترجيح بين الأقوال إن بدا له ذلك.

ومن أهم الكتب التي اعتمدها:

1-كتب التفسير: نقل المؤلف من تفاسير عديدة، منها:

أ- تفسير الطبري: واعتبره أهم مصادره، وكثيرا ما يدعوه "شيخ المفسرين"، وكان يرى أنه" استوعب جميع الأقوال، وليس في كتب التفسير الأخرى أقوال مغايرة"[1]، وقد أخد عنه الروايات وأقوال الصحابة والتابعين، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، ويعزوها إليه، ومن أمثلة ذلك:

-نقل ما رواه الطبري عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢ ﴾[سورة فاطر: 32]

منها حديث أبي سعيد الخدري قال: "إن النبي ﷺ تلا هذه الآية فقال هؤلاء كلهم في الجنة".[2]

- ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ ٤٨ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ٤٩ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ ٥٠ ﴾ [سورة الدخان: 48-50]: "ولقد روى الطبري عن قتادة أن الآيات [48- 50]- من سورة الدخان- نزلت في أبي جهل الذي قال في مجال الافتخار حينما أنذره النبي ﷺ بآيات سورة العلق [15- 16]: "أيوعدني محمد والله لأنا أعزّ من مشى بين جبليه..."[3].

---

[1]- ينظر: التفسير الحديث، دروزة، 13/2-14.

[2]-المرجع نفسه126/2.

[3]-المرجع نفسه ، 555/4.

ومع اعتماده على تفسير الطبري إلا أنه كان يعرض عن نقل تفاصيل القصص التي أطال الطبري فيها، حيث يقول: "وفي تفسير الطبري وغيره بيانات كثيرة في سياق هذه الحلقة أيضا عن صالح وقومه وناقته، وتآمر قومه عليه وعلى الناقة لم نر ضرورة ولا طائلا في إيرادها أو تلخيصها لأنها لا تتصل بالهدف القرآني وهو العبرة والتذكير"[1].

ب- تفسير ابن كثير: يأتي في المرتبة الثانية بعد تفسير الطبري من حيث اعتماد دروزة عليه، كان يلقبه بالإمام المفسر الكبير، نقل عنه الروايات والآثار، وكان يشيد به كثيرا كقوله: "وهناك نصوص عديدة أخرى في كتب التفسير وبخاصة في تفسير ابن كثير لا تخرج عن نطاق ما أوردناه فنكتفي بما أوردناه"[2]، ومن أمثلة ذلك:

-قوله: "ولقد روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمر حديثا جاء فيه "إن رسول الله ﷺ كان إذا رجع من سفر يقول:" آيبون تائبون إن شاء الله عابدون لربنا حامدون" ويعلق عليه بقوله:

" النص من رواية ابن كثير جاء في سياق تفسير آيات الزخرف [12- 14] وقال المفسّر إن الحديث رواه مسلم وأبو داود والترمذي[3]".

- كما كان ينقل عنه آرائه في التفسير وتعليلاته: مثال: "ولقد أورد ابن كثير حديثا رواه الإمام أحمد ومسلم عن أم هشام بنت حارثة قالت: "لقد كان تنورنا وتنور النبي ﷺ واحدا سنتين أو سنة وبعض سنة وما أخذت ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ إلّا على لسان رسول الله ﷺ كان يقرأها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس". وعلّل ابن كثير ذلك بسبب اشتمال السورة على بدء الخلق والبعث والنشور والمعاد والقيام والحساب والجنة والنار والثواب والعقاب والترغيب والترهيب"[4].

-كذلك أخذ عنه أسباب النزول: مثال ذلك: " وروى ابن كثير حديثا عن ابن عمر أخرجه البزار والبيهقي أنها نزلت (سورة العصر) على رسول الله ﷺ أيام التشريق فعرف أنه الوداع فأمر براحلته وخطب خطبته الشهيرة بخطبة الوداع"[5].

---

[1]- التفسير الحديث، دروزة، 529/3.

[2]- المرجع نفسه، 109/2

[3]- المرجع نفسه، 539/9.

[4]- المرجع نفسه، 252/2.

[5]- المرجع نفسه، 574/9.

ج- تفسير البغوي: يكثر دروزة من نقل الروايات عن البغوي ويعتبره إمام من أئمة الحديث، يروي الأحاديث بسنده، وأسباب النزول[1]، كما ينقل عنه مكية ومدنية بعض السور.[2]ومن أمثلة ذلك قوله: "..وروى المفسر البغوي وهو من أئمة الحديث حديثا رواه بطرقه في سياق الآية [98] من سورة النحل ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ عن مطعم جاء فيه: "إنه رأى النبي ﷺ يصلي قال فكبّر فقال الله أكبر كبيرا ثلاث مرات والحمد لله كثيرا ثلاث مرات وسبحان الله بكرة وأصيلا ثلاث مرات ثم قال اللهمّ إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ولمزه ونفخه ونفثه"[3].

د- تفسير الخازن: نقل عنه الروايات وأسباب النزول، مثال ذلك قول الخازن أن الآية: ﴿ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴾ [المائدة الآية 61] نزلت في جماعة من اليهود كانوا يأتون إلى النبي ﷺفيعلنونه بإيمانهم به في حين كانوا كاذبين"[4].

كما نقل عنه بعض آرائه في التفسير، نحو ما فعل عند تفسيره سورة الفلق، في مسألة سحر النبي ﷺ حيث قال: "ويظهر أن هذا الأمر كان موضوع جدل فيما إذا كان للسحر تأثير حقيقي في النبي ﷺ وفيما إذا كان هذا إذا صح يتسق مع العصمة النبوية حيث يكون إمكان لصدور شيء عن النبي ﷺ لا يكون وحيا ولا صوابا حيث رأينا الخازن يتعرض لهذه النقطة فيقول فيما يقول: "قد أنكر المبتدعة حديث عائشة المتفق عليه وزعم أنه يحط من منصب النبوة ويشكك فيها وأن تجويزه يمنع الثقة بالشرع، وردّ على ذلك بأن هذا الزعم باطل لأن الدلائل القطعية والنقلية قامت على صدقه ﷺ وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك. وتجويز ما قام الدليل بخلافه باطل، وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا وهو ما يعرض للبشر فغير بعيد أن يخيل إليه من أمور الدنيا ما لا حقيقة له وقد قيل إنه كان يخيل إليه أنه وطئ زوجاته وليس بواطئ وهذا مثل ما يتخيله الإنسان في المنام فلا يبعد أن يتخيله في اليقظة ولا حقيقة له، وقيل إنه يخيل إليه أنه فعله وما فعله ولكن لا يعتقد صحة ما تخيله فتكون اعتقاداته على السواء"[5].

---

[1]-ينظر: التفسير الحديث، دروزة ، 190/2، 206/2، 424/3...

[2]-ينظر: المرجع نفسه، 53/2.

[3]- المرجع نفسه، 50/2.

[4]-المرجع نفسه، 172/9

[5]-المرجع نفسه، 54/2.

هـ- تفسير الكشاف: وقد استفاد منه في بيان الألفاظ والمسائل اللغوية، والبلاغية..مثال ذلك:

في تفسيره للآية: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾(45) من سورة الحج: "عروشها: قال الزمخشري في الكشاف كل مرتفع أظلّك من سقف بيت أو خيمة أو ظلة فهو عرش. وجملة خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها بمعنى خرّت سقوفها على الأرض"[1].

-عند تفسيره للآية﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾[سورة الفرقان: 50]: "وقال بعض المفسرين –الزمخشري- إن الضمير عائد إلى القرآن، وحينئذ تكون الآية متصلة بالسياق كله اتصال تعقيب وتقريع، ويكون معناها إن الله ينزل الآيات القرآنية وفيها تفسير حكم الله وبيانها وتنويع الكلام فيها حتى يتذكر السامعون ويتدبروا"[2].

و- تفسير الطبرسي: يصف دروزة الطبرسي بالمعتدل والمتحفظ مقارنة بمفسري الشيعة، نقل عنه شرح المفردات مثل لفظ "شطن" عند تفسيره للفاتحة[3]، ومكية ومدنية بعض السور[4]، وأسباب النزول[5].

وكثيرا ما ينقل عنه الروايات الشيعية، مثال ذلك:

"وروى الطبرسي المفسّر الشيعي عن أحد الأئمة الاثني عشر أبي جعفر أن أصحاب الأعراف هم آل محمد. لا يدخل الجنة إلّا من عرفهم وعرفوه"[6].

ثم يعلق عليها في مواضع بقوله: " ونقول تعليقا على الروايات التي ينفرد بها الطبرسي إن طابع الهوى والوضع الشيعي بارز عليها. وإن هذا ديدن رواة الشيعة ومفسريهم الذين يروون الروايات المماثلة في سياق آيات كثيرة جدا بسبيل تأييد أهوائهم دون أسناد صحيحة ووثيقة ودون مبالاة بعدم التساوق

---

[1]-التفسير الحديث، دروزة ، 60/6.

[2]-المرجع نفسه، 89/3.

[3]-ينظر: المرجع نفسه، 509/1، 476/2.

[4]-ينظر: المرجع نفسه، 9/2.

[5]-ينظر: المرجع نفسه، 244/6، 262/7 وغيرها.

[6]-المرجع نفسه ،402/2.

الذي يكون ظاهرا بكل قوة بين الروايات والآيات نصا وروحا وسياقا على ما سوف ننبه عليه في مناسباته، ويلحظ هذا في الروايات المروية هنا، فالآيات في صدد جميع أهل الجنة وجميع أهل النار، ومع ذلك فهي تحصر الموقف على محبّي علي وأبنائه وذريته ومبغضيهم وتجعل الجنة والنار رهنا به وتجعل عليا وبعض ذريته أصحاب القول الفصل فمن أحبّهم أدخلوه الجنة ومن أبغضهم أدخلوه النار! وننبّه على أن الطبرسي من أكثرهم اعتدالا.."[1].

إلى جانب ما ذكرنا من التفاسير، نقل دروزة من كتب أخرى على تفاوت في مدى التأثر ومقدار الاعتماد، منها: تفسير المنار[2]، تفسير القاسمي[3]، النيسابوري، والنسفي، والألوسي، وتفسير ابن عباس، والقرطبي، وأبي السعود[4].

أما طريقته التي سلكها في نقله من تلك التفاسير فتمثلت في أربع طرق:

1-إيراد قول المفسر دون تعقيب أو نقد، وهو كثير في تفسيره.

2-إيراد قول المفسر واتباعه بالنقد، وهو كثير في تفسيره.

3-إيراد أقوال المفسرين ثم الترجيح بينها، مثلما فعل عند تفسير سورة الكوثر، بعد أن ذكر أقوال المفسرين في المراد بالصلاة والنحر في قوله تعالى: "فصل لربك وانحر"، أعقبها بقوله: "..ونحن نميل إلى ترجيح أحد القولين الأخيرين والله أعلم"[5].

4-إيراد أقوال المفسرين، وإضافة معنى جديد لم يسبق إليه، مثال ذلك ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ [الأنعام: 104]:" وقد خطر لنا تأويل آخر نرجو أن يكون هو الصواب وهو (حتى يقولوا كفاك فقد بلغت وقرأت وكررت وبينت فدع الناس فيؤمن من يبصر ما فيه من هدى ويكفر من عمي قلبه) وقد استلهمنا هذا من الجملة السابقة للجملة وهي وَكَذلِكَ نُصَرِّفُ الْآياتِ فالله يقلب وجوه الكلام ويأمر

---

[1]-التفسير الحديث، دروزة، 2/ 402، و404/3، و19/5

[2]- ينظر المرجع نفسه، 192/2.

[3]- ينظر المرجع نفسه 56/2.

[4]- ينظر المرجع نفسه 260/1، 346/7، 12/2، 120/1، 222/1، 488/1.

[5]-المرجع نفسه، 11/2.

النبي ﷺ تبليغه للناس حتى يقولوا كفى فقد بلغت"[1].

– **ومن كتب اللغة**: أساس البلاغة للزمخشري: أخد منه معاني بعض الألفاظ[2].

– **ومن كتب التاريخ**: اعتنى دروزة بالتاريخ ولا ضير فهو مؤرخ، وله أزيد من ثلاثين مؤلفا في التاريخ، وقد أثر ذلك على تفسيره، إذ نراه يستطرد في سرد الوقائع التاريخية، في مواضع عديدة من تفسيره، كما نقل من تاريخ الطبري، وتاريخ العرب قبل الإسلام، وتاريخ الجنس العربي.

– **ومن كتب علوم القرآن**: اعتمد كتاب الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، والتفسير والمفسرين لمحمد حسين الذهبي.

– **كتب السنة وشروحها**: يعتبر كتاب"التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول"، للشيخ منصور علي ناصف: أهم كتب السنة التي اعتمدها دروزة، حيث ورد ذكره كثيرا في تفسيره، الأمر الذي يدل على مقدار اعتماده واهتمامه به، إلى جانب كتب أخرى مثل: الموطأ للإمام مالك، والمقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة لشمس الدين السخاوي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لنور الدين الهيثمي، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني.

– **مصطلح الحديث**: اعتمد دروزة كتابين في المصطلح هما: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي لمصطفى السباعي، وقواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث لمحمد جمال الدين القاسمي

– **كتب العقائد: نقل دروزة من نوعين من الكتب**: كتب الشيعة: كالأيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة لمحمد بن الحسن الحر العاملي، والآيات البينات في قمع البدع والضلالات لمحمد الحسين آل كاشف الغطاء النجفي، وكتب أهل الكتاب: سفر الخروج، سفر التثنية، سفر الملوك، سفر نحميا والإصحاح، وهذا مما أخد عليه.

– **كتب التراجم**: اعتمد كتاب "أسد الغابة "لأبو الحسن ابن الأثير، وطبقات ابن سعد، وأعيان الشيعة لمحسن الأمين العاملي.

---

[1]–التفسير الحديث، دروزة ، 133/1.

[2]– ينظر المرجع نفسه، 465/1، 509/1، 133/4 وغيرها.

– **كتب السيرة:** منها السيرة الحلبية، وسيرة ابن هشام، وحياة محمد لمحمد حسين هيكل، وحياة عمرو بن العاص لإبراهيم حسن.

ثانيا: منهجه في اعتماد أصول التفسير:

1– تفسير القرآن بالقرآن: يصرح دروزة في مقدمته أنه أفضل وأوثق طرق التفسير، ولكن باستقراء تفسيره نلاحظ أن تطبيقه كان محصورا في الجوانب التالية:

- جمع الآيات ذات الموضوع الواحد، وهو ما اصطلح عليه بالتفسير الموضوعي، من ذلك ما ذكره في تعليقه على قوله تعالى: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾في سورة البلد الآية 13 [1]، والنهي عن قتل الأولاد[2]، وغيرها..وطريقته أنه يذكر الآيات وأحيانا يذكر اسم السورة ورقم الآية فقط.

وهذا مثال في مسألة "حل الطيبات" حيث نجده يسوق الآيات في الموضوع[3]:

– ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ [البقرة: 172].

– ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ﴾ [المائدة: 4].

– ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾[المائدة: 87- 88].

– ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [الأنعام: 145].

– ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾ [المؤمنون: 51].

---

[1]– ينظر:التفسير الحديث، دروزة، 260/2.

[2]–ينظر: المرجع نفسه، 291/9.

[3]– ينظر المرجع نفسه، 388/2.

- بيان التكامل بين نصوص القرآن الكريم لتعضيد ما ذهب إليه: مثال على ذلك ماجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ﴾[هود: 3] قال: "..ومع ذلك فإن المؤولين والمفسرين يفرضون محذوفا وهو (قل) وهذا سديد متسق مع الحقيقة الإيمانية المقررة بأن جميع ما في القرآن وحي رباني وكلام الله، وهناك آيات كثيرة سبقتها كلمة (قل) ولولا ذلك لبدا ما فيها كأنما هو تقرير مباشر من النبي ﷺ، وقد مرّت أمثلة لذلك في السور التي سبق تفسيرها ومن ذلك آيات عديدة في سورة يونس السابقة لهذه السورة مثل الآيات [15 و16 و31 و33 و34 و35 و38 و41 و50 و52 و57 و58 و103 و105]"[1].

- بيان معاني الألفاظ، والآيات: وأمثلة ذلك كثيرة منها:

– عند تفسيره للآيات: ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ﴾[سورة المدثر: 8-10]

قال: "النقر في الناقور هو إيذان للبعث والقيامة الأخروية على ما تفيده العبارة والآيات، وقد فسره المفسرون وعلماء اللغة بالصور أو القرن الذي ينفخ فيه لتجميع الناس، وكلمة الناقور لم ترد إلّا هذه المرة، غير أن كلمة الصور التي ترادفها في المعنى وردت مرات عديدة منها ما ورد بدون آثار مثل آية.

سورة ق: 20 هذه: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ ﴾وآية سورة طه: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ (102). ومنها ما ورد مع ذكر آثار النفخ في البشر مثل آية سورة النمل: ﴿ ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴾ [87]، وآية سورة الزمر: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ (68)"[2].

–عند تفسيره الآية: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ سورة

---

[1]– التفسير الحديث، دروزة، 503/3

[2]– المرجع نفسه، 465/1-466،

الأعراف: 200، قال: "غير أن صيغة الآية [200] التي نحن في صددها مختلفة نوعا ما، حيث تأمر النبي ﷺ بالاستعاذة من الشيطان إذ أن نزغه منه الذي فسّره الجمهور على أنه الغضب. وهذه الصيغة تكررت في آية سورة فصلت(36) هذه: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾وجاءت بصيغة أخرى في آيات سورة المؤمنون: 97-98 هذه: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ٩٨ ﴾ وقد كانت هذه الآيات موضوع بحث كلامي عما إذا كان يمكن أن يكون النبي ﷺ عرضة لنزغات وهمزات ووساوس الشياطين وتأثيرهم كسائر الناس وبما إذا كان هذا مما يخلّ في عصمته.."[1].

2-تفسير القرآن بالسنة:

تحتل نصوص الحديث النبوي والسنة المطهرة مساحة فسيحة في تفسير دروزة، حيث يورد الأحاديث النبوية عند بيان معنى الآيات، كقوله: "..وفي الحديث توضيح تدعيمي لكون التسبيح في الآيات هو الصلاة أو كون الصلاة من جملة ذلك.."[2]، وبيان أسباب النزول، أو بيان للأحكام الشرعية، دون تخريجها، بل يكتفي بعزوها إلى مصدرها وهو كتاب "التاج" دون غيره، وأحيانا يذكر الروايات ولا يذكر مصدرها، وكثيرا ما ينقل عن الطبري وابن كثير والبغوي، ولعل اختياره لهؤلاء الثلاثة كان لعلمه بعنايتهم الكبيرة بالحديث، وهذا السلوك مما يؤخذ على المفسر، وقد يكون عذره قلة علمه بالحديث.

أما منهجه في قبول الأحاديث فهو ينقل من التاج الجامع كثيرا لإعتقاده بصحة الأحاديث الواردة فيه، ويقدمها على غيرها، وقد أشار إلى ذلك بقوله: "وسوف يأتي ذكر هذا الكتاب كثيرا. وتعريفا به نقول إنه من تأليف الشيخ منصور ناصف وهو في خمسة أجزاء. وجمع فيها المؤلف معظم الأحاديث الواردة في صحيحي البخاري ومسلم وسنن أبي داود وجامع الترمذي ومجتبى النسائي. وقد اتفق العلماء على أن الأحاديث الواردة في هذه الكتب هي أوثق وأصح من غيرها وتعتبر عندهم الطبقة الأولى من كتب الحديث"[3].

---

[1]- التفسير الحديث، دروزة، 565/2.

[2]- المرجع نفسه، 251/2.

[3]- المرجع نفسه، 287/1.

كما نقل عن الزمخشري أحاديث فضائل السور، ثم بين أنها مكذوبة وموضوعة[1]، مثال ذلك تعليق على الأحاديث الواردة في صدد فضل قراءة السور القرآنية، قال: "..هذا، ولقد أورد الزمخشري في آخر تفسير هذه السورة حديثا معزوا إلى رسول الله ﷺ جاء فيه: "من قرأ سورة العلق أعطي من الأجر كأنما قرأ المفصل كله"، وننبّه بهذه المناسبة على أن الزمخشري يورد في آخر كل سورة بدون استثناء حديثا من هذا الباب، وقد نبّه ابن حجر الذي اضطلع بتخريج أحاديث هذا المفسر على ضعف رواة هذه الأحاديث وانقطاعها عن رسول الله، والمتبادر أن في هذا الحق والصواب، وقد جعلنا هذا نكتفي بإيراد حديث هذه السورة كمثال والتنبيه على ما نبه عليه ابن حجر".[2]

- ويروي الطبري في سياق الآية: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [من سورة البقرة: 79] حديثين أحدهما عن عثمان بن عفان عن النبي ﷺ جاء

فيه: "الويل جبل في النار"وثانيهما عن أبي سعيد عن النبي ﷺ جاء فيها: "ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره"، وهذان الحديثان لم يردا في كتب الأحاديث الصحيحة وقد روى الطبري عن ابن عباس أن الويل هو العذاب مطلقا، حيث يبدو أنه لم يثبت عنده الأحاديث، ويتبادر لنا أن هذا هو الأوجه والله أعلم[3]".

3-تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين: اهتم دروزة بتفسير الصحابة –رضي الله عنهم- والتابعين، فكان كثيرا ما يورد أقوالهم في الآية، وخصوصا من اشتهر منهم، كابن عباس وابن مسعود..ومجاهد وقتادة وغيرهم.

وتعامل مع هذه الأقوال بطريقتين:

- **الطريقة الأولى**: أن يصرح بذكر الصحابي، أو التابعي المروي عنه: كأن يقول " روي عن ابن عباس"، و"عن مجاهد"، أو يقرن بين الراوي وغيره من الصحابة والتابعين، من ذلك ما أورده في حديثه

---

[1]- ينظر: التفسير الحديث، درزوة ، 351/1.

[2]- المرجع نفسه، 152/1.

[3]- المرجع نفسه، 19/2.

عن المحكم والمتشابه، وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: 7] وقد روي عن ابن عباس في صدد الآية أن المحكم هو ناسخ القرآن وحلاله وحرامه وحدوده"[1].

وكقوله: "..المفصل هي السور القصيرة وسميت كذلك لكثرتها وكثرة الفصل بينها، وهناك أحاديث فيها بعض الخلاف في تعيين سور كل مجموعة من مجموعات السور الأربع، فهناك حديث عن ابن عباس أن السبع الطوال هي البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف، قال الراوي وذكر السابقة فنسيتها، وعن مجاهد وسعيد أنها يوسف، وعن الحاكم أنها الكهف".[2] وأمثلة ذلك كثيرة جدا.

الطريقة الثانية: أن لا يصرح باسم الصحابي أو التابعي المروي عنه، ولكن يذكر أن هذا قول بعض الصحابة والتابعين، أو يذكر أنه قول بعض السلف ونحو ذلك، ومن أمثلة ذلك: عند تفسيره صدر سورة المرسلات قال: "تعددت الأقوال في تأويل الفقرات المقسم بها ومحمولها، وقد تكرر القسم بمثل هذا الأسلوب الذي تتعدد في تأويلها ومحمولها الأقوال كمطالع سور الصافات والذاريات والنازعات، وقد قيل في صدد فقرات السورة إنها الرياح كما قيل إنها الملائكة. وقيل كذلك إنها الرياح والملائكة معا"[3].

4-التفسير اللغوي: لا يتعرض لفنون اللغة والنحو إلا في القليل، ويشرح الآيات بعبارة سهلة مقبولة لعامة الناس، أما النحو فقد اعتبره من المسائل الفنية التي لا يصلح ذكرها في التفسير، وكذا الشعر.

5-موقفه من الإسرائيليات: أعرض عن ذكر الإسرائيليات في كتابه، وأنكر على المفسرين المكثرين لها وعدها مما يحجب هدايات القرآن، حيث قال: "ولقد شغلت الإسرائيليات حيزا كبيرا جدا من كتب التفسير وكان كثير منها مملوءا مثل الرواية التي أوردناها بالإغراب والخيال برغم احتمال كون

---

[1] - التفسير الحديث، دروزة، 159/1.

[2] - المرجع نفسه، 81/1

[3] - المرجع نفسه، 280/2.

شيء قليل أو كثير مما كانوا يدلون به واردا في أسفار وقراطيس لم تصل إلينا. وليس كل ما كان في أيديهم من أسفار وقراطيس صحيحا في مجمله أو تفصيله، ولقد كان لتداول الرواة لهذه البيانات وتدوينها في كتب التفسير وشغلها منها حيزا كبيرا بل الحيز الأكبر أثر قوي في التغطية على ما في القرآن من مبادئ وأحكام وتلقينات ووصايا هي جوهر القرآن ومحكمه الذي فيه الهدى والنور"[1].

وقد ينتقد بعضها، وينبه إلى ضعفها، وعدم حجيتها، ويبين مخالفتها للعقل ولعدالة الأنبياء وعصمتهم، ومن ذلك ما ذكره في قصة هاروت وماروت، حيث قال: "..وما دام أنه ليس في ذلك أثر نبوي صحيح فالأولى الوقوف عند ما وقف عنده القرآن وعدم الأبوه للأخبار غير الوثيقة التي فيها ما فيها من غرائب.."[2].

6-موقفه من المكي والمدني: اعتنى دروزة بهذا الجانب في تفسيره، فكان يذكر عند بداية كل سورة، ما ورد في السورة من روايات، حول مكيتها أومدنيتها، ويذكر ما فيها من الآيات المكية أو المدنية، ولم يكن يسلم بذلك في كل السور، بل كان يناقش ويرجح ما بدا له حسب سياق السورة ومضمونها، ولكن في كثير من المواضع نراه يذكر أسبابا واهية، لا دليل عليها، إلا التخمين والرأي، وهذا مما يأخذ عليه.

أمثلة على ترجيح مكية أو مدنية الآيات:

-يقول دروزة: "لقد ذكر المصحف الذي اعتمدنا عليه أن الآية: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ وَمَا خَلۡفَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾[سورة يس: 45] مدنية في حين أنها منسجمة في السياق ونظمه انسجاما تاما وليس لها خصوصية مدنية، والخطاب فيها في صدد الذين سبق الكلام عنهم حيث عبّر عنهم بكلمة (لهم) مما تكرر في السياق، ولذلك فإننا نشك في صحة الرواية[3]".

- في تعليقه على الآيات 1-7 من سورة العنكبوت، بعد أن ساق أقوال أهل التفسير فيها، قال: "ومع أن الروايتين الأولى والثالثة يمكن أن توثق رواية مدنيتها فإننا نرجّح أنها مكيّة، وأن المناسبة التي

---

[1]- التفسير الحديث، دروزة، 356/1.

[2]- المرجع نفسه، 212/6. 346/2.

[3]- المرجع نفسه، 35/3.

نزلت فيها هي من نوع ما روته الرواية الثانية، وهذه السورة من أواخر ما نزل من القرآن المكي وقد اشتدّ في هذه الظروف أذى الكفار وإزعاجهم للمسلمين مما يجعل الرواية الثانية هي الأوجه"[1].

ثالثا: معالم منهجية في خطة التفسير:

1-الخطة الإجمالية:

يعدّ "التفسير الحديث" تفسيرا شاملا لجميع سور القرآن الكريم، بدأ المؤلف تفسيره من سورة الحمد ثم العلق، إلى آخر سورة النصر، متبعا في ذلك الترتيب النزولي لسور القرآن الكريم، مدللا على وجه ترتيب كل سورة، ويسوق من أجل ذلك الأقوال الواردة فيها، والشاهد من التاريخ والروايات وأسباب النزول، يقول في هذا الصدد: " ولقد رأينا بالإضافة إلى هذا من المفيد وضع مقدمة أو تعريف موجز للسور قبل البدء بتفسيرها، يتضمن وصفها ومحتوياتها وأهم ما امتازت به، وما يتبادر من فحواها من صحة ترتيبها في النزول وفي المصحف، وما في السور المكية من آيات مدنية، وفي السور المدنية من آيات مكية حسب الروايات، والتعليق على ذلك حسب المقتضى"[2].

ذكر دروزة خطته في التفسير في مقدمة كتابه، وهي كما يلي[3]:

-تجزئة المجموعات والفصول القرآنية إلى جمل تامة، قد تكون آية واحدة أو آيات قليلة أو سلسلة طويلة.

- شرح الكلمات والتعابير الغريبة والجديدة وغير الدارجة كثيرا بإيجاز ودون تعمق لغوي ونحوي وبلاغي إذا لم يكن هناك ضرورة ماسة.

-شرح مدلول الجملة شرحا إجماليا حسب المقتضى والمتبادر بأداء بياني واضح وبسيط، والاكتفاء من ذلك بعرض الهدف والمدلول.

-إشارة موجزة إلى ما روي في أسباب نزول الآيات أو في تفسيرها، والتعليق على ما يقتضي التعليق عليه منها بإيجاز.

---

[1]- التفسير الحديث، دروزة، 468/5.

[2]- المرجع نفسه، 9/1.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، 9/1

– تجلية ما تحتويه الجملة من أحكام أو مبادئ أو تلقينات أو توجيهات تشريعية وأخلاقية واجتماعية وروحية.

– تجلية ما تحتويه الجملة من صور ومشاهد عن السيرة النبوية والبيئة النبوية.

– التنبيه على الجمل الوسائلية والتدعيمية، وعلى ما يكون فيها من مقاصد أسلوبية.

– وصل الجمل القرآنية بعضها ببعض سياقا أو موضوعا.

– الاستعانة بالألفاظ والتراكيب والجمل القرآنية، ثم بالروايات ثم بأقوال المفسرين إذا كانت كذلك وما دام ذلك ممكنا.

– العطف على ما جاء في السور السابقة لتفادي التكرار والتطويل.

2–**العناية بأسباب النزول**: اعتنى بذكر أسباب النزول، وكان ينقل أسباب النزول من كتب التفسير، ويعقب وينتقد في كثير من المواضع، ويقبل منها ما شاء، ويردّ منها ما شاء دون محاولة معرفة صحيحها من سقيمها، من ذلك ما ذكره عند تفسيره للآيات الأربع الأولى من سورة الصف حيث أشار إلى كثرة روايات النزول التي أوردها المفسرون في الآيات، وذكر منها: "أنها في المنافقين بسبب إخلافهم ما وعدوا به رسول الله ﷺ من الاشتراك في القتال والتضامن مع سائر المسلمين فيه، ومنها أنها نزلت في جماعة كانوا يتبجحون بأنهم قاتلوا وجاهدوا كذبا.. ومنها ما روي في حديث عن عبد الله بن سلام الصحابي بطرق عديدة مع اختلاف في الصيغة. وقد جاء في بعض هذه الصيغ التي أخرجها ابن أبي حاتم أن عبد الله بن سلام قال: «إن أناسا من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا لو أرسلنا إلى رسول الله ﷺ نسأله عن أحبّ الأعمال إلى الله عزّ وجلّ فلم يذهب إليه أحد منا وهبنا أن نسأله عن ذلك فدعا رسول الله أولئك النفر رجلا رجلا حتى جمعهم ونزلت فيهم سورة الصف فقرأها علينا رسول الله ﷺ كلّها"، وهناك رواية عن مقاتل أوردها ابن كثير جاء فيها «قال المؤمنون لو نعلم أحبّ الأعمال إلى الله لعملنا به فدلّهم الله على أحبّ الأعمال إليه فقال: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا فبيّن لهم فابتلوا بيوم أحد بذلك فولّوا عن النبي ﷺ مدبرين فأنزل الله يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ[1]".

[1]– التفسير الحديث، دروزة، 558/8.

ثم يعقب على الرواية الأخيرة ويصفها بالعجيبة، لأنها-حسب رأيه- تجعل نزول الآية الثالثة مقدما على نزول الآية الثانية، بعد ذلك يرجح ما يراه مناسبا، فيقول: "والتنديد الشديد في الآيات يدل كما هو ظاهر على أنها في صدد جماعة كانوا يعدون بالجهاد ثم يخلفون، وهذا متسق مع بعض الروايات..وشدة التنديد تدل على أن موقف المندد بهم كان مثيرا للمقت والسخط إما بتكرره وإما في ظروفه، وهذا لا يكون على الأرجح إلّا من المنافقين، ولعل الآيات تنطوي على تقرير كون هذا الموقف مما آلم النبي ﷺ وآذاه، وقد يكون في الآيات التالية التي تذكر بمواقف قوم موسى المؤذية من نبيهم رغم اعترافهم بنبوته وتندد بهم وتصفهم بالفسق والانحراف، قرينة على ذلك، والله أعلم."[1]

وكان درزوة يعمل القاعدة"العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب" نحو قوله في تفسير الآيات نفسها: "وأسلوب الآيات عام، وتلقينها مستمر المدى لجميع المسلمين في كل ظرف ومكان..ولقد قال غير واحد من المفسرين إن الآيتين الثانية والثالثة عامتا الشمول لكل إخلاف بوعد أو نكول عن عهد ونذر أو قول يكذبه الفعل، وقد يكون في هذا وجاهة بسبب الأسلوب المطلق الذي جاءت عليه الآيتان"[2]

3-العناية بالمناسبات: لأجل إظهار أهمية ترتيب النزول الذي اعتمده في تفسيره، اهتم دروزة ببيان ما بين آيات وفصول السور من روابط، مستعينا بالألفاظ والتراكيب والجمل القرآنية، والشرح والسياق والتأويل والدلالات، من ذلك قوله عند تفسير سورة النبأ 21-36: "والآيات متصلة بسابقاتها كما هو واضح."[3]، وما ذكره في تفسير سورة ق الآيات 15-18: " والآيات متصلة بالسياق السابق، وفيها عود على بدء في مناقشة المكذبين للبعث والردّ عليهم والبرهنة على قدرة الله عليه بأسلوب آخر فيه تنديد وتسفيه.."[4]، وهذه المسألة من صلب البحث، سأعود إليها بشيء من التفصيل في مبحث لاحق.

4-شرح الغريب: اعتنى بشرح غريب القرآن، ولكن بدون توسع، بل يكتفي في شرح الألفاظ بما يعينه على فهم المعنى المراد الوصول إليه.

5-العناية بالقراءات وتوجيهها: لم يعتن دروزة بالقراءات ولم يلتفت إليها، بل راح يتساءل إن

---

[1]- التفسير الحديث، دروزة، 558/8 .

[2]- المرجع نفسه، ص: 557/8 .

[3]- المرجع نفسه 406/5 .

[4]- المرجع نفسه، 231/2 .

كان هناك ضرورة دينية لبقائها، وتعلمها، فقال: "فإن مما يخطر للبال سؤال عما إذا كان هناك ضرورة دينية لهذه القراءات المتعددة المختلفة بل والمتباينة حينا في قطر واحد، والذي نراه أنه ليس هناك من ضرورة دينية لذلك، وخاصة بالنسبة لجمهور المسلمين، وأنه يكفيهم أن يقرأوا القرآن بقراءة واحدة من القراءات المأثورة من مصحف كتب بالرسم الدارج بينهم، فيه بعض العلامات الضرورية للوقف والوصل والمد والسكوت ونحو ذلك مما تقتضيه هذه القراءة المأثورة بحيث يكون من الميسور للمسلمين وغيرهم- والمصاحف في متناول الجميع- أن يقرأوا القرآن صحيحا بسهولة ويسر، فلا تكون قراءتهم متوقفة دائما على التلقي، لأن ذلك غير ميسور دائما، ونعتقد أنه إذا لم ييسر هذا على هذا الوجه وقع الحرج من سوء التلاوة وسوء الأداء وتحريف الألفاظ والمعاني[1]".

ولا يرى بأسا أن يتعلمها البعض وسماهم بالهواة، فقال: "وليس من بأس إلى هذا بل لعله مستحب أن يكون هناك فئة من الهواة بل فئة تنفق عليها الحكومات الإسلامية أو المؤسسات الدينية لتظل تتدارس القراءات ويتداولها القراء جيلا بعد جيل.." [2]، ويرى "وجوب عدم الغلو في أداء هذه القراءات وخاصة الغنّ والمط والترديد مما يخرج القرآن عن قدسيته ويضعف نفوذه الروحي ومما يكاد يبدو من القراء أنه بسبيل التعالم والانتفاخ أكثر منه بسبيل الرواية قراءات غير القراءة الدارجة العامة في قطرهم"[3].

ولتأييد ما ذهب إليه في هذا شأن يسوق دروزة أقوال أهل العلم كالطحاوي والباقلاني وابن عبد البر وغيرهم من أئمة الكلام الذين قالوا أن القراءات جميعها كانت رخصة في أول الأمر لتعسر القراءة بلغة قريش على كثير من الناس ثم نسخت بزوال العذر وتيسر الحفظ وكثرة الضبط وتعلم الكتابة[4].

وهذا الرأي مما يؤخذ على تفسير دروزة، لمخالفته ما عليه أهل العلم في هذا الصدد.

6-الجانب النقدي في الكتاب: لم يكن دروزة حاطب ليل بل كان ينقل، وينتقد، ويرجح بعد سرد الأقوال الواردة في تفسير الآية، من أمثلة ذلك قوله:

---

[1]-التفسير الحديث، دروزة، 168/1

[2]- المرجع نفسه، 168/1.

[3]- المرجع نفسه، 168/1.

[4]-ينظر: المرجع نفسه، 168/1.

-في تفسير سورة الكوثر: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾الآية 2، ذكر أقوال المفسرين في المراد بالصلاة والنحر في الآية الكريمة، وأعقبها بقوله: "ونحن نميل إلى ترجيح أحد القولين الأخيرين والله أعلم"[1].

-في عود الضمير: يقول:"ولقد خمّن المفسر الخازن أن يكون الضمير في (له) عائد إلى النبي ﷺ وأن تكون الآية الأولى بسبيل تقرير كون دعوة النبي على عامر وأربد هي المستجابة لأنها حقّ، وفي هذا تكلف ظاهر لا يبرره روح الآية ولا نصها"[2].

- وقوله: "وروح الآيات تلهم أن الضمير في يَتَساءَلُونَ ومُخْتَلِفُونَ وسَيَعْلَمُونَ عائد إلى الكفار. وقد قال المفسرون إن النبأ العظيم يمكن أن يكون البعث والحساب ويمكن أن يكون أمر النبوّة. ويمكن أن يكون القرآن. بل ذكر البغوي عزوا إلى مجاهد أن الأكثرين على أنه القرآن. وقد رجّح ابن كثير أنه يوم القيامة، والأقوال الثلاثة واردة على كل حال وإن كنّا نميل إلى ترجيح القول الأول وقد يكون في الآيات التالية تأييد لهذا الترجيح"[3].

ومما يحسب لدروزة التزامه بالأدب عندما ينتقد بعض المفسرين، فلا نجده يتحامل عليهم البتة، ولا يقسو عليهم عباراته، ولا يسفه إجتهاداتهم..بل يصف آراءهم بأنها وجيهة أو محتملة، أو متسقة مع مفهوم الآيات، ولكن مع ذلك كان معتدا برأيه وهذا بارز في تفسيره.

رابعا: منهجه في قضايا التفسير:

1- منهجه في تفسير آيات الأحكام: تعرض للأحكام الفقهية في مواضعه بتفصيل، مع ذكر الاستدلال، وبيان الأسرار في الحكم، والشواهد من الآثار، ويورد الأقوال في المسألة، ويناقشها ويرجح أحدها، إلا أن المتتبع له يلمس قلة باعه في هذا المجال.

ومن أمثلة ذلك: ماذكره عند تفسير سورة النور، تعليق على الآية السادسة:

"..وواضح من فحوى الآيات أن اللعان إنما يكون في حالة تعذر إقامة البينة على الزوجة، وأنه ليس له محل في حالة إمكان ذلك حيث يقام عليها الحدّ، والجمهور على أن الزوجة إذا لم تشهد

---

[1]-التفسير الحديث، دروزة، 11/2.

[2]-المرجع نفسه، /527.

[3]- المرجع نفسه، 405/5.

الشهادات الخمس بكذب زوجها أقيم عليها الحد. وهذا متسق مع فحوى الآيات، ولقد اختلفت الأقوال في صدد الزوج الذي يتهم زوجته ثم ينكل عن الشهادة. فهناك من قال: إنه يعتبر قاذفا ويستوجب حدّ القذف. وهناك من قال: إنه لا يحدّ وإنما يحبس حتى يلاعن، والرأي الأول هو الأوجه فيما هو المتبادر"[1].

2- منهجه في تفسير آيات العقائد وموقفه من الانحرافات العقدية:

كان دروزة يتجنب الخوض في المسائل العقدية، لأنه كان يرى وجوب التوقف فيها، يقول: "فالواجب الوقوف عند هذا الحد مع ملاحظة أن استنتاج وتقرير أي صلة حقيقية بين الله والإنسان عن طريق الروح بمفهومها الحرفي لا معنى له، وليس مما تقتضيه أو تتحمله العبارات والتقريرات القرآنية المتنوعة، وخاصة ضوابط الكنه الرباني في القرآن التي من أهمها جملة لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ حيث يشمل هذا كل ما يتصل به وصفاته وكينونته مما لا سبيل لإدراكه بعقلنا الإنساني ومما لا تصح فيه أي مماثلة."[2]

وعند تعليقه على قصة خلق آدم وسجود الملائكة له، قال:" ونقول فيما جاء فيها من أمور مغيّبة وماهيات إن من واجب المسلم أن يؤمن بما يثبت عن النبي ﷺ في هذا الأمر ويقف عنده ولو لم يدرك حكمته ومداه ويفوض الأمر إلى الله ورسوله كما هو الشأن بالنسبة للآيات القرآنية والأحاديث النبوية الثابتة في شؤون أخرى مماثلة مرّت أمثلة لها وسيأتي أمثلة عديدة لها، ولا سيما إن هذه المسألة وأمثالها ليست من أركان الدين المحكمة التي يجب على المسلم معرفتها والعمل بها، ويكفي أن يؤمن بما جاء في القرآن والحديث الثابت فيها والله تعالى أعلم"[3].

-ويشيد بمنهج السلف في مواضع عديدة من تفسيره، منها ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾[الأعراف 172]. فبعد أن أورد الأحاديث والروايات التي ذكرها المفسرون كالطبري وابن كثير، والبغوي والخازن والطبرسي، وغيرهم، علق قائلا: "وقد تكون طريقة

---

[1] -التفسير الحديث، دروزة، 8/375-377.

[2] - المرجع نفسه، 2/353.

[3] - المرجع نفسه، 2/353.

السلف التي أخذ بها الطبري في الأسلوب الذي أخذ الله به العهد من بني آدم أسلم، ففي القرآن عبارات كثيرة مثل هذه لا يمكن معرفة مراد الله تعالى بها معرفة ذاتية مثل الاستواء على العرش ولا يكون هناك حديث نبوي ثابت في تفسيرها، ففي مثل هذه الحالة تكون تلك الطريقة أسلم ويكتفى بشرح مدلول الآيات التي فيها العبارة شرحا عاما كما فعلنا في صدد العبارة والآيات التي وردت معها.."[1]

أضف إلى ذلك فقد كان شديد الانتقاد للشيعة، ويظهر ذلك جليا في تكذيب رواياتهم في فضائل أهل البيت، يقول في تعليقه على تأويل روي عن مفسري الشيعة لجملة ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾[ق 24] وبرغم ما هو واضح من مدى هذه الجملة وسياقها فإن مفسري الشيعة يؤولونها تأويلا متسقا مع هواهم حيث رووا عن عطاء بن أبي رباح أن رسول الله سئل عن هذه الجملة فقال: "أنا وعلي نلقي في جهنم كلّ من عادانا" وهذا الحديث لم يرد في الكتب الخمسة ولا في أي كتاب من كتب الأحاديث المعتبرة وهو موضوع على رسول الله ﷺ لتأييد الهوى الحزبي. وهم يصرفون بوجه عام كلمة الكفر والكفار والكافرين في كثير من الآيات إلى جاحدي إمامة علي وأولاده، ومن هنا جاء تأويلهم لكلمة (الكفار) في الجملة بأنهم أعداء علي أو الجاحدين بإمامته"[2].

3- منهجه في تفسير الآيات الكونية:

دروزة من المفسرين المعارضين للتفسير العلمي، ومرّ معنا انتقاده للمفسرين المعتنين بهذا النوع من التفسير، ووصفهم بأنهم يحاولون استنباط النواميس العلمية والفنية من بعض الآيات القرآنية، أو يحاولون تطبيق النظريات العلمية والفنية المتصلة بنواميس الكون والتكوين والشمس والقمر.. على آيات القرآن ليدللوا على احتواء القرآن على أسس هذه النظريات..في حين أن القرآن الكريم في غنى عن هذه المحاولات.

4-التفسير الإشاري والصوفي:

كان دروزة شديد المعارضة لأصحاب التفاسير المنحرفة، كالباطنية، والصوفية وغيرهم..ومن ذلك ما ذكره عن تفسير محي الدين بن العربي(ت:638): "..والشطح في هذا التفسير ظاهر حيث تفسر

---

[1]-التفسير الحديث، دروزة، 531/2.

[2]- المرجع نفسه، 240/2.

كلمات القرآن الواضحة المعنى والمدى بتأويلات رمزية لا تتصل بهدف القرآن الذي هو دعوة الناس إلى الإيمان بالله وحده واليوم الآخر وبرسالة رسوله.. وفي حين أن العبارات القرآنية قطعية الدلالة على أن خلق الله هو غير الله تعالى فإن الشيخ في شطحه حين يفسر الآية التي نحن في صددها يجعل الله تعالى وتنزه وخلقه شيئا واحدا متعدد الصور فلا يتورع من القول إن العبد رب للرب والرب عبد للعبد مما يقال له وحدة الوجود.. والصوفيون يعمدون إلى تغطية هذياناتهم وشطحاتهم بالقول إن للجمل القرآنية معنى حقيقيا ومعنى ظاهرا تشريعيا.."[1].

5-اللطائف البلاغية وقضايا الإعجاز: لم يلتفت دروزة إليها إلا النزر اليسير، من ذلك ما ذكره في المراد بالمتشابه في سورة الزمر وسورة آل عمران فقال: ".. غير أن التعبير في هذه الآية ليس هو في مقام ومدلول تعبير المتشابهات في آية آل عمران التي نحن في صددها كما هو ظاهر، وهذه ميزة من ميزات البلاغة القرآنية واللغة الفصحى التي نزل بها القرآن حيث يتغير مدلول الكلمة أحيانا بتغير الصيغة التي وردت فيها"[2].

6-الإصلاح الاجتماعي والتطبيق على الواقع: كثير جدا بحيث يمكن القول إن الهدف الرئيس من كتابه الإصلاح الإجتماعي، حيث إنه لا يفوت فرصة إلا ويشير إلى هذا الهدف، ويبين ما في القرآن من شفاء لكل أمراض الأمة، ويردّ الشبهات المثارة حول الإسلام..من ذلك ماذكره عند تفسير سورة المدثر الآيات 1-7 حيث قال:".. على كل حال فالآيات وآيات السورة معا مما نزل مبكرا على ما يلهم أسلوبها ومضمونها والخطة التي رسمها الله للنبي ﷺ في الدعوة والاتصال بالناس ودعوتهم وإنذارهم من الأدلة القوية على ذلك، وهي خطة رائعة جليلة الشأن.. وهذه الخطة وإن كانت كما يتبادر قد رسمت للنبي ﷺ، فإن ما احتوته من تلقين موجه إلى كل مسلم وبخاصة إلى كل صاحب دعوة إصلاح ومعروف وإلى كل صاحب شأن ممن يتولون في الأمة الزعامة والتوجيه والإرشاد والإصلاح، بل إنه موجه إلى كل مسلم إطلاقا في كل زمن ومكان ليكون عنوانا للخلق الذي يجب أن يكون عليه المسلمون مظهرا وسيرة"[3].

---

[1]- التفسير الحديث، دروزة، 547/1.

[2]- المرجع نفسه، 116/7.

[3]- المرجع نفسه، 1 /443.

خامسا: أثر الكتاب في التفاسير اللاحقة أو الدراسات الجامعية:

تناول بعض الباحثين تفسير دروزة بالبحث والدراسة، سواء من ناحية المنهج العام، أو بحث جزئية من جزئياته، من هذه الدراسات ما يأتي:

- محمد عزة دروزة وتفسير القرآن، لفريد مصطفى سلمان، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين، مصر، سنة: 1402ه-1982م.
- جهود محمد عزة دروزة في تفسيره المسمى الحديث، لحسن عبد الرحمن أحمد السلوادي، رسالة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، جامعة عين شمس كلية الآداب، مصر، سنة: 1984م.
- التفسير الحديث لمحمد عزة دروزة، عبد الحكيم محمد أنيس، رسالة ماجيستر، جامعة بغداد للعلوم الإسلامية، سنة: 1993م.
- تفاسير القرآن الكريم حسب ترتيب النزول، دراسة وتقويم، رسالة دكتوراه من إعداد "طه محمد فارس"، جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان سنة: 2007م.
- عيون الأقاويل في إبطال دعوى ترتيب القرآن وتفسيره على حسب التنزيل، لعبد الرحمن نصر أحمد نصار، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين، سنة: 2015م.
- التفسير المقاصدي عند محمد عزة دروزة من خلال كتابه التفسير الحديث، ماجستير، خيراني إيمان، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، سنة: 1436-1437ه /2015-2016ه.

الخلاصة: تقويم عام لتفسير دروزة:

بعد إستقراء الكتاب، يمكن ملاحظة أن تفسير دروزة جمع بين المأثور والرأي، وهو تفسير إجمالي، موضوعي، حيث نراه يعطي تصورا عن السورة وما اشتملته من مواضيع عند بداية تفسيرها، وكثيرا ما يجمع الآيات الدالة على الموضوع الواحد، وكذلك بتتبع اللفظة في القرآن، ويتميز الكتاب بسهولة العبارات، وخلوه من الألفاظ الغامضة، والمباحث المتعلقة باللغة، وقد "عدّه بعضهم من التفاسير ذات

الاتجاه السلفي التي ترتد إلى السلف الصالح من المفسرين القدامى"[1].

وهو تفسير طويل فيه استطرادات كثيرة، خلاف ما أدلى به مؤلفه، ينقل كثيرا من كتب التفسير السابقة ويتعقبها، ويختم تفسيره بذكر الفوائد والحكم، تضمن ردود قيمة على أهل الزيغ والضلالات، والتحذير من العقائد المنحرفة، ولا أرى فيه جديدا إلا تناوله التفسير وفق ترتيب النزول مخالفا بذلك المنهج المعهود في التفاسير السابقة.

وقد أثنى عليه "محمد بهجت بيطار" حيث قال في تقريظه: "كنت وصفت تفسير العلّامة الجليل محمد عزة دروزة فيما كتبته في مجلة مجمعنا العلمي على كتابه المطبوع (القرآن المجيد)، وقلت: إنه يفسر القرآن بالقرآن، بحيث تكون آياته في الموضوع الواحد مجموعة في مكان واحد، ومفسّرة تفسيرا يجمع بين معانيها جمعا محكما، ومن أمعن النظر في تفسيره رأى فيه فوائد جمة، ومباحث مهمة، ونظرات ثاقبة، ونقدا بالمنقول والمعقول، لبعض مروياتهم في أسباب النزول، وتفسيرا للآيات الكريمة بالظاهر المتبادر منها. وهو يرى أن السعادة لا تعود لهذه الأمة إلا إذا عادت إلى القرآن علما وعملا، وأدبا وخلقا، وله في ذلك كتاب مستقل سمّاه (الدستور القرآني في شؤون الحياة) وكنت كتبت عنه في مجلة المجمع أيضا."[2]

– مما يؤخذ على تفسير دروزة:

–اختياره ترتيب النزول وعدوله عن ترتيب المصحف: وهذا سيناقش في مبحث مستقل.

–ترجيحاته في ترتيب السور المبنية على الرأي والتخمين، كذلك سيناقش في مبحث مستقل.

–عدم الالتزام بتوثيق الأقوال.

–القول بوجود آيات مدنية في سور مكية دون تحقيق.

–الإطناب والتطويل.

–"لم يكن موضوعيا في كل ما أورد من أفكار وما وصل إليه من نتائج، حيث إن الخلفيات

---

[1]–ينظر: اتجاهات التفسير في العصر الراهن، عبد المجيد عبد السلام المحتسب، مكتبة النهضة الإسلامية، عمان، الأردن، د.ط، 1402هـ/1982م، ص41.

[2]– التفسير الحديث، دروزة، 10/10، نقلا عن مجلة المجمع العلمي العربي ج3، المجلد 37، لعام 1962/جمادى الأولى.1382.

الإجتماعية والمذهبية والقابليات المعرفية، فعلت فعلتها في كثير من الموارد، وأخرجت الملف عن المسار السليم في الاستنباط والاستنتاج، وهذه الأمور وغيرها جعلت التفسير معرضا للنقد والنقاش فيما وصل إليه المفسر من أفكار وتصورات من خلال بحثه التاريخي"[1].

وفي نهاية هذا المطلب تجدر الإشارة أن دروزة أراد أن يكون تفسيره مميزا يناسب العصر الحاضر، ولعل تسميته بالحديث خير دليل على ذلك، وقد أفصح عن دوافعه وأهدافه في اختيار ترتيب السور وفق النزول في تفسيره الحديث بقوله: "ولقد رأينا أن نجعل ترتيب التفسير وفق ترتيب نزول السورة، بحيث تكون أولى السور المفسرة الفاتحة ثم العلق ثم القلم ثم المزّمل إلى أن تنتهي السور المكّية ثم سورة البقرة فسورة الأنفال إلى أن تنتهي السور المدنية لأننا رأينا هذا يتّسق مع المنهج الذي اعتقدنا أنه الأفضل لفهم القرآن وخدمته. إذ بذلك يمكن متابعة السيرة النبوية زمنا بعد زمن، كما يمكن متابعة أطوار التنزيل ومراحله بشكل أوضح وأدقّ، وبهذا وذاك يندمج القارئ في جوّ نزول القرآن وجوّ ظروفه ومناسباته ومداه، ومفهوماته وتتجلى له حكمة التنزيل"[2].

ورغم أهميته هذه الدوافع ووجاهتها إلا أن السؤال الملح الذي ينبغي طرحه: هل فعلا حقق هذا المنهج دوافعه؟ وهل يمكن القول أن هذه الدوافع لا يمكن تحقيقها إلا باتباع هذا المنهج؟ هذا ما سيناقش في المباحث اللاحقة.

---

[1]- أساسيات المنهج والخطاب في درس القرآن والتفسير، محمد مصطفي، ص100-101.

[2]- التفسير الحديث، دروزة، 9/1

المبحث الثاني: منهج دروزة في ترتيب النزول:

رغم اعتراف دروزة بصعوبة ترتيب القرآن حسب نزوله، وإنه "ليس هناك ترتيب يثبت على النقد والتمحيص بكامله أو يستند إلى إسناد وثيقة متصلة بالعهد النبوي"[1]، إلا أنه كان مصرا على المضي في مشروعه الجديد المتعلق بتفسير القرآن حسب ترتيب النزول، ويبرر ذلك بقوله: "..ولهذا لم يكن ما يمكن أن يوجه من مآخذ إلى ترتيب نزول السور ليغير ما قرّ رأينا عليه، لأننا رأيناه على كل حال يظل مفيدا في تحقيق ما استهدفناه والمنهج الذي ترسّمناه، وخاصة بالنسبة إلى فائدة تتبع صور التنزيل القرآني مرحلة فمرحلة والاستشعار بجوّ هذه الصور، حيث يكون ذلك أدعى إلى تفهم القرآن وحكمة التنزيل"[2].

المطلب الأول: أهداف دروزة من ترتيب النزول:

قدم دروزة في مقدمة تفسيره بيانا لمنهجه في التفسير، صرح فيه عن أهدافه من سلوك هذا المنهج المخالف لسلفه من المفسرين، متجاوبا-حسب رأيه- مع الرغبة الشديدة الملموسة عند كثير من الشباب الذين يتذمرون من الأسلوب التقليدي ويعرضون عنه، مما أدى إلى انبتات الصلة بينهم وبين كتاب دينهم المقدس، ويدعو إلى الأسف والقلق، ويضيف قائلا" إن الحاجة إلى ذلك تشتد يوماً بعد يوم بنسبة ازدياد ما يتعرض له شبابنا وناشئتنا من تيارات جارفة عاصفة من الإلحاد والتحلل من مختلف القيم والروابط الأخلاقية والاجتماعية والتقليد الأعمى لكل تافه سخيف مخل بالدين والخلق والمروءة، والإقبال على قراءة المجلات والروايات الماجنة الخليعة التافهة"[3].

وبناء عليه قال: "ولقد رأينا أن نجعل ترتيب التفسير وفق ترتيب نزول السور، بحيث تكون أولى السور المفسرة الفاتحة ثم العلق ثم القلم ثم المزّمل إلى أن تنتهي السور المكّية ثم سورة البقرة فسورة الأنفال إلى أن تنتهي السور المدنية لأننا رأينا هذا يتّسق مع المنهج الذي اعتقدنا أنه الأفضل لفهم القرآن وخدمته، إذ بذلك يمكن متابعة السيرة النبوية زمنا بعد زمن، كما يمكن متابعة أطوار التنزيل ومراحله بشكل أوضح وأدقّ، وبهذا وذاك يندمج القارئ في جوّ نزول القرآن وجوّ ظروفه ومناسباته ومداه، ومفهوماته وتتجلى له حكمة التنزيل"[4].

---

[1]-التفسير الحديث، دروزة، 125/1.

[2]- المرجع نفسه، 13/1.

[3]-المرجع نفسه، 5/1.

[4]- المرجع نفسه، 9/1.

من خلال هذه النقول يمكن تلخيص دوافع دروزة في النقاط التالية:

1. التجاوب مع رغبة الشباب المتذمرين من الأسلوب التقليدي في التفسير، وانتشالهم من التيارات الإلحادية المتحللة من القيم والأخلاق.
2. متابعة السيرة النبوية زمناً بعد زمن.
3. متابعة أطوار التنزيل ومراحله بشكل أوضح وأدق.
4. استشعار جو نزول القرآن وجو ظروفه، حتى يكون ذلك أدعى إلى فهمه.

– مناقشة هذه الأهداف:

أولا: إن دعوى عزوف الشباب عن القرآن كان سببه التذمر من الأسلوب التقليدي في التفسير، فغير صحيح، لأن عزوف المسلمين والشباب خاصة عن القرآن هو جزء من عزوفهم عن التدين، وله علاقة بضعف الأمة في العصر الحديث، نتيجة عوامل كثيرة متداخلة، وليس هذا موضع بسطها، ولا ننكر ضعف الهمم في قراءة أمات التفسير خاصة المطولة منها، وأن المدنية الحديثة انعكست سلبا على تفكير الفرد، إذ أصبح يميل إلى حب الإيجاز، والإبتعاد عن المطولات، إذا كان هذا قصد دروزة فنعم، ولكنه وقع في المحذور نفسه، فتفسيره ضخم تجاوز عشر مجلدات، ولعل رأي دروزة هذا نابع من تأثره بواقع عصره، حيث كانت دول المسلمين تحت قهر الإستعمار الذي لم يألو جهدا في طمس الهوية الإسلامية، وتشويه الثوابت.

ثانيا: لا يشترط ترتيب السور حسب النزول لمتابعة أحداث السيرة النبوية، فالسيرة مصادرها معروفة، كما يمكن معرفتها من القرآن الكريم بترتيبه المصحفي، فالأمر سيان، وقد سبق مناقشة هذة المسألة في مباحث سابقة.

ثالثا: أما متابعة أطوار التنزيل، فإنه لا يعدّ من مقاصد القرآن الكريم، فلو كان كذلك لرُتّب القرآن في المصحف على حسب النزول، ولما لم يحدث ذلك عُلم أنه غير مقصود من الشارع الحكيم، ثم إن متابعة أطوار التنزيل لموضوعات القرآن وأحكام القرآن، من شأن الدراسات الموضوعية، وقد أوفت

بالغرض كما هو معلوم، وألفت في ذلك العديد من الكتب[1].

رابعا: أما استشعار جو النزول، فإنه لا يحتاج إلى ترتيب السور حسب النزول، وقد يتأتى بتدبر آيات القرآن الكريم، بغض النظر عن ترتيب سوره، يقول:ﷻ ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [ص: 29] ولتدبر القرآن الكريم قواعد فصلها أهل العلم في كتب متخصصة في هذا الموضوع[2].

وعليه فإن ما فعله دروزة لا يتعدى أن رتب السور في تفسيره ترتيبا مغايرا عما هو عليه في المصحف، فالقارئ لتفسيره، لا يشعر بتلك الفوائد التي ذكرها لأن تفسير السور، هو نفسه في جميع التفاسير.

المطلب الثاني: ترتيب النزول المعتمد عند دروزة ومصادره:

يشير دروزة في مقدمته إلى اطلاعه على ترتيبات عديدة في مؤلفات مختلفة، وذكر منها: الإتقان للسيوطي الذي أورد أربع ترتيبات منسوبة إلى جابر بن زيد والحسين وعكرمة وابن عباس، وترتيبا رابعا لم يذكر صاحبه، ومقدمة «تفسير الخازن» ومقدمة تفسير «مجمع البيان»، وعلى المصحف الذي كتبه الخطاط الشهير قدور أوغلي[3]، وذكر أن بين هذه الترتيبات السبعة بعض التخالف من ناحية التقديم والتأخير والمدني والمكي"[4]، ثم بين أنه اعتمد ترتيب مصحف قدور أوغلي، فقال"وقد اعتمدنا الترتيب الذي جاء في مصحف الخطاط قدور أوغلي المذكور قبل، لأنه ذكر فيه أنه طبع تحت إشراف لجنة خاصة من ذوي العلم والوقوف، حيث يتبادر إلى الذهن أن يكون قد أشير إلى ترتيب النزول فيه

---

[1]- مثل: موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم إعداد: 166 باحثاً، و100 مُحكّماً متخصصاً, ولعدد 354 موضوعاً تحت إشراف: مركز تفسير للدراسات القرآنية، و(التفسير الموضوعي للقرآن الكريم) لأحمد الكومي، و(البداية في التفسير الموضوعي)للدكتور عبد الحي الفرماوي و(المدخل إلى التفسيرالموضوعي) لعبد الستار فتح الله سعيد.

[2]- ينظر على سبيل المثال: القواعد الحسان لتفسير القرآن) للسعدي، وكتاب(مفاتيح التعامل مع القرآن) للخالدي، وكتاب(قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل) لعبد الرحمن حبنكة الميداني، وكتاب(دراسات قرآنية) لمحمد قطب وغيرها.انظر: مفاتيح التامل مع القرآن، الخالدي، ص66.

[3]- ذكر دروزة أنه طبع بتصريح من وزارة الداخلية المصرية وإذن مشيخة المقارئ المصرية من قبل عبد الحميد أحمد حنفي، وأورد تعريفا بهذا المصحف. ينظر: التفسير الحديث، دروزة، 12/1، 14.

[4]- المرجع نفسه، 13/1.

(السورة كذا نزلت بعد السورة كذا) بعد اطلاع اللجنة على مختلف الروايات والترجيح بينها"[1].

وفيما يلي جدول ترتيب السور في مصحف قدور أوغلي الذي ورد ذكره في "التفسير الحديث"، وترتيب دروزة في تفسيره في الطبعة الأولى والثانية:

أولا: ترتيب السور المكية:

رقم ترتيب النزول للسورة	ترتيب السور المكية في مصحف الخطاط قدور أوغلي	ترتيب السور المكية في التفسير الحديث للأستاذ دروزة في الطبعة الأولى في التفسير	ترتيب السور المكية في التفسير الحديث للأستاذ دروزة في الطبعة الثانية في التفسير	رقم ترتيب النزول للسورة	ترتيب السور المكية في مصحف الخطاط قدور أوغلي	ترتيب السور المكية في التفسير الحديث للأستاذ دروزة في الطبعة الأولى في التفسير	ترتيب السور المكية في التفسير الحديث للأستاذ دروزة في الطبعة الثانية في التفسير
1	العلق	الفاتحة	الفاتحة	58	سبأ	سبأ	سبأ
2	القلم	العلق	العلق	59	الزمر	الزمر	الزمر
3	المزمل	القلم	القلم	60	غافر	غافر	غافر
4	المدثر	المزمل	المزمل	61	فصلت	فصلت	فصلت
5	الفاتحة	المدثر	المدثر	62	الشورى	الشورى	الشورى
6	المسد	المسد	المسد	63	الزخرف	الزخرف	الزخرف
7	التكوير	التكوير	التكوير	64	الدخان	الدخان	الدخان
8	الأعلى	الأعلى	الأعلى	65	الجاثية	الجاثية	الجاثية

[1]-التفسير الحديث، دروزة، 13/1، أشير هنا أني حاولت البحث عن هذا المصحف ولم أعثر عليه، ورقيا أو الكترونيا.

9	الليل	الليل	الليل	66	الأحقاف	الأحقاف	الأحقاف
10	الفجر	الفجر	الفجر	67	الذاريات	الذاريات	الذاريات
11	الضحى	الضحى	الضحى	68	الغاشية	الغاشية	الغاشية
12	الشرح	الشرح	الشرح	69	الكهف	الكهف	الكهف
13	العصر	العصر	العصر	70	النحل	النحل	النحل
14	العاديات	العاديات	العاديات	71	نوح	نوح	نوح
15	الكوثر	الكوثر	الكوثر	72	إبراهيم	إبراهيم	إبراهيم
16	التكاثر	التكاثر	التكاثر	73	الأنبياء	الأنبياء	الأنبياء
17	الماعون	الماعون	الماعون	74	المؤمنون	المؤمنون	المؤمنون
18	الكافرون	الكافرون	الكافرون	75	السجدة	السجدة	السجدة
19	الفيل	الفيل	الفيل	76	الطور	الطور	الطور
20	الفلق	الفلق	الفلق	78	الملك	الملك	الملك
21	الناس	الناس	الناس	79	الحاقة	الحاقة	الحاقة
22	الإخلاص	الإخلاص	الإخلاص	80	المعارج	المعارج	المعارج
23	النجم	النجم	النجم	81	النبأ	النبأ	النبأ
24	عبس	عبس	عبس	82	النازعات	النازعات	النازعات
25	القدر	القدر	القدر	83	الإنفطار	الإنفطار	الإنفطار
26	الشمس	الشمس	الشمس	84	الإنشقاق	الإنشقاق	الإنشقاق
27	البروج	البروج	البروج	85	الروم	الروم	الرووم
28	التين	التين	التين	86	العنكبوت	العنكبوت	العنكبوت
29	قريش	قريش	قريش	87	المطففين	المطففين	المطففين
30	القارعة	القارعة	القارعة	88		الرعد	الرعد
31	القيامة	القيامة	القيامة	89		الرحمن	الحج
32	الهمزة	الهمزة	الهمزة	90		الإنسان	الرحمن
33	المرسلات	المرسلات	المرسلات	91		الزلزلة	الإنسان

34	ق	ق	ق	92			الزلزلة
35	البلد	البلد	البلد				
36	الطارق	الطارق	الطارق				
37	القمر	القمر	القمر				
38	ص	ص	ص				
39	الأعراف	الأعراف	الأعراف				
40	الجن	الجن	الجن				
41	يس	يس	يس				
42	الفرقان	الفرقان	الفرقان				
43	فاطر	فاطر	فاطر				
44	مريم	مريم	مريم				
45	طه	طه	طه				
46	الواقعة	الواقعة	الواقعة				
47	الشعراء	الشعراء	الشعراء				
48	النمل	النمل	النمل				
49	القصص	القصص	القصص				
50	الإسراء	الإسراء	الإسراء				
51	يونس	يونس	يونس				
52	هود	هود	هود				
53	يوسف	يوسف	يوسف				
54	الحجر	الحجر	الحجر				
55	الأنعام	الأنعام	الأنعام				
56	الصافات	الصافات	الصافات				
57	لقمان	لقمان	لقمان				

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا: ترتيب السور المدنية:

رقم ترتيب النزول للسورة	ترتيب السور المدنية في مصحف الخطاط قدور أوغلي	ترتيب السور المدنية في التفسير الحديث للأستاذ دروزة في الطبعة الأولى في التفسير	ترتيب السور المدنية في التفسير الحديث للأستاذ دروزة في الطبعة الثانية في التفسير
1	البقرة	البقرة	البقرة
2	الأنفال	الأنفال	الأنفال
3	آل عمران	آل عمران	آل عمران
4	الأحزاب	الأحزاب	الحشر
5	الممتحنة	الممتحنة	الجمعة
6	النساء	النساء	الأحزاب
7	الزلزلة	الحديد	النساء
8	الحديد	محمد	محمد
9	محمد	الطلاق	الطلاق
10	الرعد	البينة	البينة
11	الرحمن	الحشر	النور
12	الإنسان	النور	المنافقون
13	الطلاق	الحج	المجادلة
14	البينة	المنافقون	الحجرات
15	الحشر	المجادلة	التحريم
16	النور	الحجرات	التغابن
17	الحج	التحريم	الصف
18	المنافقون	التغابن	الفتح
19	المجادلة	الصف	المائدة
20	الحجرات	الجمعة	الممتحنة
21	التحريم	الفتح	الحديد
22	التغابن	االمائدة	التوبة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

23	الصف	التوبة	النصر
24	الجمعة	النصر	
25	الفتح		
26	المائدة		
27	التوبة		
28	النصر		

ملاحظات على هذه التراتيب:

-لا يوجد إختلاف كبير بالنسبة لترتيب السور المكية كما هو الحال في ترتيب السور المدنية.

-ابتداء دروزة بالفاتحة ذات الرتبة الخامسة، تبركا.

-اختلاف عدد السور المكية: في مصحف قدور أوغلي: ست وثمانون سورة آخرها المطففين، بينما عند دروزة تسعون سورة في الطبعة الأولى وواحد وتسعون في الطبعة الثانية بإضافة الحج، وآخرها الزلزلة.

-السور(الرعد والحج والرحمن والإنسان، والزلزلة) عدها دروزة مكية، مخالفا بذلك المصحف الذي اعتمده.

-إختلاف في ترتيب السور المدنية بين الطبعة الأولى والثانية.

هذه الاختلافات بين ترتيب دروزة والمصحف المعتمد وكذلك تغيير ترتيب بعض السور من طبعة إلى أخرى، إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على عدم الجزم بصحة أي ترتيب، وبالتالي عدم التعويل على أي نتيجة متمخضة عن توظيف هذا الترتيب في تفسير القرآن الكريم، وهو ما سأبينه في مبحث لاحق.

المطلب الثالث: معايير ترتيب النزول عند دروزة:

لاحظ دروزة–حسب ظنه– أن ترتيب بعض السور لا يستقيم، وأن الروايات في شأنها لاتسعفه، فراح يجتهد لإيجاد ترتيبا مناسبا لها، حيث خالف ترتيب بعض هذه السور لأن في بعضها–كما يقول– دلالات تكاد تكون قطعية على أن ترتيبها حسب ما رواه المصحف الذي اعتمده لا يمكن أن يكون صحيحا ومبررا.

وباستقراء تفسيره نجده قد اعتمد مجموعة من المعايير ساعدته على ترتيب السور-حسب رأيه- نبينها في ما يلي:

أولا: الروايات:

بغض النظر عن صحة الروايات وضعفها، نجد اهتماما ملحوظا بنقل الروايات والأحاديث من قبل دروزة، بغية اتخاذها وسيلة وقرينة لتحديد ترتيب بعض الآيات والسور، ولعل منشأ ذلك الاهتمام علمه أنه لا سبيل لمعرفة الترتيب إلا بالرواية.

وفيما يلي بعض النماذج:

- حديثه عن ترتيب سورة النصر: يقول: "والمصحف الذي اعتمدناه يروي أنها نزلت بعد سورة التوبة وبكلمة أخرى، آخر السور المدنيّة نزولا، ومع أن روايات الترتيب الأخرى تذكر ترتيبها كسابعة السور المدنيّة نزولا، أو كسادسة عشرة، أو كثامنة عشرة، بل إن هناك رواية بأنها مكيّة، فإن هناك روايات وأحاديث عديدة بطرق مختلفة تؤيد ترتيب المصحف الذي اعتمدناه"[1]، ثم راح يسرد ما أثر من روايات في شأنها، كحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما: "كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال لم يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله فقال عمر إنه من قد علمتم فدعاه ذات يوم فأدخله معهم فما رئيت أنه دعاني يومئذ إلّا ليريهم، قال ما تقولون في قول الله تعالى: إِذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم. فقال لي أكذلك تقول يا ابن عباس فقلت لا، فما تقول. قلت هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه به قال إذا جاء نصر الله والفتح وذلك علامة أجلك فسبّح بحمد ربك واستغفر، إنه كان توابا فقال عمر ما أعلم منها إلّا ما تقول".[2]

كما نقل عن الطبري أحاديث منها:

-حديث ابن عباس جاء فيه "لما نزلت قال رسول الله ﷺ نعيت إليّ نفسي كأني مقبوض في تلك السنة".[3]

-وحديث عائشة قالت: "كان رسول الله ﷺ يكثر قبل أن يموت من قوله سبحانك اللهمّ

---

[1]- التفسير الحديث، دروزة، 573/9.

[2]-أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب"تفسير القرآن"، باب"قوله فسبح بحمد ربك واستغفره" ح(4970) 179/6.

[3] -أخرجه أحمد في مسنده، باب مسند عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ح(1873)، 435/2، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك، فقلت يا رسول الله ما هذه الكلمات التي أراك أحدثتها، قال قد جعلت لي علامة في أمتي إذا رأيتها قلتها إِذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ إلى آخر السورة"[1].

-وحديث أم سلمة قالت: "كان رسول الله في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجيء إلا قال سبحان الله وبحمده فقلت يا رسول الله إنك تكثر من سبحان الله وبحمده، لا تذهب ولا تجيء ولا تقوم ولا تقعد إلا قلت سبحان الله وبحمده قال: إني أمرت بها فقال إِذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ إلى آخر السورة" ثم علق على الحديثين الأخيرين لتيأييد -إذا صحّا ما يقول-كون السورة نزلت بين يدي موت رسول الله ﷺ. ليصل في نهاية المطاف إلى ترجيح ترتيب المصحف الذي اعتمده وجعل ترتيب هذه السورة بعد سورة التوبة وآخر السور المدنيّة.[2]

-مثال آخر: ترتيب سورة التحريم: يقول: " وليس في السورة أمارة مميزة يمكن أن تساعد على القول بصحة ترتيبها وعدمه، وقد روى المصحف الذي اعتمدناه أنها نزلت بعد الحجرات، وروي هذا في ترتيبات أخرى فجارينا هذه الروايات."[3]

ثانيا:أحداث السيرة:

تظل سيرة الرسول ﷺ هي الرصيد التاريخي الأول الذي يستمد منه الدارسون للمكي والمدني وترتيب القرآن زمنيا حسب النزول، كما فعل دروزة وأصحاب التفاسير حسب ترتيب النزول، وفيما يلي أمثلة من التفسير الحديث توضح اعتماده أحداث السيرة النبوية في تحديد ترتيب بعض الآيات والسور:

1- ترتيب سورة الحشر:

ويقول دروزة: "جلّ هذه السورة في صدد إجلاء فريق من اليهود عن المدينة..والمفسرون وكتّاب السيرة متفقون، على أن الفريق اليهودي هم بنو النضير إحدى قبائل اليهود الإسرائيليين الذين كانوا يقيمون في المدينة، ومتفقون كذلك على أن حادثهم وقع بعد نحو خمسة أشهر من وقعة أحد والمعقول

---

[1]-أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب "ما يقال في الركوع والسجود" ح(484) 351/1.

[2]-ينظر: التفسير الحديث، دروزة، 573/9-574

[3]- المرجع نفسه، 496/8 و925/8

أن يكون ترتيبها بعد سورة آل عمران التي احتوت مشاهد وظروف هذه الواقعة.."[1].

وبهذا الكلام المسهب يحاول أن يؤكد على ترتيب السورة المعتمد لديه فيقول: "ولما كان هذا عندنا في درجة اليقين لأنه قائم على واقع متفق عليه فقد رأينا أن نخلّ بالترتيب الذي تابعنا فيه المصحف الذي اعتمدناه وجلّ روايات الترتيب معا، فنجعل سورة الحشر بعد آل عمران بدلا من سورة الممتحنة ونقدم سورة الفتح التي يؤخرها الرواة كثيرا حتى يجعلوها الثانية والعشرين أو السادسة والعشرين والتي نزلت في حادث صلح الحديبية بدون أي مبرر، ثم نجعل بعدها سورة الممتحنة، لأن ذلك يتسق مع التسلسل الزمني لوقائع السيرة النبوية، وهو الذي قصدنا إليه حينما اعتزمنا على جعل تفسيرنا للسور وفق روايات ترتيب النزول.[2]

2- ترتيب سورة الجمعة: يقول دروزة: "وترتيب هذه السورة في ترتيب النزول الذي يرويه المصحف الذي اعتمدناه هو الرابع والعشرون، والتراتيب المروية الأخرى مقاربة لذلك، مع أن محتوى السورة يدل على أنها نزلت في وقت كان في المدينة فيه فريق من اليهود، وكانوا على شيء من القوة، والاعتداد، ولما كان يهود بني قريظة هم آخر من بقي من اليهود في المدينة، وقد نكّل النبي ﷺ بهم في السنة الهجرية الخامسة بعد وقعة الخندق، وقد أشير إلى ذلك في سورة الأحزاب، فعلى أقل تقدير تكون سورة الجمعة قد نزلت قبل ذلك وبالتبعية قبل سورة الأحزاب، وهذا ما يبرر تقديم تفسيرها على هذه السورة، والله تعالى أعلم"[3].

3- ترتيب سورة الحديد:

يقول: " وفصول السورة غير منقطعة عن بعضها بحيث يسوغ القول بأنها نزلت متتابعة. والمصحف الذي اعتمدناه يذكر أنها نزلت بعد سورة الزلزلة التي يروى أن سورة النساء نزلت بعدها وقبل سورة محمد. ومعظم رواة ترتيب النزول يجعلون ترتيبها مثل ترتيبها في هذا المصحف في حين أن فيها آية تفيد بصراحة أنها نزلت بعد الفتح الذي يتفق معظم المؤولين على أنه فتح مكة، وليس في السورة ما يمكن أن يساعد على القول بأن فصولا منها نزلت قبل هذا الفتح، وهذا ما جعلنا نؤخر ترتيبها عن

---

[1]-التفسير الجديث، دروزة، 302/7.

[2]-ينظر: المرجع نفسه، 303/7.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، 327/7-328.

الترتيب المروي للتوفيق بين ظروف نزولها ونزول سورة الممتحنة التي نزلت بعد صلح الحديبية وقبيل الفتح المكي"[1].

4-ترتيب سورة الصف:

يقول:"وفي السورة آيات قد تكون قرينة على كونها نزلت قبيل صلح الحديبية ووقعة خيبر، وهاتان الوقعتان قد أشير إليهما في سورة الفتح التي يأتي ترتيبها بعد هذه السورة، حيث يكون في ذلك قرينة على صحة ترتيبها والله أعلم"[2].

ومع هذا الحضور المكثف للسيرة في تفسير دروزة إلا أنه يمكن ملاحظة التردد والتخمين في تحديد تواريخ وقائع السيرة، من ذلك قوله في تفسير سورة النور: " وفصول السورة على تعددها مترابطة ترابطا موضوعيا أو زمنيا، وهذا يسوغ القول إنها نزلت في ظروف متقاربة ورتبت على الوجه الذي جاءت عليه في السورة بسبب ذلك، هذا مع احتمال أن يكون بعض فصولها نزلت قبل بعض فصول في سور متقدمة عليها في الترتيب، حيث روي أن وقعة المريسيع مع بني المصطلق التي كان حديث الإفك في مناسبتها وقعت قبل وقعة الخندق مع أن وقعة الخندق أو الأحزاب ذكرت في سورة الأحزاب، وحيث يمكن أن يقال إذا صحت تواريخ لوقائع أن فصول السورة قد رتبت متأخرة نوعا ما، والله أعلم، وترتيب السورة في المصحف الذي اعتمدناه يأتي بعد سورة الحشر، ولما كنا رجحنا نزول سورة الحشر قبل سورة الأحزاب وقدمناها عليها فقد صار ترتيبها بعد سورة البيّنة مباشرة على أننا نقول مع ذلك كله إنه ليس هناك قرينة قوية تسمح بترجيح كون أي فصل من فصول السيرة نزل بعد وقعة الخندق أو الأحزاب، وإن هذا قد يسيغ احتمال أن تكون فصول السيرة كلها نزلت قبل سورة الأحزاب وفي ظروف وقعة المريسيع وبني المصطلق وبعدها أيضا، والله تعالى أعلم"[3].

ثالثا:المضمون:

يرى دروزة أن عددا من السور اشتملت على موضوعات لا ينطبق على ما قيل فيها من سبب نزول، وروايات ترتيبها، فجعل من مضمون السورة معيارا جوهريا في ترتيبه، حيث قال: "مع التنبيه على

---

[1]-ينظر: التفسير الحديث، دروزة، 9/296-297.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، 8/556.

[3]- المرجع نفسه، 8/352-353.

أن مضامين بعض السور المكية والمدنية تسوغ التوقف في ترتيبها الوارد في هذه الترتيبات"[1].

ومن هنا جعل من مضمون السورة حاكما على صحة ترتيبها من عدمه في الروايات الواردة في هذا الشأن، فيقول: ".. ومضامين سور عديدة مكية ومدنية تلهم أن كثيرا مما روي في ترتيب النزول صحيح أو قريب من الصحة وكل ما يعنيه أن فيها ما يدعو إلى التوقف وأن الأمر بالنسبة لبعض السور يظل في حدود المقاربة والترجيح.."[2].

وقد يخالف ترتيب مصحف الخطاط قدور أوغلي الذي اعتمده بسبب مضمون السورة، وفي ذلك يقول"..وهناك أربع سور ذكر المصحف الذي اعتمدناه أنها مدنية وهي الزلزلة والإنسان والرحمن والرعد، في حين أن مضمونها وأسلوبها مشابهان كل المشابهة للسور المكية دون السور المدنية، وأن هناك روايات تذكر أنها مكية، ولذلك فسرناها في عداد السور المكية"[3].

وفي المقابل نجده يبقي على ترتيب بعض السور، رغم ما يظهر له من خلال مضامينها، ويكتفي بالإشارة فقط، من أمثلة ذلك قوله: "..وهناك سور يمكن أن يلهم مضمونها أنها نزلت قبل سور متقدمة عليها في الترتيب أو بعد سور متأخرة عنها فلم نشأ الإخلال بترتيبها واكتفينا بالتنبيه إلى ذلك في مقدمة كل سورة منها"[4]. ولا يخفى ما في هذا المسلك من اضطراب منهجي واضح.

ويحسن هنا إيراد نماذج للتوضيح:

1-ترتيب سورة العلق: فرق دروزة بين ترتيب الخمس آيات الأولى للسورة وباقي الآيات، وذكر الخلاف حول أولية نزولها ثم رجح قول الجمهور، معللا ذلك بقوله: " فإن أحاديث أولية هذه الآيات أقوى سندا كما أن مضمونها يلهم ترجيح هذه الأولية"[5]، "أما باقي الآيات من السورة فمضمونها وأسلوبها يدلان على أنه نزل بعد مدة ما من نزول آياتها الخمس الأولى، على أن هذه المدة ليست طويلة على ما تلهم آيات السورة"[6].

---

[1]-التفسير الحديث، دروزة، 125/1.

[2]-المرجع نفسه، 13/1.

[3]- المرجع نفسه، 17/1.

[4]- المرجع نفسه، 17/1-18.

[5]- المرجع نفسه 315/1-316.

[6]- المرجع نفسه 315/1.

2- ترتيب سورة القلم:

وضع دروزة سورة القلم الثانية في الترتيب، وفق ما ورد في الروايات، إلا أنه شكك في ذلك بسبب مضمونها, حيث رأى أنه لا يمكن الفصل بين الجزء الأول من السورة وباقي أجزائها، لوجود ما أسماه "الانسجام والتلاحق بين هذه الآيات وما بعدها، وهذا قد يضعف الرواية الأولى ويسوغ القول إنها نزلت هي وما بعدها سلسلة واحدة أو متلاحقة، وإن ترتيبها كثاني سورة غير صحيح، لأن الآيات التالية لها تضمنت مشاهد تكذيبية وجدلية، وحملة تنديدية وحكاية لقول المكذبين إن القرآن أساطير الأولين، مما لا يمكن أن يكون وقع إلّا بعد نزول جملة غير يسيرة من القرآن واتصال النبي عليه السلام بالناس وتلاوته عليهم واشتباكه معهم بالجدل والحجاج"[1].

3-ترتيب سورة التوبة:

يقول: "والمصحف الذي اعتمدناه يروي ترتيب هذه السورة قبل سورة النصر التي يجعلها آخر السور المدنيّة نزولا، وبعض روايات الترتيب يجعلها بعد سورة النصر، وبعضها يجعلها ثانية عشرة سورة مدنيّة نزولا وبعضها سادسة عشرة بل وبعضها سادسة، ومضامينها تلهم أن الروايات الثلاث الأخيرة لا يمكن أن تكون صحيحة. وقد أخذنا برواية المصحف الذي اعتمدناه لأن فحوى وروح سورة النصر يسوغان صحة رواية هذا المصحف بكونها آخر السور المدنيّة نزولا كما أن هناك أحاديث تؤيد ذلك على ما سوف نورده في سياقها"[2].

4-في ترتيب سورة الحج:

ذكر أن المصحف الذي اعتمده يروي أن هذه السورة مدنية، في حين أن المفسرين البغوي والنيسابوري والزمخشري والطبرسي والخازن والبيضاوي والنسفي يروون أنها مكية، وبعضهم يذكر أن بعض آيات منها مدنيّة، والآيات المرويّة مدنيتها هي [19- 22] في رواية و[19- 24] في رواية أخرى، ثم الآيات [38- 41 و52- 55 و58- 60]، والمتمعن في الآيات [19- 24] ومضمونها، يجد أن أسلوبها ومضمونها مكّيان أكثر من كونهما مدنيين، وكذلك الآيات [52- 55]،

---

[1]- التفسير الحديث، دروزة، 165/1.

[2]- المرجع نفسه، 341/9.

أما الآيات [38- 41 و58- 60] فقد يؤيّد أسلوبها ومضمونها مدنيتها، مع احتمال أن تكون وبخاصة الآيات [38- 41]- مكية أيضا لأن أسلوبها ومضمونها يسوغان تخمين ذلك.

وهناك آيات لم يذكرها الرواة في عداد الآيات المدنية على ما اطّلعنا عليه، مع أن مضمونها قد يسوغ بل قد يرجّح مدنيتها وهي الآيات [25- 27] ثم الآيتان الأخيرتان من السورة اللتان يحتمل أن تكونا مدنيتين أيضا على ما سوف نشرحه بعد، وعلى كل حال، فإن أسلوب معظم آيات السورة ومضمونها يسوغان ترجيح صحّة رواية مكّيتها، مع احتمال أن تكون بعض آياتها مدنية."[1]

هذا وإن أعياه المضمون، سلم بترتيب المصحف الذي اعتمده، كما فعل على سبيل المثال مع سورة الحجرات، فبعدما ذكر موضوعات السورة قال: " وليس في السورة ما يساعد على القول بصحة ترتيبها وعدمه، وقد روى المصحف الذي اعتمدناه أنها نزلت بعد سورة المجادلة، ومعظم الترتيبات المروية مقاربة لذلك، فجارينا رواية المصحف الذي اعتمدناه، والله أعلم"[2]، والأمر نفسه مع سورة التحريم[3]، وسورة المائدة[4] وغيرها.

وخلاصة القول: إن أبرز ما يمكن ملاحظته من خلال ما تم عرضه، أمران هما: التردد والتخمين ونماذج ذلك أكثر من أن تحصى منها:

تعليقه على الآية: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾[النور: 61].

"والذي يتبادر لنا أن الآية متصلة بسابقاتها سياقا وموضوعا. وهي بسبيل تعليم آداب السلوك مثلها. ومن المحتمل أن يكون بعض المسلمين وقعوا في حرج ما بشؤون متصلة بما احتوته الآية فاستفتوا النبي ﷺ فنزلت. ومن المحتمل أن تكون نزلت مع الآيات الثلاث السابقة التي قبلها لأنها من موضوعها كما أن من المحتمل أن تكون نزلت عقبها فوضعت في ترتيبها للتناسب الموضوعي والظرفي، أو تكون نزلت في ظرف آخر فوضعت في ترتيبها للتناسب الموضوعي"[5].

---

[1]- التفسير الحديث، دروزة، 8/6-9.

[2]- المرجع نفسه: 498/8.

[3]- ينظر، المرجع نفسه 529/8.

[4]- ينظر:المرجع نفسه، 10/9.

[5]- المرجع نفسه، 414/8، و449/8، وغيرها كثير في تفسيره.

رابعا: المناسبات بين السور:

يعتبر دروزة من أبرز المفسرين الذين ساروا في تفاسيرهم وفق ترتيب النزول عناية بالمناسبة، وتوظيفها في الاهتداء إلى ترتيب بعض السور والآيات زمنيا، وقد جاء تفسيره حافلاً ببيان المناسبة في جوانب عديدة، منها: جانب ارتباط الآي بعضها ببعض، وجانب ارتباط السور بعضها ببعض.. فمن الأمثلة على عنايته بالمناسبة بين آيات السورة الواحدة وتوظيفها في ترتيب الآي حسب النزول:

-قوله في بداية تفسير سورة محمد: "وترتيب هذه السورة في روايات ترتيب النزول التي يرويها المصحف الذي اعتمدنا عليه وغيره بعد سورة الحديد التي جاء ترتيبها في الروايات المذكورة بعد سورة النساء، ولما كان محتوى سورة الحديد يدل على أنها نزلت بعد الفتح المكي فقد أخرنا تفسيرها فصار ترتيب هذه السورة بعد سورة النساء مباشرة، وبين بعض فصول سورة النساء وفصول هذه السورة تماثل غير يسير"[1].

-وعند تفسير سورة غافر قال: "ويلفت النظر إلى ما بين هذه المقدمة وبين آيات السورة السابقة الأخيرة من تساوق تأكيدي في صدد غفران الذنوب وقبول التوبة وتقرير كون كلمة العذاب إنما حقت على الكافرين المكابرين على الله المكذبين بآياته مما يمكن أن يكون قرينة ما على صحة ترتيب نزول هذه السورة بعد سورة الزمر[2]".

-وعن لسورة "ص" يقول: "وفصول السورة وآياتها مترابطة منسجمة، ومتوازنة مما يدلّ على وحدة نزولها أو تلاحق فصولها في النزول، وفيها قرائن على صحة ترتيب نزولها وبخاصة بعد سورتي القمر وق"[3].

-وعن سورة سبأ يقول: "وفصول السورة مترابطة مما يسوّغ القول أنها نزلت دفعة واحدة أو متتابعة[4].

---

[1]- التفسير الحديث، دروزة، 298/8

[2]- المرجع نفسه، 352/4.

[3]- المرجع نفسه، 298/2.

[4]- المرجع نفسه 264/4.

- تعليقه على الآية: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾[النور: 30] "ولم نطلع على مناسبة خاصة لهذه الآية، ومع أنها فصل جديد أو بداية فصل جديد فإن الصلة الموضوعية ملموحة بينها وبين الفصل السابق. فإذا لم تكن نزلت بعده فيكون ترتيبها في مكانها بسبب هذه الصلة كما هو المتبادر"[1].

أما حديثه عن المناسبات بين السور، فمن أمثلته:

-المناسبة بين سورة الفرقان وسورة يس التي قبلها في الترتيب يقول: "وبين موضوعاتها وموضوعات السورة السابقة شيء غير يسير من التشابه والتساوق مما يمكن أن يكون قرينة على صحة ترتيب نزولها بعدها. ونظم السورة مسجع وموزون أكثر منه مرسلا، وفصولها مترابطة، وهذا وذاك مما يسوغ القول بوحدة نزولها أو تلاحق فصولها في النزول، وقد روى المصحف الذي اعتمدناه أن الآيات [68- 70] مدنيات. وانسجامها مع السياق والأسلوب وبروز الطابع المكي عليها مما يحمل على الشك في الرواية، وقد روى الطبري تفنيدا للرواية وتوكيدا بمكية الآيات.."[2]

-التناسب بين سورة محمد والسورة السابقة لها في الترتيب (النساء): "وترتيب هذه السورة في روايات ترتيب النزول التي يرويها المصحف الذي اعتمدنا عليه وغيره، بعد سورة الحديد التي جاء ترتيبها في الروايات المذكورة بعد سورة النساء، ولما كان محتوى سورة الحديد يدل على أنها نزلت بعد الفتح المكي فقد أخرنا تفسيرها فصار ترتيب هذه السورة بعد سورة النساء مباشرة. وبين بعض فصول سورة النساء وفصول هذه السورة تماثل غير يسير"[3].

خامسا: السياق: أو ما أسماه بروح الآيات وسياقها:

ومن الأمثلة الدالة على عنايته بالسياق واعتباره في ترتيب الآي والترجيح بين الروايات الواردة في شأنها:

قوله: "ومع أن روح الآيات وسياقها يلهمان بقوة عدم صحة معظم روايات مدنية ومكية الآيات في السور المكية والمدنية[4]".

---

[1]- التفسير الحديث، دروزة، 391/8، و401/8.

[2]- المرجع نفسه، 47/3.

[3]- المرجع نفسه 298/8.

[4]- المرجع نفسه، 360/1.

وقوله: "والمصحف الذي اعتمدناه يروي أن الآيات [12 و17 و114] مدنيات، وانسجام الآيات في السياق والموضوع مع سابقاتها ولا حقاتها يسوغ الشك في صحة الرواية"[1].

وقوله: "..والمصحف الذي اعتمدنا عليه يروي أن الآية [6] من سورة سبأ مدنية والرواية تتحمل التوقف لانسجام الآية الوثيق في السياق".[2]

سادسا: الأسلوب: يرى دروزة أن لأسلوب الآيات والسور دور فعال في الاهتداء إلى الترتيب النزولي الأقرب إلى القبول، ولكن كان كثيرا ما يقرن هذا المعيار مع معايير أخرى كالمضمون، وغيره مما ذكر آنفا.

وفيما يلي نماذج للتوضيح:

- ذكر في تعليقه على أسلوب ومضامين سورة الانشقاق وما قبلها من احتمال تبكير نزولها ونبّه على أن بين أسلوب هذه السورة ومضامينها وكذلك أسلوب السور السابقة لها أي الانفطار والنازعات والنبأ والمعارج والحاقّة والملك والطور ومضامينها، وبين أسلوب ومضامين كثير من السور المبكرة في النزول مثل التكوير والأعلى والليل والفجر والشمس والقارعة والقيامة وق والطارق تماثل كبير مما يبعث الشكّ في صحة ترتيب نزولها في أواخر العهد المكيّ ومما يسوغ الظنّ بأنها مما نزل في عهد مبكر وإن كان ترتيبها في تراتيب النزول العديدة المرويّة متقاربا مع ترتيبها الذي ذكر في المصحف الذي اعتمدنا عليه وسرنا وفقه."[3]

- **سورة طه**: "ولقد ذكر المصحف الذي اعتمدناه أن الآية﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴾[طه: 130] مدنية، وأسلوبها وانسجامها مع السياق وبروز الطابع المكي عليها في ضمير "يقولون" العائد على الأرجح إلى الكفار موضوع الكلام في الآيات السابقة يسوّغ الشك في الرواية ولا سيما أن الآية التالية لها هي تتمة للموضوع، والطابع المكي بارز عليها كذلك[4]".

- **سورة الفلق**: "في السورة تعليم رباني بالاستعاذة بالله من أسباب المخاوف والهواجس في معرض تدعيم وحدة الله ونبذ ما سواه. وبعض الروايات تذكر أنها مكية وبعضها تذكر أنها مختلف في

---

[1]- التفسير الحديث، دروزة، 501/3.

[2]- المرجع نفسه، 264/4.

[3]- المرجع نفسه، 229/5.

[4]- المرجع نفسه 217/3.

مكيتها ومدنيتها، ومعظم روايات ترتيب النزول تسلكها في سلك السور المكية المبكرة في النزول، وأسلوبها يسوغ ترجيح مكيتها وتبكير نزولها"[1].

- **سورة الناس**: "في السورة تعليم بالاستعاذة من وسوسة الموسوسين وشرهم إنسا كانوا أم جنا. وبعض الروايات تذكر أنها مكية وبعضها تذكر أنها مختلف في مكيتها ومدنيتها ومعظم روايات ترتيب النزول تسلكها في سلك السور المكية المبكرة في النزول. وأسلوبها يسوغ ترجيح مكيتها وتبكير نزولها"[2].

سابعا:معيار القصة:

وظف دروزة احدى خصائص القصة في القرآن الكريم، المتمثلة في مراعاة الزمن وحال المخاطبين بها، مما يفسر الإيجاز والشدة غالبا فيما أتى من القصص في السور المكية، والعكس فيما أتى في السور المدنية[3] من ذلك تعليقه على قصة آدم وإبليس في السورة الأعراف: "والقصة هنا أكثر إسهابا منها في السورة السابقة، ولعل من السامعين من طلب الاستزادة فاقتضت حكمة التنزيل هذا الإسهاب، أو لعلّ ذلك كان بسبب استمرار الكفار في جحودهم وعنادهم، وربما كان ذلك قرينة على صحة ترتيب نزول هذه السورة بعد سورة (ص) "[4].

ويقول: "ولقد أشير إلى تكذيب الأقوام الذين ذكرتهم حلقات السلسلة إشارة خاطفة في سورة «ص» السابقة لهذه السورة، حيث يمكن أن يقال إن حكمة التنزيل اقتضت الإسهاب الذي جاءت عليه القصص هنا بعد تلك الإشارة الخاطفة، إما لتوكيد الإنذار والتمثيل والتذكير، وإما بناء على تحدّ، أو استزادة من السامعين، ومن الممكن والحال هذه أن يكون ذلك من قرائن صحة ترتيب نزول سورة الأعراف بعد سورة "ص"[5].

وخلاصة القول مما سبق عرضه نلاحظ مايلي:

أولا: أن دروزة أهمل توظيف أسباب النزول في تحديد ترتيب بعض السور والآيات.

ثانيا: عدم وجود ضوابط منهجية في ترتيب السور حسب نزولها.

---

[1]- التفسير الحديث، دروزة، 45/2.

[2]- المرجع نفسه، 59/2.

[3]- ينظر: القصص في القرآن الكريم، إسلام محمد دربالة.

[4]- المرجع نفسه، 367/2.

[5]- المرجع نفسه 417/2.

المبحث الثالث: أثر ترتيب النزول في تفسير دروزة:

بعد عرض أهداف دروزة في سلوكه هذا المسلك الجديد في التفسير، والكشف عن المعايير التي اعتمدها في ترتيبه، فإنه لا بد من البحث عن مدى تحقق تلك الأهداف في تفسيره، ومدى التزامه بمنهجه، ولأجل ذلك سأعرض بعض النماذج الكفيلة بتوضيح الغرض.

وبعد التأمل في تفسير دروزة، فإنه يمكن تقسيم أثر ترتيب النزول فيه إلى ثلاثة أقسام:

- أثر ترتيب النزول في إيضاح المعنى.
- أثر ترتيب النزول في المناسبة بين السور.
- أثر ترتيب النزول في استنباط الفوائد واللطائف التفسيرية.

المطلب الأول: أثر ترتيب النزول في إيضاح المعنى:

إن أهم شيء يتطلع إليه الدارس لتفسير دروزة هو مدى استعانته بترتيب نزول الآيات والسور في بيان معاني القرآن الكريم وإيضاحها، باعتباره الغرض الذي من أجله ألف الكتاب على هذا النسق.

وفيما يلي سأقتصر على بعض الصور الظاهرة في إعماله لترتيب النزول في هذا السياق:

أولا: الترجيح بين الأقوال: من أمثلته:

- القول أن معنى "الكوثر" "الخير الكثير": في تفسيره لسورة الكوثر، ذكر أقوال المفسرين في معنى: ﴿ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ [الكوثر: 1] فقال: "قال أهل اللغة: الكوثر: فَوْعَل من الكثرة، كنَوْفَلٍ: فَوْعَل من النفل، والعرب تُسمِّي كل شيء كثيرٍ في العدد أو كثير في القدر والخطر كوثرًا، والذي دلَّت عليه النصوص الشرعية أنَّ الكوثر هو النهر الذي أعطاه اللهُ للنبيِّ ﷺ في الجنة، وماؤه يصبُّ في الحوض الذي يكون في الموقف، كما دلَّ عليه حديث أنس قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهُرِنا إذ أغفى إغفاءةً، ثم رفع رأسه مُتبسِّمًا، فقلنا: ما أضحَكَكَ يا رسول الله؟ قال: "أُنزلتْ عليَّ آنفًا سورةٌ"، فقرأ: "بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر: 1 - 3]"، ثم قال: "أتدرون ما الكوثر؟"، فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: " فإنه

نَهْرٌ وعدَنِيهِ ربِّي عز وجل، عليه خيرٌ كثيرٌ، هو حوض تَرِدُ عليه أمَّتي يوم القيامة، آنيتُه عددُ النجوم، فيُخْتَلج العبدُ منهم، فأقول: ربِّ، إنه من أمَّتي! فيقول: ما تدري ما أحدثَتْ بعدك"[1].

وبعدما ذكر أقوال المفسرين رجح دروزة معنى الكوثر "الخير الكثير" واستدل بترتيب نزول السورة السابق لسورة النجم التي ورد فيها حادثة الاسراء والمعراج، حيث قال: "ومما يلحظ أن ترتيب هذه السورة سابق على سورة النجم التي تروي مشاهد الإسراء والمعراج في سياق آياتها الأولى، وقد يكون في هذا تدعيم لذلك التفسير والتوجيه"[2].

ثانيا: عود ضمير: مثاله عود ضمير الفاعل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾[البروج: 10]

يقول دروزة: "يصرف المفسرون بدون سند وثيق ضمير الفاعل في الآية الأولى من هذه الآيات إلى أصحاب الأخدود ويقولون إن الوعيد فيها لهم وإن عذاب الحريق هو مقابلة عينية لما فعلوه من حرق المؤمنين في نار الأخدود، وهذا عجيب وغير صواب فيما يتبادر لنا، وجملة (ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا) دليل على ذلك لأن أصحاب الأخدود ماتوا وانقضى أمرهم ولم يعد لفتح باب التوبة لهم محل، والمعقول الذي تدل عليه هذه الجملة أن يكون الوعيد لجماعة كانوا يفتنون المؤمنين والمؤمنات وقت نزولها، ولقد كان ذلك أمرا واقعا حيث كان بعض الزعماء المشركين في مكة يضطهدون ضعفاء المؤمنين والمؤمنات ويؤذونهم ليرغموهم على الافتتان.."[3]

ثالثا: تعيين المبهمات: تعيين المبهمات في القرآن: ومن أمثلته تعيين المراد "بعلماء بني إسرائيل":

يقول دروزة: "ولقد ذكر المصحف الذي اعتمدناه أن الآية: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء:197] مدنية وذكر ذلك الزمخشري في مطلع تفسير السورة أيضا، وقال المفسرون إنها تعني علماء بني إسرائيل الذين أسلموا في المدينة كعبد الله بن سلام، ونلاحظ أن الآية منسجمة كل الانسجام سبكا وموضوعا وسياقا مع ما قبلها وما بعدها، ومحتوية إفحاما جدليّا إزاء عناد الكفار الذي كان مسرحه

---

[1]- صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب (حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة)، ح(400)، 300/1.

[2]-ينظر: التفسير الحديث، دروزة، 13/2.

[3]- المرجع نفسه، 146/2.

الأول مكة لا المدينة، وفي سياق آيات لاخلاف على مكيتها، ولذلك نشك في الرواية، ونرجح أن بعض علماء بني إسرائيل اجتمعوا بالنبي ﷺ في مكة في مجلس من مجالسه وشهدوا على مسمع كثير من الشاهدين بصحة الرسالة النبوية والقرآن، فذكرت ذلك هذه الآية في معرض الإفحام والإثبات، وفي سورة الأحقاف آية 10 تذكر شيئا مثل ذلك بصراحة وهي: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1] .

هذه النماذج الشحيحة غير كافية للحديث عن أثر ترتيب النزول في بيان المعنى في تفسير دروزة، وعليه يمكن القول أنه لا جدوى من ترتيب النزول في تفسير القرآن الكريم من هذا الجانب، مما يضطرنا للبحث عن أثره في جوانب أخرى إن وجدت.

المطلب الثاني: أثر ترتيب النزول في المناسبة بين السور:

لا يخفى ما لعلم المناسبة في القرآن الكريم، من صلة وثيقة بترتيب الآيات والسور، يقول الفخر الرازي: "أكثر لطائف القرآن مودَعة في الترتيبات والروابط"[2]، وقد تتابع اهتمام العلماء بإبراز قضية التناسب والترابط بين آيات الكتاب العزيز وسوره، حتى لا تكد تجد كتابا من كتب التّفسير قديمها وحديثها إلا وتضمن صوراً من المناسبة بين السّور والآيات، على تفاوت بينها من جهة الإقلال، والإكثار وقوة الرّبط وضعفه، لكن ما يميزها أنها التزمت بالترتيب المصحفي للقرآن، الأمر الذي خالفه أصحاب التفاسير وفق ترتيب النزول.

وقد سبقت الإشارة أن لدروزة عناية ببيان المناسبة بين الجمل، والآيات، والسور مرتبة وفق نزولها، وتناوله لذلك ظاهر في بيان وجوه الربط بين الآيات والسور، فكثيرا ما تجده يقول: "بينهما التوافق اللفظي، و"التوافق الأسلوبي"، و"التوافق الهدفي"، ولكن الأمر الذي ينبغي التنبيه إليه في هذا السياق، أن دروزة لم يكن هدفه بيان إعجاز القرآن بسب ترتيبه ونظم آياته، بقدر ما كان محاولة منه للتدليل على صحة الترتيب الذي اعتمده في تفسيره.

---

[1]- التفسير الحديث، دروزة، 260/3.

[2]- ينظره البرهان، للزركشي، ص 36، والإتقان، السيوطي، ص 2.

ولعل هذه النماذج تبين ذلك:

1. قوله في مناسبة سورة الأعلى وسورة الليل التي تليها في ترتيب النزول: " وبين السورتين من التوافق في المبنى والأسلوب والجرس ما يلهم أنهما نزلتا متتابعتين...ويلحظ شيء من التوافق اللفظي بين آيات هذه السورة وآيات السورة السابقة كما يلحظ توافق أسلوبي وهدفي أيضا، وهذا وذلك يلهمان صحة ترتيب تتابعهما في النزول ووحدة ظروف نزولهما وكون هذه كتلك من أولى السور نزولا.."[1].

2. ومن أمثلة المناسبة بين السورة والتي قبلها في الترتيب: جاء في تفسير سورة الفرقان قوله: "في السورة صور عديدة لمواقف الكفار من النبي ﷺ وأقوالهم وتعجيزات، وحملة تقريعية وإنذارية عليهم، وردود مفحمة ببراهين على قدرة الله وعظمته وربوبيته، وتذكير ببعض الأمم السابقة ومصائرهم، وتنويه بالمؤمنين الصالحين وأخلاقهم وحسن عاقبتهم، وبين موضوعاتها وموضوعات السورة السابقة-يقصد يس- شيء غير يسير من التشابه والتساوق مما يمكن أن يكون قرينة على صحة ترتيب نزولها بعدها"[2].

3. ومن أمثلة المناسبة بين مطلعي سورتين متتاليتين في الترتيب: قال: "بدأت السورة-يقصد فاطر- بتقرير استحقاق الله تعالى للحمد والثناء وأعقبها في بقية الآيتين تعداد بعض مظاهر عظمته وبراهينها في خلق الملائكة وإرسالهم رسلا لعباده ومن قدرته التامة على منح من يريد من رحمته ومنع من يريد دون أن يستطيع أحد منع ما منح ومنح ما منع، وعبارتها واضحة لا تحتاج إلى أداء آخر، ومطلع السورة يشبه بعض الشيء مطلع السورة السابقة-يقصد الفرقان- مما قد يكون فيه قرينة على ترتيب نزولها بعد سابقتها، والمتبادر من الفصول التالية أن الآيتين مقدمة لما بعدهما، كما كان شأن مطلع سورة الفرقان، والمقدمة هنا قوية نافذة كتلك"[3].

4. و من أمثلة المناسبة بين مطلع السورة وخاتمة السورة التي سبقتها في الترتيب: قال عند تفسير سورة طه: "والذي يتبادر لنا من نصها وروحها أنها نزلت بسبيل تخفيف ما كان من النبي ﷺ من جهد وتعب في دعوة الناس وهدايتهم، وما يجده من غمّ وحزن وما يلقاه من عناد ومكابرة وسخرية وتعطيل،

---

[1]- التفسير الحديث، دروزة، 1/525-530.

[2] - المرجع نفسه 3/47.

[3] - المرجع نفسه /108.

فلا ينبغي له أن يحزن ويغتم ويضني نفسه، وليس عليه إلّا التذكير، ويكفي أن ينتفع بالتذكير والدعوة أصحاب الرغبات الصادقة والنيات الحسنة" ويواصل حديثه ليصل إلى ملاحظة "أن هذا المعنى قد اختتمت به السورة السابقة-يقصد سورة مريم- بعد سلسلة من صور مواقف الكفار وأقوالهم، وبدء هذه السورة به قد يدل على صحة ترتيب نزولها بعد تلك السورة كما قد يدل على أن تلك الصور كانت تثير في نفس النبي ﷺ أزمات حزن وغمّ وحسرة اقتضت حكمة التنزيل موالاة تسليته وتطمينه فيها، ومما يلحظ أن هذا المعنى قد تكرر في سورة فاطر التي سبقت سورة مريم في النزول[1]".

5. ومن أمثلة المناسبة بين السورتين المتتاليتن في الترتيب من حيث القصص: قال في تفسير سورة النمل: "وهي مشابهة في المطلع والنهاية والفصول القصصية الاستطرادية للسورة السابقة-يقصد سورة الشعراء- مما يمكن أن يكون فيه قرينة على صحة الترتيب. وفصولها مترابطة مما يسوغ القول إنها نزلت متلاحقة حتى تمت"[2] .

وفي الأخير يمكن القول إن علم المناسبة في القرآن الكريم ليس جديدا، وقد حظي بعناية العلماء واهتمامهم وأفردوا له المؤلفات تحقيقاً أو تطبيقاً، وبينوا أنواعها بين الآيات والسور مرتبة وفق الترتيب المصحفي، فكان دليلا من دلائل إعجاز القرآن، وإلى ذلك يشير أحد الدارسين بقوله: "يا عجبًا كل العجب من كتاب نزل مرتبطًا بالأحداث والحوادث منجمًا، تبعًا للظروف والأحوال، ثم هو يجمع مرة ثانية على شكل آخر وبوضع آخر، وفي السورة المقروءة تجد المدهش المعجز في بيانه وتصويره، وتجد الرباط المحكم في سوره وآياته[3] ".

ولعل هذا يوضح أن المنهج الذي سلكه دروزة في تفسير القرآن حسب ترتيب النزول، قد أغفل وجها من وجوه إعجاز القرآن في تناسب آياته وسوره مرتبة كما هي في المصحف الشريف، لا سيما وقد بذلت لأجله جهودا ليست باليسيرة، سواء بإفراده بالتصنيف، أوذكره ضمن علوم القرآن، أو إبرازه في ثنايا التفسير[4].

---

[1] – التفسير الحديث، دروزة، 188/3.

[2] – المرجع نفسه 279/3.

[3] – الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، محمد محمود حجازي، دار الكتب الحديثة، ط1: 1970، ص83.

[4]– منها: كتاب "البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن"لأبو جعفر بن الزبير الأندلسي(ت 807هـ)، و"تناسق الدرر في تناسب السور" للسيوطي (ت 911)، و" نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" لبرهان الدين البقاعي (ت 885هـ)، والبرهان في علوم القرآن للزركشي، والإتقان للسيوطي، ومن المفسين الذين اعتنوا بالمناسبة: فخر الدين الرازي في "مفاتيح الغيب"، وأبو السعود في: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" وغيرها.

المطلب الثالث: أثر ترتيب النزول في استنباط الفوائد واللطائف التفسيرية:

إن المطالع لكتب التفسير يجد الكثير من الفوائد والاستنباطات، قد أودعها المفسرون تفاسيرهم كل حسب ما فتح الله عليه من خلال تدبره لكتاب الله، وتفسير دروزة لم يخرج عن هذا الاتجاه، حيث كانت له استنباطات كثيرة من خلال تفكره في ترتيب الآيات والسور حسب النزول، منها:

أولا: أثر ترتيب النزول فيبيان تدرج الأحكام الشرعية:

أما أثر ترتيب النزول في تفسير آيات الأحكام فتجلى في بيان تدرج الأحكام الشرعية، حيث نجده يؤكد أن نزول الشرائع في عهد النبيّ ﷺ، كان متدرّجا، شيئاً فشيئاً طوال فترة البعثة النبويّة، كإيجاب الصلاة وتحريم الربا والخمروغيرها، من ذلك قوله في تفسير الآية من سورة المائدة: ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[النساء: 43]إن النهي عن الصلاة في حالة السكر في الآية يأتي كخطوة تشريعية ثانية في الخمر، والخطوة الأولى جاء في آية سورة البقرة [219] التي ذكرت أن إثم الخمر أكبر من نفعها، وقد عرض القرآن المكي بآثار خمر الدنيا وما تحدثه من أعراض كريهة ضارة أكثر من مرة في سياق وصفه خمر الآخرة وكونها مبرأة من ذلك، وهذه الخطوة الثانية ليست حاسمة أيضا لأنها إنما تنهى عن الصلاة في حالة السكر التي تنجم عن شرب الخمر، وقد نزل التشريع الحاسم الأمر بالانتهاء من شربها والجامع في الإثم بينها وبين الميسر والأنصاب والأزلام بعد مدة ما من هذه الآية في سورة المائدة، وفي هذا مشهد من مشاهد التطور التشريعي"[1]

ولكن من المعلوم أن "التدرج في التشريع" سمة لازمة للتنزيل، وبيانه ممكنا دون اللجوء إلى ترتيب القرآن حسب النزول، كما بينت آنفا[2]، وعليه لا يمكن اعتباره أثرا من آثار ترتيب النزول في تفسير القرآن الكريم.

---

[1] – التفسير الحديث، دروزة، 125/8.

[2] –يرجع إلى الفصل الثاني، المبحث الثاني.

ثانيا: أثره في بيان أحوال التي نزلت فيها الآيات: وهو كثير في تفسير دروزة، نحو:

– تفسير سورتي الضحى والشرح:

"وهذا التماثل والتعاقب يلهمان أن هذه السورة بمثابة استمرار لسابقتها ظرفا وسياقا وموضوعا، أو أنها نزلت في ظرف أزمة نفسية ثانية، ألمت بالنبي ﷺ بعد أزمة فترة الوحي مما كان يلاقيه من قومه من عناء وعسر، وأسلوبها أسلوب تطميني محبب، فالله الذي شرح صدره وخفف الوزر الذي كان شديدا عليه ورفع ذكره مما هو معترف به منه، لا يمكن أن يدعه وشأنه، ولا أن يجعل عسره مستمرّا، وعليه أن يتجلد ويصبر، فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا...وفي التوكيد مرتين بأنه سيكون مع العسر يسرا ما يدل على أن النبي ﷺ كان يلقى صدا وعسرا شديدين، وأنه كان يعتلج في نفسه بسبب ذلك همّ وغمّ وقلق..."[1]

فهذه الشواهد القليلة وإن كانت تدل على أثر ترتيب النزول في تفسير دروزة، لكنها مما يمكن تحصيله دون اللجوء إلى ترتيب السور حسب النزول، وخير دليل على ذلك أنه لا يكاد يخلو تفسير من العناية به أو الإشارة إلية في ثنايا التفسير.

ثالثا: أثر ترتيب النزول في استنباط معالم المنهج الإصلاحي:

من الأشياء التي يجب استصحابها أثناء قراءة تفسير دروزة، هو حبه للإصلاح، وتطلعه للنهوض بالأمة التي تكالت عليها الأعداء، وهذا سبب عنايته باستنباط معالم المنهج الإصلاحي من آيات الكتاب العزيز، وفيما يلي بعض النماذج:

1– التعامل باللين وحسن الخلق:

يقول دروزة عند تعليقه على قوله تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الشعراء 215] "..ولقد ظل القرآن يأمر النبي ﷺ بالاستمرار في توجيه كل رعايته وعنايته وعطفه وتفضيله للمؤمنين بقطع النظر عن مراكزهم الاجتماعية مما انطوى في آيات سورة عبس الأولى التي سبق تفسيرها وفي آيات سورة الأنعام (52- 54) التي أوردناها في سياق قصة نوح في هذه السورة ثم في آيات سورة

[1] – التفسير الحديث، دروزة، 559/1.

الحجر هذه ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (88) وسورة الكهف هذه ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ ومما يمتّ إلى هذا التلقين والتوجيه القرآني الجليل.

وهذه الآيات مكية والحكمة في تواليها في السور المكية بخاصة كون الفروق الاجتماعية بين بعض فئات المؤمنين والكفار في مكة كانت بارزة وكان زعماء الكفار يغمزون بالفقراء والضعفاء من المؤمنين ويزدرون بهم، وليس من شأن ذلك أن يضعف قوة التوجيه والتلقين وشمولهما بطبيعة الحال[1]".

ليخلص في الأخير إلى أن هذا التلقين القرآني المستمر في دعوة المسلمين للتعامل باللين والتودد وحسن الخلق والتواضع فيما بينهم، قد رسم معالم خطة الإصلاح والصلاح التي يتوجب على المسلمين وزعماء الأمة ودعاتها انتهاجها[2].

-وقوله في موضع آخر: "ولم نطلع على روايات وثيقة تذكر أن النبي ﷺ قد طرد هذه الفئات من المدينة وأهدر دمها، بل هناك آيات كثيرة في سور عديدة يجيء ترتيبها بعد هذه السورة تدل على أن النبي قد وسّع صدره وحلمه لهم مع ما تكررت حكاية القرآن عنهم من مواقف الدسّ والتشكيك والتعطيل والتثبيط وإشاعة الفاحشة والقلق والخوف بين المسلمين في مختلف الظروف بل مع ما ذكرته إحدى آيات التوبة من أنهم ﴿ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [74] ومع ما أمرته إحدى آيات هذه السورة وإحدى آيات سورة التحريم من مجاهدتهم والإغلاظ عليهم هم والكفار سواء: ﴿ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[9] وأنه ظلّ على هذه الخطة إلى آخر حياته"[3].

---

[1]-التفسير الحديث، دروزة، 273/3.

[2]-ينظر: المرجع نفسه، 274/3.

[3] - المرجع نفسه، 422/7.

2- أثر ترتيب النزول في تقرير أن الدعوة بدأت علنا خلاف المعروف:

يقول دروزة: "والمشهد الي احتوته الآيات والأحاديث المروية في صدده يدل بقوة على أن الدعوة بدأت علنية خلاف لما روي أو لما هو مستقر في الذهن..وفي السور العديدة المبكرة في النزول مثل القلم والمزمل والمدثر والتكاثر والماعون والكافرون تأييد ذلك"[1]

3- بيان عالمية الرسالة:

ورود عالمية الرسالة في سورة القلم وتبكير ورودها يعني أن ذلك كان هدفا محكما من أهداف هذه الرسالة منذ بدئها خلافا لما يحلو لبعض المستشرقين أن يزعموه من أن هذه الرسالة للعرب فقط، أو أن عمومها قد كان تطورا متأخرا[2].

رابعا: أثره في استنباط فوائد عامة:

وهذا كثير في تفسير دروزة، بل يكاد يكون السمة الغالبة في تفسيره، وحيث لا يمكن تعقب جميعها، سأكتفي بإيراد بعض النماذج:

- **أثره في بيان التدرج في ورود أجزاء القصة القرآنية:**

يقول عن سورة الأعراف: "وهي أطول السور المكية بل هي ثالثة السور القرآنية طولا، والسلسلة القصصية فيها أطول السلاسل القصصية في السور الأخرى، مما ينطوي فيه صورة من صور التطور الذي اقتضته حكمة التنزيل، وقد ينطوي فيه كذلك قرينة على صحة نزولها بعد السورة السابقة"[3].

- معرفة أول قصة نزولا وهي "قصة البستان في سورة القلم"[4].

- التأكيد على خطورة القراءة والكتابة والعلم والتعليم في حياة الإنسان لورود ذلك في سورتين متتاليتين في النزول ومن أولى السور نزولا[5].

---

[1]- التفسير الحديث ،دروزة، 369/1.

[2]-ينظر: المرجع نفسه، 403/1.

[3] – المرجع نفسه، 361/2.

[4] - المرجع نفسه، 378/1.

[5] -ينظر: المرجع نفسه، 356/1.

- **بيان استمرارية الهجمة التشكيكية والاستهزائية من قبل المشركين إلى أواخر حياته ﷺ:**

في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ١٢٧ ﴾ [التوبة: 127]

"ولما كان احتمال نزول هذه الآيات بعد غزوة تبوك قويّا وهو ما قد يلهمه ترتيبها واحتمال صدور الصور التي انطوت فيها قويّا كذلك بعد هذه الغزوة ففيها دلالة على أن هذه الفئة الفاسقة ظلت مستمرة في نفاقها وخبثها ومواقفها الجحودية والتشكيكية والتشويشية والاستهزائية إلى أواخر حياة النبي ﷺ وإن كانت أخذت تبالغ في الحذر والرياء والتظاهر في المسايرة والملاينة والتوكيد بإخلاصها بسبب ما صار إليه موقف النبي ﷺ والمسلمين من القوة والإسلام من الانتشار والتوطد.

خلاصة القول:

من خلال ما تم عرضه يمكن تسجيل ثلاث ملاحظات:

الأولى: أن الوقوف على أثر ترتيب النزول في تفسير دروزة شاق وبعيد المأخذ.

والثانية: قلة هذه الآثار وعدم وضوحها.

والثالثة: أن دروزة كان همه الاستدلال على صحة ترتيبه المعتمد، وتبرير ترجيحاته، مما شغله عن إبراز أهمية ترتيب النزول وأثره في التفسير، فكثيرا ما كان يقول: "..تؤيد ما قلناه في صدد ترتيب هذه السورة"[1]، و"وفي هذه الحالة يكون ترتيب السورة كثالثة السور نزولا بسبب ذلك"[2] وغيرها من العبارات.

---

[1] – التفسير الحديث، دروزة، 375/1.

[2] – المرجع نفسه، 406/1.

المبحث الرابع: مواقف الباحثين من منهج "التفسيرحسب ترتيب النزول":

يحسن بنا قبل نهاية البحث أن نقف على طائفة من أقوال الدارسين في علوم القرآن، تبين مواقفهم المتميزة التي شكلت صدى لدى الباحثين في موضوع" أثر ترتيب النزول في تفسير القرآن الكريم"، كما تبين عنايتهم بما يستجد من مناهج في تفسير القرآن الكريم.

و في هذا الصدد نلاحظ أن هذه المواقف متباينة، وعليه يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام:

الأول : تحذير من هذا المنهج

الثاني: توجيه لهذا المنهج

الثالث: استحسان المنهج والثناء عليه.

وسأكتفي بذكر نماذج منها فيما يلي:

أولا: التحذير من التفسير حسب ترتيب النزول:

ممن حذر من هذا المنهج نذكر:

1- موقف سعيد حوى:

خطأ سعيد حوى المفسرين الذين سلكوا ترتيب النزول في تفاسيرهم، لما يترتب عليه من إغفال لأسرار الترتيب المصحفي ولعدم توفر أدلته الشامله لآي القرآن كلها، حيث قال عند حديثه عن المناسبات بين السور بالترتيب المصحفي: "فما أكثر جنون أولئكم الذين لا يدركون أسرار هذا الترتيب، ويطالبون بترتيب آخر أو يعترضون على هذا الترتيب، وما أكثر ما أخطأ- وغفر الله له- من حاول أن يفسر القرآن على غير ترتيبه الحالي، كأن فسره على حسب ترتيب النزول في زعمه، وهو موضوع لا توجد أدواته أصلا ولا أدلته بشكل يستقصي القرآن كله، وذلك من فعل الله لهذا القرآن؛ حتى لا تفكر الأمة إلا بهذا الترتيب الخاص لما يحويه من إعجاز ويترتب عليه من مصالح"[1]

2- موقف مصطفى مسلم:

بعد عرضه لدوافع المؤلفين لتفاسير القرآن الكريم حسب النزول، ومناقشتها، خلص إلى نتيجة

[1]- الأساس في التفسير، سعيد حوى، دار السلام، القاهرة، ط6: 1424هـ، 5726/10.

مفادها أنه لا فائدة تذكر في هذا المنهج، واستدل بأمور منها:

-إن ما قالوه من العموميات والادعاءات لم نجد لها واقعاً في تفاسيرهم..ولم نعثر على ما يشوق الجيل الناشئ للتوجه إلى كتاب ربهم لينهلوا من النبع الصافي- بدلاً من الثقافات الإلحادية المنحرفة الهابطة- في هذا المنهج الذي سلكه الأستاذ دروزة، فهل تقديم سورة العلق ووضعها في مقدمة التفاسير، يغير من المفهوم لآياتها؟ إننا لا نجد فرقاً بين ما ذكروا في تفاسير هذه السور ومابين ما ذكره المفسرون..فالجميع يذكرون مكية هذه السور، ويذكرون أسباب نزولها وما ترتب على نزولها من مواقف، وحللوا دلالاتها اللفظية واستنبطوا الهدايات القرآنية والآداب الشرعية منها، حسب ما أوتيه كل واحد منهم من الفهم والمعرفة وقوة الاستنباط وإشراقة التعبير، ولا علاقة لكل ذلك بموضع السورة في المجلد الأول من التفسير أو في المجلد الأخير من التفسير.

إن هذا المنهج الذي سلكه أصحاب الفضيلة لم يحقق لهم ما أرادوه لأن ترتيب الآيات في السورة ثم ترتيب السور في المصحف ألغيت فيها جميع الاعتبارات وبقي اعتبار الإرادة الإلهية والحكمة الربانية في إظهار المعجزة الخالدة.

-لقد وقع أصحاب هذا المنهج في محاذير منها: مخالفة إجماع الأمة على ترتيب سور القرآن الكريم بعد جمع عثمان بن عفان.ﷺ وإن تفسير القرآن حسب ترتيب النزول قد يجرئ بعض أدعياء العلم إلى إعادة ترتيب الآيات في السور حسب نزولها، وإن هذا المنهج في التفسير يقضي على جهود العلماء الطيبة واستنباطاتهم الرائعة في المناسبات بين السور.[1]

ولعل أخطر ما وقفت عليه في هذا السياق، أن صاحب رسالة " تفاسير القرآن حسب ترتيب النزول" خلص في نهاية بحثه إلى التوصية بالتحذير من هذا المنهج، بل ذهب أبعد من ذلك حيث أوصى ورثة المؤلفين بإعادة طبع التفاسير على ترتيب المصحف"[2]

ثانيا: التوجيه لمنهج التفسير حسب ترتيب النزول:

1- موقف فهد الرومي: ذكر في كتابه "اتجاهات التفسير" تعليقه حول رأي دعاة المنهج الأدبي

[1]- ينظر: التفاسير حسب ترتيب النزول في الميزان، مصطفى مسلم، ملتقى أهل التفسير، https://vb.tafsir.net/

[2]- ينظر: تفاسير القرآن حسب ترتيب النزول، مصطفى مسلم، ص866-867.

في التفسير، في ضرورة اعتماد ترتيب آيات القرآن الكريم حسب تاريخ نزولها في التفسير، وله في ذلك ملاحظتان نوردهما فيما يلي للفائدة:

-"**الأولى**: أن لا أحد ينكر ما لمعرفة ترتيب النزول من منزلة كبيرة ودرجة عالية في التفسير؛ إذ يترتب على ذلك أمور قد تقلب الحكم رأسا على عقب كيف لا والناسخ والمنسوخ إنما يعرف بهذا وسواه كذلك. لكن وما أصعب لكن هذه هل اتفق السلف أو الخلف على ترتيب معين لنزول آيات القرآن الكريم؟ قد نعرف تقدم آيات وتأخر أخرى لكنا لا نعرف يقينا ترتيبا كاملا لها، وإذا كنا نجزم بذلك جزما، فإن بناء المنهج الأدبي على أساس عُلِمَ يقينا فَقْدُه أمر يحتاج إلى إعادة نظر.

-**الثانية**: أن أحدًا من دعاة المنهج البياني أو الأدبي في التفسير لم يحل إلى ترتيب معين لا في القديم ولا في الحديث، ولم أر أحدا منهم قدم محاولة لهذا الترتيب، ولئن كان إهمالهم للخطة في التفسير الموضوعي قد يلتمس له عذر بأن النص موجود لكنه يحتاج إلى جهود وجهود، فإن الأمر هنا يختلف؛ إذ إن الجهود فيه مهما توافرت فإنها تفتقد السند والأدلة التي تأخذ بيدها إلى الصواب وإلا كانت كجهود من ينفخ في رماد"[1].

2- موقف محمد علي الحسن: أكد على إستحالة معرفة الترتيب النزولي لجميع القرآن الكريم، وما عرف منه يمكن الاستعانة به في التفسير الموضوعي،**وفي ذلك** يقول: "..إن ترتيب السور من حيث النزول هو أمر معاكس لمنطق الواقع والمنقول جميعا لسبب يسير جدا هو أنه غير كائن ولا يمكن أن يكون أصلا، أما معرفة ترتيب النزول، فاكتفي بمعرفة نزول النجوم القرآنية المتفرقة في السور القرآنية، وهذا أمر يمكن التوصل إليه بمراجعة أسباب النزول أحيانا، أو معرفة الوقائع والأحداث والمناسبات التي نزلت بشأنها الآيات، أو بإخبار الصحابة الذين شاهدوا نزول الوحي السماوي..والدراسات الموضوعية قد عنيت بترتيب النجوم القرآنية حسب نزولها، إذ بدون هذا الترتيب يختل الفهم، ويزل الباحث، ويضربون لذلك مثالا، كآيات الخمر.."[2]

ثالثا:الاستحسان لمنهج التفسير حسب ترتيب النزول:

---

[1]- ينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط1: 1407هـ-1986م.

[2]- ينظر: ترتيب نزول القرآن، محمد علي الحسن.ص47-48.

جاء في تقريظ عبد الفتاح أبو غدة قوله: " إن شبهة المنع لهذه الطريقة آتية من جهة أنها طريقة تخالف ما عليه المصحف الشريف اليوم من الترتيب المجمع عليه والمتواتر إلى الأمة نقله جيلا بعد جيل. ودفع هذه الشبهة أن المنع يثبت فيما لو كان هذا الصنيع مسلوكا من أجل أن يكون هذا الترتيب «مصحفا» للتلاوة، أي ليتلو الناس القرآن على هذا النحو الذي سلكتموه، أمّا وإن الغرض للمفسر والقارئ معا غير هذا، فلا مانع من سلوكه إطلاقا".

– واستدل لجواز هذه الطريقة بأمرين:

– **الأول**: مخالفة ترتيب المصحف من قبل بعض علماء الأمة المشهود لهم بالإمامة والقدوة من المتقدمين في تآليفهم، ولم يعلم أن أحدا أنكر عليهم ما صنعوا، ومثل بابن قتيبة(ت: 26هـ)، في تفسير ما فسره في كتابه "تأويل مشكل القرآن" على غير ترتيب النزول وعلى غير الترتيب المصحف، وما فعله جلال الدين المحلى ثم جلال الدين السيوطي في "تفسير الجلالين"إذ قد بدأ الأول بالتفسير من آخر القرآن الكريم وهو صاعدا إلى سورة الكهف، ثم مات فأتم الجلال السيوطي من حيث وقف سلفه إلى أول القرآن الكريم، وكذلك ذكر عبد الوهاب النجار في كتابه "قصص الأنبياء" ومحمد أحمد العدوي في كتابه "دعوة الرسل إلى الله".

– **والآخر**: اعتماد القول بعدم توقيفية ترتيب السور في المصحف الشريف[1].

ومن المواقف التي استحسنت هذه الطريقة ما جاء في تقريظ مجلة حضارة الإسلام لصاحبها الدكتور مصطفى السباعي: "كنا قد ألمحنا إلى صدور الجزء الأول والثاني من كتاب "التفسير الحديث" للأستاذ محمد عزة دروزة في العدد الثالث من السنة الحالية لهذه المجلة، وبيّنا طرفا مما امتاز به بحث الأستاذ دروزة خصوصا في تفسيره هذا عن بقية الكاتبين من حيث الأسلوب والمعالجة والتحقيق– وإن كان ذلك قد جعله يخرج عن دائرة ما أجمع عليه جماهير العلماء في بعض الأمور الهامة– وقد ظهر اليوم الجزء الثالث من هذا التفسير، وهو كما قد قلنا سابقا قد سلك لأول مرة سبيل ترتيب النزول لا ترتيب الجمع على ما هو عليه، ولا شك أنه ينطوي بذلك على جهد ممتاز مشكور، إننا نرجو للأستاذ دروزة

[1]– ينظر: التفسير الحديث، تاريخ ومكان الفتوى: حلب البياضة الأحد 19/ من ذي القعدة سنة 1376، 10/14-18.

اضطراد التوفيق ونأمل أن تتكامل أجزاء هذا التفسير عما قريب"[1].

وفي نهاية المطاف أقول إنه رغم الجهد الكبير الذي بذله محمد عزة دروزة في كتابه "التفسيرالحديث" فإنه لم يخلو من أخطاء منهجية، كان أبرزها إعراضه عن الترتيب المصحفي لسور القرآن الكريم واستبداله بالترتيب الزمني لنزوله، وهذا ما عرضه لانتقادات بعض أهل العلم والباحثين، ولم يشفع له تمحيصه للمسألة، حيث قال: "وقد قلّبنا وجوه الرأي حول هذه الطريقة، وتساءلنا عما إذا كان فيها مساس بقدسية المصحف المتداول، فانتهى بنا الرأي إلى القرار عليها لأن التفسير ليس مصحفا للتلاوة من جهة، وهو عمل فني أو علمي من جهة ثانية، ولأن تفسير كل سورة يصح أن يكون عملا مستقلا بذاته، لا صلة له بترتيب المصحف، وليس من شأنه أن يمسّ قدسية ترتيبه من جهة ثالثة"[2]، ولا استلهامه هذه الطريقة-كما صرح في كتابه- من القدماء والمحدثين، الذين قاموا بتفسير أجزاء من القرآن أو سورا مستقلة[3]. ولا حتى استفتائه أهل العلم في عصره، الذين أفتوه بالجواز.

ولعلي أميل إلى الرأي الأول الذي حذر من هذا المنهج، لعدم كفاية القرائن على صحة ترتيب النزول، فقد جاءت السنة الصحيحة ببيان وقت نزول كثير من السور والآيات، دون بيان السور والآيات التي نزلت قبل ذلك أو بعده بقليل[4]، ضف إلى ذلك كون الروايات الواردة في ترتيب سور القرآن حسب نزولها معتلة سندا ومتنا[5]، وعليه لا يصح الاعتماد عليها في تفسير القرآن الكريم حسب نزوله، ومن ثم فإن الفوائد المذكورة لهذا التفسير غير مؤسسة وغير معتبرة [6]، وبالتالي يمكنني القول أنه لا جدوى من تفسير القرآن الكريم وفق ترتيب النزول.

---

[1]- التفسير الحديث، دروزة، 19/10.

[2]- التفسير الحديث، دروزة ، 9/1.

[3]- ذكر دروزة منهم: هشام الكلبي وابن تيمية، ومحمد عبده ومحمد مصطفى المراغي، ينظر: المرجع نفسه، 9/1.

[4]- ينظر: مقال ترتيب النزول عند الطاهر بن عاشور، جمع ودراسة، بحث محكم بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت

[5]- ممن قاموا بدراسة روايات ترتيب النزول: محمد مجلي أحمد ربابعة، في مقاله" تفسير القرآن على ترتيب النزول(منبعه وفوائده)، مجلة دراسات، علوم الشريعة والقانون، المجلد 37، العدد1، 2010، ص255-261..وغيرها.

[6]- الأساس في السنة وفقهها - السيرة النبوية، سعيد حوّى (المتوفى 1409 هـ)، دار السلام، ط3: 1416 هـ - 1995 م، 360/1.

خلاصة الفصل الثالث:

يمكن تسجيل بعض الملاحظات على منهج دروزة في تفسير القرآن وفق ترتيب النزول، كما يلي:

- إقراره بعدم إمكانية تعيين ترتيب صحيح لنزول السور القرآنية جميعها، وعدم وجود ترتيب يسلم من النقد أو يستند إلى أسانيد قوية وواثقة، والتسليم بأن القول بترتيب السور حسب النزول فيه شيئ من التجوز، واعترافه بأن ما وجه للترتيب من مآخذ لا يغير رأيه أنه مفيد في تحقيق ما استهدفه والمنهج الذي رسمه، كاف للردّ على هذا المنهج الجديد.
- لم أقف على الأثر التطبيقي الدال على مدى أصالة، وصحة، وعلمية المنهج المتبع في تفسير دروزة.
- وبناء عليه يمكن القول أن أهداف دروزة لم تتحقق من خلال تفسيره، ولم يأتي بجديد والله أعلم.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

في نهاية هذا البحث الذي تناولت فيه قضية مهمّة، تمثّلت في دراسة منهج جديد في تفسير كتاب الله، باين وخالف ما تعارف عليه سلف الأمة من المفسرين، باعتماد ترتيب النزول طريقا للتفسير.

وبعد رحلة التفتيش والتنقيب المضني للتَّعرُّف على جواب الإشكالية المترتّبة عن (اعتماد ترتيب النزول في التفسير) والتي لم تكن بالأمر الهيّن أو اليسير، تبين من البحث –بفضل الله وتوفيقه–ما يأتي:

- "فهم القرآن حسب ترتيب النزول" منهج جديد في تفسير القرآن الكريم، يقوم على تناول سور القرآن مرتبة وفق زمن نزولها، خلافا لما درج عليه المفسرون من الالتزام بالترتيب المصحفي.
- الوقوف على ترتيب النزول من أهم الآليات للكشف عن مقاصد السور، والناسخ والمنسوخ، وفهم القصص القرآني، وهو قاعدة من قواعد الترجيح بين أقوال المفسرين عند الاختلاف، كما أنه أحد عناصر السياق، ووسيلة لاستنباط اللطائف التفسيرية.
- الاهتمام بفهم القرآن حسب ترتيب النزول ظهر مبكرا من خلال الاهتمام بأسباب النزول، والمكي والمدني، وتنجيم القرآن، والاعتناء بأول ما نزل وآخر ما نُزّل، والليلي والنهاري...وتبلور مع ظهور التفسير الموضوعي لآيات القرآن الكريم، الذي انتهى في العصر الحديث بظهور تفاسير كاملة تعتمد على ترتيب النزول.
- أن" ترتيب النزول" و"أسباب النزول"، علمان بينهما صلات وروابط وثيقة، فكلاهما أخذ طابعا زمنيا، فأسباب النزول هي الأحداث والتساؤلات والإشكالات التي تحدث وتنزل الآيات مبينة لها أيام وقوعها، و"ترتيب النزول" يبين زمن نزول الآية أو السورة وترتيبها بين الآيات والسور.
- القول بتاريخية النص القرآني من أهم المسائل وأخطر الإشكالات المثارة حول أسباب النزول المرتبط بمسألة ترتيب النزول.
- بالنسبة لعناية الشيعة بترتيب النزول في تفاسيرهم كان محدودا، وقد تجلى في توظيف المكي والمدني وأسباب النزول في نطاق ضيق ولم يؤلفوا تفسيرا حسب ترتيب النزول.
- عدم وجود أي جهد للمستشرقين في تفسير القرآن وفق ترتيب النزول، وما ورد عنهم لا يتعدى مسار البحث في إيجاد لائحة جديدة لتصنيف السور حسب ترتيب النزول منذ القرن التاسع عشر الميلادي على يد نولدكه ومن اقتفى أثره، وظهور كتاب معاصر، تحت عنوان" قرآن المؤرخين" رتبت سوره حسب النزول، قام بتأليفه مجموعة من الباحثين المستشرقين.

- توظيف ترتيب النزول في الفكر الحديث كان هدفه إثبات تاريخية القرآن الكريم لدى غالبية المفكرين الحداثيين، أما "فهم القرآن حسب ترتيب النزول" فلا أثر له في كتاباتهم.

- نلاحظ التطابق الواضح بين ترتيب النزول التي اعتمدها أصحاب التفاسير حسب ترتيب النزول، مما يشير إلى أن مصدرهم واحد، وإن لم يشيروا إلى ذلك، والجزم بصحة ترتيب السور على ترتيب النزول أمر لم يتيسر لأي واحد منهم، "لأن مثل هذا العمل يحتاج إلى الروايات التي تقطع بذلك، أو حتى تفيد الظن المعتبر، وهو ما لم يتوفر حتى للأولين السابقين من هذه الأمة فكيف يكون الأمر وقد بعدت الآماد بيننا وبين زمن التنزيل.

- لم يحقق مستخدمو ترتيب النزول في تفاسيرهم الأهداف المرجوة التي سطروها في مقدماتهم، هذا إن لم نقل أن صنيعهم هذا أدى إلى مخاطر، أشار إلى بعضها الباحثون المخالفون لهذه الطريقة.

- إقرارهم بعدم إمكانية تعيين ترتيب صحيح لنزول السور القرآنية جميعها، وعدم وجود ترتيب يسلم من النقد أو يستند إلى أسانيد قوية وواثقة، والتسليم بأن القول بترتيب السور حسب النزول فيه شيئ من التجوز، واعترافهم بما وجّه للترتيب من مآخذ كاف للردّ على هذا المنهج الجديد.

- لم أقف على الأثر التطبيقي الدال على مدى أصالة، وصحة، وعلمية المنهج المتبع في تفسير القرآن حسب ترتيب النزول في تفسير دروزة ولا في غيره ممن سلكوا هذا المنهج.

- يمكن القول أن النتائج المحصلة من فكرة تفسير القرآن بحسب ترتيب النزول عند دروزة ومن سار على منواله لم تأت بالثمار المرجوّة منها، ولم تقدم جديدا لحقل التفسير.

- وفي الأخير يحسن منّي القول: إنّ هذا النّوع من التفسير ولد صغيرا ولم يتطوّر بالحجم الكافي حتّى يتسنّى الحكم عليه وتمييز مفاسده من فوائده، ولعلّ التحفّظ على هذا المنهج بحجّة الخوف من أن يفتح بابا للطعن في القرآن الكريم من قبل المغرضين والمستشرقين قد ساهم بشكل كبير في عدم نموّه وتطوّره، رغم الإقرار بحسن نيّة دروزة وروّاد هذا المنهج، ووضوح قصدهم لخدمة كتاب الله العزيز.

- آمل أن يتبع هذه الدراسة المزيد مما يصب في مجراها، وينحو منحاها في الوقوف على مناهج تفسير الكتاب العزيز والإفادة من جوانب التجديد في الدعوة إلى الله.

- هذا ما توصلت إليه في بحثي، وآمل أن أكون قد أوفيت الموضوع حقه، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

وصلى اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

الفهارس

أولا: فهرس الآيات القرآنية

ثانيا: فهرس الأحاديث النبوية والآثار

ثالثا: قائمة المصادر والمراجع.

رابعا: فهرس الموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا: فهرس الآيات:

طرف الآية	رقمها	الصفحة
سورة البقرة		
﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾	2-1	69
﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾	34	40
﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٣٠...وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٣٩﴾	39-30	38
﴿يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ﴾	75	78
﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ﴾	79	238 ،189
﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ﴾	106	133، 190، 191
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾	172	235
﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾	185	4، 5، 153
﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ﴾	187	30
﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ﴾	219	32
﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗاۖ﴾	234	8، 149
﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا وَصِيَّةٗ لِّأَزۡوَٰجِهِم﴾	240	149
﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا﴾	269	135، 193
﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾	275	167
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾	279-278	167

سورة آل عمران		
﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ ﴾	3-2	3
﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٞ ﴾	7	239
و﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾	19	116
﴿ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ﴾	41	152
﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ ﴾	85	116
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ ﴾	131-130	167،87
﴿ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ ﴾	187	50
﴿ لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ ﴾	188	50
سورة النساء		
﴿ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا ﴾	16	45
﴿ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾	43	276
﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ ﴾	52-51	145 ،144
﴿ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴾	82	102 ،83
﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا ﴾	93	30
﴿ فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ ﴾	161-160	167
سورة المائدة		
﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ﴾	4	235
﴿ وَإِذَا جَآءُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلۡكُفۡرِ وَهُمۡ قَدۡ خَرَجُواْ بِهِۦۚ ﴾	61	231
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ ﴾	67	76
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾	88-87	235

﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾	118	169
سورة الأنعام		
﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾	23	170
﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ ﴾	104	233
﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ ﴾	145	235
سورة الأعراف		
﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ ... يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾	27-11	36
﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ ﴾	33	31
﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ ﴾	34	169
﴿ وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴾	39-38	170
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ ﴾	152	150
﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾	172	246
﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	200	236
﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾	204	150
سورة الأنفال		
﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ ﴾	66	30
سورة التوبة		
﴿ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ ﴾	74	278

﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ ﴾	127	280
سورة يونس		
﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم ﴾	38	56
سورة هود		
﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾	1	83
﴿ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ﴾	3	236
﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ ﴾	5	60
﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ ﴾	13	56
﴿ كَذَّبَتۡ عَادٞ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾	21-18	182، 194
سورة الرعد		
﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ ﴾	39-38	190
سورة إبراهيم		
﴿ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ ﴾	10	170
سورة الحجر		
﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾	9	190
﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٢٨﴾ ... وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾	43-29	37
﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ ﴾	88	278
سورة النحل		
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾	90	8
﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾	98	231
﴿ وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ﴾	101	190، 191

﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾	102	2
﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ خَيْرٌ ﴾	127-126	55
سورة الإسراء		
﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ ... إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ ﴾	65-61	37
﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾	88	56
﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾	106	6 ،4
سورة الكهف		
﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ ﴾	28	278
﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ ﴾	50	38
﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ﴾	65	127
سورة مريم		
﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾	10	52
سورة طه		
﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾	102	236
﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ ... قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾	123-116	37
﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾	130	269
سورة الأنبياء		

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾	44	76
﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾	79	26
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾	107	116
سورة الحج		
﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ﴾	45	232
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾	52	190
سورة المؤمنون		
﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾	51	235
﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾	98-97	237
سورة النور		
﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾	30	268
﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾	61	266
سورة الفرقان		
﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾	2-1	04
﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾	32	3، 4، 5، 6
﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾	68	30
﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾	50	232
سورة الشعراء		
﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	192	5
﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾	195-193	107
﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾	197	272

﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾	215	278
سورة النمل		
﴿ وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾	87	236
سورة القصص		
﴿ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلۡحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴾	75	82
سورة الروم		
﴿ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ ﴾	39	166، 168
سورة السجدة		
﴿ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	02	03
سورة الأحزاب		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ﴾	50	143
﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ ﴾	52	143
سورة سبأ		
﴿ قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ ﴾	47	133، 149،150
سورة فاطر		
﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ ﴾	32	229
سورة يس		
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ وَمَا خَلۡفَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾	45	240
سورة ص		
﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾	29	25، 157، 164، 254
﴿ إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ﴿٧١﴾ ... ﴿٨٤﴾ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ	85-71	36

مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾		
سورة الزمر		
﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ ﴾	23	82
﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	68	236
﴿ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	75	12
سورة فصلت		
﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾	36	237
سورة الشورى		
﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾	23	32، 33، 76، 133، 149، 150
﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ ﴾	51	188
﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ ﴾	52	100
سورة الزخرف		
﴿ حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ... ﴾	4-1	2
﴿ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾	33	157
سورة الدخان		
﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾	3	5، 32
﴿ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ... ﴾	50-48	229
سورة الأحقاف		
﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ ﴾	10	273

سورة ق		
﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ﴾	20	236
﴿ أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾	24	247
سورة الصف		
﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾	4-1	50
سورة التحريم		
﴿ ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓۚ ﴾	9	278
سورة القلم		
﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾	04	153
﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾	52	180
سورة المعارج		
﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ﴾	01	151
سورة نوح		
﴿ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ ﴾	04	170
سورة المزمل		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ ﴾	02-01	177، 180
﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴾	11-10	180، 181
﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴾	19	180
﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ ﴾	20	180
سورة المدثر		

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾﴾	10-8	209، 236
﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾	04	209
سورة القيامة		
﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾	03	61
﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾	17-16	190
﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾	18	45
﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾	19	45
سورة الإنسان		
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾	23	2
سورة المرسلات		
﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾﴾	6-5	181
سورة عبس		
﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾﴾	12-11	
سورة البروج		
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾	10	272
﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾	22-21	5
سورة الأعلى		
﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾	7-6	190، 191
سورة البلد		
﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾	13	235
سورة العلق		

﴿وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب﴾	19	153
سورة الضحى		
﴿مَاوَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَىٰ﴾	03	153
سورة القدر		
﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾	01	153 ،5 ،4
سورة الكوثر		
﴿ٱلۡكَوۡثَرَ﴾	01	271
﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾	02	245
﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾	03	271

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا: فهرس الأحاديث والآثار

طرف الحديث والآثر	الراوي	الصفحة
«اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم فإنه من كذب علي متعمدا...»	/	58
«أتيت النبي ﷺ في ليلة من رمضان فقام يصلي ...»	حذيفةرضي الله عنه	14
«أعطيت مكان التوراة السبع وأعطيت مكان الزبور المئين...»	واثلة بن الأسقع رضي الله عنه	12
اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه...»	أبي هممامة الباهليرضي الله عنه	11
«إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة»	عن ابن عباس رضي الله عنهما	33
«ألَّفوه كما أنزل؛ الأوَّلَ فالأوَّلَ؟...»	ابن سيرين	8
ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن...»	عقبة بن عامرالجهني	148
«أَلِمَنْ قتل مؤمناً متعمداً من توبة؟ قال: لا،...»	سعيد بن جبير	29
«إن النبي ﷺ تلا هذه الآية فقال هؤلاء كلهم في الجنة»	أبي سعيد الخدري	229
«أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبيّ ﷺ فقرأ عليه القرآن...»	ابن عباس رضي الله عنهما	107
«إن أناسا من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا لو أرسلنا إلى رسول الله ﷺ نسأله عن أحبّ الأعمال إلى الله عزّ وجلّ...»	عبد الله بن سلام	242
«أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ، قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّأْمِ فِي فَتْحِ أَرْمِينِيَةَ...	أنس بن مالك	72
«إنما نزل من القرآن أول ما نزل منه	عائشة رضي الله عنها	7

سورة...»		
إنه رأى النبي ﷺ يصلي قال فكبّر...»	مطعم	231
«أنه رآى من الناس طيرة عند وفاة النبي ﷺ فأقسم أنه لا يضع عن ظهره رداؤه...»	علي رضي الله عنه	42
«أنه سئل عن قوله: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: 23] فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد ﷺ،...»	ابن عباس	33
«أنها نزلت في الأخنس بن شريق، وكان رجلًا حلوَ المنطق حسنَ السياق للحديث...»	ابن عباس رضي الله عنهما	60
«أي الكفن خير قالت: ويحك وما يضرك قال يا أم المؤمنين أريني مصحفك...»	عائشة رضي الله عنها	14
«آئبون تائبون إن شاء الله عابدون لربنا حامدون...»	أحمد عن عبد الله بن عمر	230
«أيوعدني محمد والله لأنا أعزّ من مشى بين جبليه...»	قتادة	229
بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء هن من العِتاق الأُول، وهن من تِلادِي»	ابن مسعود رضي الله عنه	12
«بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء هن من العِتاق الأُول، وهن من تِلادِي...»	ابن مسعود رضي الله عنه	12
بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهُرِنا إذ أغفى إغفاءةً...»	أنس بن مالك	271
«حدثني عن يوم القيامة متى يكون وكيف يكون أمرها فأخبره النبي ﷺ...»	الواحدي	61
سألت أصحاب رسول الله كيف يحزبون القرآن؟ قالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع،...»	عن عبد الله بن أوس بن حذيفة	12
سحر النبيَّ ﷺ رجل من اليهود...»	زيد بن أرقم	146

«سحر النبيَّ ﷺ رجل من اليهود، قال: فاشتكى؛ فأتاه جبريل فنزل عليه بالمعوذتين...»	زيد بن أرقم	146
«سحر رسولَ الله ﷺ يهودي من يهود بني زريق...»	عائشة رضي الله عنها	146
«قال المؤمنون لو نعلم أحبّ الأعمال إلى الله لعملنا به...»	مقاتل	242
«قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّأْمِ...»	أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ	72
«قعدنا نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا، فقلنا، لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله...»	عن عبد الله بن سلامرضي الله عنه	54
«كان رسول الله ﷺ يتعود من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعودتان	أبي سعيد الخدري	148
«كان رسول الله ﷺ يكثر قبل أن يموت من قوله سبحانك اللهمّ وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك...»	عائشة رضي الله عنها	260
«كان رسول الله في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجيء إلا قال سبحان الله وبحمده...»	أم سلمة	261
كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر ...»	ابن عباس رضي الله عنهما	260
«كنا عند رسول الله ﷺ نؤلّف القرآن من الرقاع...»	زيد بن ثابت	7
«كنت جالساً عند رسول الله ﷺ إذ شَخَص ببصره ثم صوَّبه،...»	عثمان بن أبي العاص	8
«كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها»	/	30
«لقد كان تنورنا وتنور النبي ﷺ واحدا سنتين	أم هشام بنت حارثة	230

أو سنة وبعض سنة...»		
«لقد كان تنورنا وتنور النبي ﷺ واحدا سنتين أو سنة وبعض سنة...»	أم هشام بن حارثة	230
«لما كان يوم أحد أصيب (وفي رواية: قتل) من الأنصار أربعة وستون رجلا...»	أبي بن كعب	55
«لما كان يوم أحد أصيب (وفي رواية: قتل) من الأنصار أربعة وستون رجلا،...»	أبيّ بن كعب	55
«لما نزلت قال رسول الله ﷺ نعيت إليّ نفسي كأني مقبوض في تلك السنة...»	ابن عباس	260
«ما حملكم أن عمدتم إلى براءة وهي من المئين وإلى الأنفال وهي من المثاني، فقرنتم بينها،...»	ابن عباس رضي الله عنه	13
«ما سألت النبي ﷺ عن شيء أكثر مما سألته عن الكلالة....»	عمر	9
«مَن قالَ في القُرآنِ برأيه أو بما لا يعلمُ فليتبوَّأ مقعدَهُ مِنَ النَّارِ	/	195
«نزلت (سورة العصر) على رسول الله ﷺ أيام التشريق...»	ابن عمر	230
«هذا كتاب تنزيل القرآن، وما شاء الله أن يعلم الناس ما أنزل بمكة وما أنزل منه بالمدينة...»	محمد بن مسلم الزهريّ	20
«هل عندكم شيء مما ليس في القرآن–وقال مرّة: مما ليس عند الناس–...	مطرف	195
«وما لكم ولهذه! إنما دعا النبي ﷺ يهود، فسألهم عن شيء فكتموه...»	ابن عباس رضي الله عنه	50
«يا ابن أخي لا أغيرّ شيئاً منه من مكانه...»	عبد الله بن الزبير رضي الله عنه	8

ي«ا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْقُرْآنُ فَقَرَأْنَاهُ، وَعَلِمْنَا فِيمَ نَزَلَ،...»	ابن عباس	29
«يعني: المعرفة بالقرآن؛ ناسخه ومنسوخه، ومحكَمه ومتشابهه،..»	ابن عباس رضي الله عنهما	135

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثالثا قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص

1-الكتب

1. أباطيل وخرافات حول القرآن الكريم والنبي عليه السلام، دحض أباطيل عابد الجابري وخرافات هشام جعيط حول القرآن ونبي الإسلام، خالد كبير علال، دار المحتسب، دب، دط، 2008.

2. الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن، الجابري أنموذجا، سامي عطا حسن، جامعة آل البيت(المفرق)، الأردن، دط، دت.

3. اتجاهات التفسير في العصر الراهن، عبد المجيد عبد السلام المحتسب، مكتبة النهضة الإسلامية، عمان، الأردن، دط، 1402هـ/1982م.

4. اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط1: 1407هـ-1986م.

5. إتقان البرهان في علوم القرآن، فضل حسن عباس، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط1: 1997م،

6. الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، أبو الفضل عبد الرحمن جلال الدين، تحقيق طه عبد الرءوف سعد، المكتبة التوفيقية، القاهرة مصر، دط، دت.

7. الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، تح: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، دط، دت.

8. إتمام الأعلام(ذيل لكتاب الأعلام لخير الدين الزركلي)، نزار أباظة ومحمد رياض مالح، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1: 1999م.

9. الاحتجاج، الطبرسي، أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب، نشر الشريف الرضى، ط1: 1380هـ.

10. إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد، مطبعة السنة المحمدية، دط ودت.

11. الأخطاء التاريخية والمنهجية في مؤلفات محمد أركون ومحمد عابد الجابري، دراسة نقدية تحليلية هادفة، خالد كبير علال، دار المحتسب، ط1: 2008م.

12. آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره، دراسة ونقد، عمر بن إبراهيم رضوان، دار طيبة، الرياض، السعودية، ط1: 1413هـ-1992م.

13. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: 982هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دط، دت.

14. الأساس في التفسير، سعيد حوّى، دار السلام، القاهرة، مصر، ط1: 1405هـ-1985م.ط6: 1424هـ.

15. أساسيات المنهج والخطاب في درس القرآن وتفسيره، مصطفوي، محمد، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1: 2009.

16. أساسيات علم التفسير، مركز نون للتأليف والتحقيق، دار المعارف الاسلامية والثقافية، ط1: 1438هـ-2017م.

17. أسباب النزول علما من العلوم، بسام الجمل، المؤسسة العربية للتحديث الفكري، والمركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1: 2005.

18. أسباب النزول، الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد، تحقيق: عصام بن محسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، ط2: 1412هـ-1992م.

19. الاستشراق والقرآن الكريم بين الإنصاف والإجحاف، محمد بن صالح، بحث مقدم إلى الدورة التكوينية"القرآن الكريم وخطابه المتجدد" تطوان من 21إلى2006/11/26.

20. الاستيعاب في بيان الأسباب، سليم بن عبد الهلالي، ومحمد بن موسى آل نصر، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1: 1425هـ.

21. الإسلام بين الرسالة والتاريخ، الشرفي، عبد المجيد، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط2: 2008م.

22. إشكاليات الترتيب التاريخي للقرآن، نادر حمّامة، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط، المملكة المغربية، د.ط، د.ت.

23. أصول الكافي، الكليني، ممد بن يعقوب (ت: 328-329هـ)، دار المرتضى، بيروت، لبنان، ط1: 1426هـ-2005م.

24. أصول في التفسير، ابن العثيمين، محمد صالح، قسم التحقيق بالمكتبة الإسلامية، عين شمس الشرقية، ط1: 1422هـ-2001م.

25. أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ناصر عبد الله بن علي القفاري، ط1: 1414هـ.

26. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1415هـ-1995م.

27. الإنتصار للقرآن، الباقلاني، القاضي أبي بكر ابن الطيب 403هـ، الأردن عمان، دار الفتح ولبنان، بيروت، دار ابن حزم، ط1: 1422هـ/2001م.

28. الانتصار للقرآن، الباقلاني، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، (ت: 403هـ)، تحقيق: محمد عصام القضاة، دار الفتح، عَمَّان، دار ابن حزم، بيروت، ط 1: 1422 هـ - 2001 م

29. الانسداد التاريخي لماذا فشل مشروع التنوير في العالم العربي، هاشم صالح، دارالساقي، بيروت، ط1: 2007م.

30. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1: 1418هـ.

31. أهم خصائص السور والآيات المكية ومقاصدها، وأحمد عباس البدوي في رسالته للدكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية، سنة: 1440-1441هـ/1980-1981م.

32. آيات التحدي في القرآن الكريم، الدلالة والإيحاء، عبد العزيز بن صالح العمار، إصدار الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، الرياض، دت، دط.

33. الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، لمكي بن أبي طالب(ت: 437هـ)، تحقيق: أحمد حسن فرحات

34. بحار الأنوار، المجلسي، محمد باقر، مطبعة وزارة الإرشاد الإسلامي، ط1: 1365(هـ.ش).

35. البحث العلمي أساسياته النظرية وممارساته العلمية، رجاء وحيد دويدري، دار الفكر دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، ط1: 1421هـ-2000م.

36. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط: 1420.

37. البرهان في ترتيب سور القرآن، الغرناطي، أبي جعفر بن الزبير، تحقيق: محمد شعباني،، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، دط، 1410-1990.

38. البرهان في تناسب سور القرآن، الثقفي، أحمد بن ابراهيم بن الزبير، تحقيق: سعيد بن جمعة الفلاح، دار ابن الجوزية، تونس، ط1: 1428هـ.

39. البرهان في توجيه متشابه القرآن، للكرماني، محمود بن حمزة، تحقيق: عبد القادر أحمد عطى، لبنان بيروت، دار الكتب العلمية، ط1: 1406هـ-1986م

40. البرهان في علوم القرآن، الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط1: 1376هـ-1957م، وطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1428هـ/2007م.

41. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، دط، دت.

42. بيان المعاني، عبد القادر ملا حويش، مطبعة الترقي، دمشق، ط1: 1382هـ-1965م.

43. البيان في عدّ آي القرآن، الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ط1: 1414هـ-1994م

44. تاريخ الأدب العربي، ريجيس بلاشير، ترجمة إبراهيم الكيلاني، الدار التونسية للنشر، دط، 1986م.
المستشرقون والدراسات القرآنية، محمد حسين علي الصغير، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، دط، دت.

45. تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، اللديار بكري، حسين بن الحسن (ت: 966هـ)، دار صادر بيروت، دط، دت.

46. تاريخ الفقه الإسلامي، عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، عمان الأردن، ط3: 1413هـ-1991م.

47. تاريخ القرآن، الأبياري، إبراهيم، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط3: 1411هـ-1991م.

48. تاريخ القرآن، الزنجاني، أبي عبد الله، هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، دط، دت.

49. تاريخ القرآن، تيودور نولدكه، ترجمة: رضا محمد الدقيقي، دار النوادر، الكويت، الإصدار السابع، ط2: 1432هـ-2011م.

50. تاريخ القرآن، عبد الصبور شاهين، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط3: مارس 2007.

51. تاريخية الدعوة المحمدية في مكة، هشام جعيط، دار الطليعة، بيروت، ط1: 2007م.

52. تاريخية الفكر الإسلامي.

53. التحرير والتنوير، ابن عاشور محمد الطاهر، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ب.ط.

54. التراث والتجديد، حسن حنفي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط5، 2002،

55. ترتيب النزول عند الطاهر بن عاشور، جمع ودراسة، بحث محكم بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت

56. التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، الكلبي الغرناطي (ت: 741هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت.

57. التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب،

58. التصوير الفني في القرآن، لسيد قطبدار الشروق، مصر، القاهرة، ط16: 1423هـ-2002م.

59. التعارض وطرق دفعه عند ان عثيمين تأصيلا وتطبيقا، هشام بن محمد بن سليمان السعيد، بحث محكم مقدم لندوة جهود الشيخ محمد العثيمين العلمية، جامعة القصيم، دت.

60. التعبير القرآني، لفاضل السامرائي، الأردن، عمان، دار عمار، ط2: 1422هـ-2002م،

61. تفسير البرهان، السيد هاشم، مؤسسة الأعلمي، بيروت، دط، 1427هـ-2006م.

62. التفسير الحديث، دروزة، محمد عزة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1: 1383 هـ.

63. تفسير الفاتحة والبقرة، العثيمين، محمد بن صالح بن محمد، ت: 1421هـ، المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزية، ط1: 1423هـ.

64. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1: 1420هـ-2000م .

65. تفسير المنار، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، بط، 1990.

66. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2: 1418 هـ.

67. تفسير الميزان، الطباطبائي، محمد حسن، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، دب، دط، دت.

68. تفسير معارج التفكر ودقائق التدبر، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط1: 1420هـ-2000م.

69. التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، فضل حسن عباس، دار النفائس، الأردن، ط1: 1437هـ-2016م.

70. التفسير والمفسرون في العصر الحديث، فضل حسن عباس، دار النفائس، الأردن، ط1: 1437هـ/2016م.

71. تفهيم القرآن، المودودي، تعريب أحمد إدريس، دار القلم، الكويت، دط، 1978.

72. التمهيد في علوم القرآن، محمد هادي معرفة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، د.ط، 1432هـ-2011م

73. تناسق الدرر في تناسب السور، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري (ت 911)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1: 1407هـ-1986م.

74. جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، دب، ط1: 1420 هـ- 2000م

75. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي(ت: 671هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2: 1384هـ-1964م.

76. جمال القراء وكمال الإقراء، للسخاوي، أبو الحسن علي بن محمد، تحقيق: مروان العطية ومحسن خرابة، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ط1: 1418هـ-1997م،

77. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت: 875هـ)، تحقيق: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1: 1418هـ.

78. جوهر الإسلام، العشماوي، محمد سعيد، مكتبة مدبولي الصغير، القاهرة، ط4: 1416هـ-1996م.

79. الحداثيون العرب في العقود الثلاثة الأخيرة والقرآن الكريم، دراسة نقدية، الجيلاني مفتاح، دار النهضة، دب، دط، سنة 2006.

80. حقائق هامة حول القرآن، العاملي، جعفر مرتضى العاملي، دار الصفوة بيروت لبنان، ط2: 1413هـ-1992م.

81. الحوار أفقا للفكر، طه عبد الرحمن، الشبكة العربية للأبحاث، بيروت، ط2: 2014.

82. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، المطعني، مكتبة وهبة، دب، ط1: 1413هـ-1992م.

83. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، لعبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1، دت.

84. خصائص القرآن الكريم، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية ط9: 1417هـ-1997م.

85. الخلاصة في تدبر القرآن الكريم، خالد بن عثمان السبت، دار الحضارة، دب، ط1: 1437هـ-2016م.

86. الدخيل في التفسير، مناهج جامعة المدينة العالمية، جامعة المدينة العالمية، دب،دت.

87. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، دار الفكر، بيروت، دط، دت.

88. الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، دودي بارت، ترجمة مصطفى ماهر، دار الكاتب العربي، القاهرة، دط،1967.

89. دراسات قرآنية، محمد قطب، دار الشروق (القاهرة-بيروت) ط7: 1414هـ-1993م.

90. درة التنزيل وغرة التأويل، للخطيب الإسكافي، تحقيق: محمد مصطفى آيدين، مكتبة الملك فهد، مكة المكرمة، السعودية،ط1: 1422هـ-2001م.

91. دروس تمهيدية في القواعد التفسيرية، علي أكبر السيفي المازندراني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، ط1: 1428(هـ.ق).

92. دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر، ط1: 1417 هـ - 1996.

93. دلائل النبوة، البيهقي، أحمد بن الحسين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1: 1405هـ.

94. الرسالة الثانية من الإسلام، محمود محمد طه، دون دار نشر، أم درمان، السودان، ط3: 1489هـ/1969م.

95. زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1: 142هـ.

96. سابغات كيف نتعامل مع الشبهات الفكرية المعاصرة، أحمد يوسف السيد، تكوين، السعودية، ط3: 1438هـ-2017م.

97. سقوط الغلو العلماني، محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط2: 1422هـ-2002م.

98. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت: 275هـ) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، دط، دت.

99. سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك (ت:279هـ) تحقيق وتعليق أحمد محمد شاكر، دط، دت.

100. سنن سعيد بن منصور(ت: 227هـ) دراسة وتحقيق سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، دار الأصمعي، دب، ط1: 1417هـ-1997م.

101. السيرة النبوية دروس وعبر، السباعي، مصطفى، المكتب الإسلامي، بيروت، ط8: 1405هـ-1985م.

102. الشبه الإستشراقية في كتاب مدخل إلى القرآن للدكتور محمد عابد الجابري، رؤية نقدية، عبد السلام البكاري والصديق بوعلام، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1: 1430هـ-2009م.

103. شبهات الحداثيين حول أسباب النزول، بسام الجمل نموذجا، أحمدي الشيخ التجاني، مجلة معهد الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد 12، ذو الحجة 1437هـ.

104. شرح صحيح البخاري ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط2: 1423هـ-2003م.

105. الشريعة الإسلامية صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان، القرضاوي، يوسف، دار الصحوة للنشر، القاهرة، مصر، ط2: 1993م.

106. شعب الإيمان، البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: 458هـ)، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط1: 1423 هـ - 2003 م.

107. الشيعة والتصحيح، الصراع بين الشيعة والتشيع، موسى الموسوي، بدون دار نشر، دب، د.ط، 1408هـ-1988م.

108. صحيح البخاري، البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، دب، ط10: 1422هـ.

109.صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 1261هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار التراث العربي، بيروت، دط، دت.

110.عبد الرحمن حبنكة الميداني العالم المفكر المفسر، عائدة راغب الجراح، دار القلم، دمشق، ط1: 1422هـ-2001م.

111.العجاب في بيان الأسباب، ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، تحقيق عبد الحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي، دب، دط، دت.

112.العقل في الإسلام، العشماوي محمد سعيد، مؤسسة الانتشار العربي، دب، دط، سنة:2004م.

113.العقيدة والشريعة في الإسلام، جولد تسيهر، ترجمة: محمد يوسف موسى، وعبد العزيز عبد الحق، علي حسن عبد القادر، دار الكاتب المصري، مصر، ط1: 1946.

114.العلمانيون والقرآن الكريم"تاريخية النص"، الطعان، أحمد إدريس، مكتبة ودار ابن حزم، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1: 1428هـ-2007م.

115.علوم القرآن الكريم، نور الدين محمد عتر الحلبي، مطبعة الصباح، دمشق، ط1: 1414هـ-1993م.

116.علوم القرآن عند الشاطبي من خلال كتابه الموافقات، محمد سالم أبو عاصي، دار البصائر، القاهرة، ط1،: 1426هـ-2005م.

117.عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العينيّ، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط، دت.

118.الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد، دار الكتب العلمية، دب، ط1: 1408-1987م.

119.فتح الباري، ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، رتبه: محمد فؤاد عبد الباقي، صححه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دط، 1379هـ.

120.الفتح القدير، الشوكانيّ، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (ت: 1250هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1: 1414 هـ.

121.فرق معاصرة، غالب بن علي عواجي، المكتة العصرية الذهبية، جدة، السعودية، ط4: 2001م.

122.فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب، النوري، ميرزا حسن محمد تقي الطبرسي(ت: 1320هـ) النجف، دط، 1292هـ.

123.فضائل القرآن، ابن الضريس، محمد بن أيوب، تحقيق: غزوة بدير، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1: 1408هـ-1987م.

124.فضائل القرآن، ابن كثير، أبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر، مكتبة ابن تيمية، دب، ط1: 1416هـ.

125.الفكر الإسلامي قراءة علمية، محمد أركون، ترجمة هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، والمركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط2: 1996.

126.الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، أركون، ترجمة وتعليق هشام صالح، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1993.

127.الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، أركون محمد، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1: 1999م.

128.الفهرست، ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي الشيعي، تحقيق إبراهيم روضان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2: 1417هـ-1997م.

129.الفهرست، ابن النديم، محمد بن إسحاق، بن الوراق، دارالمعرفة، بيروت، لبنان، ط2: 1417هـ-1997م.

130.الفوز الكبير في أصول التفسير، ولي الله الدهلوي، أحمد بن عبد الرحيم، عربه من الفارسية: سلمان الحسيني الندوي، دار الصحوة، القاهرة، مصر، ط2: 1407هـ-1986م.

131.في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط10، 1402-1982،و دار الشروق، القاهرة، ط32: 1423هـ-2003م.

132.في ما بين أسباب النزول والنزعة التاريخية، تطابق أو تلبيس، لخضر سباعي، جامعة عبد الرحمن ابن خلدون، تيارت، دط، دت.

133.القاموس المحيط، الفيروزبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب(ت: 817هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان، ط8: 1426هـ-2005م.

134.القراءة الحداثية المعاصرة للقرآن الكريم في المغرب العربي أثر الإستشراق فيها، محمد أركون أنموذجا، دراسة تحليلية نقدية، عمر زهير علي، دار رواد المجد، دار العصماء، دمشق، سوريا، ط1: 1439هـ-2017م.

135.القرآن الحكيم، التفسير الواضح فهم حسب ترتيب النزول، الجابري، محمد عابد، دار النشر المغربية، دب، دط، 2008م.

136.القرآن الكريم بين ترتيب المصحف وترتيب النزول دراسة منهجية نقدية في الترتيب المصحفي والتاريخي للقرآن، سعيد بوعصاب الرابطة المحمدية، المملكة المغربية، ط1: 1438هـ-2017م.

137.القرآن الكريم والقراءة الحداثية، دراسة تحليلية نقدية لإشكالية النص عند محمد أركون، الحسن العباقي، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ط1: 2009م.

138.القرآن نزوله، تدوينه، ترجمته، وتأثيره، بلاشير، ترجمة: رضا سعادة، تحقيق: محمد علي الزعبي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1: 1974.

139.القرآن وأوهام مستشرق، محمد أبو العلا، المكتب العربي للمعارف بمصر، ط1، دت.

140.القرآن ونقض مطاعن الرهبان، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط1: 1428 هـ - 2007 م.

141.القرآن، رجيس بلاشير، ترجمة رضا سعادة، تحقيق محمد علي الزغبي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1: 1974م.

142. قرة العينين بتفسير المعوذتين، عبد العزيز داخل المطيري، معهد آفاق التيسير، الرياض، السعودية، ط1: 1438هـ.

143.قصص القرآن الكريم، فضل حسن عباس، دار النفائس، الأردن، ط3: 1430هـ-2010م.

144.القضايا العلمية في تفسير معارج التفكر ودقائق التدر للشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دراسة ونقد، باسم فارس أبو رميلة، ماجستير في أصول الدين، تخصص التفسير وعلوم القرآن، بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي في جامعة الخليل، سنة: 1440هـ/2019م.

145.قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، فضل عباس، دار البشير للنشر، عمان، الأردن، ط 2: 1410هـ-1989م.

146. قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دب، دط، 1989م.

147.قواعد الترجيح عند المفسرين، الحربي، حسين علي، دار القاسم، الرياض، السعودية، ط1: 1417هـ-1996م.

148.القواعد الحسان لتفسير القرآن، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط1: 1420هـ-1999م.

149.الكامل في التاريخ، ابن الإثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني(ت: 630هـ) تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1: 1417هـ-1997م.

150.كتاب المصاحف، السجستاني، أبو بكر بن أبي داود عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت: 316هـ)،تحقيق: محمد بن عبده، الفاروق الحديثة، القاهرة، مصر، ط1: 1423هـ - 2002.

151.الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط3: 1407هـ.

152.الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم(ت: 427هـ)، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1: 1422هـ-2002م.

153.اللآلئ الحسان في علوم القرآن، موسى شاهين، دار الشروق، مصر، القاهرة، ط1: 1423هـ-2002م.

154.لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين، دار صادر، بيروت، ط3: 1414هـ. وط1: 1997م.

155.لسان الميزان، ابن حجر، أبو الفضل بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني(ت: 852هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، دب، ط1: 2002م.

156.مابين أسباب النزول والنزعة التاريخية، تطابق أم تلبيس، لخضر سباعي، جامعة عبد الرحمن بن خلدون، تيارت، دط، دت.

157.مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، ط4: 1426هـ-2005م.

158.مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم الملايين، دب، ط24: 2000.

159.مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة وهبة، دب، ط11: 2000م، ومؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق سوريا، ط1: 1434هـ-2013م.

160.مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ابن باديسن عبد الحميد محمد الصنهاجي، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1: 1416هـ-1995م.

161.مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، دار العلوم، بيروت، لبنان، ط1: 1426هـ-2005م.

162.مجمل اللغة لابن فارس، أحمد بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2: 1406هـ-1986م.

163.محاسن التأويل، القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1418هـ.

164.المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1: 1422هـ.

165.المحرر في علوم القرآن، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، دب، ط2: 1429هـ-2008م.

166.مختار الصحاح، الرازي، محمد بن أبي بكر، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، دط، 1999م.

167.مدارج السالكين، ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، تحقيق: محمد بن المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان، ط3: 1416هـ-1996م.

168.مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (ت: 710هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، لبنان، ط1: 1419 هـ- 1998م.

169.المدخل إلى التفسير الموضوعي، عبد الستار فتح الله سعيد، دار التوزيع والنشر الإسلامية، بور سعيد، مصر، ط2: 1411هـ-1991م.

170.مدخل إلى القرآن الكريم في التعريف بالقرآن، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، دط، دت.

171.مدخل إلى القرآن الكريم: استكشاف أم تشكيك؟ قراءة في كتاب"مدخل إلى القرآن الكريم: في التعريف بالقرآن للدكتور محمدعابد الجابري"، محمد إيكيج، شبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات، سنة 2015.

172.مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، عدنان محمد زرزور، دار القلم/دار الشامية، دمشق/ بيروت، ط2: 1419هـ-1998م.

173.المدخل إلى علوم القرآن، محمد فاروق النبهان، دار عالم القرآن، حلب، سوريا، ط1: 1426هـ-2005م.

174.المدخل لدراسة القرآن الكريم، أبو شهبة، محمد بن محمد بن سويلم، مكتبة السنة، القاهرة، مصر، ط2: 1423هـ-2003م.

175.مذاهب التفسير الإسلامي، جولد تسيهر، كتبة الخانجي، مصر، ومكتبة المثنى ببغداد، دط، 1374هـ-1955م.

176.المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، السعودية، ط1: 1427هـ-2006م.

177.مذكرات محمد عزة دروزة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1: 1993م.

178.المراحل الثمان لطالب فهم القرآن، عصام بن صالح العويد، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض السعودية، ط2: 1431هـ-2010م.

179.المستصفى، الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، دب، ط1: 1413هـ-1993م.

180.مسند أحمد، أحمد بن حنبل، دار الحديث، القاهرة، مصر، دط، 1416هـ/1995م.

181.المصاحف المنسوبة للصحابة ورد الشبهات المثارة حولها، محمد بن عبد الرحمن الطاسان، دار التدمرية، دب، دط، 2012م.

182.معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: 510هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1: 1420 هـ.

183.معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، غبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق، تحقيق: عبد العزيز عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1: 1408هـ-1988م

184.معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1: 1408هـ-1988م.

185.المعجزة الكبرى القرآن، أبو زهرة محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد(ت: 1394هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، دط، دت.

186.معجم الفروق اللغوية، أبو هلال بن عد الله بن سهل بن سعيد بن يحي بن مهران العسكري، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي، دب، ط1: 1412هـ.

187. المعجم الكبير، الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي(ت: 360)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2، دت.

188.معجم المؤلفين المعاصرين، في آثارهم المخطوطة والمفقودة وما طبع منها أو حقق بعد وفاتهم، محمد خير رمضان يوسف، مكتبة الملك فهد، الرياض، السعودية، دط، 1425هـ/2004م.

189.معجم ذكر القرآن الكريم للرسول ﷺ، محمد زكي محمد خضر،دار المأمون، دب، ط1: 1431هـ-2010م.

190.معركة النص، مع التحريف المعاصر للأحكام والمفاهيم الشرعية، العجلان، فهد بن صالح، دار رسالة البيان للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط1: 1440هـ-2018م.

191.المغني، ابن قدامة المقدسي، موفق الدين عبد الله بن أحمد، مكتبة القاهرة، مصر، دط، 1388هـ-1968م.

192.مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار، الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، إحياء كتاب، 1997م

193.مفاتيح التعامل مع القرآن الخالدي، صلاح عبد الفتاح، دار القلم، دمشق، ط2: 1415هـ-1994م.

194.مفاتيح الغيب، الرازي، فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (ت: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3: 1420 هـ.

195.المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط1: 1412هـ.

196.مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزية، دب، ط2: 1427هـ.

197.مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، نصر حامد أبو أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1: 2014م.

198.مقاربة جديدة للقرآن: من النص إلى الخطاب، نحو تأويلية إنسانوية، نصر حامد أبو زيد، بحث مقدم في مؤتمر علمي في الاسكندرية حول حقوق الإنسان وتجديد الخطاب الديني، 18-20 أبؤيل 2006.

199.مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، دط، 1490هـ-1980م.

200.مقدمتان في علوم القرآن (مقدمة كتاب المباني ومقدمة ابن عطية) ت: آرثر جفري مكتبة الخانجي،دب، دط، 1904م.

201.ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، ابن الزبير الغرناطي، أحمد بن إبراهيم، أبو جعفر (ت: 708هـ)، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت.

202.من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي، أركون، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1: 1991.

203.المناقب مناقب الإمام علي، الخوارزمي، الموفق بن أحمد بن محمد المكي(ت: 568هـ) تحقيق: مالك المحمودي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المشرفة، دب، ط2: 1414هـ.

204.مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، محمد عبد العظيم، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، دط، 1429هـ-2008م،.

205.المنتقى في علوم القرآن، طه عابدين طه، دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل، السعودية، ط2، 1429هـ.

206.المنهاج شرح صحيح مسلم، النووي، أبو زكريا محي الدين يحي بن شرف، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط2: 1392هـ.

207.منهج التعامل مع النص القرآني حسب ترتيب النزول، قراءة في كتاب الجابري، سليمان محمد الداقور، بحث مقدم في مؤتمر" التعامل مع النصوص الشرعية الكتاب والسنة"، الجامعة الأردنية، كلية الشريعة.

208.منهج السيد محمد باقر الصدر في فهم القرآن، أحمد الأزرقي، مركز الشهيدين الصدريين للدراسات والبحوث، دب، ط1: 1429هـ/2008م.

209.الموافقات، الشاطبي، إبراهيم بن موسى، تحقيق: عبيدة مشهور، دار ابن عفان، دب، ط1: 1417هـ-1997م.

210.موجز دائرة المعارف الإسلامية، م. ت. هوتسما، ت. و. أرنولد، ر. باسيت، ر. هارتمان، ترجمة / نخبة من أساتذة الجامعات المصرية والعربية،: مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط1: 1418 هـ - 1998 م.

211.الموسوعة العربية الميسرة، مجموعة من العلماء والباحثين، المكتبة العصرية (صيدا- بيروت)، ط1: 1431هـ-2010م.

212.الموسوعة القرآنية، خصائص السور، جعفر شرف الدين، تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجري، دار التقريب بين المذاهب الاسلامية، بيروت، ط1: 140هـ.

213.موسوعة المستشرقين، عبد الرحن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط3: 1993

214.موقف الشوكاني في تفسيره من المناسبات، الشرقاوي، أحمد بن محمد، بحث محكم بجامعة الأزهر، مصر. المستشرقون والقرآن، محمد بهاء الدين حسن، دار النفائس، عمان الأردن، ط1: 1435هـ-2014م.

215.الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، محمد حسين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان، ط1: 1417هـ-1997م.

216.الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1: 1406هـ-1986م.

217.الناسخ والمنسوخ، النحاس، أبوجعفر أحمد بن محمد النحوي، ت: محمد عبد السلام محمد، مطتبة الفلاح، الكويت، ط1: 1408.

218.الناسخ والمنسوخ، وتنزيل القرآن بمكة والمدينة، الزهري، محمد بن مسلم بن عبد الله بن شِهَاب، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، دب، دط، دت.

219.نزول القرآن الكريم، الشايع، محمد بن عبد الرحمن، مكتبة الملك فهد، الرياض، السعودية، دط: 1418هـ-1997م.

220.النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر، قطب الريسوني، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط1: 1431هـ-2010م.

221.النص، السلطة، الحقيقة، الفكر الديني بين إرادة المعرفة وإرادة النهضة، نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1: 1995م.

222.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن بن علي بن أبي بكر (ت: 885هـ) دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دط، دت.

223.نقد الخطاب الديني، نصر حامد أبو زيد، سينا للنشر، القاهرة، مصر، ط2: 1994.

224.نقد المنهج التاريخي في دراسة القرآن الكريم،، جمال حجير، جامعة محمد الحاج لخضر، كلية العلوم الإجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم العقيدة، باتنة، دط، 2016-2017م.

225.نقد النص، علي حرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت لبنان، ط4: 2005.

226.هموم الفكر والوطن، حستن حنفي، دار قباء، القاهرة، ط1، 1990م.

227. الوشيعة في نقد عقائد الشيعة، جار الله موسى، مكتبة الخانجي، مصر، دط، 1935م.

2-الرسائل الجامعية:

228.أسانيد نسخ التفسير والأسانيد المتكررة في التفسير، إصدارات مركز تفسير للدراسات القرآنية، وأصلها رسالة ماجستير، أعدَّها الباحث عطية بن نوري بن محمد بن عليّ آل خلف الفقيه، ونوقشت عام 1428هـ بقسم الكتاب والسُّنة، بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

229.تفاسير القرآن حسب ترتيب النزول دراسة وتقويم، طه محمد فارس، دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، سنة 2006م.

230.السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات القرآنية، الدبيسي، محمد بن مصطفى بن عبد السلام، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، إشراف الدكتور عفت الشرقاوي، عام 1431هـ-2010م.

231.ظاهرة التاويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر، دراسة نقدية، رسالة دكتوراه لخالد بن عبد العزيز السيف، قسم العقيدة كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، السعودية، سنة 1429-1430.

232.عيون الأقاويل في إبطال دعوى ترتيب القرآن وتفسيره على حسب التنزيل، وعبد الرحمن نصر أحمد نصار في كتابه (أصل هذا الكتاب أطروحة دكتوراه) دار الإمام الرازي، القاهرة، مصر، ط1: 1437هـ-2016م.

233.نواسخ القرآن، ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، تحقيق: محمد أشرف علي المليباري، وأصله رسالة ماجستير 1401هـ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط2: 1423هـ/2003م.

3-المجلات:

234.تتبع نزول آيات سورة المائدة، أحمد خالد شكري، مجلة الجامعة للدراسات الإسلامية، المجلد 28، العدد1، 2020م.

235.تجربة محمد عابد الجابري في التعامل مع القرآن الكريم، تعريفا، وفهما، وتفسيرا"دراسة نقدية"، غنية بوحوش، مجلة الشهاب، المجلد: 06، عدد 03(محرم 1442هـ/سبتمبر2020).

236.ترتيب القرآن الكريم بحسب النزول، محمد علي لسان فشاركي، وسمية ذو القدرنيا، مجلة العلوم الإنسانية، 2007، العدد 14(2).

237.ترتيب نزول القرآن، محمد علي الحسن، مجلة كلية الدراسات العربية والإسلامية، الإمارات، العدد السادس عشر، 1419هـ-1998م.

238.تفسير القرآن الكريم على ترتيب النزول، منبعه وفوائده، محمد مجلي الربابعة، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، المجلد37، العدد1، 2010.

239.علم التفسير في كتابات المستشرقين، عبد الرزاق بن إسماعيل هرماس، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج15، العدد 25، شوال 1423هـ.

240.ملامح التفسير الموضوعي في معارج التفكر ودقائق التدبر للشيخ الميداني، سورة ق نموذجا، عفاف عبد الغفور حميد، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، العدد الثاني عشر، دت.

241.منهج السياق في فهم النص، عبد الرحمن بودرع، كتاب الأمة، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، العدد 111، محرم 1427، السنة السادسة والعشرون.

242.منهج المحدثين في نقد مرويات التفسير، محمد صالح محمد سليمان، مجلة معهد الإمام الشاطبي، جدة السعودية، العدد21، سنة: 1437هـ-2016م.

243. منهج عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني في تفسيره "معارج التفكر ودقائق التدبر"، جهاد محمد النصيرات، عبيدة عبد الحكيم أسعد، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، المجلد 40، العدد 2، 2013.

244.موقف المفسرين من سبب نزول سورتي المعودتين، سامي محمد هشام عبد الشكور احريز، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، المجلد 41، الملف3، 2013م، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية.

245.نظرات في البعد الزماني لنزول القرآن، زعرور، عدنان محمد، من منشورات مجلة مركز بحوث السنة والسيرة، جامعة قطر، دط، دت.

246.النقد الحديثي لروايات أسباب نزول القرآن الكريم من منظور المكي والمدني، حسام خالد محمد السقار، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، المجلد الثالث والعشرون، العدد الأول، يناير 2015م.

4- المواقع الإلكترونية:

247.موقع الأستاذ أحمد الريسوني، http: //raissouni.net/1057.

248.القرآن خطيا، دراسة في الترتيب الزمني لسور القرآن في كتاب تاريخ القرآن، إيمانويلا ستيفانيدز، ترجمة حسام صبري، مركز تفسير للدراسات القرآنية https://tafsir.net/

249.رجال الشرق(محمد عزة دروزة)، موقع الشرق العربي للدراسات الحضارية والاستراتيجية، https://www.asharqalarabi.org.uk/index1.htm

250.دعوى فهم القرآن في ضوء مناهج العلوم الإنسانية الغربية، منطلقاتها وحقيقتها وآفاقها، عبد الرزاق هرماس، بحث مقدم للمؤتمر الدولي الأول لتطوير الدراسات القرآنية، 1434/4/6هـ-2013/2/16م، مركز تفسير للدراسات القرآنية. https://tafsir.net/

251.التفاسير حسب ترتيب النزول في الميزان، مصطفى مسلم، ملتقى أهل التفسير https://vb.tafsir.net/

252.التاريخانية منهجا للتفسير، مجلة اللقاء، العدد السابع والعشرون، الموقع: هيئة علماء بيروت، https://www.allikaa.net/

ثانيا: المراجع باللغة الأجنبية

253. arabic text english, apos, an the qur (fazl-mirza abu al-british british brary d,1911, chronologically arrangent, translation (15, d catalogue call mark 14 512 museun

254.translated with a gritical rearrangement with the The Quran: Bell.R, 1937, clark Edinburgh, and T.T,suos

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رابعا: فهرس الموضوعات:

العنوان	الصفحة
مقدمة	ب
مدخل: المسائل المتعلقة بترتيب النزول	
أولا: مفهوم النزول	2
1-النزول لغة	2
2- نزول القرآن في الاصطلاح	2
3-الفرق بين "نزّل" و"أنزل"	3
ثانيا: تنزيلات القرآن الكريم	4
1-أقوال العلماء في تنزّلات القرآن الكريم	4
2- نزول القرآن منجما والحكمة منه	6
ثالثا: ترتيب القرآن الكريم	7
1-ترتيب الآيات وحكم الالتزام به	8
2-ترتيب السور في المصحف وحكم الالتزام به	10
3- حكم مخالفة ترتيب المصحف	18
4-الترتيب الزمني لنزول القرآن الكريم	20
الفصل الأول: فهم القرآن حسب ترتيب النزول في الفكر الحديث	
المبحث الأول: فهم القرآن حسب ترتيب النزول: مفهومه، أهميته، جذوره	25
المطلب الأول: مفهومه	26
المطلب الثاني: أهميته **أولا: معرفة الترتيب الزمني للآيات من شروط معرفة الناسخ والمنسوخ**	29
ثانيا: معرفة ترتيب النزول قاعدة من قواعد الترجيح في التفسير	31
ثالثا: معرفة السياق الزماني والمكاني اللذين أنزلت فيهما الآية	33
رابعا: الكشف عن مقاصد السور	34

خامسا: ترتيب النزول مهم في فهم القصة القرآنية وبيان تكامل أجزائها	35
سادسا: إبراز معان جديدة في تفسير الآيات	41
المطلب الثالث: جذور فكرة "فهم القرآن حسب ترتيب النزول	42
خلاصة المبحث	48
المبحث الثاني: ارتباط أسباب النزول بترتيب النزول	49
المطلب الأول: أهمية أسباب النزول في التفسير	49
المطلب الثاني: أهمية العلم بأسباب النزول في ترتيب السور حسب النزول	51
أولا: أثر أسباب النزول في ترتيب النزول	52
1-معرفة ترتيب النزول	52
2-بيان زيف ترتيب بعض الآيات عند المفسرين	56
ثانيا: أثر ترتيب النزول في أسباب النزول	57
المطلب الثالث: إشكالات حول أسباب النزول	59
أولا: عدم تحري الصحة في أسباب النزول وإهمال توثيق الأسانيد	59
ثانيا: دعوى أن لكل آية سبب نزول	62
ثالثا: ربط أسباب النزول بالتاريخية	64
خلاصة المبحث	68
المبحث الثالث: مواقف فكرية حديثة حول فهم القرآن الكريم حسب ترتيب النزول	69
المطلب الأول: فهم القرآن حسب ترتيب النزول في الفكر الشيعي	70
أولا: ترتيب النزول عند الشيعة	70
ثانيا: أثر ترتيب النزول في تفاسير الشيعة	75
المطلب الثاني: فهم القرآن حسب ترتيب النزول في الفكر الاستشراقي:	77
أولا: اهتمام المستشرقين بتفسير القرآن حسب النزول	78
ثانيا: أسباب اهتمام المستشرقين بترتيب النزول	81
ثالثا: محاولات المستشرقين لترتيب السور حسب النزول	84

1- محاولة نولدكه	86
2-معايير ترتيب نولدكه	86
3-تقسيم السور إلى فترات	91
رابعا: أثر ترتيب النزول في فهم القرآن عند المستشرقين	98
1-المنهج التاريخي	98
2- نتائج تطبيق المنهج التاريخي	101
المطلب الثالث: فهم القرآن حسب ترتيب النزول في الفكر الحداثي	104
أولا: نظرتهم إلى القرآن الكريم	105
1- نظرة أركون	105
2-نظرة نصر حامد أبو زيد	106
ثانيا: الطعن في الترتيب المصحفي للقرآن الكريم:	106
ثالثا: موقفهم من ترتيب النزول	108
1-موقف أركون	108
2-موقف نصر حامد أبو زيد	109
رابعا: دعوى تاريخية القرآن الكريم ومداخلها	110
1-دعوى تاريخية القرآن الكريم	110
2- مداخل "التاريخية" المتعلقة بعلوم القرآن	
خلاصة المبحث	118
خلاصة الفصل الأول	119
الفصل الثاني: تفسير القرآن الكريم حسب ترتيب النزول عند المفسرين المحدثين	
تمهيد	121
المبحث الأول: تفسير "بيان المعاني" لعبد القادر ملا حويش	123
المطلب الأول: التعريف بالمفسر وكتابه(بيان المعاني)	123
أولا: ترجمة عبد القادر ملا حويش(ت 1398 هـ/1978 م)	123
1-اسمه ونسبه ومولده	123

2-علومه	123
3-مؤلفاته	124
ثانيا: التعريف بكتاب (بيان المعاني) وسبب تأليفه	124
ثالثا: مدخل إلى منهجه العام ومصادره في التفسير	125
1-منهجه العام	125
2- مصادره في التفسير	126
3-تقييم بعض الدارسين لتفسير الملا حويش وأثر الكتاب فيما بعده	128
المطلب الثاني: منهجه في ترتيب النزول	130
أولا: دوافعه لاختيار ترتيب النزول	130
ثانيا: ترتيبه المعتمد في التفسير وسنده	137
1-ترتيب السور المكية	137
2- ترتيب السور المدنية	141
3-مصادره في التنزيل	142
ثالثا: معاييره في الترتيب	142
المطلب الثالث: أثر ترتيب النزول في تفسير (بيان المعاني)	145
أولا: تضعيفه للحديث الصحيح بسبب ترتيب النزول	145
ثانيا: أثر ترتيب النزول في رد القول بالنسخ	148
ثالثا: أثر ترتيب النزول في رد أقوال بعض المفسرين	150
رابعا: أثر ترتيب النزول في المناسبات بين السور	151
خامسا: أثر ترتيب النزول في توجيه المتشابه	152
سادسا: أثره في استنباط بعض اللطائف التفسيرية	152
خلاصة المبحث	154
المبحث الثاني: تفسير "معارج التفكر ودقائق التدبر" لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني	155
المطلب الأول: التعريف بالمفسر وكتابه	155
أولا: ترجمة عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني	155

1-اسمه مولده ونسبه	155
2- علومه	155
3- مؤلفاته	155
ثانيا: التعريف بكتاب"معارج التفكر ودقائق التدبر"	156
ثالثا: مدخل إلى منهجه العام ومصادره في التفسير	157
1-منهجه العام	157
2-مصادره في التفسير	160
3-تقييم تفسير" معارج التفكر" وآراء أهل العلم	160
المطلب الثاني: منهجه في ترتيب النزول	162
أولا: دوافعه لاختيار ترتيب النزول	162
ثانيا: ترتيبه المعتمد	171
المطلب الثالث: أثر ترتيب النزول في تفسير معارج التفكر	178
أولا: أثره في المناسبة	178
ثانيا: أثره في توجيه بعض الروايات	180
ثالثا: بيان سبب وجود آيات مدنية في سور مكية	180
رابعا: أثره في استنباط بعض اللطائف التفسيرية	181
خلاصة المبحث	182
المبحث الثالث: تفسير" فهم القرآن الحكيم التفسير الواضح حسب ترتيب النزول" لمحمد عابد الجابري	184
المطلب الأول: التعريف بالجابري وكتابه "فهم القرآن الحكيم"	184
أولا: ترجمة محمد عابد الجابري	184
1-اسمه ومولده وتعليمه	184
2-مؤلفاته	185
ثانيا: وصف عام للكتاب	185
المطلب الثاني: منهج الجابري في فهم القرآن الكريم	186
أولا: تعريف الجاري للقرآن والقول بضياع شيء منه	186

1-تعريفه للقرآن	186
2- تشكيكه في القرآن الكريم باحتمال ضياع شيء منه	189
ثانيا: أسس تعامل الجابري مع القرآن	194
1-التعامل المباشر مع النص، دون الرجوع إلى التراث التفسيري	194
2- اعتماده ترتيب النزول بدل ترتيب المصحف	196
3- استعمال أدوات الإفهام	197
المطلب الثالث: منهج الجابري في ترتيب السور حسب النزول وأثره في فهم القرآن	199
أولا: منهجه في الترتيب	199
1- المعايير التي اعتمدها في ترتيب النزول	200
2-مصادره في ترتيب النزول	201
3-تقسيمه لسور القرآن إلى مراحل	202
ثانيا: أثر ترتيب النزول في فهم القرآن عند الجابري	209
1- أثره في معنى الآية	209
2-أثره في دراسة القصص القرآني حسب النزول	210
خلاصة الفصل الثاني	213
الفصل الثالث: أثر ترتيب النزول في التفسير الحديث لمحمد عزة دروزة	
المبحث الأول: المؤلف وتفسيره ترجمة وتعريفا، ومنهجا	215
المطلب الأول: السيرة الذاتية والعلمية للمؤلف	215
1-عصر المؤلف	215
2-اسمه ومولده، ووفاته	216
ثانيا: السيرة العلمية	216
1- تعليمه	216
2- العلوم التي شارك فيها المؤلف	217
3-مؤلفاته التاريخية والقومية	217

ثالثا: وظائفه ونشاطه السياسي	219
المطلب الثاني: التعريف ب"التفسير الحديث"	219
أولا: ضبط عنوان الكتاب ونسخه وطبعاته وسبب تأليفه	219
1-عنوان الكتاب ومؤلفه	219
2- نسخ الكتاب وطبعاته	220
3- سبب وزمن تأليف الكتاب	220
4- تحليل محتويات المقدمة	221
المطلب الثالث: منهج دروزة في تفسيره	229
أولا: موارد الكتاب وأثرها في التفسير	229
1-كتب التفسير	229
ثانيا: منهجه في اعتماد أصول التفسير	234
1- تفسير القرآن بالقرآن	234
2-تفسير القرآن بالسنة	237
3-تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين	238
4-التفسير اللغوي	239
5-موقفه من الإسرائيليات	239
6-موقفه من المكي والمدني	240
ثالثا: معالم منهجية في خطة التفسير	241
1-الخطة الإجمالية	241
2-العناية بأسباب النزول	242
3-العناية بالمناسبات	243
4-شرح الغريب	243
5-العناية بالقراءات وتوجيهها	243
6-الجانب النقدي في الكتاب	244
رابعا: منهجه في قضايا التفسير	245
1-منهجه في تفسير آيات الأحكام	245

2- منهجه في تفسير آيات العقائد وموقفه من الانحرافات العقدية	246
3- منهجه في تفسير الآيات الكونية	247
4-التفسير الإشاري والصوفي	247
5-اللطائف البلاغية وقضايا الإعجاز	248
6-الإصلاح الاجتماعي والتطبيق على الواقع:	248
خامسا: أثر الكتاب في التفاسير اللاحقة أو الدراسات الجامعية	249
المبحث الثاني: منهج دروزة في ترتيب النزول	252
المطلب الأول: أهداف دروزة من ترتيب النزول	252
المطلب الثاني: ترتيب النزول المعتمد عند دروزة ومصادره	254
أولا: ترتيب السور المكية	255
ثانيا: ترتيب السور المدنية	258
المطلب الثالث: معايير ترتيب النزول عند دروزة	259
أولا: الروايات	260
ثانيا: أحداث السيرة	261
ثالثا: المضمون	263
رابعا: المناسبات بين السور	267
خامسا: السياق	268
سادسا: الأسلوب	269
سابعا: معيار القصة	270
المبحث الثالث: أثر ترتيب النزول في تفسير دروزة	271
المطلب الأول: أثر ترتيب النزول في إيضاح المعنى	271
أولا: الترجيح بين الأقوال: من أمثلته	271
ثانيا: عود ضمير	272
ثالثا: تعيين المبهمات	272
المطلب الثاني: أثر ترتيب النزول في المناسبة بين السور	273
المطلب الثالث: أثر ترتيب النزول في استنباط الفوائد واللطائف	276

التفسيرية	
أولا: أثر ترتيب النزول فيبيان تدرج الأحكام الشرعية	276
ثانيا: أثره في بيان أحوال التي نزلت فيها الآيات: وهو كثير في تفسير دروزة، نحو	277
ثالثا: أثر ترتيب النزول في استنباط معالم المنهج الإصلاحي	277
1- التعامل باللين وحسن الخلق	277
2- أثر ترتيب النزول في تقرير أن الدعوة بدأت علنا خلاف المعروف	278
3- بيان عالمية الرسالة	279
رابعا: أثره في استنباط فوائد عامة	279
المبحث الرابع: مواقف الباحثين من منهج "التفسيرحسب ترتيب النزول"	281
أولا: التحذير من التفسير حسب ترتيب النزول	281
1- موقف سعيد حوى	281
2- موقف مصطفى مسلم	281
ثانيا: التوجيه لمنهج التفسير حسب ترتيب النزول	282
1- موقف فهد الرومي	282
2- موقف محمد علي الحسن	283
ثالثا: الاستحسان لمنهج التفسير حسب ترتيب النزول	283
خلاصة الفصل الثالث	286
الخاتمة	289
الفهارس	
أولا: فهرس الآيات القرآنية	292
ثانيا: فهرس الاحاديث النبوية	303
ثالثا: قائمة المصادر والمراجع	308
رابعا: فهرس الموضوعات	328
الملخص	

ملخص البحث

الحمد لله فقد يسر الله بفضله إتمام بحث درجة الدكتوراه بعنوان: **أثر ترتيب نزول الآي في تفسير القرآن الكريم التفسير الحديث لمحمد عزة دروزة أنموذجا– دراسة نقدية–**

لقد أقبل العلماء على كتاب الله تعالى يتلونه حق تلاوته، ويكشفون للناس مكنون أحكامه وحكمه، فتوالت حركة التأليف في تفسير القرآن الكريم على مرّ القرون حتى أيامنا هذه، وطريقة الفسير كانت واحدة تتناول سور القرآن مرتبة كما هي عليه في المصحف الشريف، وإن اختلفت مناهجها، وتباينت اتجاهاتها، إلى أن ظهر في العصر الحديث من سلك مسلكا مغايرا باعتماد ترتيب النزول طريقا في تأليف تفاسيرهم .

وجاءت هذه الدراسة على امتداد فصولها الثلاثة تتعقب هذه الفكرة في محاولة للكشف عن جدوى تفسير القرآن الكريم على ترتيب النزول، وبيان الآثار المترتبة عن هذه الفكرة نظريا وعمليا من خلال دراسة التفسير الحديث لمحمد عزة دروزة.

استهل البحث بمدخل في بعض المسائل المتعلقة بترتيب النزول، وتناول الفصل الأول: قضية: "فهم القرآن حسب ترتيب النزول" من حيث المفهوم والأهمية والجذور، والإشكالات المثارة حوله في الوسط الفكري المعاصر، أما الفصل الثاني: فعرضت فيه ثلاثة مؤلفات في التفسير حسب ترتيب النزول، ناقشت من خلالها دوافعهم إلى هذا المسلك، ومعاييرهم في الترتيب، وأثر ذلك في تفسيرهم، وخصصت الفصل الثالث لدراسة التفسير الحديث لمحمد عزة دروزة، ركزت فيه على منهجه في توظيف ترتيب النزول، وناقشت مبرراته ومعاييره في الترتيب، وأثر ذلك في تفسيره.

أنهيت البحث بخاتمة دونت فيها أهم النتائج المتوصل إليها، ولعل أبرزها:

- أنني لم أقف على الأثر التطبيقي الدال على مدى أصالة، وصحة، وعلمية المنهج المتبع في تفسير القرآن حسب ترتيب النزول في تفسير دروزة، ولا في غيره ممن سلكوا هذا المنهج.
- يمكن القول أن النتائج المحصلة من فكرة تفسير القرآن بحسب ترتيب النزول عند دروزة ومن سار على منواله لم تحقق أهداف أصحابها، ولم تأت بالثمار المرجوّة منها، ولم تقدم جديدا لحقل التفسير.

Abstract:

Praise to Allah; due to Allah's facilitation, this doctoral research has been completed entitled: **«The Effect of the Verses Revelation Order in the Interpretation of the Noble Quran, Modern Interpretation of Muhammad Azza Darruaza» As a Model–A Critical Study-**

The scientists have recited Almighty Allah's Book with a rightly recitation of it and displayed people the hidden of its provisions and rulings, then proceeded the Noble Quran authorship movement in its interpretation through the centuries till nowadays and the interpretation method of was one dealing with the Quran verses organized as they were in the Holy Quran even their methods differed and their trends varied, until in the modern era it appeared whose wire a different path by accrediting the revelation order as a way to compose their interpretations. Along way its three chapters this come study to track this idea in trying to reveal about the benefit of the Noble Quran interpretation on the revelation order and exhibiting theoretically and practically the impacts of this idea through the study of Muhammad Azza Darruza's modern interpretation.

The research started with a preface to some questions linked to the revelation order, and the first chapter treated the case of: «**Comprehending the Quran according to the Decent Order**» from where the concept, the importance and the roots and the problematic grew up about it in the contemporary intellectual field; While in the second chapter: I presented three writings of interpretation according to revelation order, through which I discussed their impulses to this path, their criteria in ordering and the effect of this on their interpretation, the third chapter assigned to the study of Muhammad Azza Darruza's modern interpretation, I stressed on his method in using the revelation order and I discussed his justifications and his criteria in the ordering and effect of this in his interpretation.

The research is deduced with a conclusion within the best noted reached finding, may be the prominent of them are:

• I did not stood on the applied impact indicating the extent of originality, correctness, and the scientific method followed in the Quran interpretation according to the revelation order neither in the interpretation of Darruza; nor of the others who followed this method.

• The obtained findings from the idea of the Quran interpretation according to the decent order for Darruza and those who followed his path, did not achieved the aims of its owners, did not got the expected fruits of it and did not provided a new thing to the interpretation field.

Résumé:

Louange à Allah; grâce à la facilitation d'Allah, cette recherche de doctorat a été achevée sous titre : «**L'effet de l'Ordre de la révélation des Versets dans l'Interprétation du Noble Coran, l'Interprétation Moderne de Mohammed Azza Darrouza » en tant que Modèle –Une Étude Critique-**

Les scientifiques ont récité le livre d'Allah Tout-Puissant avec une récitation juste de celui-ci et ont montré aux gens le secret de ses dispositions et de ses décisions, puis ont poursuivi le mouvement de paternité du Noble Coran dans son interprétation à travers les siècles jusqu'à nos jours et la méthode d'interprétation était celle qui traitait du Coran. Les versets organisés comme ils l'étaient dans le Saint Coran, même leurs méthodes différaient et leurs tendances variaient, jusqu'à ce qu'à l'époque moderne il soit apparu dont le fil un chemin différent en accréditant l'ordre de la révélation comme un moyen de composer leurs interprétations.

Au long de ses trois chapitres, cette étude vient suivre cette idée en essayant de révéler les avantages de l'interprétation du Noble Coran sur l'ordre de la révélation et en exposant théoriquement et pratiquement les impacts de cette idée à travers l'étude de l'interprétation moderne de Mohammed Azza Darrouza**.**

La recherche a commencé par une préface à quelques questions liées à l'ordre de la révélation,

le premier chapitre traitait le cas de : «**Comprendre le Coran selon l'Ordre de la révélation**» d'où le concept, l'importance et les racines et la problématique à son sujet ont grandi dans le champ intellectuel contemporain ; Alors que dans le deuxième chapitre : j'ai présenté trois écrits d'interprétation selon un ordre de la révélation, à travers lesquels j'ai discuté leurs impulsions vers cette voie, leurs critères d'ordre et l'effet sur leur interprétation, le troisième chapitre était assigné à l'étude l'interprétation moderne de Darrouza**.**, j'ai insisté sur sa méthode d'utilisation de l'ordre de la révélation et j'ai discuté ses justifications et ses critères dans l'ordre de la descendance et l'effet de cela dans son interprétation.

La recherche est déduite d'une conclusion, la mieux notée les résultats obtenus, peut-être les plus importantes sont:

• Je ne me tenais pas sur l'impact appliqué indiquant l'étendue de l'originalité, de l'exactitude et de la méthode scientifique suivie dans l'interprétation du Coran selon l'ordre de la révélation ni dans l'interprétation de Darrouza, ni dans celle des autres qui ont suivi cette méthode.

• Les découvertes obtenues de l'idée de l'interprétation du Coran selon l'ordre de la révélation pour Darrouza et ceux qui ont suivi son chemin, n'ont pas atteint les objectifs de ses gens propriétaires, et n'en ont pas obtenu les fruits attendus d'elle, et n'ont pas apporté aucune une nouveauté au domaine de l'interprétation.